

أَلَمْ يَكُنِ
الْحَقُّ الْمَصْطَفَى

أَهْلُكُمْ إِلَى دِينِ الْمُصْطَفَى

تأليف
« الإمام المجاهد »
الشيخ محمد جواد البلاغي

الجزء الأول

منشورات
مؤسسة الأعلی للطبوعات
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

بقلم : الكاتب

المجيد العلامة المحقق الاستاذ

السيد توفيق الفكيكي المحامي

بعد أن وضعت الحرب الصليبية أوزارها التي دامت سجلا بين الإسلام وأعدائه طوال قرنين من الزمن ، حتى انتصر التوحيد على التثليث ، وتم اندحار الغزاة الأوروبيين ، وانهمز فلولهم عبر البحار ، فتطهرت بلاد العروبة والإسلام ومقدساتها من اقدام الجيوش الصليبية التي هبت أوروبا عن بكرة أبيها بملوكها ورهبانها وقوادها لتجهيزها ودفعها الى الشرق الإسلامي لإخضاعها وتخضيد شوكة دول الاسلام ، وإذهاب ريحها ، ومن ثم القضاء على تراث العروبة وموارث «الضاد» المجيدة ، وقد شاء الله تعالى أن تذهب ريح جيوش الغزاة بنصره العزيز ، فانقلبت على أعقابها تجر ذيول الخيبة والخذلان وأضحى أكثرها نصيب الحيتان والعقبان ، بفضل جهاد أهل العقيدة والإيمان من حماة رسالة القرآن ، بيد أن أوروبا المنهزمة لم تنم عن ذحولها ، ولم تنس في يوم من الأيام ضحاياها وأحزانها ، فأخذت دولها وساستها وقساوستها يسلكون في ظلال السلم سبل الكيد والمكر ما أمكنهم الكيد والدهاء لحبك المؤامرات وتأسيس الجمعيات الهدامة في الديار العربية والاسلامية باسم المدارس التعليمية والخدمات الانسانية ، وهي في الحقيقة مؤسسات تبشيرية في خدمة الاستعمار العقائدي والسياسي معا ، وفي فجر النهضة الصناعية في اوروبا أخذت معجزات العلم الحديث تزداد يوما بعد يوم ، فكثرت الاختراعات المدهشة ، وبذلك فقد اشتدت قوى الشر في اوروبا ، واستشرى كلب الاستعمار لأخذ الثأر التاريخي

الذي سببته الحروب الصليبية ، أما الشرق الاسلامي فقد اصاب بداء الانقسام والتجزئة في سبيل الوصول الى العروش ودست الحكم وحب الامارة ، فخدمت في المجموعة الاسلامية جذوة الايمان الصحيح وحرارة العقيدة ، وخيم الجهل على ربوع الشرق ، وتعدد السلاطين والأمراء واستعذبوا الرقاد على أنغام وعاظهم المنافقين ، وقل الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، فغط الرعاة والرعية في سبات عميق ازاء يقظة اوروبا وعجيج مخترعاتها المذهلة في البر والبحر وأرجاء الجو ، ولقاء نشاط جماعات الاستشراق والرساليات التبشيرية الاستعمارية ، وكان جل مهمتها زعزعة عقائد الشباب العربي الاسلامي ، وزرع الشكوك في عقيدتهم وتعاليم دينهم وفي معجزة الاسلام الخالدة القرآن الكريم.

وبتلك الأساليب السليمة تارة ، وتارة بالقوة والتهديد تمكنت الدول المسيحية الاستعمارية اجتياح الشرق الاسلامي ، وعادت الحرب الصليبية جذعة كما أفصحت قولة اللورد «النبى» حين دخل الشام ، فوقف على قبر صلاح الدين الأيوبي فقال مخاطبا له : «الآن انتهت الحرب الصليبية يا صلاح الدين» إلا أن الحرب الصليبية لم تقتصر هذه المرة على الميادين العسكرية وإنما استهدفت غزو العقول والأفكار والأرواح ، وهذا أخطر وسائل الفناء للأمم ومحوها من عالم الوجود وفي سبيل هذه الغايات الاستعمارية الفكرية قام دهاقين السياسة الغربية وأجمعوا أمرهم على عقد المعاهدات السرية ، والأحلاف المقدسة لتقسيم الأقاليم الاسلامية وتجزئة البلاد العربية ، وإلى جانب ذلك قاموا بتنظيم قوافل المبشرين لتمهد للحرب الصليبية الحديثة إفساد العقول والقلوب ، وتشويه عقيدة الاسلام أو سلبها من صدور الشباب والشوَاب كما قال أحد المستشرقين الفرنسيين في إحدى مؤتمراتهم : «إننا إن أخفقنا في تنصير شباب المسلمين في المغرب فحسبنا زرع بذور الشكوك في عقيدتهم ، وإفساد قلوبهم نحو القرآن» ، وهكذا فعلت المدارس الأجنبية التبشيرية في ديار الشرق الاسلامي ، ونكتفي بهذه الإشارة لأن الخوض في هذا الموضوع خارج عن غرض هذه المقدمة ، وغاية قصدنا من هذا المدخل الوجيز هي الإشارة العابرة إلى العوامل والدوافع والحوافز التي حفزت كبار المصلحين المسلمين في فجر يقظة الشرق والنهضة

الاصلاحية التي عملت لإيقاظ الرقود في الشرق ، وتحديد رسالة الاسلام والذود عن حياضها وإحياء فلسفة القرآن المتطورة على كر العصور ، وتعاقب الدهور ، فهي لا شرقية ولا غربية ، بل جامعة بين الروحانية والمادية ، كما يفرضه قانون الحياة وسنة الوجود الانساني ، ونواميس الكون ، لهذا سمي الاسلام دين الفطرة ، أي دين الانسانية ، فهو يحارب المادية ويطاردها إذا هي تجردت من المعاني الروحية ، كما يتنكر للروحانية الصرفة إذا ما جانبت الجوانب المادية البريئة ، وفي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، وفي أقوال وتعاليم أهل البيت عليهم السلام كثير من الأمثلة والشواهد الرائعة الناطقة بهذه الحقيقة الكونية الأزلية ، ولا مجال لذكرها وسردها هنا.

كان في مقدمة الذين نذروا أنفسهم في صد التيارات التبشيرية ضد الاسلام ، دولة المصلح المجاهد الشجاع المرحوم فخر الشرق والاسلام السيد جمال الدين الافغاني وتلاميذه الاحرار ، وعلى رأسهم مفتي الديار المصرية العلامة الشهير الشيخ محمد عبده. ومن تخرج عليه من أفذاذ رجال العلم المفكرين كالسيد رشيد رضا والسيد عبد الرحمن الكواكبي وأضرابهما من الغيارى. ومن آثار السيد الافغاني في مكافحة الاحاد كتابه المشهور في الرد على الدهريين ، وتبعه تلميذه الشيخ محمد عبده في صد هجوم المستشرقون وحملاتهم على رسول الاسلام «ص» ، وشريعة القرآن في كتابه «الاسلام والرد على منتقديه» ، و «الاسلام والنصرانية» وغيرهما ، أما الكواكبي فحسبه كتابه القيم «طبائع الاستبداد» ، و كتابه «العروة الوثقى».

أما في ديار الرافدين فقد انفرد بالكفاح والنضال فقيد الشرق الامام الحجة نصير الاسلام الشيخ محمد الجواد البلاغي ، فجرد قلمه البليغ ، وهو أقطع بحجته من الحسام في وجوه الملحددين والمبشرين المستشرقين في الشرق والغرب ، وقد تضمنت مؤلفاته الكثيرة القيمة جهاده الطويل المبارك في الذب عن حقائق الاسلام ، وفي مقدمتها كتابه «الهدى الى دين المصطفى» وهو هذا الكتاب ، و كتابه «الرحلة المدرسية» و «أنوار الهدى» و «نصائح الهدى» وغيرها مما سيأتي تفصيلها.

* * *

الإمام البلاغي وملامح شخصيته ومقوماتها :

هو غصن كريم من الدوحة «البلاغية» الباسقة في سماء الفضل والشرف وعلم أعلامها وشهاب فضلائها وأبدالها ، بل كوكب دراريها الثاقبة الساطعة في دياجير الأزمان الشديدة الحلكات ، وظلمات المعظلات المدلهمات ، فأسرته من أعرق الاسر العراقية ، وقبيلته ربعة^(١) خير القبائل العربية في جاهليتها وإسلامها ، وبيته من أرفع بيوت العلم والدين والأدب ، فهو عربي أصيل ، وفي الذؤابة من تغلب الغلباء ، نزارى العمومة ، هاشمي الخثولة ، خالص المعدن في نسبه وحسبه ، فنشأ في حجر الفضيلة وترعرع وفطم على حب المكارم والشناشن العربية الأصيلة ، وترى على اسس التربية الاسلامية الرفيعة ، وقد التزم بمحاسنها ومثلها العليا ، فكان مثال العربي الصميم الصريح ونموذج المسلم القرآني المثالي الصحيح الايمان الصادق العقيدة الكامل الانسانية بمعناها الواسع ، فان أحب شيء لنفسه فعل الخير والسعي في سبيله ، وأبغض الأشياء عنده بل أنكر المنكرات ، سطوات الشر والأشرار في المجتمع الانساني ، فكان ﷺ تعالى داعي دعاة الفضيلة ومؤسس المدرسة السيارة للهداية والارشاد وتنوير الأفكار بأصول العلم والحكمة وفلسفة الوجود ، فقد افطمت جوانحه على معارف جمّة ، ووسع صدره كنوزا من ثمرات الثقافة الإسلامية العالية والتربية العالية ، وقد نهل وعب من مشارع المعرفة والحكمة الصافية حتى أصبح ملاذ الحائرين الذين استهوتهم أهواء المنحرفين عن المحجة البيضاء ، وخدعتهم ضلالات الدهريين والماديّين ، كما كان الملجأ الأمين لمن رام من المستشرقين الاطمئنان بإزاحة الحجب عن وجه الحقيقة والحق ، وللوصول الى ساحل اليقين كالمستشرق «المستر خالد شردراك» وأمثاله من أعلام الغرب الذين يهتمهم كشف المخبأ من أسرار المعارف المحمدية والحكمة المشرقية ، حيث آنسوا فيه ندرة المواهب العقلية والملكات النفسية القوية والطاقات الفكرية العجيبة ، وينابيعه الثرة العذبة المتفجرة من قلبه الكبير المتدفقة على لسانه الجارية على قلمه السبيل.

* * *

(١) وإليها ينتهي نسب «الكاتب».

ومن ملامحه ومخائله الدالة على كماله النفسي هي فطرته السليمة وسلامته سلوكه الخلقى والاجتماعي ، وحدة ذكائه وقوة فطنته ، وعفة نفسه ورفعة تواضعه ، وصون لسانه عن الفضول ، ولين عريكته ، ورقة حاشيته وخفة روحه وأدبه الجم ، وعذوبة منطقته ، وفيض يده على عسره وشظف عيشه فهذه السجايا والخصال هي أهم صفاته الكمالية ، وقد ورثها . بحكم قانون الوراثة . عن آباء آبائه البلاغيين البهاليل الكرام .

ومن مقومات شخصيته العلمية وملكته الفلسفية والأدبية كثرة ملازمته لأساطين الفنون العربية وأئمة الفقه الإسلامي وجهابذة الفلسفة والكلام ، هؤلاء الفحول الذين كانت تحتضنهم مدينة «باب مدينة العلم» النجف الأشرف وهي أعظم جامعة إسلامية لشتى الفنون والعلوم القديمة ، أما العلوم المتنوعة الحديثة فقد درسها على نفسه بالإضافة إلى اللغة الفارسية والانجليزية والعبرية ومن أشهر شيوخه الذين ارتشف ونهل من نعيمهم الصافي هم حجج الاسلام الشيخ محمد طه نجف ، والحاج آغا رضا الهمداني ، والاستاذ الأكبر الشيخ محمد كاظم الخراساني ، والميرزا محمد تقي الشيرازي القائد الروحي للثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠ م ، وبعد أن ارتوى من تلك الينابيع الفياضة والمناهل العذاب نضجت مواهبه وملكته الاجتهادية ، فاستولى على زمام الاجتهاد والاستنباط وصار إماما مجتهدا بمجادة واستحقاق ومجاهدا مضحيا بالنفس والنفيس في خدمة الحق وأبطال الأباطيل ورفع راية الاسلام ، حتى أضحت داره كعبة القصاد ومدرسة النبهاء والفهماء ، إذ امتازت بطابعها الخاص وهو فن المناظرة والجدل ، ودراسة قواعد الدفاع وطرق النضال العلمية والفلسفية والأدبية في حومات المعارك الفكرية ، كما كانت مدارس الاعتزال في العصر العباسي ازاء أصحاب الأديان والمعتقدات المتطرفة وأهل الآراء والمذاهب المخالفة لمذهب الاعتزال ، وكانت مجاهدة الامام البلاغي والمصابرة عليها ومساوالاته الفكرية المجاهدة في رد اعتراضات الملحدنين ، وطعون أهل الأهواء أمثال جرجيس صال الانكليزي ، وصاحب كتاب «الهداية» المتكلف الضال مما ساعد على اشتهار الامام البلاغي وذيوخه صيته في الشرق والغرب ، حتى اصبحت مدرسته مناخ العقليين الهائمين وراء الحقائق ، وداره المتواضعة محط

المسترشدين المتبصرين من أرجاء الدنيا ، بل علماء المعاهد الفلسفية ، وأساتذة الجامعات الكبرى العلمية.

جهاده وآثاره الخالدة :

ان المتتبع لسيرة عظماء الامم وزعماء الشعوب وعباقره الأقيام يجد أن سر خلودهم كامن في عمق إيمانهم وقوة إرادتهم الحديدية ، وفي صدق إخلاصهم وشدة الصبر والمصابرة على مرارة الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق وإذلال سلطان الباطل أو في سبيل الكفاح والنضال لآحياء المثل الاخلاقية الصحيحة وتحديد العقائد السليمة ، والتراث التاريخي العتيذ الذي هو مصدر مفاخر الامم ، ومحفزها إلى الارتقاء والتقدم ، وهكذا يعمل قادة الفكر وأئمة الاصلاح في كل وسط ومجتمع سواء منهم صاحب السيف أو القلم أو رب السيف والقلم معا ، أو الفيلسوف الحكيم والعالم الرباني العامل لنصرة العقيدة الحققة وإنقاذ المجتمع من الظلمات إلى النور ، فهؤلاء القادة البررة قد خلقوا لأداء رسالة الاصلاح كلما تردت المجتمعات البشرية وانطمست معالم الخير فيها ، وشاعت شرور الاحاد في صفوف أفرادها.

والمتدبر لسيرة الامام البلاغي «رضوان الله عليه» منذ رفعت عنه تائبته حتى لحوقه بالرفيق الأعلى ، يجدها قد حفلت بألوان عجيبة باهرة بالاعمال المجيدة والمسامي الحميدة لرفع لواء الاصلاح ومنار العلم ، وتحديد صرح المعرفة وكشف الحجب التي أسدلتها يد الجهالة المظلمة في عهود الانحطاط على جواهر حقائق الاسلام وقيامه بالدفاع المشكور عن محاسن ويسر الحنيفية السمحة فإنه انعكف منذ عرف نفسه على الكتاب والدرس والاختلاف الى دور العلم ومجالس العلماء ، وندوات الصلحاء حتى إذا استند ساعده ^(١) ، ونضجت مداركه وتوسعت معارفه ، وشاع فضله وفواضله في أوساط الفضيلة والفضلاء وأندية العلم والعلماء ، اتجه بكليته مستضيئاً بنور عقله الوهاج ، وفكره النير المتوقد ، وبقوة إيمانه وصدق إخلاصه ، ومن ثم بغزارة معارفه وآدابه ، وجولات قلمه . البلاغي . البارع إلى تخليد الغرر والدرر في بطون شتى الرسائل والكتب ، وهو

(١) استند بالسین لا بالشین ، ويخطأ من يلفظها بالشین.

من أجل قيامه بأداء رسالته وشغفه بشرف الجهاد في سبيلها قد أثر الانزواء عن الناس لا يغادر غرفته ومكتبته اللهم إلا في أوقات الصلاة وزيارة الحرم المقدس ، وفي خروجه للسوق لتموين عائلته بالغذاء اليومي ، وكان يحمله إليهم بنفسه ويعتذر لمن يروم مساعدته بحمله عنه فيقول له : «رب العيال أولى بعيله» ، أما ما سوى ذلك فلا تجده يبرح غرفته تحيط به كتبه التي يرجع إليها في تحقیقاته الفقهية والأصولية والكلامية ، أو في تعقيبه وتعليقه على كتاب أو على رأي من الآراء العلمية والفلسفية الحديثة ، فتراه دائما مكبا ممعنا نظره في تحرير الأجوبة على المسائل العويصة والمشاكل المعضلة التي ترده من أنحاء العراق والأقطار البعيدة ، أو تراه منهمكا في التأليف أو في شرح الأبحاث العقائدية أو في تفسير آي القرآن الحكيم ، وأسعد ساعاته هي التي يشغلها في المناقشة والمحاورة مع طلابه فيما يدق ويغمض عليهم من دقائق الموضوعات المنطقية والكلامية والفقهية ، والفنون العربية وغيرها من أبواب المعرفة ومن محصول هذه العزلة والانزواء قد زود المكتبة العربية والغربية بآثاره الجليلة القيمة ، وسيأتي ذكر المطبوع وغير المطبوع منها قريبا ، وقد تتجلى للقارئ عظمة جهاده واجتهاده واتساع ثقافته ، والمعاصرة الفكرية الجبارة التي عاشها وسط تلك الزعازع والأعاصير والتيارات التي هبت على المشرق الإسلامي من قبل شيوخ الزندقة والإلحاد وأصحاب البدع والأهواء المردية ، وتلك العظمة تنبئنا عنها كتبه.

١ . الرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة.

٢ . التوحيد والتثليث.

٣ . البلاغ المبين.

٤ . أنوار الهدى.

٥ . نصائح الهدى.

٦ . الهدى إلى دين المصطفى ، وهو هذا ، وسنخصه بالقول لأهمية موضوعاته ومضامينه ، فأما الرحلة المدرسية فقد دلت على خياله الواسع الوثاب وتفكيره العميق وذوقه العالي وأسلوبه الروائي الحديث المبتكر ، وقد دارت

بحوثه ومحاوراته على لسان جماعة من ذوي النزاعة والرجاحة لتمحيص الحقائق وتنزيه العقائد من خلال الرسائل السماوية وتطورها التاريخي وبخاصة منذ عهد التوراة والزبور والإنجيل والقرآن العظيم ، وهو خاتمة الرسائل لهداية البشر إلى فكرة التوحيد الخالص بعد أن اجتازت البشرية عبادة الأحجار والأشجار والحيوانات والكواكب والآباء والامهات الى غير ذلك من صنوف العبادات التي ما أنزل الله بها من سلطان. وإنما كانت من أثر الطفولة العقلية ، وقد حرر الإمام البلاغي «رضي الله عنه» هذه الفصول الفلسفية العقائدية الدقيقة بقلم العالم التحرير المتمكن دون تحيز وتعصب وتحامل على أهل الأديان والمذاهب المخالفة وبلغه سهلة واضحة يفهمها حتى سقيم الفهم وختمها بخلاصة مهمة في إثبات ان دين الإسلام هو دين الفطرة وشرعية الإنسانية مهما تقدمت الحياة وارتقت البشرية أو تطور العلم وتجددت المذاهب الفلسفية واختلفت الأجناس ، ولا قوة للمبادئ المادية الإلحادية المظلمة على إطفاء نور الإسلام الساطع الباهر وفي تعاليم الخيفية سر سعادة الانسانية المعذبة ، هذه هي الخطوط الأساسية لكتاب الرحلة المدرسية ، ونظرا لقيمتها العقائدية الفلسفية ومباحثها الكلامية الاسلامية وتبسيط علل خلق الكائنات ، وعجائب المخلوقات ، من أجل ذلك اهتم بها الباحثون فترجمت لأكثر من لغة واحدة.

* * *

وهكذا تضمنت مؤلفاته التي أشرنا إليها آنفا وهي «التوحيد والتثليث» و «أنوار الهدى» و «البلاغ المبين» فانها قد عاجلت فكرة التوحيد وإبطال عقيدة الثالوث ، وتفنيد آراء الماديين والدهريين وسائر مقالات الطبيعيين ، ورد حملات الحاقدين المغرضين واعتراضاتهم الفاسدة ، وقام بتلك المجادلة والمجادلة القلمية بأسلوبه اللين الهين مراعي القاعدة المعروفة «مناظر ك نظيرك» مع الأدب الجم ، والخلق الرفيع.

أما كتابه «نصائح الهدى» «ورسائله إلى من كان مسلما فصار بابيا» فكل منهما قام على الدليل القاطع والحجة الدامغة ، والحجاج المفحم المسكت ، في تسفيه أحلام أصحاب الدعوة البابية والبهائية بالمعقول والمنقول ، وتزييف

عقيدتهم وإشهار زيفهم ، ومن ثم بتسديد الحراب إلى صدر البهاء والباب ، وتلك الحراب هي البراهين الوضاعة التي أقامها «رح» على هدم دعوتهم وإبطال مزاعمهم ومفترياتهم وأوهامهم التي سطر دعاة الضلالة المانوية أسطارها في «الأقدس» و «البيان» و «الألواح»^(١) وغيرها من فنون هذيان المجان واختلاط ابن ديصان المجوسي وأضرابه من شيوخ الزندقة الذين كانوا وما زالوا يتلونون كالحرباء في كل عصر ومصر بألوان براقعة خداعة وبشعار جديد يتبطن الاباحية والكفر والاحاد كالحركة القرمطية بالأمس والشيوعية اليوم والغرض المشترك لتلك الحركات الهدامة هي القضاء على معالم العروبة والاسلام.

* * *

ومن آثار جهاد الامام البلاغي إثارة الرأي العام ضد البهائية في الكرخ وإقامة الدعوى في المحاكم لمنع تصرفهم في الملك الذي استملوا عليه واتخذوه كعبة لهم ، وباصطلاحهم . حظيرة . لاقامة شعائر الطاغوت ، وقضت المحاكم بنزعه منهم ، واتخذ مسجدا إسلاميا تقام فيه الصلوات الخمس والمآتم الحسينية في ذكرى الطف والبطولات الرائعة.

وقد طبع من آثاره القلمية القيمة الخالدة :

١ . الهدى الى دين المصطفى ، وهو هذا الكتاب .

٢ . الرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة .

٣ . أنوار الهدى .

٤ . نصائح الهدى .

٥ . رسالة التوحيد .

٦ . أعاجيب الأكاذيب .

٧ . البلاغ المبين في الالهيات .

(١) هذه الكتب أهم كتب البهائية الضالة المضللة .

- ٨ . أجوبة المسائل البغدادية في اصول الدين .
- ٩ . الرسالة الاولى في نقض فتوى الوهابيين بهدم القبور المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة .
- ١٠ . الرسالة الثانية في تفنيد فتواهم أيضا .
- ١١ . رسالة في وضوء الامامية وصلاتهم وصومهم ، طبعت بالانجليزية .
- ١٢ . العقود المفصلة في المسائل المشككة .
- ١٣ . تعليقة على مباحث البيع من مكاسب شيخ المجتهدين الامام الانصاري .
- ١٤ . آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، طبع منه الجزء الأول والثاني وهو آخر مؤلفاته .
- ١٥ . رسالة في التفسير المنسوب إلى الامام الحسن العسكري عليه السلام .
- ١٦ . رسالة في الاستدلال على صحة مذهب الامامية عن طريق غيرهم .
- ١٧ . رسالة نسيمات الهدى .
- ١٨ . رسالة في البداء .

أما المخطوطات منها :

- ١ . داعي الاسلام وداعي النصارى .
- ٢ . رسالة في الرد على كتاب تعاليم العلماء .
- ٣ . كتاب المصاييح في إبطال مذهب القاديانية .
- ٤ . كتاب الشهاب في الرد على كتاب حياة المسيح «ص» .
- ٥ . رسالة الرد على كتاب ينابيع الكلام لبعض المسيحيين .
- ٦ . أجوبة المسائل التبريزية في الطلاق وتعدد الزوجات والحجاب وبعض

المسائل الاخرى.

٧. في الأصل العربي ، وقد طبعت بالانجليزية «وضوء الامامية وصلااتهم».
٨. رسالة في القبلة وتعيين مواقع بعض البلدان المهمة في العالم من مكة المكرمة.
٩. رسالة في مواقيت الاحرام.
١٠. رسالة في ذبائح أهل الكتاب.
١١. رسالة في المتمم كرا.
١٢. رسالة في الغسالة.
١٣. رسالة في حرمة مس المصحف الشريف على المحدث.
١٤. تعليقة على كتاب الشفعة من كتاب «الجواهر».
١٥. رسالة في منجزات المريض.
١٦. رسالة في إقرار المريض.
١٧. رسالة في الرضاع.
١٨. رسالة في فروع الرضاع.
١٩. رسالة في قاعدة على اليد ما اخذت.
٢٠. رسالة في إبطال العول والتعصيب.
٢١. رسالة في التقليد.
٢٢. رسالة في الأوامر.
٢٣. رسالة في الخيارات.
٢٤. رسالة في صلاة الجمعة لمن سافر بعد الزوال.
٢٥. رسالة في تنجيس المتنجس إذا لوقي برطوبة.

٢٦ . رسالة في اللباس المشكوك .

٢٧ . رسالة في حالة العلم الاجمالي مع الاصول والنظر في جملة فروع .

٢٨ . رسالة في حرمة حلق اللحية .

٢٩ . رسالة في ان من يدين بدين يلزم بمقتضى نخلته في مقام الحقوق .

٣٠ . تعلية على العروة الوثقى .

هذا التراث الضخم من آثاره القلمية ، وثمراته الفكرية ، يقول فيه الاستاذ الشاعر
الفضل السيد محمود الحبوبي مخاطبا المؤلف في رثائه :

دأبت بنشر ما سميت كتباً ودين الله سماها دروعاً

* * *

في هذه القصيدة وصف الشاعر قلم الإمام البلاغي وقد أجاد فقال :

فتى القلم الذي إن صرّ ألقى صليل المشرفي له الخضوعا

وان تحمله محتضبا مـدادا فما ذا السيف محتضبا نجيعا

وان رضع الدواة ترى شيوخ الضلالة تتقي ذاك الرضيعا

وقد جاره في هذه الحلبة الشاعر الفصيح الاستاذ صالح الجعفري فقال :

لا يفعل السيف مكسور القراب كما قد كان يفعل إذ تستله القلم

أدبه :

كان «رضوان الله عليه» من فحول الشعراء ، وإن اشتهر بمؤلفاته العلمية والفلسفية ،
غير ان الفضلاء من كبار الأدباء والشعراء يقرءون له بمكانته الأدبية ، وشاعريته المطبوعة ،
فهو شاعر محسن مجيد ، تزخر أشعاره بالعواطف الوجدانية ، والمشاعر الإنسانية والتأملات
الروحية ، وأكثر شعره كان في أهل البيت (عليه السلام) ، أو في تهنئة خليل أو رثاء عالم جليل أو في
حالة الحنين إلى الاخلاء يحتمة عليه واجب الوفاء ، واما ان تهزه دواعي الدفاع عن رأي
علمي ، أو شرح فكرة فلسفية بطريق المعارضة الشعرية ، كما في قصيدته

العينية التي عارض فيها قصيدة الرئيس ابن سينا في النفس ، ولم يكن «رحمه الله» بالشاعر
الفصال (١) ، ، ولم يكن من الفقهاء المتزمتين الذين يتكبرون للشعر ونظمه ، ويرونه مزريا
بالعلماء ، بل كان كثير الاحترام للشعراء المناضلين في سبيل الفضيلة الأخلاقية ونصرة المثل
الإسلامية المثلى ووسيلة إذاعة فضائل أئمة أهل البيت عليهم السلام والاشادة بمحاسنهم ، بيد أنه
بالرغم من سلاسة شعره ، وإشراق ديباجته ، ورصانة تركيبه وفصاحة ألفاظه ، ولطافة معانيه
، وحلاوة أسلوبه وطلاوته ، فإنه لا يزاحم من حيث القوة الشاعرية المبدعة التي امتازت بها
الطبقة الاولى من فحول شعراء عصره كالسيد ابراهيم الطباطبائي والسيد موسى الطالقاني
والسيد المجاهد العلامة الكبير والشاعر الشهير السيد محمد سعيد الحبوبي والشاعر الرقيق
السيد جعفر الحلبي وشاعر الرثاء والحماسة المخترع السيد حيدر الحلبي «عليهم رحمت
الرحمن».

ومن شعر الامام البلاغي الذي سارت به الركبان ، قصيدته التي نظمها في الرد على
قصيدة أحد علماء بغداد المنكرين لوجود الامام الثاني عشر المنتظر وغيبته عليه السلام ومطلعها :
أيا علماء العصر يا من لهم خبر بكل دقيق حار في نعته الفكر
فأجابه الشيخ الجليل البلاغي «رضي الله عنه» بقصيدة طويلة بلغت مائة وتسعة
أبيات ، وهي من عيون شعره ، ومستهلها :
أطعت الهوى فيهم فعاصاني الصبر فها أنا مالي فيه نهي ولا أمر
ومنها :

أروح وقلبي للوعج والجوى مباح وأجفاني عليها الكرى حجر
وفي أواخرها يقول :

وقد جاء في الآثار عن كل واحد أحاديث يعيي عن تواترها الحصر
تعرفنا ابن العسكري وأنه هو القائم المهدي والووتر الوتر

(١) الشاعر الفصال : الذي يتكسب بشعره.

ومن قصيدته العينية التي عارض فيها عينية الرئيس ابن سينا في النفس ومطلعها :
نعمت بأن جاءت بخلق المبدع ثم السعادة أن يقول لها «ارجعي»
خلقت لأنفع غاية يا ليتها تبعت سبيل الرشد نحو الأنفع
الله سواها فألهمها فهل تنحو السبيل إلى المحل الأرفع
ومنها :

فخذي هداك فتلك أعلام الهدى زهر سواطع في الطريق المهيع
وتروحي بشذى الطريق واملي عقي سراك إلى الجنب الممرع
إلى آخرها وهي طويلة وذات معاني فلسفية عالية.

* * *

وقصيدته في ثامن شوال من سنة ١٣٤٤ هـ ، وهو اليوم الذي هدمت فيه قبور أئمة
الهدى الأطهار عليهم السلام في البقيع ، ومطلعها :
دهاك ثامن شوال بما دهما فحق للعين إهمال الدموع دما
ومنها :

يوم البقيع لقد جلت مصييته وشاركت في شجاها كربلاء عظما
وقوله من قصيدة غزلية :

مدت إلى رمل الحمى أعناقها طلائع قد شاقني ما شاقها
تزف زفاف الظلم نافرا حيث الغرام قادهما وساقها

وله «رحمه الله» مراسلات اخوانية ، ومناظرات علمية ، ومراجعات شعرية مع العلامة
البحاث خلد الذكر السيد محسن الأمين العاملي «رضي الله عنه» قد بسطها في موسوعته
الجليلة الموسوعة ب «أعيان الشيعة» وفي الجزء السابع عشر منها من ص ٦٧ إلى ص ١٠٢ ،
وفي ديوانه «الرحيق المختوم» ، وقد دلت تلك المراجعات على غزارة علم وأدب وعمق
تفكير وسعة اطلاع ،

وقد جمع سيدنا العاملي في موسوعته ورحيقه أشعار البلاغي الرائقة ومختلف فنونه المختارة الفائقة «فراجعها».

وكان من لدات الامام وخلصائه المجاهد العلامة الكبير والشاعر النابغة السيد محمد سعيد الحبوبي ، وبعد وفاته رثاه الحجة بقصيدة دامعة ، ومطلعها :
شاكك البرق فأسـرعت سـباقا وتركت الصب يلتاع اشتياقا
نكتفي بهذه النماذج البلاغية الدالة على سائر روائعه وبدائعها.

* * *

ميلاده ، ووفاته ، وما قيل في رثائه :

اختلف في ولادته ، فذهب سيدنا أبو الحسن المحسن الأمين العاملي «رضي الله عنه» ، انه ولد في سنة ١٢٨٥ هـ ، وتبعه بعض المترجمين له ومنهم من ذهب انه ولد في سنة ١٢٨٠ هـ ، أما علامتنا الحجة الخريت الشيخ آغا بزرك «أدام الله وجوده» فقد عين تاريخ ولادته في سنة ١٢٨٢ هـ وهذا هو القول الراجح عندي ، لأنه من المتفق عليه ان الامام البلاغي قد توفي وعمره (٧٠) سنة ، أما تاريخ وفاته فكان في عام ١٣٥٢ هـ ، وفي يوم ٢٢ شعبان من تلك السنة ، وقد أجمع المترجمون له على ذلك ، وكان قد ابتلى بداء السل ولكن الذي قضى عليه هو مرض ذات الجنب ، وما أن نعاها النعاة حتى ارتجت مدينة النجف الأشرف فألقت بأفلاذها ، وقذفت بسكانها على اختلاف طبقاتهم وهم يندبون فقيد الاسلام ، ونابغة الشرق ، وقد اهتزت لفقده محافل الشرق وأندية الغرب ، وبكته محاربيه وصلواته وأقلامه ودفاته ومؤلفاته وسار في تشييع جثمانه آلاف من الجماهير يتقدمهم عظماء المجتهدين وأساطين العلم والأدب ، وأقيمت له الفواتح والمآتم وحفلات التأبين في أنحاء الرافدين وأرجاء بلاد «الضاد» وديار الاسلام ، وذكرته الجمعيات العلمية الغربية بالتمجيد والتقدير ، وأثنت على خدماته الجلبي وجهوده الجبارة في نصرة الفضيلة ، والدفاع عن عقيدته بما اوتي من الحكمة وفصل الخطاب ، ورثاه أكابر العلماء والادباء بعيون الشعر الحزين الدامع وفي طليعتهم خاله الأجل العلامة الفهامة سيد شعراء عصره

سيدنا وصديقنا المرحوم السيد رضا الهندي في قصيدته البليغة الرائعة ، ومستهلها :
إن تمسى في ظلم اللحد موسدا فلقد أضأت بهن «أنوار الهدى»
ولئن يفاجئك الردى فلطالما حاولت إنقاذ العباد من الردى
ومنها :

قد كنت أهوى اني لك سابق هيهات قد سبق «الجواد» إلى المدى
فليندب «التوحيد» يوم مماته سيفاً على «الثليث» كان مجرداً
وليبيك دين محمد لمجاهد أشجت رزيتيه النبي محمداً
وليجر أدمعه اليراع لكاتب أجراه في جفن الهداية مروداً
ومنها :

أأخي كم نثرت يداك من «الهدى» بذرا فطب نفساً فزرعك أحصداً
إلى آخرها وهي طويلة وكلها من هذا النمط العالي.

ورثاه العالم الأديب المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر في قصيدة مطلعها :
يا طرف جد بسواد العين أو فذر ما ذا انتفاعك بعد الشمس بالنظر
ومنها :

قد كان كالبدر في ليل الشتا ومضى كالشمس معروفة بالعين والأثر
وفي رثائه قال العلامة المفضل السيد مسلم الحلي قصيدة منها هذا البيت :
اني أرى الموت الزؤام ممثلاً للناس فعل الصيرف النقاد
وقال أحد معارفه :

في ذمة الله نفس بالجهاد قضت فكان آخر شيء فارقت قلم
وممن رثاه العالم الجليل الشيخ محمد تقي الفقيه ، أحد علماء جبل عامل بمرثية مختارة ،
منها :

أفريت نفسك بالجهاد وطالما بدمائها روى اليراع الظامي
حتى تراءت في الجنان مهیضة هتف الملائكة «ادخلي بسلام»
ومنها :

صيرت قلبك شمعة وحملته ضوء امام الدين للاعظام
فأذبتة فاذا المدامع أسطر والنور معناها البديع السامي
وقد أحسن أحد ادباء العربية فخاطبه في رثائه :
زودت نفسك في حياتك زادهما تقوى الإله وذاك خير الزاد
ووصفه أحد البارعين :

تحلى به جيد الزمان وأصبحت تزان به الدنيا وتزهو الصحائف
ومن جملة من رثاه الأساتذة الأفاضل السيد محمود الحبوبي ومحمد صالح الجعفري
والشيخ محمد علي اليعقوبي^(١) ، ، وغيرهم من أكابر الشعراء وأعلام الأدب ..

المترجمون له :

- ١ . الامام ثقة الاسلام السيد محسن الأمين العاملي ، في الجزء السابع عشر من كتابه
«أعيان الشيعة» ، وفي ديوانه «الرحيق المختوم» .
- ٢ . الحجة الخريت الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه «أعلام الشيعة» وفي كتابه
«الدریعة إلى تصانیف الشيعة» .
- ٣ . العلامة المؤرخ والأديب الكبير المرحوم الشيخ محمد السماوي في كتابه «الطلیعة في
شعراء الشيعة» .
- ٤ . العلامة الكبير المرحوم الشيخ علي كاشف الغطاء في كتابه «الحصون المنیعة» .

(١) القصيدة منشورة على الصحيفة ٢٣٥ من ديوان اليعقوبي وعنوانها «الحجة البلاغي» ، ومستهلها :
سلوا قبة الاسلام ما ذا أمادهما متى قوضت منها الليالي عمادهما

- ٥ . الاستاذ السيد أحمد الحسيني في مقدمته لكتاب «الرحلة المدرسية» للإمام البلاغي.
- ٦ . المرحوم الشيخ الجليل محمد علي الأوردبادي في مجلة الهدى العمارة.
- ٧ . الحجة الشيخ عباس القمي في كتابه «الكنى والألقاب».
- ٨ . الاستاذ الكبير عمر كحالة في كتابه «معجم المؤلفين» المجلد الرابع.
- ٩ . الاستاذ الكبير خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» المجلد السادس وأماكن أخرى من موسوعته.
- ١٠ . الاستاذ السيد حسن الحسيني اللواساني في آخر كتاب «آلاء الرحمن في تفسير القرآن».
- ١١ . الاستاذ الجليل الشيخ محمد حسن آل ياسين في مقدمته لكتاب البداء للإمام البلاغي.
- ١٢ . الاستاذ السيد عبد الوهاب الصافي في العدد الأول من السنة الثانية من مجلة «الاعتدال».
- ١٣ . الاستاذ محمد مهدي الآصفي في كتاب «أنوار الهدى» للإمام البلاغي.
- ١٤ . صاحب كتاب «وقائع الأيام».
- ١٥ . صاحب مجلة «الرضوان».
- ١٦ . المرحوم الاستاذ الشيخ جعفر محبوبية في كتابه «ماضي النجف وحاضرها» الجزء الثاني.
- ١٧ . الاستاذ محمد علي جعفر التميمي في كتابه «مشهد الامام» الجزء الثاني.
- ١٨ . الاستاذ الشيخ هادي الأميني في كتابه «معجم رجال الفكر والأدب»

في النجف».

١٩ . المرحوم العلامة الشيخ جعفر النقدي في كتابه المخطوط «الروض النضير في شعراء القرن المتأخر والأخير».

٢٠ . الاستاذ الشيخ علي الخاقاني في كتابه «شعراء الغري» ج ٢ ص ٤٣٧.

٢١ . الأديب الباحث الاستاذ موسى الموسوي نجل العلامة الجليل المرحوم السيد صادق الموسوي الهندي في كتابه المخطوط آل البلاغي.

٢٢ . حجة الإسلام المرحوم الشيخ محمد حرز في كتابه «معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء» ج ١ ص ١٩٦ . ٢٠٠٠.

وغير هؤلاء الأساتذة والشيوخ الأفاضل ممن أغفلتهم الذاكرة ولم يخطر على البال وهم كثير.

هذا الكتاب

نعم هذا الكتاب يأتي على رأس مؤلفاته وتصانيفه القيمة ، وفي قمة ذخائره العلمية الغالية ، بل هو أنفـس نفائسه الفكرية ، ومبدعـاته العقلية وجاء أقوى دليل على سعة معارفه، وأسطع برهان على إحاطته بتاريخ الأديان والشرائع والعقائد تدلك على ذلك أبواب هذا الكتاب وفصوله ، وغرائب مسائله الشاهدة على ثقافته الناضجة ، ثم ان هذه المباحث الضخمة الجليلة والمتشعبة الأطراف التي بين دفتيه وبجزئيه ، ونهوض الحجة «رحمه الله» في وجه المفترين من كتاب الغرب وغيرهم ورد سهامهم المسمومة واعتراضاتهم المغرضة المحمومة على قدس القرآن الكريم ، هذا الجهاد المرير ، والمصاهرة عليه ، وتلك الجهود الجبارة المضنية والتضحيات الجسمية التي لم يـقم بأعبائها ومكروهاها إلا أصحاب الرسالات الاصلاحية ، وإلا أهل العقيدة الراسخة واليقين الثابت هي أعظم برهان على مبلغ جهاد واجتهاد حجة الاسلام الامام البلاغي مؤلف «الهدى» ، وأليك هذه الفقرات من مقدمته التي توج بها الكتاب وأبان فيها الاسباب والدواعي لتأليفه :

«...وقفت على كتاب عربي أرخ طبعه بسنة ألف وثمانمائة وإحدى وتسعين ميلادية ، لم تذكر مطبعته ولا محلها ولا صاحبها ، عنوانه انه تعريب هاشم العربي نزيل بلاد الفرنج حالا ، عن اللغة الانكليزية لمقالة في الاسلام

لرجل ترجمه العرب بأنه جرجيس صال الانكليزي مولدا ومنشأ ، المولود في أواخر القرن السابع عشر ، وقد ألحق المغرب هذه المقالة بتذييل مستقل في آخرها وتذييلات متفرقات في أثنائها ثم وقفت على كتاب آخر استعير له اسم «الهداية» وهو يتألف من أربعة أجزاء ، ومجموع صفحاتها (١٢٢٨) صفحة تم تأليفها بين سنة ١٩٠٠ و ١٩٠٤ م قد تكلف فيه الرد على كتابي «إظهار الحق والسيف الحميدي» وقام بتأليف «الهداية» جماعة من علماء الغرب أو أحدهم الحاقدين على الرسالة المحمدية المنيفة ، وقد وجدت الكتابين الأولين على طريقة ينكرها شرع التحقيق في البحث والادب في الكلام ، والأمانة في البيان ، ولا يرتضيها خدام المعارف المحافظون على فضلهم ورواج بضاعتهم المتحذرون من وبال الانتقاد ووصمة ظهور الزيف والزيف ، وقد أحببت أن اشير إلى بعض ما فيهما مما حاد عن الأمانة أو تاه في الغفلة خدمة مني للمعارف وإحقاقا للحق وانتقادا للزيف ليثني من يريد الكتابة من جراح تعصبه ويأخذ في مزال الأقدام وعثرات الأقلام بيد قلمه ، وقد آثرت أن أجعل ذلك في خلال ما هو الأمثل بنا ، بل الواجب علينا من الارشاد إلى سبيل الهدى ودين الحق وخالص الايمان وحقيقة العرفان ، ودين الاسلام المتكفل بأعدل النظام وأحسن التمدن وأكمل التهذيب لعامة البشر ... الخ».

وفي «المقدمة السابعة» من الكتاب شرح «رحمه الله» طريقته وأدب مناقشته وأسلوب جداله مع المعترضين على قدس القرآن وشريعة الاسلام ، وفصل شروط البرهان والجدل واخبار الآحاد فقال : «لا يخفى على كل ذي رشد ومعرفة بطريق البحث والمباحثة ، ان مباحثة أهل الدين والاعتراض على جامعتهم وأصل دينهم إنما يحسن ولا يعد خطا ومراوغة عن الحق ، إذا كان البرهان عليهم بالمقدمات المنتهية الى بداهة العقل أو المسلمة عند عمومهم ، وإذا كان الجدل والالتزام لهم بما يعلم انه من الدين الذي عكفوا عليه والقدر الجامع بينهم لا بما كان رأيا أو رواية يختص به واحد أو آحاد من أهل ذلك الدين لا يفيد علما ولا يذعن عموم أهل الدين بصحته أو أنه من دينهم ، فإن تشبث خصمهم بمثل هذا في الاحتجاج على جامعتهم كان ذلك حيادا عن الحق لضعف الحجة وضيق الخناق ، ولأجل هذا لم أعتمد في هذا الكتاب في البرهان

إلا على ما هو حقه من المقدمات البديهية لدى العقل والعقلاء ، ولم اجادل عموم النصارى والزمهم في جامعة دينهم ، والنصرانية التي عندهم إلا بما تسالموا إلهاميته وصدوره عن الوحي ، وهي كتب العهدين التي ذكرنا انهم متفقون في هذه القرون على نسبتها إلى الوحي والالهام ، وشرحنا أسماءها في المقدمة الاولى ، ولم أبحاثهم خبطا بإزاء آحاد مفسريهم وعلمائهم ، أو آحاد تقاليدهم التي لا توجب في دينهم علما أو يأبى صحتها أغلبهم».

* * *

وتمهيدا لهذه الطريقة الحكيمة التي التزم بها في مباحثة هؤلاء المعاندين العاندين ^(١) قدم المقدمات الضرورية ، وقعد القواعد الأساسية التي بنى عليها ما يعجز حملة التوراة والانجيل من الحجج والبراهين المستمدة من أسفارهم ، فقد جادل أهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بانجيلهم وخاطبهم بلسانهم ولغتهم ، ورموز مصطلحاتهم ، ومن جملة موضوعات الجزء الاول من هذا الكتاب الحفيل بالحقائق الناصعة : سيرة بني اسرائيل والملة النصرانية. سيرة بني اسرائيل وتقلبهم في الشرك ، وسيرة أصحاب المسيح وتلاميذه ، والمعلمين في النصرانية واضطرابهم واختلافهم ، ولا حجة بكتب العهدين ، وشهادة بعضها على بعض بالتحريف ، ومنها :

رسالة النبي «ص» والغاية المطلوبة منها ، وعصمته في العقل والنقل والاعتراضات على العصمة وأجوبتها ، وفي نسبة المعاصي إلى الأنبياء والجواب عليها وشئون الأنبياء مع أقوامهم وموقف القرآن من تنزيههم ، وفلسفة القرآن في القذف ، وفي المعجز والمعجزات والعهد الجديد يعارض دعوى المسيح «ع» ومنها : الانجيل تنسب التناقض للمسيح وحاشاه من ذلك ، وفي حقيقة النسخ في التوراة والإنجيل والقرآن ، الناسخ والمنسوخ في شريعة نوح ، دفع الاعتراضات على القرآن من حيث العربية والعلوم الاخرى من بلاغية وتاريخية وفلكية وغير ذلك من الفنون القرآنية العجيبة الباهرة.

(١) العائد : المنحرف عن جادة الحق والشرع.

ومن موضوعات الجزء الثاني المهمة.

١ . بشارة القرآن باكتشاف امريكا.

٢ . آية السموات السبع وعلم الهيئة القديمة والحديثة.

٣ . في اختلاف العهدين في التاريخ وأوهام المتكلف.

٤ . اختلاف الاناجيل في التاريخ.

٥ . اختلاف كتب العهد القديم وأوهام المتكلف.

٦ . قصة الإسراء والعروج إلى السماء.

٧ . نهي الإنجيل عن تسمية أكابر القساوسة والأحبار بالأب إلى غير ذلك من أحكام الشرائع السابقة لشريعة الإسلام والكشف عن أسرار الآيات القرآنية ورد شبهات المعترضين عليها أمثال المستشرق جرجيس صال الانكليزي وصاحب كتاب الهداية وغيرهما من أعداء التنزيل الحكيم والنور المبين ، ومن ذلك اعتراض صاحب الهداية المتكلف على القرآن العظيم من حيث وضع الأرض الذي أشارت إليه الآية الكريمة من سورة الكهف «حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة» ، فاعترض صاحب الهداية المتكلف على ذلك وجعله من الجهل بمبادئ علم الفلك ، فقال الإمام البلاغي مؤلف الهدى رادا له : «قلت لا يخفى ان المغرب أمر مبهم إضافي ، وان لكل ناحية مغربا ، وهو ما تغيب فيه الشمس عن تلك الناحية ، والمغرب العمومي للمعمور القديم (وهو آسيا وافريقيا واوروبا) إنما هو البحر أو بعضه في البحر المحيط ، فالشمس لا تغرب عن المعمور المعتد به من هذه القطع الثلاث إلا ويكون تمام غروبها أو بعضه في البحر المحيط ، والآية الكريمة تعرضت لسر الغيب الذي أظهره الاكتشاف بعد قرون عديدة ، وجرى التعبير في الآية عن البحر بالعين مجازا ، كما جرى التعبير في بليغ الكلام عن الفرات بالنظفة «وهي القطرة من الماء» ونحوها وهو من محاسن المجازات في مقامها وبوصف هذه العين بكونها حمئة ذات طين قد اشير إلى غيب «امريكا» لأنه لا يكون تخصيص هذا البحر ووصفه بكونه ذا طين إلا باعتبار الإشارة إلى امريكا فلا تحسب ان وصف البحر

بكونه ذا طين كان باعتبار وجود الطين في قراره أو حافته أو شواطئه ، لأن كل بحر وكل نهر وكل عين لا بد أن يكون في حافته وقراره طين ، فلا بد أن يكون المراد هو الطين الذي في وسطه ، ومقتضى المناسبة في وصف المحيط العظيم بأن في وسطه طينا لا بد أن يكون المراد منه قطعة امريكا ، ألا ترى ان أقل الأقطار لهذا المحيط يبلغ مائة وثمانين درجة كما في ناحية الدرجة السادسة والستين ، وما قاربها في العرض الشمالي ، فما ظنك بالطين المناسب لوصف هذه البحرية ، أترأه يناسب أن يكون امريكا» . راجع تفصيل البحث في أول الجزء الثاني . صحيفة ٣ وما بعدها.

* * *

وبعد : فإن هذا الكتاب بجزئه من أهم المراجع للمشتغل في تاريخ الأديان والمعتقدات للأجناس البشرية ، وأصفى المصادر لرجال الفقه المقارن في الشرائع السماوية ، وأغزر الكتب في فن الجدل والمناظرة والمناقشة المنطقية ، هذا الفن الذي يحتاجه المحامون في ساحات العدل للدفاع وإفحام الخصوم في القضايا الحقوقية العويصة ، إذ يرى فيهم ملكة المجادلة ، وأسلوب المحاور في ضوء الأقيسة العقلية المنطقية وطريقة استخدام الأدلة والشواهد والتمييز بين صحيحها وسقيمها وقوة حجيتها ، ومن محاسن هذا الكتاب وثمراته الشهية فضح دسائس المبشرين الاستعماريين الحاقدين على الاسلام ورسوله الكريم «ص» تلك الدسائس اللعينة التي سحر بها شبابنا الجامعيين الماسونيين ، فكان خطرهم أشد من خطر المستشرقين الراكضين في ركاب الاستعمار باسم التبشير الديني.

هؤلاء الذين جالدهم الامام «البلاغي» وجادلهم بالتي هي أحسن ، فبدد أوهامهم ، وأظهر جهالاتهم ، وأدحض حججهم بالبرهان المفلج المقنع ، ولهذا فإن هذا الكتاب خزانة علم وعرفان لا غنى للمحامين الغيارى عن حقائق الاسلام الحنيف ، وشريعته السمحة ويسرها عن هذه الخزانة الغالية.

وبهذه المناسبة أنقل هنا ما حدثني به صديقي الثقة الاستاذ الجليل العلامة الكبير السيد محمد تقي الحكيم عن أثر «الهدى» وبركته ، فقال :

«كنت قد حضرت قبل عدة سنين ومعني المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر والاستاذ الأديب الكبير الشيخ محمد علي اليعقوبي ، والشيخ محمد كاظم الشيخ صادق الكتي صاحب المكتبة والمطبعة الحيدرية في النجف الأشرف حفلة عظيمة في الهند ، وعرضت فيها أكداً من الكتب وكان كتاب (الهدى) من جملة تلك الكتب ، وشاهدت أحد موظفي السلك الدبلوماسي من لبنان يتجول بين الكتب ، فلفت نظره كتاب (الهدى) فأخذه وقبله ووضعته على رأسه متبركاً به ، وقد سألتاه عن علة ذلك؟ فقال : «كنت أحد طلاب المدارس الفرنسية في لبنان ، وقد لاحظت وسمعت من أساتذة تلك المدارس هجوماً متواصلاً على انتقاد الدين الاسلامي وتسخيفه والخط من شأنه مجاهرة أمام الطلاب ، وانه بطريق المصادفة اشتري كتاب «الهدى إلى دين المصطفى» فقرأه وأدمن في قراءته ، فكان لهذا الكتاب أثره البالغ في بقاءه على إسلامه وتقوية عقيدته ، والمنافحة عنها أمام المشعوذين والدجالين من مناوئي الاسلام ومنتقديه جهلاً وظلماً وبالزور والبهتان».

وهذا المجد العلمي الباذخ والفضل الشامخ لا يدعيه صاحبه الامام البلاغي فتراه يتواضع الحكماء الزهاد بعدم ذكر اسمه وعنوانه على كتابه هذا وغيره من مؤلفاته الخالدة ، وإنما يكتفي بتسطير هذه الاشارة «... لأقل خدمة الشريعة المقدسة ... النجفي» ، ثم يرجو كل من له اعتراض أو سؤال يتعلق بالكتاب أو غيره من كتبه في أمر الدين وحقيقة الاسلام أن يتحفه بالمكاتبة ليقدم له الجواب مقروناً بالشكر والاحترام ، وختم رجاءه بتوقيعه «الأقل كاتب الهدى». وكان شعاره «رضي الله عنه» خدمة الحق وحده والدفاع عنه دون أي اعتبار ، ويتجلى شعاره المثالي هذا في كلمته الذهبية الحكيمة التي تفيض بالصدق والاخلاص : «ان همي الوحيد هو خدمة الحق والدفاع عنه لوجه الله تعالى سواء كان الدفاع على يدي أو على يد سواي» ، وهذا هو شعار المصلحين المؤمنين بالمثل العليا والذي رفعه إلى منازل الكرامة ومصاف الخالدين ، أجل هذا الشعار قد زهده في أن يضع اسمه ويرسم عنوانه على مؤلفاته الجليلة الضخمة الآتفة الذكر.

هذا هو كتاب «الهدى» العظيم وصاحبه الفضيل البجيل ، وسيقف

القرءاء الكرام على ما في «الهدى» من وجوه المعرفة ومعجزات الفكر السديد ما يغنيهم عن الموسوعات الكبرى في العلم والفلسفة والفقه والتفسير والكلام وتاريخ الشرائع والعقائد ، وأدب الحجاج والجدل الوفير الرفيع.

رحم الله تعالى الامام الحجة «محمد الجواد البلاغي» وأكرم مثواه ، وأعلى منازلهم في فردايس جنانه مع الصديقين والشهداء.

وأخيرا انه لحظ عظيم وشرف كبير ان اقدم للقرءاء الأفاضل هذا الكتاب الجليل البجيل بثوبه القشيب الجديد ، وأنا أشعر بالتقصير والخنجل حيث جرى تحرير هذه المقدمة وأنا في مصيفي تتراوحنى النوبات القلبية تارة ، وآونة تشتد على وطأة داء السكر ، ولذا اضطررت على إيجازها خشية الاسهاب الممل ، وخير الكلام ما قل ودل ، واني لأتقدم بوافر الشكر للأخ النبيل الاستاذ محمد علي البلاغي لما غمرني به من لطفه العميم ، إذ اختارني لاداء هذا الواجب في خدمة الدين والعلم والفضيلة.

والله في عون الجميع وهو المسدد للصواب.

توفيق الفكيكي

نزىل لبنان . الشبانية ١٢ . ٨ . ٩٦٥ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٢) ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣) اللهم فلك الحمد والشكر دائما أبدا كما أنت أهله ، على ان هديت إلى الحق. وأوضحت سبيل الرشد وأزرت البرهان على حين فترة من الرسل ، فلطفت وأنعمت بإرسالك صفوة الأنبياء وخاتم عدتهم والدليل على نبوتهم المبعوث بأتقن شريعة وأوضح طريقة الداعي إلى الحق والهادي الى الصواب محمد رسولك الصادق الأمين الصادع بأمرك والمجاهد في سبيلك صلواتك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

وبعد : فإني وقفت على كتاب عربي ارخ طبعه بسنة الف وثمانمائة وإحدى

(١) سورة الانعام .٧٠.

(٢) سورة البقرة ١١٤.

(٣) سورة آل عمران ٧٩.

وتسعين ميلادية لم تذكر . كما هو المعتاد . مطبعته ولا محلها ولا صاحبها عنوانه انه تعريب هاشم العربي نزيل بلاد الإفرنج حالا عن اللغة الانكليزية لمقالة في الإسلام لرجل ترجمه المعرب بأنه جرجيس صال الانكليزي مولدا ومنشأ المولود في أواخر القرن السابع عشر ، وقد ألحق المعرب هذه المقالة بتذييل مستقل في آخرها وتذييلات متفرقات في أثنائها.

ثم وقفت على كتاب آخر استعير له اسم الهداية قد تكلف فيه الرد على كتابي إظهار الحق والسيف الحميدي فوجدت الكتابين الاولين على طريقة ينكرها شرع التحقيق في البحث والادب في الكلام والامانة في البيان ولا يرتضيها خدام المعارف المحافظون على فضلهم ورواج بضاعتهم المتحذرون من وبال الانتقاد ووصمة ظهور الزيف والزيف ، وقد أحببت أن اشير إلى بعض ما فيهما مما حاد عن الامانة أو تاه في الغفلة خدمة مني للمعارف وإحقاقا للحق وانتقادا للزيف ليثنى من يريد الكتابة من جراح تعصبه ، ويأخذ في مزال الاقدام وعثرات الاقلام بيد قلمه ، وقد آثرت أن أجعل ذلك في خلال ما هو الامثل بنا ، بل الواجب علينا من الإرشاد إلى سبيل الهدى ودين الحق وخالص الإيمان وحقيقة العرفان ، دين الإسلام المتكفل بأعدل النظام ، وأحسن التمدن وأكمل التهذيب لعامة البشر ، وقربهم من الله وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

وقد رتبت كتابنا هذا على مقدمات ومقاصد وخاتمة.

«تنبيه» الظاهر ان مصنف المقالة السابق ذكرها هو الذي سماه الدكتور سعادة في مقدمته على معرب إنجيل برنابا بالمستشرق سايل ، وان هذه المقالة هي الكتابات التي ذكر انه نشرها وسماها بالمباحث التمهيدية ، وهو الذي سماه صاحب إظهار الحق بالقسيس سيل ، ونقل عن مقدمته لترجمة القرآن ثلاث جمل متفرقة تكشف عن ملائمة طريقته في البحث وحسن الادب والإنصاف على خلاف ما قد يوجد في أثناء هذه المقالة ، فأظن ان جملة مما تجاوز في هذه المقالة عن حد البحث إلى سوء الأدب إنما هو من تصرف التعريب ، أو أنه كان من هفوات الجهل قبل أن يأخذ من المعارف بعض حظه. وتعريب المقالة المذكور يشتمل على ثلاثمائة وإحدى وعشرين صحيفة وقد سميت صاحبها عند التعرض

لكلامه سائل وجعلت الإشارة إليها «ق» ، وأما المعرب فالمظنون انه موه باسمه ومحله ، ويظهر من حاله انه ليس له وقوف على كتب العهدين كما ينبغي للنصراني وإلا لما أقدم على كثير من أقواله كما ستعرف ذلك إن شاء الله من متفرقات هذا الكتاب اللهم إلا أن يكون قد حاول الإغفال وأمن الانتقاد ، وقد سميت عند التعرض لكلامه «المعرب» وان تذييله المستقل يشتمل على خمس وتسعين صحيفة من أواخر الكتاب وجعلت الإشارة إليه «ذ» وللتذييلات التي في أثناء المقالة «قد».

وأما الكتاب المستعار له اسم الهداية فقد ذكر لي انه تأليف جماعة من النصارى لكن قد رسم في ختامه «يقول العبد الفقير» بالافراد ولعله أقرب فاني استبعد أن يقدم جماعة من هذا الجيل المتنور بأدابه وحسن مباحثته على مثل ما اقدم عليه مؤلفه كما ستطلع عليه إن شاء الله ، وهو يشتمل على أربعة أجزاء مطبوعة في مصر بمعرفة المرسلين الامريكان ، الجزء الاول من الطبعة الثانية سنة ١٩٠٠ م يشتمل على ثلاثمائة وعشرين صحيفة ، الجزء الثاني من الطبعة الثانية سنة ١٩٠٤ م يشتمل على ثلاثمائة صحيفة ، الجزء الثالث مطبوع في سنة ١٩٠٠ م يشتمل على ثلاثمائة وأربع صحائف ، الجزء الرابع مطبوع في سنة ١٩٠٢ م يشتمل على ثلاثمائة وأربع صحائف ، وقد سميت مؤلفه عند التعرض لكلامه «المتكلف» ، وجعلت الإشارة الى الكتاب «يه» وإلى الجزء «ج» وإلى عدده بالرقم قبله.

المقدمة الأولى

لما كان من مباحثي لهم الاحتجاج عليهم جدلا وإلزاما بما في العهدين المنسوبين إلى الإلهام والوحي الإلهي عند عموم النصارى وخصوص البروتستانت الذين منهم هؤلاء فلا بأس بذكر تفصيل كتبهما ، والإشارة إلى الرموز المصطلح عليها لأسمائها فالأول من العهدين هو المسمى بالعهد القديم وهو عبارة عن تسعة وثلاثين سفرا خمسة منها منسوبة لنبي الله موسى عليه السلام تسمى بالتوراة ، والأسفار الباقية منسوبة إلى الوحي إلى من بعد موسى من الأنبياء إلى ما قبل زمان المسيح عليه السلام بنحو ثلاثمائة وسبع وتسعين سنة وقد يسمى جميع العهد القديم بالتوراة ، واللسان الأصلي له إلى ما قبل سبي بابل هو اللسان العبراني. ومن سبي بابل صار الأصل لبعضها هو اللسان الكلداني وهو لسان بابل.

ثم ترجم العهد القديم إلى اللغة اليونانية بعناية سبعين أو اثنين وسبعين من علماء اليهود لمائتين واثنين وثمانين سنة أو وخمس وثمانين أو وست وثمانين قبل المسيح على اختلاف الرواية في تاريخ الترجمة وأسبابها. قيل : وتمت في اثنين وسبعين يوما وسميت بالترجمة السبعينية ، ومقتضى النقل انها كانت معتبرة غاية الاعتبار فيما بين اليهود وقدماء المسيحيين ، وان مصنفي العهد الجديد ما نقلوا الفقرات الكثيرة إلا عنها ، وان المسيح كان يخاطبهم عن الشريعة والأنبياء من هذه الترجمة. وكذا استفانوس في خطابه لليهود. وكذا الذين تشتتوا في

البلاد ليبشروا بالمسيح باللغة اليونانية ، ثم ترجم بعد ذلك إلى لغات كثيرة. وهذه أسماء أسفاره ورموزها :

- ١ . «تك» لسفر التكوين وهو الأول من التوراة المنسوبة لموسى ويسمى سفر الخليفة أيضا بمقتضى تسمية الترجمة السبعينية ، ويسمى في العبرانية باسم أوله «برنشيت».
- ٢ . «خر» لسفر الخروج وهو ثانيها بتسمية السبعينية ، وفي العبرانية يسمى بأوله «واله شموت» أي وهذه أسماء.
- ٣ . «لا» لسفر اللاويين وهو ثالثها بتسمية السبعينية ، وفي العبرانية بأوله «ويقرأ» أي ودعا.
- ٤ . «عد» لسفر العدد وهو رابعها بتسمية السبعينية ، ويسمى في العبرانية بأوله «ويدبر» أي وكلم.
- ٥ . «تث» لسفر تثنية الاشتراع وهو خامسها بتسمية السبعينية وفي العبرانية بأوله «إله» أي وهذه. ويسمى أيضا دباريم.
- ٦ . «يش» لسفر يشوع أي يوشع.
- ٧ . «قض» لسفر القضاة.
- ٨ . «را» لكتاب راعوث.
- ٩ . «١ صم» صموئيل الاول.
- ١٠ . «٢ صم» لكتاب صموئيل الثاني.
- ١١ . «١ مل» لتاريخ الملوك الاول.
- ١٢ . «٢ مل» لتاريخ الملوك الثاني.
- ١٣ . «١ أي» لتاريخ الايام الاول.
- ١٤ . «٢ أي» لتاريخ الايام الثاني.
- ١٥ . «عز» لكتاب عزرا.

- ١٦ . «نح» لكتاب نحيا.
- ١٧ . «اس» لكتاب استير.
- ١٨ . «اي» لكتاب أيوب.
- ١٩ . «مز» لمزامير داود أي الزبور.
- ٢٠ . «أم» لامثال سليمان.
- ٢١ . «جا» لكتاب الجامعة المنسوب لسليمان.
- ٢٢ . «نش» لنشيد الانشاد.
- ٢٣ . «اش» لكتاب اشعيا.
- ٢٤ . «ار» لكتاب ارميا.
- ٢٥ . «مرا» لمراثي ارميا.
- ٢٦ . «حز» لكتاب حزقيال.
- ٢٧ . «دا» لكتاب دانيال.
- ٢٨ . «هو» لكتاب هوشع.
- ٢٩ . «يوء» لكتاب يوثيل.
- ٣٠ . «عا» لكتاب عاموس.
- ٣١ . «عو» لكتاب عوبديا.
- ٣٢ . «يون» لكتاب يونان أي يونس بن متى.
- ٣٣ . «مي» لكتاب ميخا.
- ٣٤ . «نا» لكتاب ناحوم.
- ٣٥ . «حب» لكتاب حبقوق.
- ٣٦ . «صف» لكتاب صفينا.

٣٧ . «حج» لكتاب حجى .

٣٨ . «زك» لكتاب زكريا .

٣٩ . «مل» لكتاب ملاخي .

ولهذه الكتب في النسخ العبرانية ترتيب آخر من حيث التقديم والتأخير وأما العهد الجديد فهو عند النصارى عبارة عما كتب بالإلهام والوحي الإلهي بعد عيسى وهو عند البروتستنت سبعة وعشرون كتابا وها هي رموزها المصطلح عليها :

١ . «مت» لإنجيل متى .

٢ . «مر» لإنجيل مرقس .

٣ . «لو» لإنجيل لوقا .

٤ . «يو» لإنجيل يوحنا .

٥ . «اع» لأعمال الرسل .

٦ . «رو» لرسالة بولس إلى أهل رومية .

٧ . «١ كو» لرسالته الاولى إلى أهل كورنتوش .

٨ . «٢ كو» لرسالته الثانية إليهم .

٩ . «غل» لرسالته إلى أهل غلاطية .

١٠ . «اف» إلى أهل افسس .

١١ . «في» إلى أهل فيلي .

١٢ . «كو» إلى أهل كولوسي .

١٣ . «١ تس» الاولى إلى أهل تسالونيكى .

١٤ . «٢ تس» الثانية إليهم .

١٥ . «١ تي» الاولى إلى تيموثاوس .

١٦ . «٢ تي» الثانية إليه.

١٧ . «تي» إلى تيطس.

١٨ . «فل» إلى فليمون.

١٩ . «عب» إلى العبرانيين.

٢٠ . «يع» لرسالة يعقوب.

٢١ . «١ بط» لرسالة بطرس الاولى.

٢٢ . «٢ بط» لرسالته الثانية.

٢٣ . «١ يو» لرسالة يوحنا الاولى.

٢٤ . «٢ يو» لرسالته الثانية.

٢٥ . «٣ يو» لرسالته الثالثة.

٢٦ . «يه» لرسالة يهوذا.

٢٧ . «رؤ» لرؤيا يوحنا المسماة بالمكاشفات والمشاهدات والجليان.

ولكل واحد من كتب العهدين فصول معدودة يسمونها الاصحاحات تشتمل على فقرات معدودة بالرقم الهندي ، فإذا أرادوا الإشارة إلى الفقرة أشاروا إلى كتابها بما ذكرنا من الرموز ثم أشاروا إلى اصحابها بعدده بالرقم الهندي وجعلوا بعده نقطتين إحداها فوق الاخرى هكذا «:» ثم أشاروا إلى الفقرة بعددها بالرقم أيضا ، مثاله إذا أردنا أن نشير إلى الفقرة الثالثة عشر من الاصحاح الثالث من رسالة بولس إلى أهل غلاطية رسمنا هكذا «غل ٣ : ١٣» وإذا أرادوا الإشارة إلى فقرات متعددة أشاروا إلى الاولى بنحو ما ذكرنا ثم رسموا بعدها خطا عرضيا هكذا . ، ورسموا بعده عدد الفقرة الأخيرة فيكون الخط العرضي بمعنى الى أو حتى مثال ذلك : إذا أردنا أن نشير إلى جملة هي من الثامنة عشرة إلى نهاية الثالثة والعشرين من الاصحاح الحادي والعشرين من سفر التثنية رسمنا هكذا «تث ٢١ : ١٨ . ٢٣» وان الكثير من اصطلاحنا في

الكتاب ان نذكر عدد الاصحاح صريحا ثم نشير الى عدد الفقرات بالرقم ، وان الذي حضرني من نسخ العهدين عند كتابة هذا الكتاب نسخ عديدة. الاولى نسخة عبرانية مطبوعة في برلين سنة ١٩٠١ م يشتمل العهد القديم منها على الف وثلاثمائة وأربع وثمانين صحيفة والجديد على أربعمائة وست وثمانين.

«الثانية» نسخة عربية اشير في متنها إلى الكلمات التي زيدت في الترجمة على الأصل العبراني واليوناني بطبعها بالحرف الصغير وإلى الكلمات التي لا توجد في أقدم النسخ وأصحها يجعلها بين خطين هلالين ، واشير في أسفل صحيفتها إلى إختلاف العبرانية واليونانية والسامرية ، وإلى إختلاف القراءات واشير في جانبها الأعلى إلى تكرار الكلمة والمضمون في العهدين وإلى تاريخ بعض الحوادث المذكورة فيهما ، وان العهد القديم منها ليشتمل على ألف واثنين وستين صحيفة. والجديد على ثلاثمائة وثمان وخمسين. وفي آخرها ما نصه ، وكان الفراغ من اصطناع صفائحه في شهر تموز من أشهر سنة ١٨٧٠ مسيحية في بيروت.

«الثالثة» نسخة عربية أيضا من الطبعة الثانية عشر في المطبعة الامريكانية في بيروت سنة ١٩٠٥ م يشتمل العهد القديم منها على تسعمائة وعشرين صحيفة والجديد على مائتين وخمسة وتسعين.

«الرابعة» نسخة عربية طبع دي ساره هوجسون سنة ١٨١١ م.

«الخامسة» نسخة فارسية مطبوعة في روكلين مدلبسيك سنة ١٨٩٥ م بنفقة الجمعية المشهورة به بريتش وفورن بيبيل سوسائتي دار السلطنة لندن يشتمل العهد القديم منها على ألف وثلاثمائة وثمان وثمانين صحيفة ، والجديد على أربعمائة وإحدى وعشرين.

«السادسة» نسخة فارسية أيضا بالحرف الصغير مساوية للتي قبلها في عدد الصحائف والوضع والطبع بنفقة الجمعية المذكورة طبع العهد القديم منها سنة ١٩٠١ م ، والجديد سنة ١٩٠٢.

«السابعة» نسخة فارسية أيضا العهد القديم منها يشتمل على أربعة

أجزاء في ثمان مائة وست وأربعين صحيفة بترجمة وليم كان قسيس اكستي ومعلم العلم الإلهي باستعانة فاضل خان الهمداني به فرمان المجمع المشهور بيونيتداسوشئت سند سكتلند مطبوعة به فرمان المجمع المذكور في دار السلطنة ادن برغ بمطبعة تومس كنستبل سنة ١٨٤٥ م ، والعهد الجديد منها يشتمل على خمسمائة واثنين وثلاثين صحيفة بترجمة أفضل الفضلاء المسيحية هنري مرتن قسيس انكليسي وطبع به فرمان مجمع برييتش اندفرن ببيل سسيتي في ادن برغ ، في المطبعة المذكورة أيضا سنة ١٨٤٦ م .

«الثامنة» خمسة أسفار التوراة لموسى فارسية بترجمة توما رابنسن القسيس مطبوعة في لندن بمطبعة رجاردواطس سنة ١٨٣٩ م ، وهي تشتمل على خمسمائة وسبعين صحيفة .
«التاسعة» العهد الجديد نسخة عربية تشتمل على أربعمائة صحيفة فرغ من اصطناع صفائحها في مدينة نيويورك سنة ١٨٤٦ م ، وطبعت في مطبعة المدرسة في اوكسفورد سنة ١٨٦٩ م .

«العاشر» العهد الجديد بالفارسية تشتمل على ستمائة وسبعة وعشرين صحيفة بترجمة هنري مارتن المذكور من الطبعة الثالثة بمطبعة رجاردواطس في لندن بإعانة مجمع ببيل سوسسيتي سنة ١٨٣٧ م .

المقدمة الثانية

فيما يستخرج من العهدين من المدة التي تراخى فيها وحي كتبها ، أما التوراة فإن ابتداء وحيها لموسى كان في جبل حوريب ، اذ كان موسى يرعى غنم كاهن مدين «خر ٣ : ٤» ثم في مدين «خر ٤ : ١٩» ثم في مصر في دفعات متراخية بحسب الزمان إلى عبور بني إسرائيل البحر «خر ٥ - ١٤» ثم في ماره «خر ١٥ : ٢٥» ثم في بركة سين حيث انزل المن بعد الخامس عشر من الشهر الثاني لخروجهم من مصر «خر ١٦» ثم رفيديم «خر ١٧» ثم في بركة سينا بعد الشهر الثالث لخروجهم من مصر «خر ١٩» وتتابع الوحي في دفعات متراخية في جبل سينا وبريته ، الى أن ارتحلوا منها في العشرين من الشهر الثاني من السنة الثانية لخروجهم من مصر «عد ١٠ : ١٢» ثم في فيروت هتاوه «عد ١١» ثم في حضروت «عد ١٢» ثم في بركة فاران «عد ١٣» ، وتتابع الوحي هناك في سنين عديدة الى أن مات هارون في جبل هور «عد ٢٠ : ٢٣ - ٢٩» وكان موت هارون في أول الشهر الخامس من السنة الأربعين لخروجهم من مصر «٣٣ : ٣٨» ثم في عربات مواب ووضع لهم هناك شرائع وأحكام «٢٨ - ٣٦» ثم في عبر الاردن في أول الشهر الحادي عشر من السنة الأربعين لخروجهم من مصر «تث ١ : ١ - ٤» فكانت مدة نزول الوحي والشرعة على موسى بالتدريج والتعاقب من المدة التي كان فيها يرعى غنم كاهن مدين في حوريب الى أن توفي في أرض مواب ما يزيد على إحدى وأربعين سنة على انه لم

يعرف من التوراة الوقت الذي أوحى فيه سفر التكوين الى موسى ومقتضى صراحة التوراة ، ان كتابة موسى لها في كتاب وجمعها كان في آخر عمره الشريف عند إتمام الشريعة كتب هذه التوراة وسلمها للكهنة وشيوخ بني اسرائيل وأمرهم بوضعها بجانب تابوت عهد الرب «انظر تث ٣١ : ٩ و ٢٤».

وأما وحي اشعيا فقد كان متراخيا في أيام عزيا ويوثام واحاز وحزقيا ملوك يهوذا «اش ١ : ١» وكانت مدة ملك هؤلاء الأربعة مائة وثلاثة عشر سنة «٢ اي ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩».

وكذا وحي كتاب هوشع «هوا : ١» ، وكان وحي كتاب ارميا متدرجا متراخيا من السنة الثالثة عشر لملك بوشيا ، وأيام ملك يهوذاحاز ويهوياقيم ويهوياكين الى السنة الحادية عشر لملك صدقيا «١ ر : ١ - ٤» وكانت هذه المدة إحدى وأربعين سنة «٢ اي ٣٤ و ٦٣» ، وكان وحي كتاب حزقيال من السنة الخامسة لسبي يهوياكين «حز ١ : ٢» متدرجا الى السنة السابعة والعشرين «حز ٢٩ : ١٧».

وكان وحي كتاب دانيال متدرجا من أيام بخت نصر «دا ٢» الى السنة الثالثة لكورش «دا ١٠ : ١» وهذه المدة تزيد بحسب التاريخ على الستين سنة وكان وحي كتاب ميخا المورشي متدرجا في أيام يوثام واحاز وحزقيا ملوك يهوذا «مي ١ : ١» وكان ملك هؤلاء إحدى وستين سنة «٢ اي ٢٧ و ٢٨ و ٢٩» وكان وحي كتاب حجي على قلته متدرجا من أول الشهر السادس من السنة الثانية لملك داريوس «حج ١ : ١» الى الرابع والعشرين من الشهر التاسع «حج ٥ : ١٠».

وكان وحي كتاب زكريا متدرجا من الشهر الثامن من السنة الثانية لداريوس الملك «زك ١ : ١» الى الشهر التاسع من السنة الرابعة «زك ٧ : ١» ثم لم يؤرخ وحيه بعد هذا في كتابه ولم يذكر في العهد القديم ان باقي كتبه كان وحيها دفعة واحدة.

وكان عمر المسيح حينما اعتمد من يوحنا ونزل عليه الروح القدس نحو

ثلاثين سنة «لو ٣ : ٢١ - ٢٤» ، ، ومن المعلوم ان عمره الشريف حينما رفع الى السماء كان نحو ثلاثة وثلاثين سنة فتكون تعاليمه النبوية الإلهامية الى ليلة الجمعة التي هجم فيها عليه اليهود متدرجة حسبما ذكر في الأناجيل في مدة ثلاث سنين.

واذا عرفت هذه المقدمة فما ذا تقول في قول المكلف في شأن القرآن الكريم «يه ا ج ص ٥٥ س ٢٠» وهو مخالف لكتب الوحي لأنها نزلت جملة ، والقرآن مقطوع.

ثم انظر إلى تهور سايل «ق» ص ١٢٦ س ٦ - ١٢» فهل تراهما لم يطلعا على ما في العهدين ، أم حاولا الإغفال ليروجا اغراضهما ، أفأمننا من رقيب الحق ، ومن الظرائف قول المتعرب «قد ص ١٢٩ س ١٨» اليهود يقولون ان الناموس اعطى لموسى نجوما ، وليت شعري ان التوراة في اعصار هؤلاء لم تنحصر بنسخة حلقيا أو عزرا ليجهلوا ما فيها.

المقدمة الثالثة

فيما اتفق من صراحة بعض كتب العهدين بما يدل على مخالفة وضعها وترتيبها لترتيب إلهامها ووحيتها ، فان المزمور الثامن عشر كان إلهامه عند ما أنقذ الله داود من أيدي كل أعدائه ومن يد شاول ، وان المزمور الرابع والثلاثين كان إلهامه عند ما غير داود عقله قدام أبي مالك وهو قبل ذلك ، وان إلهام المزمور الحادي والخمسين كان بعد ما تزوج داود بامرأة اوريا ، وإلهام الثاني والخمسين عند ما اخبر دواغ الادومي شاول بدخول داود الى بيت أخي مالك وهو قبل ما تقدم ذكره ، وكذا إلهام المزمور السادس والخمسين ، وكان إلهام المزمور السابع والخمسين بعد إلهام المزمور التاسع والخمسين ، وان إلهام التاسع والخمسين كان عند ما أرسل شاول من يراقب داود في البيت وهو قبل كل ما ذكر ، وكان إلهام المزمور المائة والثاني والأربعين عند ما كان داود في المغارة وهو قبل أغلب ما ذكرنا ومقارن لإلهام المزمور السابع والخمسين.

ويعرف ما ذكرنا من التقدم والتأخر ومخالفة الترتيب من ملاحظة عناوين المزامير ومراجعة تاريخ أحوال داود من تاسع عشر صموئيل الاول الى ثاني عشر صموئيل الثاني .
وان إلهام الإصحاح الحادي والعشرين من ارميا كان في أيام صدقيا آخر ملوك يهوذا ، وإلهام أوائل الثاني والعشرين في أيام يهوياقيم ، وإلهام أواخره في

أيام ابنه كنياهو وهما قبل صدقيا ، وإلهام الخامس والعشرين كان في السنة الرابعة ليهويقيم وهي قبل ملك كنياهو وصدقيا ، وإلهام السادس والعشرين كان في ابتداء ملك يهويقيم ، وهو قبل كل ما ذكرنا ، ومثله إلهام السابع والعشرين بحسب أوائله الا أن فيه غلط واضح كما يشهد به الثامن والعشرون ، وان إلهام الثاني والثلاثين كان في السنة العاشرة لصدقيا ، وإلهام السادس والثلاثين كان في السنة الرابعة ليهويقيم ، وان إلهام الثالث والأربعين كان في تحفنجيس في مصر بعد سبي بابل وانقراض مملكة يهوذا بمدة ، وكذا إلهام الرابع والأربعين ، مع ان إلهام الخامس والأربعين يتعلق بالسنة الرابعة ليهويقيم ، فراجع نص الإصحاحات المذكورة من ارميا مع تاريخ ملك يهويقيم ويكنيا وصدقيا ملوك يهوذا ، في الثالث والأربعين الى الخامس والأربعين من الملوك الاول ، والسادس والثلاثين من الأيام الثاني ، وان إلهام السادس والعشرين من كتاب حزقيال كان في السنة الحادية عشر لسبيهم ، مع ان إلهام أوائل التاسع والعشرين كان في السنة العاشرة ، وإلهام أواخره كان في السنة السابعة والعشرين ، مع ان إلهام الحادي والثلاثين كان في السنة الحادية عشر وكان إلهام الاصحاح العاشر من كتاب دانيال في السنة الثالثة لكورش ملك فارس ، وإلهام الحادي عشر في السنة الاولى لداريوس المادي وهو قبل كورش ، وبناء على ما في النسخة السبعينية من ذكر كورش بدل داريوس يكون إلهام العاشر في السنة الثالثة لكورش ، وإلهام الحادي عشر في السنة الاولى له ، ولعل التبع في العهدين يدل على أكثر مما ذكرنا من مخالفة ترتيب الكتاب لترتيب الهامة بل لعل التنقيح في خصوص تورا موسى يشهد بكثير من ذلك ، بل لعل ما لا شاهد عليه أكثر وأكثر ، فلنكتف في هذه المقدمة على هذا المقدار .

المقدمة الرابعة

فيما ذكر في العهدين من الحالات الغريبة التي تعرض للأنبياء عند الوحي إليهم ،
وتجلى الله وظهور جلاله لهم.

ففي التوراة ان ابراهيم لما اوحى إليه في شأن نسله وغربتهم وقع عليه عند مغيب
الشمس سبات ورعبة مظلمة «تك ١٥ : ١٢ - ١٥».

وان يعقوب لما رأى في الحلم السلم والملائكة ، وخاطبه الرب واستيقظ خاف وقال :
ما أرهب هذا المكان «تك ٢٨ : ١٢ - ١٨».

وأما موسى فانه وان لم تذكر التوراة في شأنه شيئاً عند ظهور الله له في حوريب في
عليقة النار في أول تكليمه الا كونه غطى وجهه لأنه خاف أن ينظر الى الله «خر ٣ : ١ -
٦» ، وكذا في جبل سيناء «خر ١٩».

لكن استفانوس الذي وصف بأنه مملوء من الايمان والروح القدس والقوة بحيث كان
يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب «١ ع ٦ : ٨ - ٥».

قد ذكر ان موسى ارتعد ولم يجسر أن يتطلع عند ما ظهر له ملاك الرب في نار العليقة
«١ ع ٧ : ٣٠ - ٣٣».

وبولس الرسول العظيم عند النصارى ذكر في شأن ظهور جلال الله على جبل سيناء
حين ارتجف الجبل ، ان المنظر كان مخيفاً حتى قال موسى : أنا

مرتعب ومرتعد «عب ١٢ : ٢١».

ويلزم من ذلك ان التوراة أهملت ذكر حال موسى في هذا الشأن ، نعم ذكرت في مقام آخر ان موسى قال لله : أرني مجدك ، فقال : احيز كل جودتي قدامك ولا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني فيعيش وهو ذا عندي مكان فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدي اني أضعك في نقرة من الصخرة واسترك بيدي حتى اجتاز ، ثم ارفع يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا يرى «خر ٣٣ : ١٨ - ٢٣».

والمعقول من هذا الكلام هو أن الطبيعة البشرية حتى من مثل موسى لا نقوى على مشاهدة جلال الله ومجده من الوجهة الحقيقية المكنى عنها بأوجه وإنما نقوى بمساعدة العناية الربانية على بعض المشاهد من الوجهة المكنى عنها بالوراء.

وذكرت التوراة أيضا ان السحابة غطت خيمة الاجتماع وملاً بهاء الرب المسكن فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع لأن السحابة حلت وبهاء الرب ملاً المسكن «خر ٤٠ : ٣٤ و ٣٥».

ومقتضاه ان موسى مع مقامه النبوي وكونه كليم الله قد ضعف واحجم عن الإقدام على مشاهدة بهاء الله.

وقد اتفق للعهدين التعرض لبعض أحوال الأنبياء عند الوحي والمكاشفة من تصرف الروح بهم على غير اختيارهم وسقوطهم لوجوههم ومقاساتهم الجهد والشدة كوقوع الغيبة والاعماء عليهم واضطرابهم وغير ذلك عند مشاهدة آثار الجلال والكبرياء.

فعن قول حزقيال لما رأى منظر شبه مجد الرب وخر على وجهه «حز ١ : ٢٨» فدخل في روح وأقامني على قدمي «حز ٢ : ٢» ، وعن قوله أيضا فحملني الروح وأخذني وذهبت برا في حرارة روحي ويد الرب كانت شديدة على «حز ٣ : ١٤».

وأیضا وإذا بمجد الرب واقف هناك كالمجد الذي رأيته على نهر خابور

فخررت على وجهي فدخل في روحي وأقامني على قدمي «حز ٣ : ٢٣ و ٢٤» وأيضا ،
ومد شبه يد وأخذني بناصية رأسي ورفعني روح بين الأرض والسما «حز ٨ : ٣» .
وأيضا ثم دفعني روح وأتى بي إلى باب البيت «حز ١١ : ١» .
وأيضا كانت على يد الرب فأخرجني بروح الرب وأنزلني في وسط البقعة «حز ٣٧ :
١» .

وعن قول دانيال في بعض رؤياه ومكاشفاته بالوحي ، وسمعت صوت إنسان بين
أولاي فنأدى وقال : يا جبرائيل فهم هذا الرجل فجاء إلي حيث وقفت ولما جاء خفت
وخررت على وجهي وإذا كان يتكلم معي كنت مسبحا على وجهي الى الأرض فلمسني
وأوقفني على مقامي «دا ٨ : ١٦ - ١٩» .

وأيضا ورأيت هذه الرؤيا العظيمة ولم تبق في قوة ونضارتي تحولت إلى فساد ولم أضبط
قوة ، ولما سمعت صوت كلامه كنت مسبحا على وجهي ووجهي الى الأرض وإذا بيد لمستي
وأقامتني مرتجفا على ركبتني وعلى كفي يدي وهو ذا كشه بني آدم لمس شفتي ففتحت فمي
وتكلمت وقلت للواقف أمامي : يا سيدي بالرؤيا ، انقلبت على أوجاعي فكيف يستطيع
عبد سيدي أن يتكلم مع سيدي ، وأنا فحالا لم تبق في قوة ، ولم تبق في نسمة «دا ١٠ : ٧
- ١٨» .

ومن الواضح ان سقوط حزقيال على وجهه ومرارته وحرارة روحه وشدة يد الرب عليه
، وتصرف الروح به لا باختياره ، وكذا حالات دانيال المذكورة انما هي من انفعال الطبيعة
البشرية واندهاشها وسقوط قواها لسطوة التجلي وهيبة الجلال وعظمة الكبرياء .
وفي العهدين أيضا ، ان ايليا لما سمع صوت الرب الخفيف المنخفض لف وجهه بردائه
«امل ١٩ : ١٢ و ١٣» .

وان زكريا لما رأى ملاك الرب عن يمين مذبح البخور اضطرب ووقع عليه الخوف «لو
١ : ١١ و ١٢» ، ولما خرج من الهيكل وهو لا يستطيع التكلم فهم اليهود انه قد رأى رؤيا
«لو ١ : ٣٢» .

ويفهم من ذلك ان انفعال الطبيعة البشرية واندهاشها عند التجلي كان أمرا معلوما
مقررا عند اليهود.

وفي العهد الجديدان المسيح بعد اعتماده من يوحنا ونزول الروح القدس عليه اصعده
الروح وأخرجه الى البرية وصار يقوده فيها مع الوحوش أربعين يوما «انظر إلى مت ٤ : ١
ومر ١ : ١٢ و ١٣ ولو ٤ : ١» وراجع التراجم الفارسية وغيرها ، وتغيرت هيئة وجهه عند
ما تجلى الله له بإرسال موسى وإيليا «لو ٩ : ٢٩» واضطرب بالروح إذ اخبر ان واحدا من
تلاميذه سيسلمه «لو ١٣ : ١٢» ولعل من هذا النحو كونه ليلة هجوم اليهود عليه في
جهاد كما ترجم بالفارسية والتركية بالاضطراب حتى صار عرقه كقطرات دم نازلة على
الأرض «لو ٢٤ : ٤٤» مع ان الوقت كان باردا يحتاج فيه الى الاستدفاء والاصطلاء بالنار
«انظر الى مر ١٤ : ٦٧ و يو ١٨ : ١٨» ، وان بطرس قد وقعت عليه غيبة وفسرت «به
يهوشى» وذلك حينما أوحى إليه حل جميع الحيوانات عند نزول الزنبيل «١ ع ١٠ : ١٠» .
وكذا بولس حينما أوحى إليه بالخروج من اورشليم «١ ع ٢٢ : ١٧» بل وكذا عند ما
عرج به الى السماء «٢ كو ١٢ : ١ - ٤» .

وان يوحنا ابن زبدي سقط في رؤياه كميت «روء ١ : ١٧» وكم وكم تصرف به الروح
وذهب به لا باختياره «انظر الى روء ١ : ١٠ و ٤ : ٢ و ١٧ : ٣ و ٢١ : ١٠» .
هذا كله مع ان كتب العهدين لم تستقص ذكر هذه الحالات للأنبياء عند الوحي
بدليل ان التوراة أهملت في شأن موسى ما ذكره استفانوس وبولس وان الأناجيل قد أهمل كل
واحد منها كثيرا مما ذكره الآخر فضلا عن اختلافها الكاشف عن عدم اطلاع كتبتها على
حقيقة الحال .

وان العهد القديم لم يذكر حالات اشعيا وارميا وهوشع وغيرهم من الأنبياء الى ملاخي
، وما يعرض لهم عند الوحي والتجلي ولا تظن انهم في ذلك أعلا شأننا وأحسن حالا من
ابراهيم ويعقوب وموسى وحزقيال ودانيال وزكريا

والمسيح وبطرس وبولس ويوحنا كلا.

نعم ذكر في العهد القديم لبعض أنبيائه عند الوحي والتنبى حالات يستغربها العقل ولا يدنو مضمونها إلى الفهم.

منها ان الإشع النبي لما أراد يهوشافاط أن يسأل به الرب قال : ائتوني بعواد ، ولما ضرب العواد بالعود كانت عليه يد الرب فتنبأ عن قول الرب « ٢ مل ٣ : ١١ - ١٩ » .
ومنهما ان صموئيل قال لشاول : انك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وامامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنبئون فيحل عليك روح الرب فتنبأ معهم ، ولما جاءوا الى هناك الى جبعة إذا بزمرة من الأنبياء لقيته فحل عليه روح الله فتنبأ في وسطهم « ١ صم ١٠ : ١١ » .

وليت شعري ما مداخلة العود والعود والدف والرباب والناي في النبوة .
وأيضاً لما ارسل شاول رسلاً لأخذ داود في الرامة ورأوا جماعة من الأنبياء يتنبئون ، وصموئيل رئيس عليهم ، فكان عليهم روح الله فتنبئوا هم أيضاً ، وكذا الذين أرسلهم ثانياً وثالثاً ذهب هو فكان عليه روح الله فخلع هو أيضاً ثيابه ، وتنبأ أيضاً امام صموئيل وانطرح عريانا ذلك النهار كله وكل الليل « ١ صم ١٩ : ٢٠ - ٢٤ » .

وليت شعري ما معنى هذا التنبى وحلول روح الله ، وما مداخلة خلع الثياب والتعري في النبوة ، وما معنى ذلك ، وهل يعدو هذا النحو ان يكون ضرباً من الخلاعة والتجانن فاحفظ هذه المقدمة على ذكرك فإن بعض المباحثين للإسلام من النصارى كأنهم لم يطلعوا على ما فيها وإلا لما تفوهوا بما تفوهوا من الشطط إن كانت لهم نفوس حرة .
«تذييل» في بعض ما ذكر في العهدين من أحوال بعض الأنبياء في التبليغ عن أمر الله .

فمن ذلك ما في اخريات العشرين من اشعيا من أن الله أمر نبيه اشعيا أن يمشي عريانا وحافيا بين الناس ثلاث سنين ليبلغ الناس ويقول لهم : هكذا

يسوق ملك آشور سبي مصر وجلاء كوش الفتيان والشيوخ عراة وحفاة ومكشوفي الاستاء خزيا لمصر.

وما في السابع والعشرين من أرميا من أن الله أمر نبيه أرميا أن يصنع له ربطا وانيارا ويجعلها على عنقه كما يجعل نير الفدان على أعناق البقر ليبلغ الناس ويقول : ادخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل.

وما في الرابع من حزقيال من ان الله أمر نبيه حزقيال أن يأكل كعكا من خبز الشعير الذي يخبزه امام عيون بني اسرائيل على الجزء الذي يخرج من الانسان ليبلغ ويقول : هكذا يأكل بنو اسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين اطردهم إليهم.

وما في أوائل الخامس من حزقيال أيضا من أن الله أمر نبيه حزقيال أيضا من أن يخلق رأسه ولحيته ويقسم الشعر أثلاثا يحرق ثلثا ويضرب بالسيف حوالي ثلث ويذرى الثلث الثالث إلى الريح ليبلغ ويقول ان ثلث أهل اورشليم يموتون بالبوء والجوع ، وثلث يسقط بالسيف ، وثلث يذريه في كل ريح ويستل سيفا وراءهم.

وما في الخامسة عشر إلى الثامنة عشر من الرابع والعشرين من حزقيال أيضا من ان الله كلم نبيه حزقيال بأنه يأخذ منه شهوة عينيه وهي زوجته ، وأمره أن لا ينوح ولا يبكي ولا يعمل مناحة ويلف عصابته ويجعل نعليه في رجله ولا يغطي شاربه ولا يأكل من خبز الناس ليبلغ بني إسرائيل ويخبرهم انه هكذا يقع بهم.

وما في الثالثة من أول هوشع من ان الله أمر نبيه هوشع أن يأخذ لنفسه امرأة زنا وأولاد زنا ونتيجة ذلك تعليله بأن الأرض قد زنت تاركة للرب وموعظة بني إسرائيل بأسماء الذين ولدتهم له تلك المرأة وذكر زناها فراجع أول هوشع وثانيه فانه عجيب.

وما في ثالث هوشع أيضا من قول هوشع وقال لي الرب : اذهب أحب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة

اخرى ، ومحبون لاقراص الزبيب فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبحومر ولشك
شعير وقلت لها : تقعدين أياما كثيرة لا تزني ولا تكوني لرجل وأنا كذلك ، لأن بني إسرائيل
سيقعدون أياما كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة ، ومقتضى العهد القديم ان هؤلاء
الأنبياء عملوا بما أمرهم به الله للتبليغ.

المقدمة الخامسة

في نبذ من سيرة بني إسرائيل والملة النصرانية في ديانتهم نقلا من كتب العهدين مع اختصار ما ، ونقل بالمعنى في بعض الموارد.

أما بنو إسرائيل فقد ظهرت لهم من موسى الداعي لهم إلى التوحيد معجزة العصا واليد البيضاء والعجائب في مصر وانشقاق البحر لهم وعبورهم على اليابسة فيه ، والمن والسلوى وإخراج الماء من الصخرة في حوريب وآثار عظمة الله وقدرته على جبل سيناء «خر ٤ . ١٩» وبلغهم عن الله قوله : لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب لا يكن لك آلهة أخرى إمامي ، ولا تصنع لك تمثالا منحوتا في السماء أو في الأرض أو في الماء ولا تسجد لهن ولا تعبدهن.

فقالوا كلما تكلم به الرب نفعل فكتب موسى هذه الأقوال وغيرها وقراها عليهم تجديدا للعهد ، فقالوا أيضا : كلما تكلم به الرب نفعل ونسمع «خر ٢٠ . ٢٤ : ٨» . وبلغهم أيضا لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصبا ولا تجعلوا في أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له «لا ٢٦ : ١» وبعد هذا كله لم تمض سنة منه حتى ارتدوا عن عبادة الله وقالوا لهارون لما أبطأ عليهم موسى في جبل سيناء اصنع لنا آلهة تسير إمامنا ، فلما صنعوا العجل المسبوك من ذهب

حليهم قالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدتلك من مصر فسجدوا له وذبحوا «خر ٣٢ : ١ - ٩» .

ولما أقاموا مع موسى في شطيم صار الشعب يزنون مع بنات مواب فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهم فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهم وتعلق إسرائيل ببعل فغور «عد ٢٥ : ١ - ٤» .

وكفى في تمردهم على الشريعة انهم في مدة أربعين سنة لم يختنوا من ولد منهم وبعد ما عبروا الاردن في زمان يوشع صنع يوشع عن أمر الله سكاكين صوان أو حادة ، وفي العبرانية «صيريم» وختنهم بها «يش ٥» ، ولم تمض مدة كثيرة من موت يوشع حتى فعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وتركوه وساروا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوا البعل وعشتاروت «قض ٢ : ١١ - ١٤ و ٣ : ٧» .

ولم يزل بنو إسرائيل في زمن القضاة يعاودون إلى عمل الشر في عيني الرب «قض ٣ : ١١ و ٤ : ١ و ٦ : ١ و ١٣ : ١» .

وبعد موت جدعون رجعوا وزنوا وراء البعليم وجعلوا لهم بعل بريث إلها «قض ٨ : ٣٣» .

وبعد موت بائير القاضي عادوا يعملون الشر في عيني الرب ، وعبدوا البعليم والعشتاروت وآلهة آرام وآلهة صيدون وآلهة مواب وآلهة عمون وآلهة الفلسطينيين وتركوا الرب ولم يعبدوه «قض ١٠ : ٦» وحاصل شأنهم انهم اختلطوا بالامم المشركين وتعلموا أعمالهم وعبدوا أصنامهم وذبحوا بنيتهم وبناتهم للأوثان وأهرقوا دما زكيا دم بنيهم وبناتهم الذين ذبحوهم لأصنام كنعان وتدنست الأرض بالدماء «مز ١٠٦ : ٣٥ - ٣٩» .

ولما مات سليمان انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى قسمين فتبع رحبعام ابنه سبطا يهوذا وبنيامين ، وملكوه عليهم وانعزل عنه باقي الأسباط فملكوا عليهم يربعام فعمل لرعيته عجولي ذهب وقال : هذه آلهتك يا إسرائيل ووضعت واحدا في بيت ايل والآخر في دان ، وكان الشعب يصعدون إلى أحدهما حتى إلى دان

«امل ١٢» ، واستمر بنو إسرائيل هؤلاء وملوكهم على خطيئتهم وطريقة يربعام «امل ١٥ و ١٦» أي العكوف على عجلول الذهب التي في بيت ايل ودان «٢ مل ١٠» حتى إذا ملك اخاب شاعت في أيامه عبادة البعل حتى انه كان للبعل أربعمئة وخمسين نبيا ، وللسواري أربعمئة نبي «امل ١٨ : ١٩» وقطعت ايزابل الصيدونية أنبياء الرب إلا من أخفاه عوبديا «امل ١٨ : ٤» حتى لم يبق للرب نبي غير ايليا «امل ١٨ : ٢٢ و ١٩ : ١٠ و ١٤» ، وحتى لم يبق من مئات الالوف العديدة من بني اسرائيل من لم يعبد البعل إلا سبعة آلاف أو أقل ، ولعلهم كانوا من الأطفال الذين لا يميزون هذه الامور «انظر الى امل ١٩ : ١٨» ، واستمر بنو اسرائيل على خطيئتهم وطريقة يربعام الى ان ملك عليهم هوشع بن ايله «امل ٢٢ : ٢ مل ١٧».

وفي أيامه سباهم ملك آشور واسكن في ديارهم غيرهم ، وقد كانوا أخطئوا الى الرب إلههم ، واتقوا آلهة اخرى وسلخوا حسب فرائض المشركين وعبدوا الأصنام ورفضوا فرائض الله وعهده وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا وتركوا جميع وصايا الله وعملوا لأنفسهم عجولين وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل «٢ مل ١٧».

وأما سبطا يهوذا وبنيامين فلما تثبتت مملكة رحبعام بن سليمان ترك شريعة الرب هو وكل إسرائيل معه «٢ اي ١٢ : ١».

وعمل يهوذا الشر أكثر من جميع ما عمل آباؤهم ، وبنوا لأنفسهم مرتفعات وانصابا وسواري من آثار الشرك على كل تل مرتفع وتحت كل شجرة خضراء ، وكان أيضا مابونون في الأرض ، ففعل يهوذا حسب أرجاس المشركين «امل ١٤ : ٢٢ - ٢٤».

وفي السنة الخامسة للملك رحبعام نهب شوشق ملك مصر خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شيء «امل ١٤ : ٢٥ و ٢٦».

ثم ملك ايابن رحبعام وسار في جميع خطايا أبيه التي فعلها قبله «امل ١٥ : ٣».

ولما ملك آسا ابنه عمل ما هو مستقيم ، وأزال آثار الشرك ، وأمر يهوذا أن يعملوا
حسب الشريعة والوصية « ٢ اي ١٤ : ٢ - ٦ » وأما المرتفعات فلم تنزع من بني إسرائيل « ٢
اي ١٥ : ١٧ ».

ولإسرائيل أيام كثيرة بلا إله حق وبلا كاهن معلم وبلا شريعة ، وفي النسخة العبرانية
بلا تورا « ٢ اي ١٥ : ٣ ».

ثم ملك بهوشافاط ابنه وسار في طريق آسا أبيه وعمل المستقيم والمرتفعات أيضا لم
تنزع بل كان الشعب لم يعدوا بعد قلوبهم لإله آبائهم « ٢ اي ٢٠ : ٢٢ و ٢٣ ».

ثم ملك بعده يهورام ابنه ، وبعده ابنه اخزيا ، وعملا الشر على نهج بيت اخاب « ٢
اي ٢١ : ٦ و ٢٢ : ٣ و ٤ ».

وبعد اخزيا ملكت أمه الخبيثة المشتركة عثليا بنت عمري ملك إسرائيل سبع سنين « ٢
اي ٢٢ ».

وهدم بنوها بيت الله وصيروا كل أقداس بيت الله للبعليم إلى أن نحض يواش ويهوئاداع
الكاهن لتجديد بيت الرب وأقاموا بيت الله على رسمه على مقداره وثبتوه « ٢ اي ٢٤ : ٧ و
١٢ و ١٣ ».

وبعد ما قتلوا عثليا ملك يواش بن اخزيا ، وعمل المستقيم في أيام يهوئاداع ، ولما
مات يهوئاداع جاء رؤساء يهوذا ، وسجدوا للملك يواش فسمع لهم وتركوا بيت الرب إلههم
، وعبدوا السورى والأصنام « ٢ اي ٢٤ : ٢ و ١٧ و ١٨ ».

ورجموا زكريا ابن يهوئاداع بأمر الملك وقتلوه في دار بيت الرب لأنه ليس روح الله
فوعظهم ووبخهم وأراد إرجاعهم إلى الله فتركوا الرب إله آبائهم (٢ اي ٢٤ : ٢٠ - ٢٤ ».

ثم ملك امصيا ابن يواش وأتى بآلهة ساعير وأقامهم له آلهة وسجد امامهم وأرقد لهم
« ٢ اي ٢٥ : ١٤ ».

وفي أيامه جاء يواش المشرك ملك اسرائيل ونهب كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب «٢ مل ١٤ : ١٤».

ثم ملك بعد امصيا ابنه عزيا ، وبعده ابنه يوثام ، وكانا مستقيمين ، ولكن كان الشعب يفسدون بعد «٢ اي ٢٧ : ٢».

ثم ملك احاز وسار في طريق ملوك اسرائيل وعمل أيضا تماثيل مسبوكة للبعليم وهو اوقد في وادي هنوم ، وأحرق بنيه في النار حسب رجاسات المشركين ، وترك يهوذا الرب إلههم ، وأيضاً ذبح آحاز لآلهة دمشق وقطع آنية بيت الله وأغلق أبواب بيت الرب «٢ اي ٢٨».

وأغلقوا أيضا أبواب الرواق وأطفئوا السرج ولم يوقدوا بخورا ولم يصعدوا محرقة في القدس «٢ اي ٢٩ :».

واذ ملك حزقيا فتح أبواب بيت الرب ودخل الكهنة الى داخله ، واخرجوا كل النجاسة التي وجدوها في الهيكل ، واستمروا في تطهير بيت الرب ثمانية أيام «٢ اي ٢٩ : ١» .

ولما ملك بعده ابنه منسى عمل الشر حسب رجاسات المشركين ، وبنى المرتفعات التي هدمها أبوه وأقام مذابح للبعليم وعمل سواري وسجد لكل جند السماء وبنى لها مذابح في داري بيت الرب ، ولما ذاق وبال أمره من ملك آشور رجع إلى الله فلما أنقذه أزال الآلهة الغريبة والأشباه من بيت الرب ، وأمر يهوذا أن يعبدوا الرب إلههم ، ثم ملك بعده ابنه امون فعمل كل ما عمله أبوه أول الأمر ، ولم يرجع إلى الله كما رجع أبوه في الآخرة «٢ اي ٣٣» .

وملك بعده ابنه يوشيا وكان مؤمنا ، وفي السنة الثانية عشر لملكه ابتدأ يطهر يهوذا واورشليم من السواري والمرتفعات والتماثيل والمسبوكات ، وطهر يهوذا واورشليم وقطع تماثيل الشمس في كل أرض اسرائيل ، وهدم بيوت المأبونين التي عند بيت الرب ، وبعد أن طهر الأرض وبيت الرب توجه لترميمه وتسقيف البيوت التي أخرجها يهوذا.

وعند إخراجهم الفضة المدخلة إلى بيت الرب قال حلقي الكاهن لشافان

الكاتب قد وجدت سفر الشريعة «أي التوراة» في بيت الرب ، فقال شافان للملك قد أعطاني حلقيا الكاهن سفرا وقرأ فيه شافان امام الملك ، فلما سمع الملك كلام الشريعة مزق ثيابه وأمر جماعة من خواصه قائلاً : اذهبوا اسألوا الرب من أجلي وأجل من بقي من يهوذا واسرائيل على كلام السفر الذي وجد لأنه عظيم غضب الرب الذي انسكب علينا من أجل ان آبائنا لم يحفظوا الرب ليعملوا حسب كل ما هو مكتوب في هذا السفر ، وجمع الملك كل رجال يهوذا وكل الشعب من الصغير إلى الكبير والكهنة والأنبياء إلى بيت الرب وقرأ في آذانهم كل كلام سفر العهد التي وجد في بيت الرب ووقف على منبره وقطع عهداً مع الله على عبادته وحفظ وصاياه وفرائضه حسب كلام العهد المكتوب في هذا السفر «٢ مل ٢٢ و ٢٣ و ٢ اي ٢٤».

وان صريح هذا الكلام وفحواه وشواهد ودلائله لتوضح ان ارتدادات يهوذا وتقلباتهم في الشرك حتى جعلوا الأصنام في بيت المقدس ونجسوه وأخربوه وأغلقوه وبقوا أياماً كثيرة بلا إله حق ولا كاهن معلم ولا شريعة توراة لم تبق سفراً للشريعة والتوراة بينهم إلى حد لم يقدر الملك عليه ولم يره ولم يسمع منه شيئاً مدة اثنتي عشرة سنة من ملكه وهو مؤمن يطلب الله والشريعة فانه لو كان للتوراة حينئذ وجود لكانت عنده منها نسخة يقرأ بها كل أيام حياته من أول جلوسه على كرسي مملكته حسب ما هو الواجب في الشريعة على ملوك اسرائيل «تث ١٧ : ٨ - ٢٠».

ولكنه لما رأى ما ادعى حلقيا الكاهن انه وجده في بيت الرب وسمع ما فيه رأى شيء جديداً وسمع ما لم يكن معهوداً له وحبسه هو والمؤمنون من يهوذا من الحقائق التي غفلت عنها الأيام وخبثتها عن دواهيها زوايا الخمول حتى مزق الملك عند قراءته ثيابه واضطرب من أجل تضييعهم وجهلهم ما فيه ، وبذل العناية التامة في قراءته على جميع يهوذا واسرائيل ليطلعوا على ما أضاعه منهم الضلال ، ويعودوا الى ما ظفروا به من الشريعة التي لم يكونوا يعرفونها ولا يجدون كتابها.

فكانت نسبة هذا الذي وجدوه إلى الشريعة الحقيقية موكولة إلى أمانة

حلقيا ولو كان لسفر الشريعة عندهم قبل هذا اسم أو رسم لما وقع أقل قليل من هذا الاحتفال العظيم والتنبيه إلى الشريعة بما ادعى حلقيا انه وجده ، وهذا مما لا ينبغي أن يرتاب فيه من له حظ من الرشد والفهم.

قال المتكلف «يه ٤ ج ص ١٣٤» ان المراد بسفر الشريعة هاهنا هي النسخة التي كانت موجودة في الهيكل بجانب تابوت عهد الرب حسب الأمر الوارد «تث ٣١ : ٢٥ و ٢٦» وهذا لا ينافي وجود نسخ أخرى في أيدي الكهنة واللاويين والشعب.

أقول : إن أراد من هذه النسخة انها النسخة التي كتبها موسى وأمر بوضعها بجانب تابوت العهد فيدعى في تكلفه ان احتفال يوشيا بها من أجل كونها تذكارا لموسى ومن آثاره فليقل ، وان كان ما ذكرنا من أحوال يوشيا وأقواله أجنبيا عن هذا الاحتمال أين كانت هذه النسخة وأين صارت ، إذ نهب الفلسطينيون التابوت من بني اسرائيل ووضعه بقرى صنمهم داجون في اشدود ثم نقلوه الى حث ثم الى عفرون ثم الى بيت شمس ثم نقل الى قرية يعاريم «١ صم ٨٤ : ٧» ثم نقله داود الى بيت عوبيد الجتي ، ثم الى مدينته «٢ صم ٦» ثم نقله سليمان من صهيون مدينة داود الى محراب البيت قدس الأقداس تحت جناحي الكرويين «امل ٨ : ١ - ٧» ، فانه لم يجر لهذه النسخة في هذه المواضع والتنقلات ذكر ولا اسم ولا رسم مع ما لها من الشأن المهم.

فان قال : انها كانت إذ ذاك في جوف التابوت قلنا : لم يكن في التابوت حينما وضعه سليمان في قدس الأقداس إلا لوحا الشهادة «امل : ٩٨ و ٢ اي ٥ : ١٠».

وان قال : انها حين نهب التابوت كانت عند الكهنة ، قلنا : ينبغي أن يكون محلها بحسب الوظيفة في مكان التابوت تحت جناحي الكرويين في المسكن من خيمة الاجتماع انظر الى «خر ٤٠ : ١ و ٢ . وتث ٣١ : ٢٦».

وعلى هذا فلما ذا لم يجر لها ذكر عند تحويل سليمان لخيمة الاجتماع وما فيها ، مع أن هذه النسخة أهم وأولى بالذكر من سائر أدوات خيمة

الاجتماع ، وفي ذكرها البشارة الكبرى وبيان نعمة الله العظمى بجمع شمل الشريعة المتبدد في جعل نسخة التوراة التي كتبها موسى على مقتضى وظيفتها الى جنب تابوت العهد الذي أنعم الله بإرجاعه من نهب المشركين الى بيته المقدس ففي ثاني الملوك الاول ٣ وجاء جميع شيوخ اسرائيل وحمل الكهنة التابوت وأصعدوا تابوت الرب ، وخيمة الاجتماع مع جميع آنية القدس التي في الخيمة «٢ اي ٥ : ٤ و ٥» فإن أبي المتكلف مكابراته إلا أن تكون النسخة المذكورة وضعت على وظيفتها في محراب بيت المقدس على عهد سليمان بجانب التابوت ، قلنا : ان الموضع الذي عينه سليمان لتابوت العهد الذي تكون هذه النسخة إلى جنبه هو المحراب قدس الأقداس تحت جناحي الكرويين «امل ٨ : ٦ و ٢ اي ٥ : ٧» ، وكانت مساحة هذا المحراب عشرين ذراعا في مثلها «امل ٦ : ٢٠» ، ومساحة جناحي الكرويين الملتقيين الذين يوضع التابوت تحت ملتقاهما عشرة أذرع «امل ٦ : ٢٤ . ٢٨» فيكون التابوت في وسط المحراب ومحل نسخة التوراة المذكورة إلى جنبه.

وعلى هذا فهل تركها شوشق ملك مصر الذي نهب الذهب والفضة من بيت الرب على عهد رحبعام ، وهل يترك المحراب مع ان عمدة الذهب فيه فرضناه تركها ، فهل يتركها بنو اسرائيل ويهوذا في الأيام الكثيرة التي بقوا فيها بلا إله حق وبلا كاهن ومعلم وبلا شريعة فرضناهم تركوها فهل يتركها المشركون أولاد عثليا المشركة إذ هدموا بيت الرب وصيروا كل أقداسه للبعليم حتى احتاج البيت الى تجديد وإقامته على رسمه تمحلنا وفرضناهم تركوها ، فهل يتركها يواش المشرك إذ نهب كل الذهب والفضة وجميع الآنية الموجودة في بيت الرب على عهد امصيا ، فرضنا تركها فهل يتركها آحاز المشرك الذي قطع آنية بيت الرب وأغلق أبوابه ، وهل تركها قومه الذين وضعوا النجاسة في الهيكل وأغلقوه وأطفئوا سرجه عنادا للتوحيد والشريعة افترى هؤلاء كلهم يتركون هذه النسخة في محلها ويسمحون لها بالبقاء وهي أشد ما يكون مقاومة ومصادمة لشركهم وضلالهم وأصنامهم وتماثيلهم ، وقد بلغت في توبيخهم ولعنهم وذمهم وسب آلهتهم ، مبلغا لا يمكن في العادة أن يصبروا عليها ويتركوا لها وجودا وأثرا

كلا بل هي أولى بأن تمد إليها يد الضلال من الهيكل الذي لا يقاومهم مثلها ببيانه.
وأيضاً لما ذا لم توجد هذه النسخة عند ادخال الفضة الى بيت الرب وما هو السبب
الذي اخر وجدانها الى حين اخراج الفضة.

وأيضاً لما ذا لم يجدها حلقيا إلا بعد مضي ما يزيد على عشر سنين من ملك يوشيا
مع أن يوشيا ملك مؤمن يطلب الله والشرعة من أول أمره. وان حلقيا الكاهن لا ينفك عن
كثرة الدخول الى المخابر في الاسبوع مرة أقل.

هذا وان قال المتكلف : ان هذه النسخة غير التي كانت في زمان موسى وأمر بوضعها
الى جنب التابوت ، بل هي نسخة اخرى من سائر النسخ وضعت مع التابوت على رسم
الشرعة.

قلنا : كيف يتركها الذين هم قبل يوشيا من المشركين الذين عبثوا ببيت الرب وأخربوه
ونجسوه؟ وكيف لم يجدها حلقيا إلا بعد عشر سنين من ملك يوشيا مع انها نصب عيني
الداخل الى المخابر.

وأيضاً فليعمل المتكلف فكره بما عنده من الفطنة ، وليبين لنا ان هذه النسخة إذا لم
تكن بخط موسى وتذكارا له ، بل كانت من سائر النسخ الكثيرة ، فما الوجه المقبول في
احتفال يوشيا بها ذاك الاحتفال العظيم لو كان لها أمثال كثيرة.

ثم ملك من بعد يوشيا الى سبي بابل يهوآحاز ويهوياقيم ويهوياكين وصدقيا وعملوا
الشر «٢ مل ٢٣ و ٢٤».

وأما يهوذا في أيامهم فقد تكرر كلام ارميا النبي في توبيخهم على سلوكهم وراء البعليم
وسيرهم وراء آلهة اخرى حتى صارت آلهتهم بعدد مدنهم وبعدهد شوارع اورشليم «ار ٧ و ٨ و
٩ و ١١ و ١٢ و ١٦».

ولما رجعوا من سبي بابل وتوجهوا الى عبادة الله والشرعة اجتمع كل الشعب وقالوا
لعزرا الكاهن : أن يأتي بسفر شرعة موسى التي أمر بها الرب

فأتى عزرا بالشرية امام الجماعة من الرجال والنساء وكل فاهم ما يسمع وقرأ فيه من الصباح الى نصف النهار واذان الشعب نحو سفر الشريعة وجميع الشعب بكوا حين سمعوا كلام الشريعة ، وفي اليوم الثاني اجتمع رؤساء آباء جميع الشعب والكهنة واللاويون الى عزرا ليفهمهم كلام الشريعة فوجدوا مكتوبا فيها ان اسرائيل يسكنون في مزال في العيد في الشهر السابع فأخذوا في عمل المزال «نح ٨».

وقرأ أيضا في سفر موسى في آذان الشعب ووجدوا مكتوبا ان عمونيا وموبايا لا يدخل في جماعة الله الى الأبد ، ولما سمعوا الشريعة فرزوا كل الليف «نح ١٣».

قل فما هو السبب في أن ينفرد عزرا وحده بقراءة سفر الشريعة على ألوف من بني اسرائيل جميع رجالهم ونسائهم وكل فاهم ما يسمع حتى الكهنة الذين هم حملة الشريعة والتوراة بمقتضى الوظيفة الشرعية ، ولما ذا هرع إليه في اليوم الثاني رؤساء آباء الشعب والكهنة واللاويون ، ولما ذا تنبهوا بسبب قراءته الى امور لم تكن معهودة لهم ، وبادروا إليها مبادرة مغتنم ، أفيجوز مثل هذا؟ مع فرض الوجود لنسخة أو أكثر في بني اسرائيل غير التي بيد عزرا كلا.

وأیضا لو كان بعد سبي بابل عند اليهود نسخ من التوراة ، والشريعة لم يكن محل ووجه لنزول الوحي على حزقيال في شريعة الكهنة ، وقسمة الأرض بين بني اسرائيل وغير ذلك من الشرائع التي تكلفت التوراة ببيانها «انظر الى حز ٤٣ - ٤٨».

تجد من الواضح ان ذلك بيان لما ليس في أيدي بني اسرائيل من الشريعة.

ثم من بعد سبي بابل وان لم يصرح بارتدادهم عن التوحيد إلا أنهم كانوا يقولون من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب وبهم يسر «مل ٢ : ١٧» ويقولون : عبادة الله باطلة ، وما الفائدة من أننا حفظنا شعائره «مل ٣ : ١٤» وان كهنتهم احتقروا اسم الله «مل ١ : ٦» وخانوا في الذبائح «مل ١ : ٧».

١٤» وحادوا عن الطريق واعثروا كثيرين بالشرعية ، وأفسدوا عهد موسى «مل ٢ : ٨» ، وكانت منهم فرقة يسمون بالصدوقيين ، ينكرون القيامة وحياة الأموات بعد الموت ، وينكرون الملك والروح «اع ٢٣ ، ٨ ومت ٢٢ ومر ٢ ولو ٢٠».

وقد شحنت الأناجيل من الكلام المنسوب للمسيح بتوبيخهم على تمردهم على الله والشرعية ورياء كهنتهم وكتبتهم حتى تربصوا به من أجل ذلك الدوائر ومع هذا كله هل يمكن للإنسان أن يتلقى من هذه الفرقة المتقلبة في ارتداداتها هذا القلب الذي طرق سمعك كتابا وشرعية عن الوحي والإلهام على حقيقته الأولية بطريق يفيد اليقين بذلك كلا.

وأما أهل الديانة النصرانية في زمان المسيح فإن الكثيرين الذين آمنوا به في عيد الفصح لما رأوا منه الآيات لم يأتهمهم على نفسه لأنه كان يعرف الجميع ولا يحتاج لشاهد على ما في ضمير الانسان «يو ٢ : ٢٣ . ٢٥» ورجع عنه كثيرون من تلاميذه ولم يعودوا وذلك بسبب وعظه وإرشاده وبيان رسالته «يو ١٦ : ٥٢ . ٦٦».

والتلاميذ الاثني عشر مالوا الى الرئاسة الدنيوية وتشاجروا في أنه من يكون الأكبر بعد المسيح لما أخبرهم بما يجري عليه ، وانه ماض عنهم فوعظهم لذلك ، ووعدهم ومناهم بما يرغبهم في الائتلاف وعدم التشاجر «لو ٢٢ : ٢٢ . ٣١».

واغتاط عشرة منهم على المسيح من أجل ابني زبدى «مت ٢٠ : ٢٤» ووبخهم على قلة إيمانهم «مت ١٦ : ٨» وانهم لا إيمان لهم «مر ٤ : ٤٠» وليس لهم من الإيمان مثل حبة خردل «مت ١٧ : ٢٠» ، ووصفهم الإنجيل بغلظ القلوب «مر ٦ : ٥٢».

واخبر المسيح بأن كافتهم يشكون فيه ليلة هجوم اليهود عليه «مت ٢٦ : ٣١» ويتفرقون عنه كل واحد إلى خاصته ويتركونه وحده «يو ١٦ : ٣٢» وطلب منهم أن يسهروا معه تلك الليلة فلم يفعلوا ولم يواسوه مع ما هو فيه من

الدهشة والاكتماب حتى وبخهم على ذلك مرارا ، ولما أمسكه اليهود حسب الظاهر تركه التلاميذ كلهم وهربوا «مت ٢٦ : ٣٦ . ٥٧» .

وان من التلاميذ الاثني عشر يهوذا الاصطخريوطي كان بيده صندوق أموال الفقراء «يو ١٢ : ٦ و ١٣ : ٢٩» ، وكان سارقا «يو ١٢ : ٦» وهو الذي اجتراً على تسليم المسيح إلى أعدائه ، وباع دمه الشريف بقليل فضة انظر إلى اخريات الأناجيل وأول الأعمال .

وان كبير التلاميذ بطرس صار ينتهر المسيح حتى قال له المسيح : اذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس «مت ١٦ : ٢٢ و ٢٣» ، وقد أنكر المسيح ثلاث مرات وابتدأ يلعن ويحلف انه لا يعرفه «مت ٢٦ : ٦٩ - ٧٥» ، مع أن المسيح أنذره بذلك فوعده المسيح أن لا ينكره ولو اضطر إلى الموت معه «مت ٢٦ : ٣٥» .

هذا وأما ما كان بعد حادثة الصليب فإن التلاميذ الأحد عشر لم يصدقوا اللواتي اخبرهم بقيام المسيح من الأموات في اليوم الثالث بل عدوا كلامهم كالهذيان «لو ٢٤ : ١١» ، ، حتى وبخهم المسيح على عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم لأنهم لم يصدقوا الذين نظروهم قد قام «مر ١٦ : ١٤» ، مع أن في الأناجيل ان المسيح كم وكم قدم لهم انه يتألم من اليهود وفي اليوم الثالث يقوم «انظر من جملة ذلك أقلا إلى مت ١٦ : ٢١ و ١٧ : ٢٣ و ٢٠ : ١٩ و ٢٦ : ٣٢» ، «وغير ذلك في الأناجيل الأربعة» ، حتى أن اليهود كانوا يعلمون بكلامه هذا ويخشون عاقبته «مت ٢٧ : ٦٣» .

وتذكر اليونانيون من المسيحيين على العبرانيين منهم بسبب الغفلة عن طعام أراملهم «اع ٦ : ١» .

ووقعت المشاجرة في الختان فتكلم بطرس ويعقوب في رفعه عن الامم بمجرد الاستحسان والتآلف للامم في مقابلة تأكيد حكمه في التوراة وتأيدته وتعليم المعلمين المسيحيين من اليهودية فحصر ما على الامم من أحكام الشريعة باجتناب المخنوق وما ذبح للأوثان والدم والزنا «اع ١٥ : ١ - ٣٠» .

وان برنابا وبولس اللذين اختارهما الروح القدس لعمله «اع ١٣ : ١٢» تشاجرا فيمن يأخذانه معهما للخدمة حتى فارق أحدهما الآخر «اع ١٣ : ٣٦ . ٤٠».

وقد اختلف المعلمون في النصرانية واختلفوا في التعليم حتى صار بعضهم يحذر الامة من بعض «انظر إلى رسائل بولس وبطرس ويهوذا ويوحنا» حتى قال بعضهم في البعض الآخر : انهم لا يخدمون المسيح بل بطونهم وبالكلام الطيب والأقوال الحسنة ، يخدعون قلوب السماء «رو ١٦ : ١٨» ، وعن حسد وخصام يكرزون بالمسيح «في ١ : ١٥» وانهم ذئاب خاطفة «اع ٢٠ : ٢٩» ورسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح كالشيطان يغير شكله إلى شبه ملاك نور «٢ كو ١١ : ١٣ و ١٤» حتى ان كثيرين خرجوا وصاروا أضداد للمسيح «١ يو ٢ : ١٨ و ١٩».

وجميع الذين في آسيا ارتدوا عن بولس وبعض زاغ عن الحق وادعى ان القيامة قد قامت «٢ تي ١ : ١٥ و ١٨».

وان من المعلمين اخوة كذبة ادخلوا خفية ودخلوا اختلاسا ، وان المعترين انهم شيء «كالتلاميذ الأحد عشر» مهما كانوا لا فرق بينهم وبين هؤلاء.

وان بطرس والنصارى العبرانيين في أنطاكية حتى برنابا استعملوا الرياء والمداهنة ، ولم يسلكوا باستقامة حسب حق الإنجيل «غل ٢ : ٣ . ١٥».

وان بولس قد استعمل الرياء ، وختن تيموثاوس اليوناني على خلاف تعليمه «اع ١٦ : ٤ . ١».

وان يعقوب وجميع المشايخ في اورشليم تواطئوا مع بولس على استعمال الرياء بالزام بولس مع أربعة أشخاص بأحكام الناموس تمويهها لإبطلهم لها ومداهنة للأنوف والربوات من المؤمنين بالمسيح من اليهود الذين ينكرون إبطال الناموس بمجيء المسيح «اع ٢١ : ٢ . ٢٧».

وان بولس ليس له نظير مخلص بل الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو للمسيح
«في ٢ : ٢٠ و ٢١».

ويتضح من الأعمال ورسائل بولس ان تعليمه الرائج بين النصارى في القرون المتأخرة
كان ضدا لتعليم الرسل والمعلمين من العبرانيين الذين هم من أهل الختان ولذا كثر تعرضه لهم
وقد فهم وانتفاضهم وافتخاره عليهم حتى ادعى العروج مرة الى السماء الثالثة واخرى الى
الفردوس «انظر الى الحادي عشر والثاني عشر من كورنتوش الثانية».

ومن ذلك تعليمه بكفاية الإيمان وحده في الفائدة وتعليم يعقوب بعدم كفايته بدون
الأعمال «انظر الى الحادي والعشرين من العبرانيين» ، وإلى رسالة يعقوب وخصوص ثانيها ،
وقد اختلف تعليم بولس في أكل ما ذبح للأوثان الذي قرر الرسل حرمة واضطرب كلامه
فيه ، فتارة جعله يذبح للشيطان لا لله ولا يريد أن يكون المؤمنون شركاء الشياطين لأنهم لا
يقدرُونَ أن يشربوا كأس الرب وكأس شيطان ولا يشتركوا في مائدة الرب ومائدة شياطين أم
غير الرب أعلننا أقوى منه «١ كو : ١٠ - ١٨ - ٢٢».

وتارة رجع الامتناع منه من دون تحريم ، لأنه معثرة للضعفاء انظر «١ كو ٨» ، ومن
أجل ضمير الآخر الضعيف «١ كو ١٠ : ٢٩» ، ثم ندم وقال : لما ذا يحكم في حرتي من
ضمير آخر ، فاذا كنت أتناول بشكر فلما ذا يفترى علي لأجل ما أشكر عليه «١ كو ١٠
: ٢٩ و ٣٠».

وعلى كل حال فهذه الأقوال المضطربة خلاف ومقاومة لما قرره الرسل من التحريم
المطلق كما مر ، وعن بولس في بعض تعاليمه كل شيء طاهر للطاهرين «تي ١ : ١٥» ،
وكل خليفة الله جيدة ، ولا يرفض شيء منها إذا أخذ مع الشكر «١ تي ٤ : ٤» ، وهذه
خلاف ومقاومة لما قرره الرسل من تحريم ما ذبح للأوثان والمخنوق والدم.

وعنه أيضا في تعاليمه في شأن الناموس والعهد القديم ما لفظه فإنه يصير ابطال
الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها إذ الناموس لم يكمل شيئا

«عب ٧ : ١٨ و ١٩».

وعنه في شأن العهد القديم أيضا لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان . فاذا قال جديدا فقد عتق الأول ، وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال «عب ٨ : ٧ . ١٣» ، وهذا الكلام إذا اغمضنا النظر عن منافاته لما في العهدين ، وخصوص الكلام المنسوب للمزامير وملاخي والمسيح فانه مناف ومناقض لخصوص ما عن بولس نفسه من قوله كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون إنسان الله كاملا متأهبا لكل عمل «٣ تي ٣ : ١٦ و ١٧» .

وقد طال الكلام في هذه المقدمة فاقصرنا على ما ذكرنا لئلا يخرج الكتاب عن وضعه وان كان للمزيد مجال واسع .

المقدمة السادسة

قد وجدنا العمدة لمباحثي المسلمين من النصارى هو الاحتجاج عليهم بما في كتب العهدين ، وكأن هؤلاء المباحثين لم يفتنوا إلى أنه لا حجة لهم بما على المسلمين لوجوه :
«الوجه الأول» انه من المتعذر ايصال السند في كل واحد من هذه الكتب الى الأنبياء معادن الوحي والإلهام على سبيل التواتر المفيد لليقين في كل طبقات النقل ، فاستوضح بعض ذلك من المقدمة السابقة ، وغاية ما عندهم هو الاعتماد على حكم المجامع المتقلب في تمييز الكتاب الإلهامي من المكذوب ، والاستشهاد بمطابقة كلام القدماء ، كما ستعرف ذلك من أشنات كلام المتكلف.

«الوجه الثاني» انه لا يتمكن معرفة رسالة الأنبياء السابقين وتعيين كتبهم الصادرة عن الوحي معرفة يقينية إلا بسبب اخبار رسول الله خاتم المرسلين ، والقرآن الذي هو كلام الله بواسطة دلالة العقل على صدق رسول الله بدعواه الرسالة ، وان القرآن الكريم هو كلام الله العظيم ، فلو شككنا والعياذ بالله بالرسول والقرآن كما يريدون لم تبق لنا معرفة بنبي مرسل ولا اسم كتاب إلهامي فان كتب العهدين بنفسها ووجوه مضامينها هي التي تصد عن الإذعان باتصال سندها وصحة تواترها وصدورها عن الوحي والإلهام ، وتمنع عن التصديق بنبوة

أنبيائها والوثوق بنقل دلائل نبوتهم لو صحت نسبتها إليهم ، كما ستعرفه إن شاء الله من متفرقات كتابنا ، وخصوص ما يأتي إن شاء الله في بيان انموذج النظر ، بل قلما يمر بك فصل إلا ويدلك ان شاء الله بأوضح دلالة على ما ذكرنا.

وأيضا ان القرآن الكريم والعقل السليم يدلان بأوضح دلالة على أن في هذه الكتب شيئا كثيرا ليس من الالهام والوحي أصلا لمخالفتها لهما في امور كثيرة مخالفة لا تقبل التأويل ، كما ستسمع تفصيل بعضه في محاله ان شاء الله ، وبذلك يسقط اعتبار مجموعها لو صحت نسبة المجموع الى الوحي في الجملة.

«الوجه الثالث» شهادة بعضها على بعض بالتحريف صريحا ، وان حامى بعض النصارى عن ذلك وكتبوا في كتبهم قولهم متى حرفت ولما ذا حرفت؟ ومن حرفها؟ ولأني غرض حرفها؟

فمن جملة الشهادات ما في الثالث والعشرين من ارميا في خطاب الشعب ٣٦ ، أما وحي الرب فلا تذكره بعد لأن كلمة كل انسان تكون وحيه اذ قد حرفتم كلام الاله الحي رب الجنود الهنا ، هكذا ما اطلعنا عليه من التراجم العربية ونصه في النسخة العبرانية. ومساء يهوه. لا تذكروا. عودكي. همسا يهوه. لأيش. ووحى الله لا تذكروا بعد لان وحي الله لرجل ديارو وهفخيتيم ايت. كلامه وحرفتم.

دبرى ايلوهيم حيم يهوه صيباؤت ايلوهينو

كلام الاله الحي رب الجنود إلهنا.

وان في ملاحظة ما ذكرناه من الأصل العبراني هاهنا والتراجم العربية لشهادة أيضا على وقوع التحريف ، وفي ثامن ارميا أيضا (٨) كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا حقا انه الى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب ، ونصه في النسخة العبرانية. ايخاه توميروا حاخاميم انخو وتورا يهوه اتانوا أكم هنيه لشيقيير كيف

تقولون حكماء نحن وشريعة الرب معنا لكن هوذا للكذب عاساه عيط شقيقير سوفيريم.
صنعها قلم كذب الكتبة.

وفي التاسع والعشرين من اشعيا (١٦) يا لتحريفكم ، ونصه في الاصل العبراني هافخيخيم.

وفي الثالث من رسالة بطرس الثانية ١٦ كما في الرسائل كلها أيضا متكلما فيها عن هذه التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضا لهلاك أنفسهم ، وفيه شهادة بتحريف المعلمين للرسائل كما حرفوا سائر الكتب.

ولا تظن ان هؤلاء المحرفين من الوثنيين ، فإن الوثنيين لا اعتناء لهم بهذه الكتب ولا غرض لهم بتحريفها ، بل إنما هم المعلمون من اليهود ، والمتنصرين الذين يريدون بضلالهم أن يشوهوا تعليم الكتب فيحرفونها حسب أهوائهم.

وفي أول غلاطية (٦) اني أتعجب انكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى انجيل آخر (٧) ليس هو آخر ، غير انه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح.

وفي آخر رؤيا يوحنا ١٨ و ١٩ قد شدد في الدعاء على من يزيد في نبوة كتابه أو ينقص منها.

وفي فحوى كلامه شهادة بأن للتحريف حسب الهوى حينئذ طغيان مخوف.

«الوجه الرابع» شهادة بعض كتب العهدين على البعض الآخر بالتحريف ضمنا وإشارة ، وهو أن التوراة في ثامن عشر التثنية من العشرين إلى الثانية والعشرين قد أعطت علامة لما ليس من كلام الله وما هو كذب على الله والوحي وان في العهدين لكثير من هذا القبيل الذي يعرف بهذه العلامة انه ليس من كلام الله ولا من الوحي والإلهام في شيء ، كما ستسمع بعضه إن شاء الله

في المقدمة الثامنة في الفصل الرابع.

«الوجه الخامس» هو أنه يوجد من نتائج الجميع بين مضامين العهدين موانع كثيرة من نبوة المسيح ورسالته وقداسته ، بل يلزم منهما شرك موسى وهارون وداود وأساف وسليمان والمسيح ، وكفر ارميا واستحقاق هؤلاء للقتل ، كما سيمر عليك في محاله إن شاء الله ، وأنهم لمقدسون عن مثل ذلك وكل ما يشين.

«الوجه السادس» انا قد وجدنا التبديل الصريح والتصرف الواضح في العهدين في التراجم والمطابع وهو لا يعدوا القسيسين ورؤساء الدين ، فمن جملة ذلك ان في النسخة العبرانية في الثامنة من رابع التكوين ما تعريبه الحرفي وقال قايين لهاييل أخيه ولما صارا في الحقل قام قايين على هاييل أخيه فقتله. وكثير من المترجمين لما رأى ان جملة وقال قايين لهاييل أخيه : جملة فارغة عن المعنى ناقصة الفائدة لأجل احتياج القول إلى المقول ترجموها في مطابعهم هكذا. وكلم قايين هاييل أخاه فبدلوا القول بالتكلم لأجل ما يتراءى في التكليم من الفائدة وجروا على هذا التبديل في أكثر ما رأينا من التراجم الفارسية وغيرها مع ان الأصل العبراني هكذا :

ويامر فاين ال هيل احيو

وقال قايين لهاييل أخيه.

ولو كان الأصل وكلم لقييل «ويدبر». وبعضهم كصاحب الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ م لما رأى التباين الكلي في اللغة العبرانية بين لفظ ما تعريبه «وقال» : ولفظ ما تعريبه «وكلم» حاول أن يتستر في تصرفه فذكر هكذا وقول قايين هاييل أخاه.

وبعضهم لما وجد النسخة السامرية واليونانية تامة الكلام والفائدة لا سقط فيها كما في العبرانية جعل ترجمة للعبرانية على طبقهما تصرفا وتقولا على العبرانية فذكر في الترجمة وقال قايين لهاييل أخيه تعال نخرج إلى الحقل. نقله في إظهار الحق عن التراجم القديمة والعربية المطبوعة سنة ١٨٣١ و ١٨٤٨ م وبعضهم زاد

في الترجمة من تلقاء نفسه تتيما للمعنى منهم توما رابنسن القسيس في ترجمته للعبرانية بالفارسية المطبوعة في لندن بمطبعة رجاردواطس سنة ١٨٢٩ م فقال (وقايين هاييل برادر خود را گفت كه بيا) فزاد من نفسه لفظ كه بيا ، ويلزم مما ذكرنا حدوث النقصان المخل في العبرانية واقدام مترجميها على التبديل أو الزيادة لأجل تصحيحها فزادوا في الطنبور نغمة ، وأيضا في الأصل العبراني في الثالثة عشرة من ثاني عاموس ما نصه عن قول الله :

هنيه انوخي ما عيق تحخيم كاشير تا عيق.

ها هو انا صار أواصر أو مضايق أو نحو ذلك تحتكم كما أو كالذي تصر أو نحو ذلك هاعغلاه حملا أه لاه عامير .

العجلة الملاآنة حزما أو حشيشا.

وفي العربية المطبوعة سنة ١٨١١ لأجل هذا ها انا أتمرغ تحتكم كما تتمرغ العجلة المملوءة قسبا .

ونقل في إظهار الحق عن ترجمة عربية مطبوعة سنة ١٨٤٤ م موافقة العبرانية في مضمونها بما لفظها انا ذا أصر تحتكم كما تصر العجلة المحملة حشيشا . وعن نسخة فارسية أيضا مطبوعة سنة ١٨٣٨ م (اينك من در زير شما چسبيده شدم چنانچه أرابه برازاقد چسبيده ميشود).

ولما رأى كثير من المترجمين ان حقيقة مضمون هذا الكلام ومجازه بمكان من السخافة بدلوه في أكثر ما رأيناه من التراجم العربية الى ما لفظه ، ها انا ذا أضغط ما تحتكم كما تضغط العجلة الملاآنة حزما ، ونحوها ما رأيناه من التراجم الفارسية .

وأیضا قد زادوا على ترجمة العبرانية واليونانية ألفاظا اعترفوا بأنها ليس لها وجود في الاصل العبراني واليوناني ، وزعموا أنهم زادوها في الترجمة لأجل الإيضاح ، ورسومها بحرف صغير في بعض النسخ العربية المبنية على التأنيق في طبعها مع أن الكلمات الكثيرة من ذلك بحيث يعسر إحصاؤها في هذه المقدمة كثرة لتأبى أن تكون أيضا حابل هي إتمام لمعنى ناقص أو زيادة على معنى تام

فراجع الكلمات المذكورة في اولى النسخ التي عددها ، وراجع الأصل العبراني واليوناني .
ولنكتف في هذه المقدمة على هذا المقدار وإن كان قليلا من كثير ونحيل بالزيادة على
ذلك إلى محالها إن شاء الله وسوف نورد فيما يأتي بابا واسعا إن شاء الله في هذا الشأن .
وندلك على سقوط المتكلف وغيره في تشبثهم وتكلفاتهم ، فإن وضع المقدمات لا يحتمل
أكثر مما ذكرنا هاهنا وإن كان فيه كفاية بتوفيق الله لذي الرشد .

المقدمة السابعة

لا يخفى على كل ذي رشد ومعرفة بطريق البحث والمباحثة ، ان مباحثة أهل الدين والاعتراض على جامعتهم وأصل دينهم إنما يحسن ولا يعد خطبا ومراوغة عن الحق إذا كان البرهان عليهم بالمقدمات المنتهية إلى بداية العقل أو المسلمة عند عمومهم ، وإذا كان الجدل والإلزام لهم بما يعلم أنه من الدين الذي عكفوا عليه والقدر الجامع بينهم لا بما كان رأيا أو رواية يختص به واحد أو آحاد من أهل ذلك الدين لا يفيد علما ولا يذعن عموم أهل الدين بصحته ، أو انه من دينهم فإن تشبث خصمهم بمثل هذا في الاحتجاج على جامعتهم كان ذلك منه حيادا عن الحق لضعف الحجة وضيق الخناق ، ولأجل هذا لم أعتمد في هذا الكتاب في البرهان إلا على ما هو حقه من المقدمات البديهية لدى العقل والعقلاء ، ولم اجادل عموم النصارى والزمهم في جامعة دينهم والنصرانية التي عندهم إلا بما تسالموا على إلهاميته وصدوره عن الوحي وهي كتب العهدين التي ذكرنا انهم متفقون في هذه القرون على نسبتها الى الوحي والإلهام ، وشرحنا أسماءها في المقدمة الاولى. ولم أباحثهم خطبا بآراء آحاد مفسريهم وعلمائهم أو آحاد تقاليدهم التي لا توجب في دينهم علما أو يأبى صحتها أغلبهم. ولكن هلم الخطب في جملة من المباحثين لدين الإسلام وخصوص الثلاثة الذين وعدناك بالتعرض لكلامهم في هذا الكتاب فانهم قد دارت مباحثتهم للإسلام على قطبين فاسدين في شرع البحث وأدب الكاتب.

«أحدهما» اعتمادهم في البرهان لدعائهم في قبال الإسلام على كتب العهدين التي يدعون إلهاميتها وصدورها عن الوحي.

وقد عرفت في المقدمة السادسة وتعرف إن شاء الله ما يبطل ذلك. وإن تشبثهم بها في قبال الإسلام والمسلمين مما لا يليق بالمباحث وإن لم يقصد ببحثه تحقيق الحق.

«وثانيهما» انهم تشبثوا في مقام الجدل لدين الإسلام وإلزام عموم المسلمين في جامعة دينهم بآراء بعض مفسريهم وروايات آحادهم مما لا يقبله عمومهم ولا يدعون بصحته ولا يعتمدون عليه في جامعهم الإسلامية ، أو ترى هؤلاء المباحثين لم يفتنوا أو لم يسمعوا بأنه عرض لروايات آحاد المسلمين مثلما قد عرض للأناجيل وتعاليم النصرانية بعد المسيح من الاختلاف والتشويش والاضطراب حتى تعددت الأناجيل واختلفت اختلافًا واضحًا وحتى تتابع النداء من أعمال الرسل والرسائل المدرجة في العهد الجديد بأن بطرس ويهوذا ويوحنا وبولس يستغيثون ويحذرون الأمة من التعاليم المتشعبة من المنتصرين ، كما ملأ سمعك في أواخر المقدمة السادسة ، وستسمع له زيادة إن شاء الله على أنه لم ينحصر الاختلاف في أخبار آحاد المسلمين بتعمد الكذب من بعض الوسائط بل كان منه ما نشأ من عدم التثبت والتفهم في السماع ، ومنه ما نشأ من خلل التوهم والنسيان ، ومنه ما كان لأجل اختفاء القرائن المتصلة والنقل بالمعنى ، ولأجل هذا ترى المسلمين لم يأخذوا بها جميعًا على سبيل التسليم ، ولم يطمسوا الحقائق بالاعراض عنها رأسًا ، بل تصدوا من قديم الزمان إلى الوقت الحاضر وصنفوا الكتب الكثيرة لمحض البحث والتنقيب في أحوال الرواة وجرحهم وتعديلهم وضبطهم وحفظهم وحسن سماعهم وأمانتهم وسلامة عقيدتهم واتصال السند وانقطاعه ، كل ذلك ليميزوا منها المتواتر باللفظ أو بالمعنى فيكون لهم حجة في أصول الدين وفروعه ، والذي لا يبلغ التواتر بحثوا فيه عن سند الرواية وشهرتها وقبول أساطين العلم لها وعدم اضطرابها أو مخالفتها للعقل أو الكتاب أو السنة ليعتمدوا في فروع الدين وأحكامه على ما اطمأنوا بصحته وصدوره على وجهه منها وما وجدوه مضطربًا أو مخالفًا للعقل أو

الكتاب أو السنة ضربوا به الجدار في مقام العمل ، نعم لأجل اختلاف آرائهم في جهات الاطمئنان والوثوق على طبق القانون المذكور اختلفت فتاوى أئمتهم إذ قد يثق أحدهم بما لا يثق به الآخر ، فقد جرى دأب كل منهم على ما ينبغي للباحث الطالب للحق بجده واجتهاده من عدم التقليد لغيره في بيان الصحيح المطمئن الموثوق به ولو فرض انه قررته عدة من المجامع بل كل منهم يبحث في هذا الشأن بحسب القواعد الممهدة له ل يتميز بنظره واجتهاده ما هو الصحيح الموثوق به ولاجل مراعاتهم للقوانين المذكورة ترى المقبول المعمول عليه من أخبار الأحاد أقل قليل ، وأيضاً قد جعلوا من الوجوه التي يعرف بها تخليط الراوي وفساد عقيدته ما يجدونه في روايته من مخالفة العقل أو الوجدان أو الامور المعلومة أو الكتاب أو السنة.

وأما اقوال المفسرين فمنها ما هو رأي لهم أو مؤدي أخذهم من السير والتواريخ التي لا تفيد علماً ، وهذا لا حجة فيه على الجامعة الإسلامية ولا جدل أصلاً كما بينا. ومنها ما كان رواية ، فالاحتجاج أو الجدل بها في أصول الدين وفروعه إنما يحسن ولا يعد خبطاً ومراوغة إذ كان على القانون المتقدم ذكره في الرواية.

المقدمة الثامنة

في محل البحث من الرسالة والنبوة ، وفيها بابان وفيهما فصول :

الباب الاول

الفصل الأول منه في بيان حقيقة الرسول

النبي المرسل هو إنسان كامل يرسله الله إلى البشر ليكلمهم ويهديهم إلى الصواب ويرشدهم إلى ما يحتاجون إليه في معرفة الله وطاعته والاحتراز عن معصيته ويحملهم على ما فيه حفظ كمالاتهم ومصالحهم الشخصية والنوعية في الدين والدنيا ويزجرهم عما يضرهم فيهما.

الفصل الثاني

في الغاية المطلوبة من إرساله

لا ينبغي أن يشك ذو رشد بأن ما ذكرناه هو الغاية المطلوبة من إرسال الله للنبي. وتقريره بالبيان الواضح هو أن إرسال الله للنبي في دعوته رحمة من الله ولطف من ألطافه بمن يدعوهم النبي ليقربهم إلى طاعة الله ويبعدهم عن معصيته وينبهم من رقدة الغفلة وينقذهم من سورة الهوى والضلال ويحملهم على جادة الهدى ودين الحق وقوانين العدل وحسن التمدن والاجتماع وآداب السياسة لينالوا سعادة الدارين.

الفصل الثالث

في عصمته

وأول ما يلزم في تحصيل هذه الغاية الشريفة والغرض الحميد وحصول هذا اللطف والرحمة أمران :

«أحدهما» كون الرسول معصوما في التبليغ غير متهم فيه ، مع فرض رسالته.

«وثانيهما» كونه معصوما عن الذنوب وارتكاب القبائح التي هي ضد لما يدعو إليه من شريعة الهدى والصلاح.

«أما الأمر الأول» فقد اتفق عليه أهل الملل القائلون بالنبوة والرسالة لوجه أوضحته لهم بداهة عقولهم ، وليس حقيقته إلا تحصيل الغرض من الرسالة وقبح نقضه بإرسال الكاذب والمخطئ في التبليغ.

«وأما الأمر الثاني» فحقيقة وجه وحجته عين الوجه الأول وحجته وإن خالف فيه اليهود والنصارى فإنه يقبح ويمتنع من الله القادر القدوس الغني العليم الحكيم أن يجعل رحمته ولطفه في طريق يمنع عن فائدتهم ويصد عن منفعتهم ، مع إمكان أن يجعلهما في طريق لا يمنع عن حصول الغرض والفائدة ولا مفسدة فيه ، بل هو الناجح في تحصيل الغرض ، ولبيان ذلك وجوه :

«الأول» إن إرسال النبي الذي يصدر منه الذنب والقبيح ، ومخالفة

شريعة الحق ناقض للغرض المطلوب من إرساله ، ونقض الغرض قبيح بدهاءة العقل ومنقصة فاضحة فهو ممتنع على الله ، فان الوجدان ليشهد بأن نفوس البشر المحتاجة إلى الاستصلاح والترويض والإرشاد والتقريب إلى الله وشريعة الحق لتتفر نفرة شديدة عن الانقياد إلى من يدعوه إلى الله والشريعة ويعظها ويوجها ويذجرها عن شهواتها إذا كان ممن يخالف الله والشريعة ويتمرد على أحكامها وينقاد إلى شهواته وهواه مع ادعائه المعرفة والرئاسة الدينية ، فلا تصغى إلى إرشاده ولا تعتنى به ، فانظر بوجدانك إلى المذنب العاصي إذ جاءك واعظا ومرشدا مؤدبا زاجرا لك عن اتباع هواك ، فهل ينتج من إرشاده ووعظه وزجره الا ان يستهزئ به ويقال له : كمل نفسك واصلحها وأرشدنا ثم التفت الى تكميل غيرك وإرشاده ، وحينئذ ادع عليه الرئاسة وفضيلة الإرشاد وسيطرة الزجر والتوبيخ. بل نقول : ان صدور الذنب والقبيح من الرسول الذي هو الرأس والرئيس والقدوة في الدين ، مؤيد ومحرك لدواعي سائر البشر إلى الاقدام على الذنوب والتهاون بالشريعة لشهادة الوجدان بأن رئيس الدين إذا أذنب هان على الناس اتباعه في الاقتحام في الذنوب ، وتحركت شهواتهم وأهواؤهم إليها وقد لهج الناس بقولهم الموافق للحكمة والتجربة «إذا فسد العالم فسد العالم» ، وعلى ذلك يلزم من صدور الذنب والقبيح ومخالفة الشريعة من الرسول حصول الفساد من الجهة التي أراد الله برحمته ولطفه منها الصلاح ، وحقيقة هذا ومعناه أن يريد الله الصلاح لأجل رحمته ولطفه بعباده من الجهة التي هي أشد وادعى في انتشار الفساد ، وهل يرتاب عاقل في قبح ذلك وامتناعه على الله جل شأنه.

وانظر إلى الملوك فهل تراهم يرسلون إلى إصلاح رعاياهم المتمردة على شريعة المملكة إلا من يطمئنون بعدم مخالفته لتلك الشريعة وقوانين الإصلاح مهما أمكنهم لئلا تفسد الرعية بفساده ، ولو وجدوا إلى المعصوم سبيلا لما عدلوا عنه ، وذلك لعين ما ذكرنا من قبح نقض الغرض ، فهل ترى الملوك انظر لصلاح رعاياهم من الله لعباده.

«الوجه الثاني» ان إرسال الله للرسول المعصوم ممكن وحاجة الخلق في الاهتداء إلى

الحق وظهور الصلاح والانقياد إلى الرسول وعدم التنفر عنه داعية

إلى ذلك وهو مصلحة بلا مفسدة بل المفسدة بخلافه فيجب بمقتضى الحكمة والرحمة واللطف فيمتنع إرسال غير المعصوم ، أفيقال ان وجود المعصوم غير ممكن؟ أو أن الله لا يعلم به؟ أو أن لا مصلحة في إرسال المعصوم؟ وان في إرساله مفسدة؟ أو أنه يجوز على الله القدوس الغني العليم الحكيم الإخلال بالحكمة والعدل عبثا عما فيه الصلاح وحصول الغرض إلى ضده حاشا وكلا؟.

«الوجه الثالث» دلالة الكتب المنسوبة بين المليين إلى الوحي والإلهام بنحو يشير بمضمونه أو فحواه إلى ما ذكرنا من وجه دلالة العقل قال الله تعالى في سورة البقرة ١١٨ ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وفاعل القبيح ظالم إذ لا أقل من كونه ظالما لنفسه بإلقائها في تهلكة العقاب ورذيلة فعل القبيح ، قال الله تعالى في سورة فاطر ٢٩ : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾.

وفي سابع عشر التكوين (١) ظهر الله لابرام وقال له : أنا القدير سر أمامي وكن كاملا فاجعل عهدي بيني وبينك فان جعل الله للعهد بينه وبين ابراهيم متوقف على سير ابراهيم امام الله ، وكونه كاملا ، وفي المزمور الخامس والعشرين (١٤) سر الرب لخائفه. وفي الثالث من الأمثال (٣٢) لأن الملتوي رجس عند الرب ، أما سره فعند المستقيمين. وفي الحادي عشر (٢٠) كراهة الرب ملتوا القلب ورضاه مستقيم الطريق. وفي الخامس عشر أيضا (٢٩) الرب بعيد عن الأشرار. وفي ثالث رسالة بطرس الاولى (٢٢) لأن عيني الرب على الأبرار واذنيه إلى طلبتهم ، ولكن وجه الرب ضد فاعلي الشر. وفي خامس متى عن قول المسيح لتلاميذه (١٣) أنتم ملح الأرض ولكن إن فسد الملح فيما ذا يملح لا يصلح بعد لشيء الا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس. وفي رابع عشر لوقا (٣٤) ما يؤدي هذا المضمون ، وفي سادس متى (٢٤) لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لأنه اما أن

يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلزم الواحد ويحتقر الآخر لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ومثله في سادس عشر لوقا (١٣). وعلى هذا كيف إذا يقدر على خدمة الله ومعاناة المشاق في إرشاد خلقه وإصلاحهم من لا رادع له عن خدمة الهوى والشهوات التي هي في الحقيقة خدمة الشيطان. وفي سادس عشر لوقا (١٠) الأمين في القليل أمين أيضا في الكثير ، والظالم في القليل ظالم أيضا في الكثير.

وقد تكرر نقل هذا المضمون عن المسيح بلطيف البيان والتقريب في الخامس والعشرين من متى «١٤ . ٣٠». وتاسع عشر لوقا «١٢ . ٢٧» وفي ثامن يوحنا في شأن ابليس (٤٤) لأنه كذاب وأبو الكذاب. وفي ثامن عشر متى «١ . ٥» وثاني مرقس «٢٣ . ٢٦» وسادس لوقا «١ . ٤» ان المسيح لما اعترض عليه اليهود بأكل تلاميذه في يوم السبت من الزرع وأنه لا يجوز فعل مثله في السبت ، احتج عليهم بأكل داود من خبز التقدمة الذي لا يحل إلا للكهنة فلو لم يكن النبي معصوما ، وان داود بريء مما رمى به في شأن امرأة اوريا لما صح من المسيح الاحتجاج بفعله ولكان يحاذر أن يجيبه اليهود بأن داود أذنب وفعل الخطيئة في أكله من خبز التقدمة كما اخطأ في شأن امرأة اوريا وفعل ذلك القبيح الشنيع.

الفصل الرابع

في ذكر الاعتراضات على هذا المقام وأجوبتها في

تحقيق الحق وكشف الالتباس

فان قيل : ان كتب المليين المنسوبة إلى الوحي والالهام لصريحة في صدور المعصية والذنوب والقبائح من الأنبياء المرسلين.

قلنا : وهل بعد دلالة العقل وما ذكرناه عن الكتب المنسوبة إلى الالهام والوحي تجد مجالا للريب ، فانا إن لم نتمسك بهدى العقل فيما ذا نعرف ان الكتاب كتاب وحي جاء به النبي المرسل من عند الله ، ولما ذا نتغافل عما ذكرنا عن الكتب من وضوح الدلالة على عصمة النبي مما يؤكد ببيانه الجلي حكم العقل البديهي.

فإن قيل : فما ذا نضع بما أشرنا إليه مما يدل صريحا على صدور المعصية والذنوب من الأنبياء المرسلين.

«قلنا» : أما ما أمكن حمله على المعصية المجازية التي هي عبارة عن ارتكاب خلاف الاولى ومخالفة الأمر الاستحبابي والارشادي ، أو النهي التنزيهي أو الارشادي فيجب حمله على ذلك لأجل قرينة العقل والنقل وحكمهما بالعصمة كما يحمل ما جاء في الكتب المذكورة من نسبة الوجه والعين والاذن والانف واليد والرجل والقدم وباطن القدمين والضحك والركوب والطيران لله جل شأنه على معان مجازية مناسبة لأجل حكم العقل بتنزهه تعالى شأنه عن الجسم ، وأما ما لا يمكن حمله على ما ذكرنا فإن العقل الذي هو دليلنا على معرفة الله والنبي والوحي

يدلنا على أن ذلك أجني عن الوحي والالهام وإنما هو من فلتات الأقلام.
فإن قيل : ان أهل الكتاب يدعون أنه لا ريب في إلهامية كتبهم المصححة بصدور
الذنوب والمعاصي. العظيمة من الأنبياء فهم لأجل ذلك يتأولون ما دل على لزوم عصمة
النبي من كتب الالهام ويمنعون ما اعتمدتم عليه في العصمة من دلالة العقل.
قلنا : أولا قد طرق سمعك وسيتواتر عليك إن شاء الله من بيان هذا المختصر ما
يمنحك اليقين بأن الكثير من كتبهم أجني عن الوحي والالهام فلا يوثق بشيء منها في كونه
إلهاميا ، فضلا عن مصادمته للعقل والنقل في هذا المقام.

«وثانيا» ان ما اعتمدنا عليه من دلالة العقل قد بلغ من البدهة إلى حد تلجئهم فيه
الفطرة إلى الاعتماد عليه فينطلق به لسانهم أحيانا من قيود العصبية ، فان المتكلف وهو أقل
من عرفناه انصافا وأشد عصبية قد قال : (يه ٣ ج ص ٧٢) ان الأنبياء هم اناس أرسلهم
المولى سبحانه وتعالى إلى شعبه لارشادهم إلى الحق اليقين وهدايتهم إلى الصراط المستقيم
فكانوا حصنا منيعا من الحاد الملوك والامراء وواقيا لشر الفجار ، وكانوا قدوة حسنة للصغير
والكبير والخطير والحقير.

وهذا اعتراف منه بمقتضى الجاء الفطرة بالغاية المطلوبة من إرسال الأنبياء.
وقال أيضا ص ٧٣ : ويلزم أن يكون النبي تقيًا خائفًا لله سليم الفطرة والفكرة
ليستأمنه المولى على أقواله وليوحي إليه إرادته ومشيتته ويأمره بأن يبلغها للورى فيسمع طائعا.
وهذا اعتراف منه بلزوم عصمة الأنبياء خصوصا عن مثل ما نسبته إليهم كتب
العهدين من فواضح القبائح كما سيمجه سمعك إن شاء الله في الفصول الآتية في الباب
الثاني من هذه المقدمة.

وأیضا قد تكرر من المتكلف في أجزاء كتابه تبعا لأمثاله سيئ الطعن

بقُدس رسول الله خاتم المرسلين صلوات الله عليه بنسبة المعصية والذنب له لأجل أن يتشبثوا
بوهم ذلك لنفي رسالته صلوات الله عليه ، وعدم صلاحيته لها ، مع أن ما نسبوه له لو
تساهل معهم الامتناع في فرضه لم يبلغ مبلغ ما نسبته كتبهم لموسى وهارون وداود وسليمان
وارميا والمسيح قدست أسرارهم.

دع اعتراف المتكلف وأمثاله فيني قد أوضحت الحجة على العصمة بفضل الله لأهل
هذه الأدوار السعيدة الذين حرروا أذهانهم من عبودية العصبية والتقليد ، وجعلوا قول الحق
ضالتهم التي يطلبونها هداهم الله إلى الحق وأخذ بأيديهم في مزال الأقدام.

وقد قال الله تعالى شأنه في سورة العنكبوت ٦٩ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
سُبُلَنَا﴾.

وثالثا : ان أهل الكتاب قد اتفقوا على الاعتراف والتسليم بلزوم عصمة الأنبياء في
التبليغ ، وحجتهم في ذلك ليست إلا نحو ما ذكرنا من دليل العقل في رعاية الغاية المطلوبة
من الرسالة وما ذا تراهم يصنعون في ما ورد في كتبهم التي ينسبونها إلى الوحي والالهام من
نسبة بعض الأنبياء إلى الكذب في تبليغ الوحي على وجه الصراحة التي لا يحوم حولها مقبول
التأويل ، أتراهم يعدلون عن دليل العقل ويقولون بكذب النبي في التبليغ تعبدا بما في كتبهم أم
يعترفون بأن ما ينادى بصراحته بكذب الأنبياء في التبليغ ليس من الوحي والالهام بل هو
مدسوس فيه ، ولئن غفلوا عن ذلك أو تغافلوا أو حاولوا الاغفال فان رقيب الحق لا بد أن
يحصيه عليهم.

فقد ذكر في الثالث عشر من الملوك الاول « ١١ . ٣٠ » ان الشيخ النبي الساكن في
بيت ايل الموصوف « ٢٠ . ٢٢ » بأنه كان إليه كلام الرب للتبليغ قد كذب على شمعياء رجل
الله بدعوى الوحي وتكليم ملاك الرب له حتى حمله بكذبه على الله وعليه ، وخداعه بدعوى
الوحي على مخالفة أمر الله وأوقعه في هلكة النكال.

ومن الظرائف ان مترجم الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ م حاول أن

يجعل هذا النبي الساكن في بيت ايل من الكاذبين في أصل دعوى النبوة وانه لا حظ له في الوحي والنبوة الحقيقية لأجل أن يتخلص من الاعتراض عليهم بكذب النبي الحقيقي في التبليغ فحرف الفقرة العشرين من ثالث عشر الملوك الاول المذكورة وترجمها هكذا. وبينما هما جالسان على المائدة يأكلان حتى وردت نبوة من عند الله إلى نبي الله الذي رده النبي الكاذب.

مع ان مقتضى الأصل العبراني والكثير من التراجم العربية وغيرها هو أن كلام الله الوارد في توبيخ رجل الله الذي جاء من يهوذا قد صار الى الشيخ النبي الساكن في بيت ايل الذي كذب على رجل الله. ونص الأصل العبراني هكذا :

ويهيهم. يشبم. ال هشلحن. ويهيي. دبر. يهوه. ال. هنبئ. وكانا جالسين إلى المائدة وكان كلام الله الى النبي اشير. اشيو ويقرأ. ال ايش. هألوهيم. اشير باء ميهوده. لامر الذي رده ودعا رجل إلا هنا الذي جاء من يهوذا قاتلا كه. امر. يهوه يعن كي مريت في يهوه.

هكذا قال الله أداة تعليل أداة أيضا عصيت فم أي قول وما في معناه الله. إلى آخر التوبيخ لرجل الله وهو ينادي بأن هذا الوحي والنبوة قد كان الى النبي الساكن في بيت ايل فزاد هذا المترجم على الأصل العبراني لفظ يأكلان ، ولفظ النبي الكاذب وبدل المعنى إلى ما شاء.

هذا وان يشع الرسول الذي ذكرت له المعجزات الباهرات في ثاني الملوك الثاني وما بعده إلى التاسع والثالث عشر قد ذكر عنه في الثامن من الملوك الثاني «٧ - ١١» ان بنهدد ملك آرام إذ كان مريضا أرسل حزائيل ومعه حمل أربعين جملا من كل خيرات دمشق هدية إلى يشع النبي ليسأله حزائيل عن لسان بنهدد فيخبره يشع بواسطة الوحي هل يشفى من مرضه (١٠) فقال له يشع : وقل له شفاء تشفى وقد أراني الرب انه موتا يموت.

وقال اشعيا في شأن بعض الأنبياء : انهم ضلوا بالخمير وابتلعتهم وتاهوا

من المسكر حتى ضلوا بالرؤيا وقلقوا في القضاء «اش ٢٨ : ٧».

ومن الواضح ان ضلال النبي في الرؤيا التي هي نبوته مستلزم للكذب في التبليغ بل نقول : ان ضلال النبي في النبوة اولى بعدم الجواز من الكذب في التبليغ ، وان قلقه في القضاء الذي هو عبارة عن تبليغ حكم الله للمتخاصمين إنما هو الكذب والخطأ في التبليغ. وان حزقيال الرسول قد ذكر عنه في السادس والعشرين من حزقيال «١٣ . ٧» انه ذكر عن قول السيد الرب انه يجلب على صور نبوخذراصر ملك بابل فيهدم أبراجها ويقتل شعبها بالسيف ، وينهبون ثروتها ويغنمون تجارتها ويهدون أسوارها ويهدمون بيوتها البهيجة ويضعون حجارتها وخشبها وترايها في وسط المياه.

وقد ذكر هذا في التاسع والعشرين «٢١ . ١٧» عن كلام الرب ما يدل على انه لم يقع مقتضى الوعد السابق وأن نبوخذراصر ملك بابل استخدم جيشه خدمة شديدة على صور ، ولم تكن له ولا لجيشه اجرة من صور لاجل خدمته التي خدم بها عليها ، لذلك هكذا قال السيد الرب ها أنا أبذل له أرض مصر فيأخذ ثروتها وينهب غنيمتها فتكون اجرة لجيشه بل أعطيته أرض مصر لأجل شغله الذي خدم.

«فإن قلت» : ان المتكلف قد ذكر به ٢ ج ص «١٤٤ . ١٤٧» عن التواريخ ما يقتضي صدق النبوة الاولى والثانية.

قلت : قد رأينا اعتماده في ذلك على نقل الكتابين مثل يوسفوس وبريدو . وجيروم. ان نبوخذراصر استولى على صور كما في النبوة الاولى ولكن لو ساءناه في صحة هذا النقل وما تكلفه في هذا المقام لكان فيما ذكره شهادة صريحة كافية في كذب هذه النبوة المتضمنة لكون نبوخذراصر وجيشه ينهبون ثروة صور ويغنمون تجارتها «حز ٢٦ : ١٢» فانه اعترف لاصلاح النبوة الثانية «حز ٢٩ : ١٨» بأن نبوخذراصر لم يجن من صور فوائده تذكر وان ثروتها نزلت من طول الحصار.

ونقل عن جيروم ما حصله ان أهل صور لما رأوا طول الحصار نقلوا كل ما كان ثميناً من ذهب وفضة وثياب وكل ما عند أشرفهم من الأمتعة الثمينة الى المراكب وذهبوا به الى الجزائر ، فلما فتحها نبوخذراصر لم يجد فيها شيئاً يقوم مقام أتعابه ، انتهى انظر الى «يه ٢ ج ص ١٤٥ س ١٦ . ص ١٤٦ س ٢».

فأين صار مع ذلك دعوى النبوة وتبليغ الرسول بأن نبوخذراصر وجيشه يذهبون ثروة صور ويغنمون تجارتها ، وأين تكون التجارة المغتمة مع حصار ثلاثة عشر سنة ، ونزوف الثروة ونقل الذهب والفضة والامتعة الثمينة إلى الجزائر.

وحاصل ما عند المتكلف في هذا المقام هو أن الرسول لم يكذب في تبليغه بكل ما قال في شأن صور ، وإنما ظهر الكذب في أمرين لم يقعا وهما نهب ثروتها وغنيمة تجارتها والكذب بهذين الأمرين سهل وإن كانا هما العمدة في هذا المقام ، فإن باقي النبوات هاهنا قد تمت بفضل الله على ما يقول يوسفوس وأمثاله.

وان المسيح قد ذكر عنه في ثاني عشر متى (٣٨) حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين : يا معلم نريد أن نرى منك آية (٣٩) فأجاب وقال لهم : جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي (٤٠) لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال انتهى.

وان الاناجيل الاربعة لتكذب هذا الكلام في أمرين :

«الأول» ما عن قول المسيح جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له إلا آية يونان النبي فانه يكذبه ما ذكره متى بعد ذلك من وقوع الآيات والمعجزات من المسيح «مت ١٤ : ٤ و ٣٦ : ١٥ و ٢٨ : ٣٢ و ١٧ : ١ و ٦ : ١٤ و ١٩ : ٢٠ و ٢٩ : ٣٤ و ٢١ : ١٩ و ٢٧ : ٤٥ و ٥١ : ٥٥» ونقل لوقا هذا الكلام عن المسيح أيضا «لو ١١ : ٢٩» وانه ليكذبه بما ذكره بعد ذلك من وقوع الآيات والمعجزات «لو ١٣ : ١١ و ١٤ : ١٤ و ٢ : ٥ و ١٧ : ١١ و ١٥ : ١٨ و ٣٥ : ٤٣ و ٢٢ : ٥٠ و ٥١».

وأیضا في ثامن مرقس ١١ فخرج إليه الفريسيون وابتدءوا يحاورونه طالبين

منه آية من السماء لكي يجربوه ١٢ فتنهد بروحه وقال : لما ذا يطلب هذا الجيل آية الحق؟ أقول لكم لن يعطي هذا الجيل آية ، وانه ليكذبه بما ذكره بعد ذلك من الآيات والمعجزات «مر ٨ : ١٣ - ٢٠ و ٢٢ - ٢٦ و ٩ : ٥ - ٢٨ و ١٠ : ٤٦ - ٥٢ و ١١ : ١٣ و ١٤».

ويكذبه أيضا ما ذكره يوحنا من احيائه لعازر من الموت «يو ١١» ، وقد كان ذلك في أواخر أمر المسيح قريب الفصح الذي هجم به اليهود عليه «انظر يو ١٢ و ١٣».

ويكذبه أيضا ما ذكر في أعمال الرسل أيضا من ظهور المعجزات والآيات من الرسل لليهود «انظر أفلا إلى أوائل الثاني والثالث من الأعمال وخصوص الثالثة والأربعين من الثاني».

وعلى كل حال لا ينفك القائلون بكون الأناجيل والأعمال كتب وحي وإلهام عن لزوم كذب الرسول على الوحي لأنه كان الكلام المنسوب للمسيح صادقا لزم كذب الرسل متى. ومرقس. ولوقا. ويوحنا. على الوحي فيما ذكروا وقوعه بعد ذلك من الآيات وان صدقوا في ذلك فالعكس.

الأمر الثاني : قوله هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال فانه يكذبه ما في آخريات الأناجيل الأربعة من أن المسيح انزل عن الصليب مساء يوم الجمعة عند استعداد اليهود للسبت ووضع في القبر والسبت يلوح وقام من القبر حيا في صبح الأحد فلم يكن بقاءه على هذا في قلب الأرض إلا ليلتين ويوما تاما وجزئين قليلين من يومين «انظر مت ٢٧ : ٥٧ - ٦٣ و ٢٨ : ١ و مر ١٥ : ٤٢ و ١٦ : ١ و ٢ : ولو ٢٣ : ٥٣ و ٥٤ و ٢٤ : ١ و يو ١٩ : ٣١ و ٤٢ و ٢٠ : ١» فاختر أي الأمرين يكون كذبا في التبليغ أو نقول : ان الكذب من متى الرسول بقوله ثلاث ليال أو يقال انه زيادة وتحريف في انجيله وليس من وحيه.

قلنا : كيف وانجيله متواتر النقل بزعم النصارى ولم يوضع على هاتين الكلمتين حتى الآن علامة اختلاف النسخ ، ومن الظرائف ان المتكلف قد أطل

الكلام وجهد في التكلف «يه ٢ ج ص ٢١٥ . ٢١٨» فلم يقدر أن يتكلف إلا بدعوى توجيه اسم الثلاثة أيام على اليوم التام هو يوم السبت ، والجزئين القليلين من اليومين المحيطين به وهما آخر يوم الجمعة وأول يوم الأحد ولكنه لم يستطع ولن يستطيع هو ولا غيره أن يتشبث بحيلة لتدبير أمر الثلاث ليال وان صرف الكلام عنها إلى الثلاثة أيام مع أن الجزء الأخير من يوم الجمعة والجزء الأول من يوم الأحد لا يصلح كل منهما لقلته المقاربة للعدم أن يعبر عنه باليوم حتى يقال ثلاثة أيام «انظر لو ٢٤ : ١ و يو ٢٠ : ١».

وعن بولس الرسول العظيم عند النصارى في خامس عشر كورنتوش الاولى بعد ذكر قيامة الأموات وبيان كيفيتها والبرهان على امكان وقوعها ما لفظه (٥١) ذو ذا سر أقوله لكم لا نرقد كلنا ولكن كلنا نتغير ، وعن النسخة اليونانية كلنا لا نرقد (٥٢) في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير فانه سيبوق ويقام الأموات عديمي فساد ونحن نتغير.

وعنه في رابع تسالونيكي الاولى (١٥) فانا نقول لكم هذا بكلمة الرب اننا نحن الأحياء الباقين الى مجيء الرب لا نسبق الراقدين (١٦) لأن الرب نفسه يهتف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والاموات في المسيح سيقومون أولا (١٧) ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء ، وهكذا نكون كل حين مع الرب.

وليت شعري اين هذا الوعد السري لأهل كورنتوش ، وأين ما قيل بكلمة الرب لأهل تسالونيكي أو ليس قد رقدوا جميعا هم وبولس رقدة طحنهم فيها البلاء وتداولت عليها القرون.

وقد أطال المتكلف «يه ٢ ج ص ٢٢٦ . ٢٣٠» في محاولة التخلص من هذه الورطة وكثر بالشواهد التي لا دخل لها بخياله ، وخلاصة ما يتشبث به هو أن قول بولس. نحن. ونرقد. ونرقد. وكلنا. ونتغير. واننا. ونحوها مما هو للمتكلم لا يراد منه إلا الأحياء الموجودين عند القيامة ولو بعد آلاف من السنين لا يكون فيهم بولس المتكلم والحاضرون من أهل كورنتوش وتسالونيكي فنقول له : أيجوز أن يكون كلام الوحي وبيان الرسل وكشفهم للناس عن أسرار

ملكوت والمعارف النظرية جاريا على غير مجرى كلام العقلاء في محاوراتهم وعلى وجه يعد فيه غلطا في بيان المراد ، فمن هم الذين عناهم بقوله لا نرقد كلنا أو كلنا لا نرقد ولكن كلنا نتغير .

وكذا قوله : ونحن نتغير ، أترى يصح في الكلام أن يكون المتكلم خارجا عن الحكم في هذه الأخبار ، ويصح للمتكلم أن يقول : نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب وهو والحاضرون ليس منهم .

وأما الاستشهاد المتكلف «يه ٢ ج ص ٢٢٧ س ١٠» بقوله عليه الصلاة والسلام: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، وقولهم نحن العرب نكرم الضيف فإنما هو خلط وتشبث واه . أفلا ترى انه لا يصح في الكلام لمن لا يصف نفسه بالنبوة ان يقول نحن معاشر الأنبياء ، وكذا لا يصح للعجمي أن يقول : نحن معاشر العرب ، ولنفرض المثل على نهج الممثل له فنفرض الحكم بعدم التوريث من الآثار الخاصة بالمتصف بالنبوة عند موته وفي أوان ثبوت الحكم ، ولا يثبت لمن كان في أوان الحكم منسلخا عن وصف النبوة ، كما ان عدم سبق الراقدين والاختطاف في السحب من الآثار الخاصة بمن كان حيا حين القيامة ولا يثبت لمن كان في أوان القيامة منسلخا عن ذلك .

وعلى هذا فهل يصح أن يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث إلا من يريد إدخال نفسه في موضوع الحكم وهم الأنبياء المتصفين بالنبوة في أوان الموت وتعلق الحكم دون من يفرض انسلاخه عن وصف النبوة في أوان تعلق الحكم وقبله بمدة .

وأما قولهم نحن معاشر العرب نكرم الضيف ، فمن المعلوم انها قضية نوعية غالبية لشهادة الوجدان بأن منهم من لا يكرم الضيف فلا تقاس عليها كلمات بولس التي هي قضايا كلية لاستيعاب الأفراد .

ومع ذلك لا يصح ، بل يقبح ويستهج من العربي البخيل الذي لا يكرم الضيف .

قوله نحن معاشر العرب نكرم الضيف ولقد ألجأنا الى هذا التعمق بيان الخلط في الأمثلة وإعطاء بعض القارئين حقهم من اكتشاف الحقائق بالتحقيق ، وحيث اتضح لك الخلف في هذه المواعيد المنقولة عن حزقيال والمسيح وبولس كان ذلك من الكذب في التبليغ عن الله بحكم التوراة ، ففي الثامن عشر من التثنية (٢٠).

وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي «أي يقتل» (٢١).

وان قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب (٢٢) فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصير فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل يطغيان تكلم به النبي انتهى.

ولو خلع الناس العذار بالتأويل بمثل ما تكلفه المتكلف في مثل هذه المقامات لما عرف كذب خبر من الأخبار ولبطلت علامة التوراة على كذب مدعي النبوة على الله في التبليغ وكانت لغوا فانه يمكن للسان المتغلب على الجنان والوجدان أن يتلاعب في كل كلام بمثل هذه التأويلات.

وإذا وعيت ما ذكرنا فما ذا ترى أهل الكتاب يقولون أفترأهم يرجعون عما سلموه من دليل العقل على عصمة النبي في التبليغ ويقولون : ان النبي الساكن في بيت ايل. واليشع. وحزقيال. والمسيح. وبولس ومتى ومرقس. ولوقا. ويوحنا ، رسل حق ، ولا يضر في ذلك وقوع الكذب منهم في التبليغ ، أم يقولون : ان هذا الذي نسب في العهدين إلى هؤلاء مما يلزم منه الكذب في التبليغ عن الله مكذوب عليهم مدسوس في الكتب الإلهامية.

الباب الثاني

من المقدمة الثامنة

في تحقيق الحال في نسبة المعاصي والذنوب إلى الأنبياء في الكتب المنسوبة إلى الإلهام
وما ينبغي أن يقال في ذلك ، وفي هذا الباب أيضا فصول :

الفصل الاول

في ذكر آدم وما يقال في شأنه

أما نبوته ففي القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة آل عمران (٣١) ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

وأما ما جاء في شأنه فقد قال الله تعالى له كما في سورة البقرة (٣٣) ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٤) فأزلهما الشيطان عنها.

وفي سورة طه ١١٩ ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾.

فنقول : ان النهي قد يكون مولويا تحريما يستحق مخالفة الذم والعقاب على مخالفة مولاه التي هي المعصية القبيحة ، وقد يكون مولويا على وجه الكراهة والتنزيه مرخصا في مخالفته التي تسمى أيضا معصية اما مجازا واما لأن اسم المعصية أعم منها ومن مخالفة النهي التحريمي القبيحة.

وقد يكون إرشاديا كنواهي الطبيب للمريض التي لا يترتب على مخالفتها إلا الوقوع في المشقة التي ارشد إلى التجنب عنها بالنهي ، ولا يترتب على هذا النهي من حيث مخالفة المولى ذم. ولا عقاب. ولا لوم. ولا قبح وإنما اللوم على إلقاء النفس في المشقة التي ارشد بالنهي الى اجتنابها ، وتسمى هذه المخالفة أيضا معصية اما مجازا واما لأن اسم المعصية أعم منها ومن القسمين الأولين من المخالفة.

وحينئذ فدلالة العقل والنقل على عصمة النبي تكون قرينة على أن المراد من معصية آدم هي مخالفة النهي التنزيهي الكراهي أو النهي الإرشادي ومما يرشد إلى كون النهي لآدم إرشاديا قوله تعالى في سورة طه ١١٥ : ﴿يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجَنَّكُمَا مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ١١٦ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ ١١٧ ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾ .

فان التحذير والتخويف لآدم من عداوة إبليس بإخراجه من راحة الجنة ونعيمها الى التعب والجوع والظمأ ومقاساة شقاء العيش ليرشد ويقرب الى الذهن ان هذه هي العاقبة المحذورة من عداوة ابليس لآدم لإيقاعه في قبح مخالفة نهي الله التحريمي ووبال ذنب المعصية وغضب الله.

ولو كانت هذه الأمور الأخيرة هي العاقبة المحذورة لكان ذكرها أنسب بالتحذير وأدخل في الزجر عن المنهي عنه ، وأتم في الحجة والبيان.

وقد يشهد له قوله تعالى في سورة البقرة ٣٤ : ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ حيث لم يقل جل شأنه : فأزلهما الشيطان فأوقعهما في قبح المخالفة والذنب واستحقاق عقاب الله وغضبه.

ولو كان ذلك لازما لكان أولى بالذكر.

ومن هذا النحو من التحذير المذكور في القرآن ينكشف ان وصف آدم بالظلم والغواية في أكله من الشجرة إنما هو لاغتراره بقول ابليس وظلمه لنفسه بسبب إخراجها من نعيم الجنة الى شقاء التعيش وعنائها ، لا بسبب إيقاعها في عقاب التحريم وغضب المخالفة لله ، فليس من الظلم القبيح الذي يمنع من نيل عهد الله كما تقدم في دلالة القرآن على العصمة.

وأما قوله تعالى حكاية عن آدم وحواء في سورة الاعراف ٢٢ : ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ، فقد بينا وجه ظلمه لنفسه ، وانه ليس من نحو ظلم النفس بإيقاعها في قبح الذنب ونكال العقاب.

وأما طلب المغفرة وحصول الخسران بعدمها فلا ينافي ما قدمنا ولا يلزم منه

الوقوف في الحرام ، لأن العبد العارف خصوصا إذا كان من الأنبياء ليود أن تكون كل أفعاله وتركه موافقة لأمر الله ونهيه سواء كانا على جهة الحتم أو الرجحان أو الإرشاد ، فإن اتفق وقوعه في متابعة الميل الإنساني بغير المعصية القبيحة وجد في نفسه انه قد خسر الفوز في المرتبة المرغوبة له وحاد عن جادة الصديقين وزل عن مقام المقربين فيفزع الى الله مولاه في طلب المغفرة والرحمة والتوبة ليعود ببركتها الى مقامه الرفيع.

كما نفزع نحن معاشر عبيد العصا الى التوبة عند ارتكاب الذنب العظيم لأجل التخلص من العقاب ونكال الغضب ، وعلى مثل ما ذكرنا جاء قوله في سورة البقرة ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

وأما قوله تعالى في سورة الاعراف ١٨٩ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ١٩٠ ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ، فان نسبة الشرك فيه لآدم مبنية على ما يذكره بعض المفسرين من قصة تسمية آدم وحواء لولدها بعبد الحارث «أي ابليس» إجابة لاقتراحه ذلك عليهما.

وان سوق الآيات ليأبى ذلك فانما لو كانت واردة على هذه القصة لكان الذي ينبغي أن يقال فيها فلما آتاهما صالحا جعلاهما له شريكا فيه فتعالى الله عما يشركان ، لأنه لم يكن الشريك بحسب القصة إلا واحدا وهو الحارث «ابليس» ، ولم يكن المشرك بحسبها إلا اثنين وهما آدم وحواء ، وبحسبها أيضا لا يعرف الوجه الصحيح في العدول عن قوله تعالى ، فيه الى قوله تعالى ، ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾.

مع انه قد جاء عن الرضا وهو الإمام الثامن من أهل البيت الذين هم أحد الثقلين اللذين لا يفترقان ، ولا يضل من تمسك بهما في تفسير الآية ما معناه ان المراد بالصالح هو نوع الذرية التامة الخلقة على أحسن التقويم لا خصوص ولد واحد فلما آتاهما صالحا من الذرية المشتمة على صنفين ذكرانا واناثا جعل ذلك الصنفان من الذكران والاناث لله شركاء من الأصنام وسائر المخلوقات التي

جعلوها بضالهم آلهة مع الله فيما آتاها من النعم والأموال والاولاد وغيرها فقال جل شأنه بحسب كثرة المعنى المراد من الصالح والضمير المثنى اللذين هما عبارة عن صنفين الذكور والاناث ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وليس في هذه الوجه من التفسير ما هو خلاف الظاهر البدوي إلا رجوع الضمير المثنى في «﴿جَعَلَا﴾» و «﴿آتَاهُمَا﴾» التي بعدها على اسم الجنس الذي هو «صالحا» باعتبار اشتماله على صنفين ، وإلا كون السياق يوهم ابتداء كون المرجع لضميري «﴿جَعَلَا﴾» و «﴿آتَاهُمَا﴾» هو النفس الواحدة مع زوجها.

وهذه المخالفة للظاهر البدوي هينة بالنسبة لتلك المحاذير التي نجدتها على الوجه الأول من تنزيل الآيتين على ما يدعى من القصة كما ذكرناه فتكون تلك المحاذير قرينة واضحة على أن الظاهر هو ما ذكرناه معناه عن الإمام الرضا عليه السلام ويشهد لذلك أيضا تعقيبه بقوله تعالى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ حيث أوضح أن الشركاء في الآية هم جماعة من المخلوقين لا خصوص ابليس كما يدعى في الآية ، بل يوضحه الالتفات بالتوبيخ الى المقصود بالضمير في «﴿جَعَلَا وَآتَاهُمَا﴾» بقوله تعالى ١٩٣ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ ، ويكشف عن قوله في سورة الانعام ٩٨ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ، الى قوله تعالى ١٠٠ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ ، الى قوله تعالى ١٠٢ ، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ، فإن التدبر في هذا كله يرشد بأوضح ارشاد الى أن الموصوف بالشرك والعنف عليه انما هم المخلوقون من النفس الواحدة وان اختلف التعبير عنهم بالخطاب والغيبة والتثنية باعتبار صنفهم ، والجمع باعتبار كثرة المعنى ، كل ذلك بحسب ما يقتضيه صوغ البلاغة للكلام.

ولو تنزلنا عن هذا كله فلا أقل من أن يكون احتمالا مساويا للوجه الأول فلا تبقى في الآية السابقة دلالة على نسبة الشرك لآدم.

هذا كله مع أن الرواية التي تشبث بها في تفسير الآية لقصة نسبة الشرك لآدم إنما هي رواية قتادة عن الحسن عن سمرة وان سندها لمطعون فيه من وجوه أيسرها ان الحسن وقاتادة لم يختلفا بهذه الرواية ولم يفسرا الآية على مقتضاها كما

حكاه عنهما في مجمع البيان.

وعن الحسن في تنزيه الأنبياء للمرتضى ^(١) ، وبهذا كله تعرف خبط المتكلف وتحامله على القرآن ومبلغه حيث ادعى جازما.

يه ١ ج ص (١١) ان رسول الله «ص» نسب الى آدم في القرآن خطيئة اخرى وهي الشرك متشبثا بهذه الرواية لتفسير الآية.

(١) طبع للمرة الثانية في النجف الاشرف . بالمطبعة الحيدرية.

الفصل الثاني

في ذكر نوح وما قيل في شأنه

أما نبوته ورسالته في القرآن فقد تكرر ذكرها ، ويكفي منه قوله تعالى في سورة هود
٢٧ : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

وفي سادس التكوين (٩) كان نوح رجلا بارا كاملا في أجياله وسار نوح مع الله .
(١٣) وقال الله لنوح ، وفي اولى السابح ، وقال الرب لنوح وفي الثامن (١٥) وكلم الله نوحا
(٢٠) ، وبني نوح مذبجا للرب في حادي عشر رسالة العبرانيين (٧) بالإيمان نوح لما اوحى
إليه عن امور لم تر بعد ، وفي ثامن رسالة بطرس الثانية (٥) بل إنما حفظ الله نوحا ثامنا كارزا
للبر .

وأما ما يقال في شأنه فقد دعا على قومه بالضلال ، كما حكاه الله تعالى في سورة
نوح عن قوله (٢٤) ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ فيقال ان هذا خلاف الوظيفة النبوية ،
فإن الرسول المبعوث لهدى الخلق وصلاحهم لا يجوز له الدعاء عليهم مهما كانوا بالفساد
والانحراف عن الله وسبيل الحق .

قلنا : ليس الضلال المدعو به ذكر بل المراد منه اضاءة طريق الرشد والتدبير في امورهم
وعوائدهم ليستغلوا بحيرتهم في شئوهم عن أذى الخلق واصلاتهم عن الحق ، فهو دعاء عليهم
بالعقوبة الدنيوية لأجل صلاح غيرهم فإن الضلال هو مطلق الاضاءة والتهيه عن الطريق
المطلوب ، وتختلف أنحاء أفرادها التي تزداد منه باعتبار الأمر المضيع والطريق الذي ضل عنه .

ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة ٢٨٢ : ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ ولم تقم قرينة على أن المراد هاهنا بالضلال المدعو به هو الضلال عن الله وسبيل الحق ، بل إن قرينة العقل قاطعة بأن المراد منه غير هذا ، بل لو صدر هذا الكلام والدعاء من سائر الأتقياء المحبين للخير وصلاح العباد وقلة الفساد واهتداء الخلق فضلا عن الرسل لكان صدوره منهم قرينة على إرادة غير المعنى المدعى .

وأما دعاؤه على كفار قومه بالهلاك ، كما حكاه الله جل شأنه في سورة نوح ٢٧ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ٢٨ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ .

فقد أبدى وجهه وحكمته لما علمه من عند الله في شأنهم بالعلم النبوي من سوء عاقبتهم ، فكان من الحكمة والوظيفة النبوية أن يدعو عليهم كما اقتضت الحكمة الإلهية إهلاكهم بالطوفان .

وأما ما حكاه الله في أمره في سورة هود بقوله تعالى ٤٧ ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ ٤٨ ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فإنه غير قادح بمقامه النبوي ووظيفة رسالته أصلا ، فإن غاية ما هناك سؤاله عن وجه الحكمة في غرق ولده مع سبق وعد الله له بنجاة أهله معترفا في السؤال الله بأنه أحكم الحاكمين وإن وعده الحق ، فأبان الله له وجه الحكمة بأن الموعود بنجاتهم هم المؤمنون من أهله الذين يحسن أن يضافوا إليه لاهتدائهم بهداه ، وإن ولده الغريق ليس من أهله الموعود بنجاتهم ، أو انه لا يليق أن يعد من أهل بيته لأنه عمل غير صالح ليس على هدى أبيه ، ثم وعظه الله على سؤاله عن الحكمة لأن الأولى بعلو مقامه هو التسليم والتفويض لحكمة الله إجمالا لا سيما مع عرفانه بأن الله أحكم الحاكمين ، فأناوب الى الله من فعله خلاف الأولى ، وخاف الانحطاط به عن مراتب الصديقين ومقامات المقربين ، وقال كما حكاه الله عنه ٤٩ : ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ

الخاسرين ﴿﴾ للفوز بالمراتب العالية.

وإذا تدبرت ما ذكرنا ظهر لك خلل أقوال المتكلف «يه ١ ج ص ١٤ و ١٥».

وأما ما في تاسع التكوين (٢١) وشرب نوح من الخمر فسكر وتعري داخل خبائه.

فنقول فيه : قد روى مستفيضا عن أهل البيت عن النبي صلوات الله عليهم ان الخمر ما حلت في دين قط ، ويدل العقل بأوضح دلالة على أن شربها والسكر بها الذي هو رأس الخلاعة والتهتك والشور والمفاسد والخروج عن حدود الإنسانية منافع لوظيفة النبي الداعي الى الهدى والكمال والصلاح وحفظ الشرف خصوصا وقد حفظ الله نوحا كارزا للبر «٢ بط ٨ : ٥».

وحينئذ فلا بد من القول بأن قصة شرب نوح للخمر ، وسكره ليست من الوحي والإلهام لما بيناه من لزوم عصمة النبي.

ومن الظرائف اضطراب كلام المتكلف في هذا المقام «يه ١ ج ص ١٣ - ١٨» ولو انه التزم بما ادعاه.

«يه ٤ ج ص ١٦٨» من ان الله لم ينزل على القدماء قبل موسى شريعة بل اصطلاح القدماء على عادات للجريان عليها في هذه الدنيا.

فقال : هاهنا بمقتضاه انه لم تكن في زمن نوح شريعة بتحريم الخمر فلم يفعل نوح بشربها خطيئة لاستراح هذا المتكلف فمن اضطرابه قوله :

«يه ١ ج ص ١٣» لا ننكر ان شرب الخمر حرام وقوله فأنت ترى أنها كانت جائزة والتوراة والإنجيل ناطقان بأنها حرام قطعاً وشربها نوح دلالة على ضعف الطبيعة البشرية.

فنقول له : أنت يا ذا الذي تقصر الحقائق على ما في العهدين ، وإذ لا تجد فيهما ما تذكره نبوة القرآن تصول عليه صولة المتحمس من أين لك من العهدين ان الخمر كانت محرمة على عهد نوح خصوصا وقد ادعيت غفلة منك أو

اغفالا ان الله لم ينزل شريعة على القدماء وكيف تتفوه وتقول؟.

«يه ١ ج ص ١٨ س ١٦» قد استفاق نوح من سكره ، ولم يعد الى هذه الخطيئة.
قل عن أي كتاب إلهامي تنقل ذلك؟ أفتدعي أنت الإلهام لنفسك؟ أم جاءك نوح
وتاب على يدك من شربه للخمر؟

وأما قولك : فأنت ترى انها كانت جائزة ، والتوراة والإنجيل ناطقان بأنها حرام قطعاً.
فلما ذا غفلت أو تغافلت عن اضطراب التوراة والإنجيل في هذا الشأن فإنهما وان
وجد في مضامينهما ما يعطي حرمتها وقبحها سيما بالنسبة للأنبياء كما سنسجله إن شاء
الله في المقدمة العاشرة في موانع النبوة.

ولكن فيهما ما يناقض ذلك وينقض عليك قولك هذا.

قل فما معنى الأمر في شريعة تقريب القرابين أن يسكبوا معها سكيب خمر للرب
«انظر أقلا خر ٢٩ : ٤٠ ولا ٢٣ : ١٣ وعد ١٥ : ٥» وسكيب مسكر للرب «عد ٢٨
: ٧» ، وأكد حكم السكيب في التاسع والعشرين من العدد وغيره أكثر من عشر مرات.
وكيف يكون الحرام قربانا لله؟ وكيف يأمر الله شعبه بأن يعدوا للقرابين شيئاً محرماً
وجوده مجلبة للغواية والشور والفساد بل الرحمة وحكمة اصلاح الناس يقتضيان الأمر
بإعدامهما عن أعينهم خصوصاً بني اسرائيل الذين لا حاجز لهم من تقواهم عن التمرد على
الله كما عرفت في المقدمة الخامسة.

وأيضاً ما معنى دعاء موسى على بني اسرائيل ان لم يعمل بوصايا الله بقوله في الثامن
والعشرين من التثنية ٣٩ كروما تغرس وتشتغل وخمرا لا تشرب ولا تجنى لأن الدود يأكلها
(٥١) ولا تبقى لك خمرا ولا قمحا ولا زيتاً».

وأيضاً ما معنى دعائه لهم بالبركة في قوله في الثالث والثلاثين من التثنية (٢٨) تكون
عين يعقوب الى أرض حنطة وخمر وسماءه تقطر ندى.

فهل يكون هذا كله مع كون الخمر محرمة ، أو ليس يعطي هذا انما من النعم المباحة ومتاعهم الشهى حتى يدعى عليهم بفقدانها ويدعى لهم بوجودها.

وما معنى ما يذكر من أن داود النبي قسم على كل واحد من رجال بني اسرائيل رغيف خبز وكأس خمر وقرص زبيب «٢ صم ٦ : ١٩ و ١ أي ٦ : ٣» ، وما وجه اهداء زق الخمر الى داود «٢ صم ١٦ : ١» ، وما وجه اسكاره لاوريا «٢ صم ١١ : ١٣» أفلا يصح الاحتجاج بذلك لجواز شرب الخمر كما ينقل عن المسيح الاحتجاج لجواز أكل تلاميذه من الزرع في يوم السبت بأكل داود من خبز التقدمة الذي لا يحل الا للكهنة «مت ١٨ : ١-٥».

وأیضا ما معنى المنقول من جلوس المسيح ووالدته وتلاميذه في قانا الجليل في مجلس العرس الذي تسكب فيه الخمر وتدار الراح في الأقداح حتى يفعل السكر بالألباب ما يفعل ، وينال من العقول ما ينال ، ولم يكف ذلك حتى طلبت منه والدته اذ نفذ الخمر أن يصنع لهم بمعجزة خمر ، فعمل لهم ستة أجران من الخمر الجيد وسقوا منه ، وكان ذلك بعد أن اعتمد من يوحنا المعمودية التوبة ، ونزل عليه الروح القدس ، وتبعه اندرواس وبطرس وثنائيل ، وفيلبس «انظر الى ثالث متي والثاني والثالث من يوحنا».

وأیضا ما معنى المنقول عن كلام المسيح في شأن جيله في سابع لوقا (٣٢) يشبهون أولادا جالسين في السوق ينادون بعضهم بعضا ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا نحنا لكم فلم تبكوا ٣٣ لأنه جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزا ولا يشرب خمر فتقولون به : شيطان (٣٤) ، جاء ابن الانسان يأكل ويشرب فتقولون : هو ذا انسان أكل ، وشرب خمر ، ونحوه في حادي عشر متي.

أو ليس صريح هذا الكلام وفحواه ان المسيح . وحاشاه . كثير الشرب للخمر المسكر بخلاف يوحنا.

وأیضا ما معنى المنقول من قوله لتلاميذه بعد أن شرب من الكأس وأعطاهم لهم ، وأقول لكم من الآن : لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك

اليوم حينما أشربه معكم جديدا في ملكوت أبي «مت ٢٦ : ٢٩ ومر ١٤ : ٢٥ ولو ٣٢ : ١٨» حيث عبر عن الخمر في هذا الكلام بعد أن شرّبا تعبير الشريب المغرم بها المودع لها المتألم على فراقها.

وأیضا ما معنى المنقول عن الرسل من حصرهم اللازم على الامم باجتناّب ما ذبح للأصنام والدم والمخنوق والزنا «اع ١٥ : ٢٩».

وان اقترحت فوق هذا من صراحة العهدین ففي ثاني عشر التثنية (١٧) لا یحل لك أن تأكل في أبوابك عشر حنطتك وخمرک وزيتک . (١٨) بل امام الرب إلهک تأکلها في المكان الذي یختاره الرب.

وفي رابع عشر التثنية (٢٣) وتأکل امام الرب إلهک في المكان الذي یختاره لیحل اسمه في عشر حنطتك وخمرک وزيتک (٢٤) ، ولكن اذا طال عليك الطريق حتی لا تقدر أن تحمله . (٢٥) فبعه بفضة وصر الفضة في يدک واذهب الى المكان الذي یختاره الرب إلهک (٢٦) وانفق الفضة في کل ما تشتهي نفسك من البقر والغنم والخمر والمسکر وكل ما تطلب منك نفسك ، وكل هناك امام الرب إلهک وافرح أنت وبيتک.

حتى جرى اليهود بعد رجوعهم من سبي بابل على تقديم رفائع الخمر ، وعشر الخمر الى بیت المقدس حسب الشريعة «انظر نح ١٠ : ٣٧ و ٣٩ و ١٣ : ١٢» .
فإن قلت لا أكتفي بهذه الصراحة حتی یحضر الاله في مجلس الشرب ويسقي الناس الخمر بمجلس أنبيائه ورسله .

قلت : ان مزاعمك تقتضي وقوع ذلك فإن الذي زعمت في مقدمة الجزء الأول من کتابک وغيرها أنه الاله الذي توشح الطبيعة البشرية لیرفع قدرها قد ذکر الکتاب الذي تحامی عن الخدشة في الهاميته انه قد جلس في قانا الجليل في مجلس الشرب والسكر هو وعدة من رسله وسقى الناس زيادة على خمرهم اذ عمل لهم بمعجزة ستة أجران من الخمر اللهم اني أعوذ بقدسک وجلال وجهک من التعرض لمثل هذا لغير الجدل الذي تدعو إليه ضرورة الوقت ،

ومعارضة فلتات الأوهام ارشادا لعبادك المغرورين الى الهدى والصواب.

فأقول للمتكلف ليعتبر السامع :

أفتقول ان التوراة والإنجيل ناطقان بأن الخمر حرام قطعاً ويكون كل هذا فيهما؟ أم تقول : ان هذا كله مذكور في العهدين ليس من الوحي وكلام النبوة في شيء؟ أم تقول : ان العهدين غير خاليين من التناقض والاضطراب والتهافت.

وأما قوله المتكلف «يه ١ ج ص ١٤» ، أما المسيح فلم يشرب «أي من الخمر» إلا شيئاً لا يعتد به في عيد الفصح مرة في السنة حسب شريعة موسى.

فهو قول مخالف للأناجيل الرائجة في دلالتها على أن المسيح وحاشاه شرب خمر كما تقدم أي كثير الشرب لها ، وكونه حضر مجلس العرس المعقود لشرب الخمر وعريضة السكر هو وعدة من تلاميذه وزادت في الطنبور نغمة إذ ذكرت انه عمل لهم بطيب والدته ستة أجران من الخمر الجيد ، وحاشا قدسه من هذا كله.

وأيضاً أين يوجد من شريعة موسى حكم شرب الخمر في عيد الفصح ، أو ليست التوراة الرائجة هي التي يزعمون انها كتاب شريعة موسى ، وان كل ما لم يذكر فيها لا حقيقة له.

وأما قول المتكلف عقيب كلامه المتقدم ، فكان كل واحد من بني اسرائيل يشرب شيئاً طفيفاً لا يعتد به في هذا العيد تذكراً لمراحمه تعالى.

فيحق أن يقال فيه ان سكر بني اسرائيل الذي استغاث منه أشعيا النبي في الثامن والعشرين من كتابه ، وذكر أن الأنبياء والكهنة ابتلعتهم الخمر وتاهوا من المسكر حتى ضلوا في الرؤيا وقلقوا في القضاء ، أيضاً كان كله تذكراً لمراحمه تعالى.

وعبد بنو اسرائيل العجل تذكراً لمراحمه تعالى ، وزنوا بنات مواب وذبحوا لألهتهن تذكراً لمراحمه تعالى ، وعبدوا البعل والعشتاروت وآلهة الكنعانيين

وغيرهم تذكارا لمراحمه تعالى ، وذبحوا أولادهم للأصنام تذكارا لمراحمه تعالى ، وجعلوا بيوت المأبونين عند بيت الرب تذكارا لمراحمه تعالى وخربوا بيت المقدس ونجسوه تذكارا لمراحمه تعالى ، وتمادوا على ارتداداتهم وأحوالهم المذكورة في المقدمة الخامسة تذكارا لمراحمه تعالى ، وأظرف من هذا كله أن المتكلف كان شاعرا بما في العهدين من تلويث قدس الأنبياء وخصوص المسيح بشرب الخمر فحاول أن يموه على البسطاء المغفلين ويلوث قدس خاتم المرسلين بشربها فتشبت لذلك بأخبار آحاد لم يتحقق سندها ولم يفهم مدلولها ، ولو أنها صحت وكانت لها مداخلة في اصول الدين لكانت أجنبية عن مقصوده الممتنع عليه.

فقال «يه ١ ج ص ١٣» ان محمدا شرب الخمر ، وذكر عن ابن عباس ان رسول الله «ص» أتى السقاية في مكة وقال اسقوني من هذا فقال العباس : ألا نسقيك مما في البيوت؟ فقال «ص» : لا ولكن اسقوني مما يشرب منه الناس فأتى بقدر من نبيذ فذاقه فقطب ثم قال هلموا وصبوا فيه الماء ، ثم قال : زد فيه مرة أو مرتين أو ثلاثا ، ثم قال إذا صنع أحد منكم هكذا فاصنعوا به هكذا.

وذكر عن ابن مسعود ان رسول الله «ص» عطش وهو يطوف بالبيت فأتى بنبيذ من السقاية فشمه ثم دعا بذنوب من ماء زمزم «أي دلو» فصب عليه ثم شربه فقال له رجل : أحرام هذا يا رسول الله؟ فقال لا.

وقد غفل المتكلف أو تغافل عن ان اسم النبيذ مأخوذ من النبذ وهو الطرح ، قد كان النبيذ على قسمين :

«أحدهما» أن يطرح الثمر أو الزبيب في الماء في الأواني التي تصبر على التماذي إلى أن يبلغ حد الإسكار كأواني الدبا وهو القرع اليابس والمزفت وهي أوان تطلّى بالزفت ، والختمة وهي أوان خزفية تدهن بالقلّى ونحوها فيترك زمانا طويلا الى أن يبلغ حد الإسكار.

«وثانيهما» ان ماء الحجاز كان مرا مضرا فيطرح فيه لمداواة طعمه وطبعه ما يتمكن الاعرابي منه في ذلك الزمان وهو قليل من الثمر فإن ترقى فالزبيب

بمقدار الكف أو أقل يطرحونه في السقاء غدوة فيشربونه عشيا ويطرحونه عشيا ، فيشربونه غدوة ، حينما يؤثر طعم التمر أو الزبيب في الماء حلاوة ما.

وقد تضافرت الاخبار الكثيرة بأن رسول الله «ص» كان ينهى عن نبيذ الدبا والمزفت والخنثمة بسبب أنه يصبر عليه حتى يبلغ حد الإسكار ، ويرخص في نبيذ الأسقية وهو أن يطرح في السقاء كف ونحوه من التمر أو الزبيب فيشرب في يومه أو صبيحة ليلته حينما يطيب طعم الماء بحلاوة التمر أو الزبيب لأن أسقية البيوت لا تحمل أن تشغل زمنا طويلا بالنبيذ ، ولا تقوى على بقاءه الى أن يختمر ويتعفن ويبلغ حد الإسكار.

انظر الى مسند أحمد وغيره من كتب الحديث ، فعلى المتكلف في تشبته بما ذكر من الحديثين ان صحافي الجامعة الإسلامية ان يعين دلالتهما على أن النبيذ المذكور فيهما كان من القسم المسكر المخمر لا الذي ذكرنا انه يطرح فيه قليل من التمر أو الزبيب لمحض تطيب طعم الماء على عادة أهل الحجاز.

ونحن نقول : ان المتعين كون النبيذ فيهما من هذا القسم ، لا القسم المسكر لوجوه : أولها : انه لو كانت في مكة مصانع للنبيذ المسكر كمصانع اوروبا لما وسعت كفاية الالوف العديدة من الحجيج في الأيام الكثيرة وهو يعطي مجانا لهم ، وكيف يقوى العباس على ذلك؟

وثانيها : ان السقاية في مكة كانت لإرواء الحجيج من العطش لا أنها حانوت خمار. **وثالثها :** ان هذه الواقعة إن كانت فإنما تكون بعد فتح مكة في أواخر أيام النبي «ص» ، ومقتضى الأخبار التي يذكرها المتكلف «يه ١ ج ص ٢٣ و ٢٤» ان الخمر حرمت في أوائل الهجرة.

وفي ما ذكره عن ابن مسعود ان رسول الله «ص» قال فيما شربه انه ليس بحرام ، مع ان حرمة النبيذ المسكر كانت حينئذ مقررّة معلومة في الإسلام.

ورابعها : الذي يكشف الحجاب ما صح نقله عن جعفر الصادق وهو الإمام السادس من أهل البيت حيث قال في نبذ السقاية : ان العباس كانت له حبله وهي الكرم ، فكان ينقع الزبيب غدوة فيشربونه بالعشي وينقعه بالعشي ويشربونه غدوة يريد أن يكسر به غلظ الماء على الناس .

وأما سر تقطيعه صلوات الله عليه في رواية ابن عباس فليس لأن النبيذ الذي اعطي له كان من القسم المسكر ، بل لأن حلاوة التمر والزبيب كانت زائدة على المتعارف من النبيذ الأسقية ، فان الحلاوة إذا ظهر أثرها مع مرارة الماء كانت من المهورات فزاد عليها من الماء إلى أن ردها إلى النحو المتعارف ، وأرشدهم إلى أن هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه هذا النحو من المشروب لإصلاح طعم الماء .

ولو تنزلنا وفرضنا ان النبيذ المذكور في الروايتين كان من القسم المسكر لكاننا دليلًا على أنه صلوات الله عليه كان يعاف المسكر ويشمئز ويقطب وجهه الشريف منه ولم يشربه حتى أخرجه عن موضوعه وصورته بإراقة الماء الكثير عليه ... أبهنا يتشبه الكاتب ويقول بملء فمه ومهوى قلمه ان رسول الله «ص» شرب الخمر .

وقد فات المتكلف الشنب فإن في أخبار الآحاد التي لا تقيم لها الجامعة الإسلامية وزنا ما يساعفه على مقصوده بعض المساعفة ، فقد روى في مسند أحمد ان رجلاً كان إذا قدم المدينة أهدي لرسول الله «ص» خمراً فقدم مرة ومعه زق خمر ليهديه إلى رسول الله «ص» فقبل له : ان الخمر قد حرمت ولكن ما ذا يعمل الوهم من هذا الخبر في مقابلة متواترات الآثار ومعلومات السير بأن قدس رسول الله لا تحوم حوله هذه الأوهام .

وقد جاء عنه صلوات الله عليه في مستفيض الحديث من طريق أهل البيت قوله «ص» : أول ما نهاني عنه ربي شرب الخمر وعبادة الأوثان ، وكفأك أن مشركي قريش والعرب قد تمحلوا في تكذيب رسول الله «ص» وكابروا الوجدان وغالطوا العيان بدعواهم انه صلوات الله عليه مجنون ولو أنه صلوات

الله عليه كان يمكن أن يرمي بشرب الخمر والمسكر لتيسر لهم أن يقولوا بلا مكابرة للوجدان ان ادعاءه «ص» للرسالة والوحي إنما هو من سورة الخمر وعريضة السكر وخيالات الخمار ، ولكنه كان صلوات الله عليه ولم يكن لقائل فيه مغمز ، فيا ذا الرشد والفكر الحر الذي لم يستأسر للعصبية والتقليد.

سألتك بفضيلة الصدق وشرف النفس هل كان من الرشد وأدب المكاتب أن يتغاضى هذا المتكلف عما لوثت به الكتب الإلهامية في نخلته قدس الأنبياء وخصوص المسيح بشرب الخمر وحضور مجلس السكر صريحا ويتشبث لتلويث قدس رسول الله بهذه الأوهام ، ولقد شذ بنا الكلام عن وضع المقدمة ولكنه بفضل الله لم يشذ عن إحقاق الحق والهدى إلى الرشد.

الفصل الثالث

في شأن ابراهيم وما قيل فيه

أما رسالته ففي القرآن الكريم بقوله تعالى في سورة الحديد ٢٦٠ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ ، وقوله تعالى في سورة مريم ٤٢ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ، وقوله تعالى في سورة البقرة ١١٨ : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ .

وأما دينه وإيمانه فيكفي فيه من القرآن قوله تعالى في سورة الانعام ١٦٢ ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

وأما كتابه وبعض مضامينه ، فقد أشار إليه بقوله تعالى في سورة النجم ٣٧٠ : ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ ٣٨ ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي﴾ وفي ٥٦ وفي سورة الأعلى عند ذكر بعض المضامين العالية ١٨ ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ .

وفي ثاني عشر التكوين (١) ، وقال الرب لابرام : اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك (٢) فأجعلك أمة عظيمة وباركك واعظم اسمك وتكون بركة ، (ومقتضى الأصل العبراني : وكن بركة) (٣) ، وبارك مباركيك ولا عنك اللعنة وتبارك فيك جميع قبائل الامم.

وفي سابع الأعمال عن قول استفانوس «٢ - ٤» ان هذا الخطاب كان

حينما كان إبراهيم بين النهرين في أرض الكلدانيين قبل ما سكن حاران.
وفي سابع عشر التكوين «٩ . ١٤» وقال الله لإبراهيم وجعل له شريعة الختان وعهده
ولذريته وخدمه وعبده.

وفي الثامن عشر عن قول الله (١٩) لأني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده أن
يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا.

وهذا هو حقيقة الرسالة في هذا المقام ، ويوضح أمرها ما في السادس والعشرين من
التكوين عن قول الله لإسحاق (٥) من أجل ان إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي
أوامري وفرائضي وشرائعي.

وفي العشرين من التكوين عن قول الله لأبي مالك (٧) ان ابراهيم نبي وفي العهدين
خليل الله «٢ أي ٢٠ : ٧ واش ٤١ : ٨ ويع ٢ : ٢٣».

وأما ما ذكر في شأنه فقد قال الله في القرآن الكريم في سورة الانعام ٧٥ ﴿وَكَذَلِكَ
نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ٧٦ ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ
رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ ٧٧ ، ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ
هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ٧٨ ، ﴿فَلَمَّا رَأَى
الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾.

قال المتكلف «يه ١ ج ص ٢٠» ان عبارة القرآن ناطقة بوقوعه «يعني ابراهيم» في
عبادة الاصنام.

فأقول : ان الآيات واضحة الدلالة على ان رؤية ابراهيم للكواكب وملكوت
السموات والأرض كانت أول رؤية منه لها فقال ما ذكره القرآن فأما ان يعتمد في ذلك على
ما روى من أن أمه ولدته في مغارة خوفا عليه من النمرود فلما ترعرع خرج من المغارة فرأى
الكوكب إلى آخر المذكور ، أو انها أول رؤية كانت في ابتداء تمييزه حال طفولته الذي التفت
به إلى عظمة شأن العالم العلوي وأجرامه وفضيلة اشراقها ونورها ، فان الله علم منه ان فطرته
السليمة في أول تمييزه قد أشعرته بأن له إلها صانعا وربا معبودا ، ولكنه بعد لم يوصله التدرب

بالنظر والتقدم بالتمييز إلى حق المعرفة ليقف عندها على اليقين ، ف ﷻ ولطف به وأراه ملكوت السموات والأرض ليكون بالتدبر والتدرب في النظر من الموقنين بالله ، فصار ينظر عند رؤيتها بالنظر الصائب ، ويسير متدرجا إلى حق المعرفة على جادة الصواب فأدرك فضل العالم العلوي على السفلي ، ثم أدرك فضل النير على غيره ، فإذا رأى الكوكب النير وقفت به الطفولية وعدم التقدم بالتمييز عنده فلما أفل الكوكب سدده فكره فقال : لا أحب الآفلين ولا يكون الإله متغيرا ، ولما رأى القمر بازغا مشرقا يفوق نوره نور الكوكب وقفت به الطفولية أيضا فلما أفل أدرك انه ضال في نظره ، فطلب الهدى من إلهه : فلما رأى الشمس بازغة بنورها الباهر وقفت به الطفولية أيضا ، فلما أفلت أوصله التدبر إلى الحق اليقين من العرفان وخالص الإيمان ، حتى لم يمحض له يومان من أول تمييز الطفولية.

ويمكن ان يكون وقوفه المذكور وقوف شك وحيرة واستعلام فيكون قوله : هذا ربي على سبيل الاستفهام ، وقد اسقط حرف الاستفهام من الآيات جريا على المتعارف من لسان العرب ، كما يشهد له الكثير من شعرهم ونثرهم ، والأقرب ان وقوفه المذكور كان وقوف فرض وتقدير إلى أن يحصل له من النظر ما يكشف عن الحق المبين ، وعلى كل حال لم يقع من إبراهيم الشرك القبيح المعاقب عليه حتى لو قلنا : بأن ما ذكرناه في شأنه كان في زمان مهلة النظر عند أول التكليف بالمعرفة ، فإن الإنسان لم يخلق عارفا بالله من أول أمره ، بل جعل الله له النظر لتحصل له فضيلة الجهاد في سبيله.

فإن قلت : من أين لك هذه الوجوه في الآيات؟ وهل هي إلا احتمال وتخمين؟.

«قلت» : يدل عليها سوق الآيات والمتكرر في القرآن من قوله تعالى في وصف

إبراهيم **﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**.

ثم أقول : هب ان هذه الوجوه احتمالات لا دليل عليها ، ولكن مع قيامها كيف

يتجه للمتكلف أن يقوم غير متأثم ان عبارة القرآن ناطقة بوقوع إبراهيم في عبادة الأصنام.

وقال الله تعالى في سورة البقرة ٢٦٢ : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ .

فقال المتكلف في هذا الشأن «يه ١ ج ص ٢٠ س ٤» القرآن ناطق بأنه يعني ابراهيم شك في قدرة الله.

أقول : ليت شعري أين سمع المتكلف وبصره وقلبه عن قول ابراهيم بلى ولكن ليطمئن قلبي ، أفيشك عاقل بأنه إذا اجتمع العقل والحس على أمر كان أوقع في النفس وأثبت في الاعتقاد وأدخل في الاطمئنان من المعقول الصرف ، وصريح الآية ان ابراهيم كان يطلب هذه المرتبة من الاطمئنان والإيمان الكامل ، وان كان إيمانه بقدرة الله ثابتا ، ولأجل إيمانه وخلوص بيته في طلب الاطمئنان ، وأكمل أفراد الإيمان أعطاه الله مراده فقال تعالى له : خذ أربعة من الطير فصرهن إليك الآية.

فانظر يا ذا الرشد والفكر الحر إلى ما ذكرناه في القرآن الكريم وإلى ما في الخامس عشر من التكوين (٧) وقال له : «أي الله لإبراهيم» أنا الرب الذي اخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها (٨) فقال أيها السيد الرب بما ذا أعلم اني أرثها؟ وقل أي المقامين أولى بأن يكون شكاً في قدرة الله وصدقه في وعده.

فهل هو ما ذكر في القرآن الكريم من طلب ابراهيم الاطمئنان وأعلى مراتب الايمان زيادة على إيمانه المطلوب في شأن المعاد العظيم أمره؟ أم هو ما ذكر في التوراة في شأن اعطاء الله أرض الكنعانيين لابراهيم ليرثها فقال ابراهيم : بما ذا أعلم اني أرثها؟ فإنه صريح في انه لا يحصل له العلم بمجرد قول الله بل يحتاج في ذلك إلى شاهد يوجب له العلم بقدرة الله على ذلك أو صدقه في وعده مع ان اعطاء الأرض لقوم بدل آخرين أمر سهل على التصديق.

ثم انظر أيضا استطرادا وتتميما لمتعلقات المقام في انتظام البرهان المذكور في القرآن على إحياء الموتى لأجل اطمئنان ابراهيم ومناسبته للمبرهن عليه بقوله

تعالى : ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً﴾ ، حيث أقام جل شأنه الحجة الحسية على إحياء الموتى بعد تفرق أوصالهم بإحياء الطيور بعد موتها وتفرق أوصالها على النحو العجيب والاعجاز الباهر.

وأمعن النظر في البرهان المذكور في خامس عشر التكوين ليحصل العلم لآبراهيم بصدق وعد الله له بأنه يرث أرض كنعان وقدرته على ذلك (٩) فقال له : خذ عجلة ثلثية ، وعنزا ثلثية ، وكبشا ثلثيا ، وبعرة وحمامة (١٠) فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه ، وأما الطير فلم يشقه (١١) فنزلت الجوارح على الجثث فكان أبرام يزرعها.

وقل : ما ذا يفهم من مداليل هذه الفقرات من حاصل أمر الله وبرهانه على صدقه في وعده وقدرته وأي نتيجة فيها مناسبة للمقام ، أفلا تجدها حكاية بترء لا يفهم لها أول من آخر ، ولا حاصل ولا فائدة ، أفهكذا كلام الله العليم الحكيم؟

هذا وأما ما تشبث به المتكلف «يه ١ ج ص ٢٠ س ٧» من الرواية عن قول رسول الله نحن أولى بالشك من إبراهيم ، فيكفي في ردها مخالفتها لنص الكتاب بإيمان إبراهيم في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ فهذه الرواية كلا شيء.

وقال الله تعالى في سورة الأنبياء ٦٣ : ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٤ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

فقال المتكلف : «يه ١ ج ص ٢٠ س ٧» ، ورد في القرآن انه «يعني إبراهيم» كذب.

قلنا : ان قول إبراهيم بل فعله كبيرهم لم يخرج مخرج القطع والاخبار الجدي ، بل هو للتوبيخ والتبكيت إذ هو معلق على قوله إن كانوا ينطقون وحاصله توبيخ المشركين على عبادة الاصنام ، ومعناه ان أصنامكم إن كانوا ينطقون ويملكون حراكا فقد فعله كبيرهم إذ لا وجه لنسبة هذا الفعل إلى دونه

مع عدم المشاهدة وإن كانوا جمادا فلم تعبدون جمادا لا ينطق؟
ومن المعلوم ان الخبر المعلق على أمر يعلم المتكلم والمخاطب انه غير واقع ليس خبرا
جديا حتى يقال انه صدق أو كذب.

«فإن قلت» : ان هذا احتمال محض في الآية ، «قلت» : أولا كونه احتمالا كاف
في بطلان قول المتكلف وورد في القرآن ان ابراهيم كذب.

«وثانيا» ان دلالة العقل والنقل على عصمة النبي تعين دلالة الآية عليه ، وكونه المراد
منها خصوصا مع صلاحية التركيب بدون تجوز أو خروج عن القانون.
وأما الرواية التي ذكرها المتكلف في كذب ابراهيم ثلاث مرات فلا يصح بها الجدل
للمسلمين لما ذكرناه في المقدمة السابعة.

وقال الله تعالى حكاية عن ابراهيم في سورة الصافات ٨٦ : ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ
٨٧ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ ، وقد تشبث المتكلف هاهنا «يه ١ ج ص ٢٠» برواية استنتج منها
ان ابراهيم فعل حراما بنظره في علم النجوم وكذب بقوله اني سقيم.

ولا يخفى ان الرواية لا يصح بها الجدل للمسلمين في جامعتهم بحكم المقدمة السابعة
، أما الآية الاولى فلا تدل إلا على أن ابراهيم نظر نظرة في النجوم لا في علمها الذي لا
يعلم انه هل كان في زمانه محرما حتى عليه أم لا ، ولعلما كان نظره في النجوم نظر تفكر
وتأمل في شأنه كما هو المعتاد للمتفكرين في شئوهم من نظرهم إلى السماء وإلى الأرض ونحو
ذلك ، كما يحكى عن المسيح لما أثاره اليهود بالزانية ليرجمها انحنى إلى الأسفل وكان يكتب
باصبعه على الأرض «يو ٨ : ٦».

وأما قوله : اني سقيم فمن أين يعلم من القرآن انه كان كذبا ، ولما ذا لا يحمل على
حقيقته.

وفي الثامن عشر والعشرين من التكوين ان ابراهيم قال عن سارة امرأته

أنها اخته لكن العشرين من التكوين عن قول ابراهيم (١٢) وبالحقيقة أيضا هي اختي ابنة أبي ، غير أنها ليست ابنة امي فصارت لي زوجة. وعلى ظاهر هذا لم يكذب بقوله أنها اخته ، نعم قوله أنها اخته وسكوته عن جهة الزوجية خصوصا مع شهادة المقام بإنكار كونها امرأته ، وتعرضها لطمع الغير فيها يمكن أن يكون مما أباحته ضرورة الوقت لابراهيم حفظا لنفسه ، أو أنه كذب على الوحي لعصمة ابراهيم.

الفصل الرابع

في ذكر إسحاق وما جاء في شأنه

أما نبوته فيكفي فيها من القرآن الكريم قوله تعالى في سورة مريم ٥٠ ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ ، وفي سورة النساء ١٦١ : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ .

وفي السادس والعشرين من التكوين «٢ و ٢٤» ان اسحاق ظهر له الله وكلمه بما كلمه .

وأما ما ذكر في شأنه ففي السادس والعشرين من التكوين (٧) انه قال عن امرأته انها اخته وهو خلاف الواقع لأنها بنت ابن عمه بتوئيل ابن ناحور من ملكه بنت هاران «تك ١١ : ٢٩ و ٢٥ : ٢٠» وكان هذا القول منه مخافة من القتل فيمكن أن يكون جائزا لضرورة الوقت .

ولا يمكن أن يكون كذبا على الوحي لما ذكرناه من عصمة النبي ، وعلى هذا فلا وجه للوقية بقدس إسحاق لأجل هذا لإمكان أن يكون مباحا لضرورة الوقت ، ولما ذا لا يكون ذلك في أقل الأمر احتمالا مانعا لأهل الكتاب عن الاقدام على قداسة الأنبياء الصالحين ، أفلا ترى ما نقله في إظهار الحق عن القسيس وليم اسمت من علماء بروتستنت في كتابه المسمى بطريق الأولياء وكيف قد أطلال لسانه على ابراهيم واسحاق من أجل ما نقل عنهما من قولهما عن امرأتهما انهما اختاهما .

فقال في شأن ابراهيم ص (٩٩) لعل ابراهيم لما انكر كون سارة زوجة له في المرة الاولى عزم في قلبه انه لا يصدر منه مثل هذا الذنب لكنه وقع في شبكة الشيطان السابقة مرة اخرى بسبب الغفلة.

وقال في شأن اسحاق ص (١٦٨) زل إيمان اسحاق لأنه قال لزوجته : انها اخته وص(٦٩) يا أسفا انه لا يوجد كمال في واحد من بني آدم غير الواحد العديم النظير ، والعجب ان شبكة الشيطان التي وقع فيها ابراهيم وقع فيها اسحاق أيضا ، وقال عن زوجته: انها اخته فيا أسفا ان أمثال هؤلاء المقربين عند الله يحتاجون الى الوعظ.

وقال المتكلف «يه ١ ج ص ١٩» في شأن ابراهيم ولا ينكر انه ترك الاولى لضعف الطبيعة البشرية ، فالمولى سبحانه وتعالى هو الكامل وحده والنقص ملازم لكل إنسان مهما كان.

وقال في شأن اسحاق ص (٢١) فإذا كان هذا حال خليل الله وانه لم يسلم من الكذب فلا عجب إذا وقع اسحاق في ذات هذه الخطيئة فلم يقو على التجربة لضعف الطبيعة البشرية.

فأقول : ليت شعري إذ بنوا على صحة هذه القصص وانها من الوحي الصادق ، فلما ذا لم يحتملوا ان مثل هذا الكذب كان على وجه من الضرورة بحيث يكون مباحا أو واجبا على مثل ابراهيم واسحاق حفظا من الهلكة والقتل لنفس النبي الذي يفدى بجملته الناس. هب انه لا يجوز مثله في شرعنا ولكن لما ذا لا يكون مباحا في شرع ابراهيم واسحاق خصوصا مع قولهم لم تكن شريعة للقدمات قبل موسى فينحصر تحريمه عليهم بحكم العقل بقبح الكذب وان قبحه مع الضرورة وخوف القتل على النبي غير معلوم ، ولما ذا لا يحتملون ذلك فيتقون الله من الوقعة في قدس الأنبياء.

أفيقولون : ان الكذب بحسب كل حال وكل شريعة لا يمكن أن يكون غير قبيح وجائزا أو واجبا لأجل بعض الضرورات والدواعي الراجحة ، إذا

فكيف أمر الله موسى وشيوخ بني اسرائيل بمقتضى نقل التوراة الرائجة أن يكذبوا على فرعون ، ويقولون له : ان إله العبرانيين التقانا فالآن نذهب سفر ثلاثة أيام في البرية لو نذبح للرب إلهنا «خر ٣ : ١٨» فعمل موسى بهذا الأمر وزاد على قول الله بقوله لئلا يصيبنا بالوباء أو بالسيف «خر ٥ : ٣» وبقوله : لأن لنا عيدا للرب «خر ١٠ : ٩» ، مع أن الغرض الحقيقي والموعود بين الله وموسى غير هذا بل هو ذهاب بني اسرائيل إلى أرض الموعد أرض الكنعانيين وما والاها وخلصهم من عبودية المصريين «انظر إلى ثالث الخروج أقلا ٨ و ١٧».

وكأني بالمتكلف وغيره يقول : ان الغرض من سفر الثلاثة أيام ليس على ما هو المعروف من هذا التركيب ، بل المراد منه السفر الذي تقطع مسافته بالسير المتوالي الدائم في اثنين وسبعين ساعة مثلا وهو صادق على السفر إلى أرض الموعد فإن أقرب أرض الكنعانيين إلى رعمسيس منزل بني اسرائيل في مصر لا يزيد مسافته عنها على الستين فرسخا ، أي مائة وثمانون ميلا اعتياديا بكثير.

«قلت» : لئن ساءلناهم في صدق ذلك وجاز من الله وموسى أن يريدوا هذا الغرض المعنى من هذه العبارة البعيدة عنه جدا في المحاورات لأجل التعمية على فرعون وان فهم من الكلام ما هو المتعارف منه مما يخالف المراد فلما ذا لا يجوز لإسحاق أن يعنى مراده بقوله عن امرأته انها اخته ويريد انها اخته من حيث القبيلة والاتصال بالنسب كما سمى الادومي أخا للإسرائيلي باعتبار اجتماعهما في النسب بعميسو ويعقوب في إسحاق «تث ٢٣ : ٧».

دع هذا وقل : كيف جاز للمسيح أن يقول لاختوته حيث لم يكونوا يؤمنون به اصعدوا أنتم إلى هذا العيد ، أنا لست اصعد بعد الى هذا العيد لأن وقتي لم يكمل بعد ثم صعد الى ذلك العيد بالخفاء «يو ٧ : ١٠ - ١١».

وأما قول طريق الأولياء : لا يوجد كمال في واحد من بني آدم غير الواحد العديم النظير.

فأقول فيه : ويا أسفا ويا ليت كتبكم المنسوبة إلى الإلهام تركت قدس هذا الواحد عن التلويت ، كما سنذكر بعضه في الفصل الخامس عشر في عصمة

وفي السابع والعشرين من التكوين (٢٥) ان يعقوب أحضر لإسحاق أبيه خمرا فشرّب.

أقول : قد تقدم في الفصل الثاني في عصمة نوح ما يتعلق باضطراب المتكلف وتناقض العهدين في مسألة شرب الخمر.

فإن قال المتكلف هنا كما قال في شأن نوح ان اسحاق شرب الخمر ولما أفاق تاب من هذه الخطيئة ولم يعد.

قلنا له : يا أيها الكاتب الماهر أين توجد توبة اسحاق من العهدين؟.

الفصل الخامس

في نبوة يعقوب وما قيل في شأنه

أما نبوته فيكفي فيها من القرآن الكريم النص عليها مع نبوة أبيه اسحاق كما تقدم في أول الفصل السابق.

وفي الخامس والثلاثين من التكوين (١) قال الله ليعقوب (٩) : وظهر الله ليعقوب (١٠) وسماه اسرائيل (١١) وقال له : وكذلك «تك ٢٨ : ١٣».

وأما ما ذكر في شأنه ففي السابع والعشرين من التكوين ما ملخصه ان اسحاق أمر عيسى ابنه البكر ان يذهب الى البرية ويتصيد له صيدا ويصنع له اطعمة كما يجب ليباركه قبل ان يموت ، فلما ذهب قام يعقوب بمشورة أمه رفقة واخذ من الغنم جديي معز وصنع لأبيه طعاما ولبس ثياب عيسى الفاخرة وألبس يديه وملاسه عنقه جلود جديي المعز ليزور على أبيه ان رقبته ويديه مشعرة على ما كانت عليه رقبة عيسى ويداه وتقدم لأبيه وقال كذبا : أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتني قم اجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك ، وأحضر له خمرا فشرب وقال اسحاق : هل أنت هو ابني عيسو؟ فقال يعقوب أنا هو فباركه اسحاق ، ومن جملة البركة ان دعا له بكثرة الخنطة والخمر فاستعمل يعقوب بمقتضى التوراة الرائجة هذا الخداع والتزوير وكذب على أبيه أكثر من أربع مرات حتى أوقعه مع كبر سنه وذهاب بصره في أذى الارتعاد العظيم جدا حيث علم بالخديعة «تك ٢٧ : ٣٣».

أقول : قد قدمنا لك في الباب الأول من هذه المقدمة ما يدل بأوضح دلالة على أن مثل هذه المخادعة والتزوير والكذب المتكرر على الأب النبي العاجز الكال البصر مناقضة لورود النبوة على يعقوب خصوصا مع دلالة هذا العمل المذكور عنه على ضعف الإيمان والمعرفة بالله بسبب البناء على أن بركات الله التي هي من مفاتيح النبوة وسلسلة عهده مع ابراهيم تستلزم من الله ونبيه اسحاق بمثل هذه المخادعات والتزويرات القبيحة ، فلا بد من القول بكون هذه الحكاية ليست من الوحي ولا صادقة مضافا إلى سخافتها في نفسها ومنافاتها لجلال الله الحكيم الغني علام الغيوب لأنه إن فرضت هذه البركة وما يتبعها من الشئون العظيمة مقدرة من الله ليعقوب ، كما عن وحي ملاخي عن قول الله أحببت يعقوب وأبغضت عيسو «مل ، ١ : ٢ و ٣» ، وكما عن الوحي لأمهما من قول الرب لها وهي حبلى بهما ، ان الكبير يكون عبدا للصغير «تك ٢٥ : ٢٣ ورو ٩ : ١١ و ١٢».

سألنا أهل العقول السليمة انه هل يصح في حكمة علام الغيوب أن يقدر هذه البركة التي هي زمام النبوة أو نفسها لمن تنسب له هذه المخادعات والتزويرات والأكاذيب الناشئة عن ضعف الإيمان والمعرفة بالله أو عدمهما كما ذكرنا ، مع أن اللسان الكاذب مكرهة للرب «١ م ٦ : ١٦ و ١٧» وكراهة الرب شفتا كذب «أم ١٢ : ٢٢» ، وكيف يجتمع هذا مع كون الله أحب يعقوب؟

وأيضا في التاسع عشر من الأمثال (٥) المتكلم بالأكاذيب لا ينجو (٩) المتكلم بالأكاذيب يهلك.

قل فكيف قدرت له هذه البركة العظيمة «انظر تك ٢٧ : ٢٧ - ٣٠».

هذا وان فرض أن أمر هذه البركة موكول الى جعل إسحاق وأنها تكون حيثما يجعلها سواء كان مخدوعا أو مختارا.

سألنا أيضا أهل العقول السليمة كيف يوكل الله العليم الحكيم أمر هذه البركة مع عظيم شأنها إلى جعل اسحاق ، مع ان اسحاق أراد وعزم وجزم على

أن يجعلها لعيسو مبغوض الله ثم جعلها توها وانخداعا بالكذب ليعقوب بتوهم انه عيسو
فاتبع الله اسحاق على وهمه ، أفيعجز الله عن جعل البركة في محلها ولا يعلم حيث يجعل
رسالته؟.

أفيغفل العاقل عن كون هذه القصة خرافة مخالفة للعقل ، مجعولة مكدوبة على
الوحي؟.

الفصل السادس

في نبوة يوسف وما جاء في شأنه

أما نبوته فيدل عليها من القرآن الكريم ذكر الله له في عداد الأنبياء الذين فضلهم على العالمين من ذرية ابراهيم «انظر سورة الانعام ٨٤ - ٨٦ ونص على نبوتهم بقوله تعالى ٨٩: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾.

وأما ما جاء في شأنه فقد قال الله تعالى في سورة يوسف في شأنه مع امرأة العزيز ٢٤ ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

فقال المتكلف «يه ١ ج ص ٥» ان القرآن نسب ليوسف ما هو منزله عنه بقوله : ولقد همت به وهم بها أي قصدت مخالطته وقصد مخالطتها.

قلت أولا : من أين للمتكلف أن المراد قصد مخالطتها ولما ذا لا يكون المراد انه هم بها ضربا ونحو ذلك من وجوه المدافعة عن قداسته.

«وثانيا» ان قوله تعالى : ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ معلق على عدم رؤيته لبرهان ربه الذي هو العصمة. فمعنى الآية انه لو لا أن رأى برهان ربه وكان معصوما لهم بها لأجل وجود الدواعي الكثيرة من شبابه وجمال المرأة ورغبتها فيه وخلو المكان والفتها.

ولعل المتكلف إنما لم يذكر في نقله للآية تتمتها ، وهو قوله تعالى : ﴿لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ لأجل التفاته ، إلا أن التتمة تنقض غرضه خصوصا ما في

التتمة من قوله تعالى : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾
سيما وقد حكى الله عنه قبل الآية المذكورة قوله : ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾.
وحكى جل شأنه عن المرأة ٣٢ ﴿رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاِسْتَعْصَمَ﴾ ٥١ ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ
نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فصراحة القرآن تدل على نزاهة يوسف في هذه الحادثة مطلقا.

الفصل السابع

في رسالة موسى وما قيل في شأنه

أما رسالته في القرآن الكريم فغنية عن البيان ، ويكفي مما يدل على بعثته ورسالته وكتابه ومعجزاته ودعوته ما اقتضه الله جل شأنه في سورة الاعراف ١٠١ . ١٥٥ . ولا حاجة إلى بيان رسالته من العهدين فإنها العنوان والأساس لهما.

وأما ما قيل في شأنه فقد قال الله جل اسمه في شأنه في سورة القصص ١٤ ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

فقال المتكلف «يه ١ ج ص ٤١» فقتل القبطي مع انه لم يكن ذلك مباحا له ولم يكن قتله على سبيل الخطأ بل كان قتل عمد وعدوان لقوله هذا من عمل الشيطان. وقوله : ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ وقوله في سورة الشعراء ١٩ : ﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِّينَ﴾. أقول : لا يخفى ان بني اسرائيل حينئذ كانوا مؤمنين بالله موحدين له يعرفونه باسمه المقدس (اهيمه الذي ااهيمه. ويهوه إله ابراهيم واسحاق ويعقوب) وهم شعب الله «انظر إلى ثالث الخروج» وأبناء الله أي أولياءه «خر ٤ : ٢٣»

وكان المصريون مشركين يعبدون البهائم «خر ٨ : ٢٦».

فلما رأى موسى الذي من شيعته في الدين مع الذي من عدوه في الدين يقتتلان حسن منه دفاع المشرك عن الموحد فوكزه فقضى عليه. ولا يتبين من الآية انه وكزه ليقتله بل سوقها يعطي انه أراد به مجرد الضرب للدفاع فصادف قتله خطأ فيجوز في نفس الواقعة أن يكون دفاع موسى للقبطي جائزا ، ويجوز أيضا أن يكون قتله جائزا ولو لأجل دفاع عابد الوثن عن الموحد خصوصا والعادة تقضي أن يكون القبطي هو الظالم المعتدي لكون بني اسرائيل حينئذ تحت عبودية المصريين القاسية وهذا الدفاع والقتل كان على حين غفلة من أهل المدينة يمكن ستره في وقته بحيث لا يتعقبه ضرر فعلي ليكون حراما من هذه الجهة ، ولكن كان الأفضل لموسى تركه ستر على نفسه المقدسة أو على بني اسرائيل من تحسس المصريين وتهمتهم أو اخبار الإسرائيلي إذا غضب وساء خلقه ، فلما مات القبطي وعلم موسى انه وقع في خلاف الأفضل قال انه من عمل الشيطان يعني اغواء المصري على العدوان أو اغواء الإسرائيلي على المقاومة أو إقدامه على خلاف الأفضل ليشير الشيطان شر المصريين على بني اسرائيل فقال على وتيرة الصديقين الذين يفزعون من تركهم الأفضل ﴿رَبِّ إِنْ ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ ليعود إلى مقامه الرفيع يغفر له. وأما قوله ﴿فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِّينَ﴾ فلا دلالة فيه على أنه فعل حراما لأننا قد قدمنا في الفصل الثاني من عصمة نوح أن المعنى الموضوع له لفظ الضلال بل والمستعمل فيه غير مختص بمعصية الله ومخالفة أمره ونهيه اللازمين بل هو إضاعة الطريق ويختلف باختلاف متعلقه.

ومن الواضح أن النبي بعد أن يهديه الله بنور النبوة إلى الحق اليقين. ويكشف له بمشاهداتها عن أسرار اللاهوت والملكوت يرى أنه كان قبلها كالميت الذي أحياه الله.

والجماد الذي نعشه بروح القدس فيحقق له أن يصف حاله فيما قبلها بالضلال الذي هو إضاعة الطريق عما اهتدى إليه بنور الوحي.

فالظاهر من سوق الآية وما قبلها ان موسى لما أخبر فرعون بأنه رسول

رب العالمين وأمره بأن يرسل معه بني اسرائيل ألقى عليه فرعون جملة من الكلام تتضمن أمرين «أحدهما» الامتنان عليه بتربيتهم وايوائهم له «وثانيهما» التهكم على دعواه الرسالة وإنكارها بأنهم هم الذين ربوه من الطفولية ولبث فيما بينهم سنين من عمره وآخر أمره كفر نعمتهم وفعل فعل الأشرار فقتل منهم نفسا فمتى جاءته النبوة فأجاب موسى ﷺ بما معناه اني في آخر مكثي معكم حينما فعلت الفعلة وقتلت النفس لم أكن رسولا بل كنت من الضالين عن هدى الرسالة إلى الحق اليقين ، ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين.

وأما التربية والمكث بينكم فقد كان ذلك من آثار استعبادكم القاسي لقومي المؤمنين أولاد الأنبياء ، فتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل «انظر سورة الشعراء ١٥ - ٢٢» ، وهب ان ما ذكرناه مع وضوحه احتمالا في الآيات والواقعة ، فلما ذا لا يمنع المتكلف من أن يقول جازما ان قتل موسى للقبطي لم يكن مباحا ولم يكن خطأ بل كان قتل عمد وعدوان.

وقال الله تعالى في سورة الشعراء حكاية عن موسى لما أرسله إلى فرعون ١١ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ١٣ وَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾.

فقال المتكلف «يه ١ ج ص ١٤» ان هذا يدل على أنه لما أمر الله موسى اعتذر عن التوجه بسبب العقدة التي في لسانه وقتله أحد المصريين فطلب من المولى أن يرسل إلى أخيه هارون بأن يبلغ الرسالة والقصة مأخوذة من التوراة وإنما دأب القرآن الاستخفاف بالخطايا فلم يذكر غضب الله على موسى كما ذكرته التوراة ، فموسى ترك الأفضل.

أقول : ليس في الآيات شيء من الدلالة على اعتذار موسى عن التوجه إلى ما ارسل إليه ، وإنما كان كلامه هذا حرصا على حصول الغرض من رسالته وطلباً لليقين بحصوله بإبداء الموانع منه ، ولم يطلب تحويل الرسالة عنه إلى هارون إذ لا دلالة في قوله : ارسل إلى هارون على طلب الاستبدال به بل غاية

ما يدل على طلب الرسالة لهارون ، وان الموارد الاخر من القرآن لتشهد بأنه طلب الرسالة لهارون معه ليكون ذلك أنجح لحصول الغرض ، فقد حكى الله عنه في سورة القصص قوله ٣٤ : ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ٣٥ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ وفي سورة طه ٣٠ ﴿وَجَعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ٣١ هَارُونُ أَخِي ٣٢ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ٣٣ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ ٣٦ . ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ . بل يدل في خصوص المورد ما تقدم من قوله تعالى : «كلا» أي لا تخف من القتل ولا يصلون إليك بسوء فاذهبا بآياتنا فإن قوله تعالى : ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ دال بواسطة الفاء التفرعية على أن الأمر بذهابهما معا إجابة لمطلوب موسى وإيتاء لسؤله بقوله : «فارسل إلى هارون» وكاشف عن أن المطلوب لموسى هو إرسال هارون معه لا الاستبدال به .

ولئن تنزلنا قلنا لذي المعرفة : أفلا يكون ما ذكرنا في دلالة الآيات احتمالا يمنع المتكلف عن جزمه في دعواه ولكنه قد امتلأ سمعه وقلبه من صراحة التوراة الرائجة في نقلها استعفاء موسى من الرسالة بلسان غير لين ولا موافق للأدب فصار يحمل ذلك على عاتق القرآن وحاشا وكلا . ففي رابع الخروج (١٠) فقال موسى للرب : استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول أمس ولا من حين كلمت عبدك ، بل أنا ثقيل الفم واللسان (١١) فقال له الرب : من صنع للإنسان فما أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرا أو أعمى؟ أما هو أنا الرب (١٢) فالآن اذهب وأنا اكون مع فمك واعلمك ما تتكلم به (١٣) فقال استمع أيها السيد ارسل بيد من ترسل (١٤) فحمى غضب الرب على موسى وقال : أليس هارون اللاوي أخاك أنا أعلم انه هو يتكلم الى آخره .

وانك لترى ان سوق الكلام القول المنسوب الى موسى أخيرا : «استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل» يعطي ما معناه اني لا أعتمد على هذا الوعد ولا أصغي الى هذه الحجة ، بل اختر لرسالتك رسولا غيري . وحق أن يحمي غضب الله لذلك اللهم اني أعوذ بك أن انسب مثل هذا لقدس رسولك

وكليمك موسى. وأن انسب لجلال وجهك أن ترسل من يرد عليك بمثل هذا الرد.

وأما قول المتكلف فيما تقدم من كلامه إنما دأب القرآن الاستخفاف بالذنوب فنقول فيه : ان القرآن الكريم كلام الله العليم الحكيم لم يجر على مجرى العهدين الرائجين في الوقعة بقدس موسى والأنبياء ونسبة فضائح الذنوب والكفر إليهم كما سنذكر بعضه في هذه المقدمة إن شاء الله ولم يكن القرآن ليجمع على العقل والنقل بين المتناقضين وهما الرسالة وقبائح الذنوب.

وأما قوله : ان موسى ترك الأفضل فهو من الطرائف أفما ذكر عنه في التوراة في خطابه مع الله يعد من ترك الأفضل ، أو أن ترك الأفضل يستدعي غضب الله ، ولعل المتكلف سمع من المسلمين بلفظ ترك الأفضل ولم يصل الى حقيقة المراد منه.

وأما ما ورد في القرآن الكريم في سورة الكهف ٦٤ - ٨٢ في الحكاية عن شأن موسى والرجل الذي آتاه الله شيئاً من علم الغيب من قوله تعالى : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ الى قوله تعالى : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ فقد حاول المتكلف «يه ١ ج ص ٤٢» أن يجعل فيه قدحاً بقدس موسى وأنى له ذلك.

ولنكشف نقاب الغفلة عن وجه هذه الآيات ، فلا يذهب عليك ان الله جلت عظمتة وعظمت آلاؤه قد قسم رحمته وفضله على عباده حسبما اقتضته حكمته في خلقه فأنعم على هذا العبد الصالح الذي يقال انه الخضر بشيء من علم الغيب وأسرار الحقائق ، وأنعم على موسى كليمه فخصه في ذلك العصر بسيادة الرسالة بالشرعية وحقائق العرفان بالله وقوانين السياسة المدنية والسيطرة على تربية الناس وتأديبهم على ذلك بالدعوة إليه والاجراء له حسب فرصة الوقت من الاجراء بالقول والفعل وعلى حكمة التمدن من مراعاة ظاهر الحال وحجبه عن علم الغيب الذي لا ميسر له بحكمة وظيفته ، فلما اجتمع موسى مع ذلك العبد الصالح طلب منه أن يطلعه على شطر مما منحه الله من علم الغيب ولم يتواطأ على أن يكون كل ذلك بأسرار الأفعال الجارية بحسب

ظواهرها على خلاف الشريعة التي جعل تبليغها وسيطرتها لموسى ، فكان العبد الصالح يفعل الأفعال على مقتضى حقائقها وأسرارها الغيبة ، وكان موسى يعترض فيها على مقتضى وظيفته في القوانين الشرعية والسياسات المدنية.

ولم يظهر من القرآن ان موسى كان مدعنا بعصمة ذلك العبد الصالح في جميع أفعاله عن الخطأ والجهل ليكون الاعتراض من موسى عليه منافيا للإدعان بعصمته فيسوغ لموسى السكوت عما يخالف ظاهرة الشريعة إلى ان يخبره بسر الغيبي ، ولم يظهر من القرآن ان ذلك الرجل كان رسولا واجب العصمة. نعم يظهر من القرآن ان موسى كان معتقدا بصدقه في دعواه بأن ما صدر من أفعاله المشار إليها إنما هو لكشف غيبي ، ووصول إلى حقائقها لا لغفلة أو خطأ في شريعتها.

هذا ويجوز أن يكون اعتراض موسى على وجه الاستعلام عن الحقيقة والاستكشاف لغيبتها ، ويكون قوله شيئا أمرا وشيئا نكرا ، إنما هو بحسب مزاعم الناس الذين لا يعلمون بحقيقة الرجل وإطلاعه على بعض الغيب فلا ينبغي لغير المتسرع في غفلاته أن يتوهم في دلالة الآيات شيئا من القدح بقدس موسى.

ثم قال المتكلف في هذا المقام «يه ١ ج ص ٤٢» والظاهر أن محمدا أخذ هذه القصة من أقوال أهل عصره أو من خرافات اليهود فإنه لا وجود لها في التوراة التي هي أقدم كتاب في الدنيا.

قلت : من أين للمتكلف حصر الحقائق والوقائع التاريخية بما ذكر في التوراة ، ومن أين له ان التوراة أقدم كتاب في الدنيا؟ أفتقبل هذه الدعاوى الكبيرة بلا برهان مقبول؟ وكأن المتكلف لا ينزه القرآن من الخرافات حتى يذكر ما في التوراة من خوف الله من آدم أن يأكل من شجرة الحياة لأنه صار مثل الله في معرفة الخير والشر «انظر تك ٣ : ٢٢».

وأكل الملائكة من الزبد واللبن والعجل الذي قدمه لهم ابراهيم «تك ١٨ : ٨».

ومصارعة يعقوب مع الله حتى انه لم يقدر على يعقوب فطلب منه أن يطلقه فلم يطلقه حتى باركه «انظر تك ٣٢ : ٢٢ . ٣٠».

ومخادعة صفوره لله حين التقى موسى وطلب أن يقتله بعد أن أرسله ووعدته «انظر خر ٤ : ٢٤ . ٢٧» ، وفي هذا المقدار كفاية فإن الإكثار منه يخرج عن حد البحث إلى سوء القالة.

وأما قوله تعالى في سورة الشعراء ٤٢ ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى اَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ فلم يكن قول موسى فيه لسحرة فرعون اذنا في السحر أو بعثا عليه ليكون قد فعل حراما بذلك كما زعم المتكلف ، بل إنما حقيقته اختياره التأخر في إلقائه العصا عما صمموا عليه من السحر بإلقاء حبالهم وعصيهم ، كما يفيدته قوله تعالى ﴿مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ أي ما أنتم مصممون على إلقائه حيث جمعهم فرعون ليقابلوا بسحرهم معجزة موسى ، ويكشف عن ذلك قوله تعالى في سورة الاعراف ١١٢ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نُحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ ١١٣ قال : ألقوا ، وفي سورة طه ٦٨ ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ ٦٩ ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾.

وانا لنسأل المتكلف من أين اخذ قوله قال علماء الإسلام : انه اذن لهم في السحر ، وان السحر كان جائزا.

ولا نقل للمتكلف ان العهد القديم يذكر عن ايليا النبي انه أمر أنبياء البعل «صنم» ان يذبحوا له محرقة ويدعوا باسم آلهتهم ففعلوا ذلك باقتراحه حسب العادة في عبادة المشركين من الصباح الى الظهر قائلين : يا بعل اجبنا ، كل ذلك بمحضر ايليا وبني اسرائيل ، وزاد ايليا على ذلك بقوله : ادعوا بصوت عال لأنه إله لعله نائم ونحو ذلك ، كل هذا ليظهر لهم معجزته «١ مل ١٨ : ٢٣ . ٣٠».

لأننا نقول لك أولا : لا قياس بين الأمرين فإن موسى لم يأذن بمقتضى القرآن بالسحر ولا اقترحه ابتداء ولا بعث عليه كما ذكرنا بخلاف ما يذكره العهد القديم عن ايليا من انه هو المقترح للعبادة الشركية للبعل والباعث عليها فسماء إلهها.

«وثانيا» ان المتكلف لا يتحاشى في هذا الحال عن أن يقول نعم ان ايليا اخطأ هاهنا وتحمل إثم العبادة الشركية وفعل خلاف الأفضل دلالة على ضعف الطبيعة البشرية كهارون وسليمان وغيرهما من الأنبياء.

وأما قوله تعالى في شأن موسى في سورة الاعراف ١٤٩ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ فلم يعين القرآن ان أخذ موسى رأس أخيه وجره إليه كان على وجه الإهانة والإذلال في التعزير بحسب متعارف ذلك الوقت في بني اسرائيل ، بل يجوز أن يكون بحسب المتعارف من أحوال بني اسرائيل من أهون أوضاع العتاب فإن العهدين ليوضحان بنقلهما لسير بني اسرائيل انهم كان عندهم تمزيق الثياب عند الغضب والتألم بمنزلة الحولقة والتمرغ على الأرض بمنزلة الاسترجاع «انظر أقلا الى السقوط على الأرض وتمزيق الثياب من أنبيائهم وملوكهم الذين هم أولى بالوقار والتحمل» تك ٣٧ : ٢٩ و ٣٤ وعد ١٤ : ٥ و ٦ و ١٦ : ٤ و ٢٢ و ٤٥ و ٢٠ : ٦ ويش ٦ : ٧ و ٢ صم ١ : ١١ و ٣ : ٣١ و ١٣ : ٣١ و ٢ مل ٢ : ١٢ و ٥ : ٧ و ١٩ : ١ و ٢٢ : ١١ وخر ١ : ١١ ومت ٢٦ : ٦٥».

وقد كان موسى حينئذ حريا بالغضب لله إذ شاهد ذلك الأمر العظيم من قومه ، وان المتكلف «يه ٢ ج ص ٥٦ س ٤» جعل ما ذكره القرآن من فعل موسى مع هارون من فعل السفهاء.

وانظر أنت الى ما نذكره في هذا الفصل مما نسبته التوراة الرائجة لموسى في خطابه مع الله وقل انه كخطاب من يكون ، وفي خامس الخروج (٢٢) فرجع الى الرب وقال : يا سيدي لما ذا أسأت الى هذا الشعب لما ذا أرسلتني؟.

وفي الثاني والثلاثين إذ عبد بنو اسرائيل العجل نسب الى موسى انه قال لله (٣٢) والآن ان غفرت خطيئتهم وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت.

وفي حادي عشر العدد (١١) فقال موسى للرب لما ذا أسأت الى عبدك؟ حتى انك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي (١٢) لعلي حبلت بجميع هذا

الشعب أو لعلي ولدته حتى تقول احمله في حضنك (١٥) فإن كنت تفعل بي هذا فاقتلني قتلا.

ولما وعده الله بقول التوراة عند ذلك ان يخفف عنه ثقل بني اسرائيل ويطعمهم اللحم شهرا من الزمان (٢١) فقال موسى ستمائة الف هو الشعب الذي أنا في وسطه ، وأنت قلت اعطيهم لحما ليأكلوا شهرا من الزمان (٢٢) أيدبح غنم وبقر ليكفيهم أم يجمع لهم كل سمك البحر ليكفيهم (٢٣) فقال الرب لموسى هل تقصر يد الرب الآن ترى يوافيك كلامي أم لا انتهى.

فانظر يا ذا المعرفة واللسان ولحن المحاورات ومواقع الأدب والجرأة والطلب والشك والتهكم والسخرية وسوء الأدب في الكلام ، والتفت الى مواقع هذا الكلام المنسوب لموسى مع الله وحاشاه.

وانظر أين الأقوال الأخيرة من قول الله في القرآن الكريم : ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لَيْطَمََّنَّ قَلْبِي﴾.

أفقول ابراهيم هذا مع اعترافه بالايمان وطلبه لاطمئنان قلبه بانضمام الحس الى العقل يكون شكاً في قدرة الله ، أم هذا القول المنسوب صدوره لموسى بعد ما رأى من آيات الله العظيمة في مصر وبعد خروجهم منها ما رأى سيما وقد رأى كيف أنزل الله عليهم المن في بركة سين قبل ورودهم بركة سيناً حسب كفاية بني اسرائيل وزيادة «خر ١٦ : ١ - ٦» وبمقتضى التوراة ان هذا الكلام المنسوب لموسى كان في قبروت هتاوه إذ اشتكى بنو اسرائيل اللحم بعد أشهر من نزول المن «عد ١١ : ٤ - ٣٤».

ثم انظر أيها الفطن الى انه هل تليق هذه الأقوال والمخاطبات لله العظيم بوظائف الأنبياء المرسلين لأجل ردع الناس عن مثل هذه الجرأة على الله ، وتعريفهم عظمة الله وحكمته وقدرته وتعليمهم ان أوامره نعمة وتكاليفه لطف ونبوته عناية ورحمة ورسالته فضل منه وتحمل مشقاتها عبادة وجهاد في سبيله وان الذي يحى من كتابه من الهالكين.

وذكرت التوراة عن قول الله في شأن موسى وهارون انهما لم يؤمنا بالله

«عد ٢٠ ، ١٢» وعصيا قوله عد «٢٧ : ١٤» وخائاه «تث ٣٢ : ٥١» حتى ان موسى فرط بشفتيه «مز ١٠٦ : ٣٣» وليت شعري ما ذا فرط بشفتيه وحاشاه ومع هذا كله والمتكلف يقول ويكتب «يه ١ ج ص ٤٢ س ١٨».

أما التوراة فلم تذكر يعني في شأن موسى سوى انه اعتذر بثقل لسانه ، ولعله يقول أيضا : ان اعتذار موسى كان بألین الكلام وأحسنه أدبا فيا لهفاه على الناس لو كانت رسل الله إليهم ودعاهم الى الحق وأدلاؤهم الى الله وهداهم الى الرشده على مثل هذه الصفات وحاشا لله من ذلك.

الفصل الثامن

في رسالة هارون وما ذكر في شأنه

أما رسالته في القرآن الكريم فيكفي فيها قوله تعالى في سورة مريم ٥٤ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ وفي سورة قد أفلح ٤٧ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾.

وأما في العهدين ففي السابع من الخروج (١) فقال الرب لموسى انظر انا جعلتك إلهًا لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك ، ولئن أبيت هذا فيكفي من التوراة صراحتها بأن الله كلم هارون في امور الشريعة ولوازم الرسالة مع موسى ومنفردا ففيها ما لفظه وكلم الله موسى وهارون وقال الله لموسى وهارون ما يزيد على ثلاثة عشر موردا «انظر أقلا خر ٧ : ٨ و ١٢ : ٤٣ ولا ١١ : ١» ، وكلم الرب هارون «لا ١٠ : ٨» ، وقال الرب لهارون : «عد ١٨ : ١ و ٢٠».

وفي الثاني عشر من صموئيل الأول (٨) أرسل الرب موسى وهارون وفي المزمور الخامس عبد المائة (٢٦) أرسل موسى عبده وهارون الذي اختاره وفي المزمور السادس عبد المائة (١٦) وهارون قدوس الرب.

وفي التوراة انه ظهرت على يده معجزة عصاه ويكفي من ذلك «خر ٧ : ١٠ و ٢٠» وانه صنع الآيات أمام عيون الشعب «خر ٤ : ٣٠».

وأما ما ذكر في شأنه فقد ذكرنا عن التوراة قولها في شأنه وشأن موسى قولها انهما لم يؤمنا بالله وعصياه وخاناه.

وفي الثاني والثلاثين من الخروج (١) ولما رأى الشعب ان موسى ابطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له : قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا.

(٢) فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم واثنوني بها ، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها هارون.

(٤) فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالازميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا اسرائيل التي أصدتتك من أرض مصر.

(٥) فلما نظر هارون بني مذبحا امامه وقال غدا عيد الرب.

(٦) فبكروا في الصباح وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح.

فأقول : وان ما تذكره التوراة من صنع هارون العجل إجابة لطلب بني اسرائيل منه أن يصنع لهم آلهة ، هو بمنزلة الاخبار القولى الصريح بأن العجل إلههم ، وبمنزلة الدعوة الصريحة الى عبادته ، وزاد على ذلك في الصراحة بأن بني مذبحا أمام العجل ونادى بالعيد على الرسم المؤلف للعبادة. بل ان بناءه للمذبح ونداءه للعيد عبادة منه في الظاهر للعجل الذي تبنوا على أنه إلههم.

فإذا كان الاعتقاد في هذا المقام موافقا للقول والعمل ، كان القول والعمل عبادة ظاهرا وواقعا ، وان كان الاعتقاد مخالفا لهما كانا عبادة منه في محض الظاهر ، وينضم الى قبورها قبح الاضلال للناس وحملهم على الشرك بالله كفعل ابليس ، وعلى كل حال فالتوراة الرائجة صريحة في أن هارون وحاشاه صنع العجل ليتخذه بنو اسرائيل إلههم وعبدوه وأمر بعبادته ولم تتعرض لبيان أن اعتقاده كان مخالفا للظاهر.

وقد أنكر المتكلف «يه ١ ج ص ٣٥» على صاحب السيف الحميدي قوله ورد في سفر الخروج ان هارون صور العجل وعبدوه وأمر بني اسرائيل بعبادته فجعل المتكلف هذا القول افتراء على هارون فرية كبرى.

فأقول : أولا لا يخفي على الغبي ان صاحب السيف الحميدي كان

باعتراضه منزها لهارون والتوراة الحقيقة عن هذه النسب ، بل يقول ان هذه الأقوال افتراء على هارون قدوس الله وعلى التوراة الحقيقية كتاب الله.

«وثانيا» ان قول التوراة الرائجة فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى غدا عيد الرب قد بتره المتكلف عند نقله لهذا المقام ليموه اعتذاره البارد بأن هارون طلب من بني اسرائيل أقرط الذهب ليصرفهم ويماطلهم في مطلوبهم الى أن يأتي موسى .
أجل فلما ذا فعل وصنع العجل الذي أرادوه إلها؟ أو ليس اللازم على المؤمن فضلا عن النبي الرسول أن يبذل نفسه وما يعز عليه في المحاماة عن التوحيد ، ولما ذا لما سمعهم يقولون عنه هذه آلهتك يا اسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر ورأى عكوفهم عليه على انه إله بنى مذبحا أمامه ودعى للعيد.

وان المتكلف هل يحصر العبادة بوضع خاص أو قول خاص ، أو ليس من الواضح ان أولاهها وأظهرها القول والاعلام بأن هذا إله ، ثم التطوع له وترتيب آثار الالهية ، وقد نسبت التوراة الرائجة كل هذا لهارون.

فيا أيها الذين لا يجوزون كذب النبي في التبليغ ، ولا يجوزون على الله أن يرسل النبي الكاذب في تبليغه كيف جوزتم على النبي الرسول أن يصنع وثنا لمن يدعوه إلها ويدعو الى الشرك بالله وعبادة الأوثان ويعين عليهما بفعله وجعلتم ما تضمن ذلك من الوحي والالهام .
وليت شعري كيف يجتمع هذا الذي تذكره التوراة في شأن هارون مع ما ذكرته قبل ذلك من تكليم الله لموسى في شأن هارون أيضا وزيادة عنايته به في استخدامه زيادة على النبوة والرسالة بتوظيفه للكهنوت والرئاسة الدينية للتقديس وتكفير الخطايا وتعليم الشريعة وسدانة خيمة الاجتماع وزاد في العناية بالتفصيل الضافي لثياب كهنوته للمجد والبهاء وتلوينها وتزيينها وترصيعها وكان هذا التكليم المطنب على طور سينا في صعود موسى الذي تذكر التوراة ان هارون صنع في أثنائه العجل إلها لبني اسرائيل وعبدته ودعا لعبادته حينما ابطأ موسى في النزول من الجبل «انظر الى الثامن والعشرين من الخروج بتمامه ولاحظه مع «خر ٢٤ : ١٢ - ٣٢ : ٩» .

واسأل المتكلف هل كان الله يعلم حينئذ بما يصنعه هارون من العجل وعبادته والدعوة إليها وتساهل معه أو تقول غير ذلك تعالى الله علوا كبيرا.

وكيف ثم كيف يجوز العقل والعقلاء أن يرسل الله رسولا ويوظفه لخدمته في الوظائف العظيمة وحفظ شريعته ويؤيده بإظهار عنايته به مع أن ذلك الرجل يساعد على الضلال والشرك ثم يظهره أو يعتقده ويدعو إليه ويغوي المؤمنين.

أترى ان واحدا من ملوك الدنيا يعتني هذه العناية بمن يعلم أنه يضل رعيته ويهيا لهم التمرد على شريعته وسلطانه ، أو ليس أهون من ذلك أن يكون الرسول موحدا في الظاهر والباطن محافظا على التوحيد والدعوة إليه ولكنه يكذب قليلا أو كثيرا في تبليغ الأحكام التي لا تضر بأصل الايمان وجوهر الشريعة.

ومن الظرائف فرار بعضهم كصاحب ميزان الحق الى انكار نبوة هارون ورسالته فكابر في ذلك ما ذكرنا من صراحة العهدين.

ولقد صرف المتكلف فيما نحن فيه كلاما كثيرا لا ينفعه حتى في المغالطة انظر الى «يه

١ ج ص ٣٦ و ٣٧».

واستشهد أيضا حيرة منه بآيات كثيرة من القرآن الكريم تنقض عليه بصراحته غرضه.

ومنها قول الله جل اسمه في سورة طه ٨٧ . ٩٥ وأخرها قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

أفترى المتكلف توهم من هذه الآيات وخصوص الأخيرة ان معناها ان هارون صنع العجل إلها لبني اسرائيل واجابة لطلبهم ذلك منه ، وبني مذبحا ودعى الى العيد.

ثم ان المتكلف لما شعر بارتبائه في هذا المقام ولم يجد من طول كلامه طائلا فر الى الانتقاد بوجهه على القرآن ورسول الله ونسب «يه ١ ج ص ٣٧» الخلط والغلط بتسميته صانع العجل المذكور بالسامري وجعلها من الجهل التام

بالتاريخ ويعلم توقيع البلدان وادعى بغفلته «يه ٢ ج ص ٥٥» انه لم يكن في عصر موسى شيء يقال سامرة ولا سامري.

فأقول : والذي دعى المتكلف الى هذا التهور والاقدام ما في السادس عشر من الملوك الاول في التراجم العربية الجديدة في ذكر عمري ملك اسرائيل الذي ملك بعد سليمان بن داود بخمسين سنة تقريبا (٢٤) ، واشترى جبل السامرة من شامر بوزنتين من الفضة وبني على الجبل ودعى المدينة التي بناها باسم شامر السامرة ، فأضاف المتكلف الى ذلك بوهمه مقدمتين احدهما انه لم يقع في خلق الله في جميع الأمكنة والأزمنة منشأ للتسمية بالسامري حتى بنى عمري مدينته المذكورة ، «وثانيهما» ان القرآن تبع في تسميته صانع العجل بالسامري لما ذكرناه عن الملوك الاول ، وان دعوى هاتين المقدمتين لتحتاج الى الإلهام ولعل المتكلف يدعيه ولم يختص بهذا بل سبقه إليه المتعرب «ذ ص ٥٠» فادعى انه لا يمكن أن يكون في بني اسرائيل على عهد موسى سامري وان هذا النعت لم ينعت به إلا بعد جلاء بابل.

إذا سمعت هذا فاعلم انه كل ما جاء في العهد القديم من اسم السامرة المذكورة فإنما لفظه في الأصل العبراني «شمرون» ، وعلى ذلك جرت النسخة الفارسية المطبوعة في ادن برغ سنة ١٨٤٥ و ١٨٤٦ حتى في العهد الجديد الذي ترجمه هنري مارتن ، وعليه أيضا جرت النسخة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ م في العهد القديم منها. والترجمة العبرانية للعهد الجديد وجرت على نهج الأصل العبراني للعهد القديم فسمت السامري «شمروني» ، والسامرية «شمرونيت» والسامريين «شمرونيين» ، «انظر أقلام ١٠ : ٥ و ٤ : ٩ و ٨ : ٤٨».

ولا بدّ أن يتضح لك من ذلك ان سامرة وسامر تعريب شمرون في اللغة العبرانية ، وسامري تعريب شمروني ، وسامريين تعريب شمرونيين.

وحينئذ فاعلم انه لا ينحصر وجه التسمية بالسامري بالنسبة الى ما بناه عمري بعد زمان سليمان ، بل ان من المدن التي افتتحها يوشع بن نون ووقعت في سهم سبط زبولون مدينة شمرون ، وكان لها ملك فلا بد أن تكون موجودة

في عصر موسى لقرب الزمان «انظر الى يش ١١ : ١ و ١٢ : ٢٠ و ١٩ : ١٥» فيكون تعريبها سامرة ، والمنسوب إليها سامري ، وهذا كاف في جهل المتكلف والمعرب.

ويبقى السؤال على كثير من تراجم العهدين بالعربية ، وهو أنه لما ذا عربوا شمعون مدينة عمري بالسامرة وتركوا في التعريب شمعون التي افتتحها يوشع في تراجعهم على حالها. دع هذا فحقيقة الحال ان من أولاد يساكر ابن يعقوب من اسمه «شمعون» «تك ٤٦ : ١٣ وعد ٢٦ : ٢٤ وأي ٧ : ٢١».

وكان بنوه من عشائر بني اسرائيل المعدودين في الجند على عهد موسى وسميت عشيرتهم في الأصل العبراني «هشمرونيم» «عدد ٢٦ : ٢٤» وبمقتضى ما ذكرنا من التعريب يكون اسمهم في العربية السامريين وواحداهم سامري ، ولئن تمازل المتكلف معجبا بعلمه ومعارفه.

وقال «يه ١ ج ص ٣٧» لا نعلم من أين أتى هذا السامري هل نزل من السماء أم طلع من الارض؟

قلنا إنا لنعذر في مبلغ اطلاعك وثوراتك ونخبرك بمقتضى العهد القديم انه جاء من سبط يساكر من عشيرة «هشمرونيم» باللفظ العبراني والسامريين بالعربي.

الفصل التاسع

في رسالة أيوب وما ذكر في شأنه

أما نبوته ورسالته في القرآن الكريم فيكفي فيها أن عده الله في عداد من أوحى إليهم من الرسل المبشرين والمنذرين لتقوم بهم الحجة «انظر الى سورة النساء ١٦١ - ١٦٣ .
وجاء في شأنه قوله تعالى في سورة ص ٤٤ : ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ .

وأما نبوته في العهدين فقد تكرر ذكر تكليم الله له ووحيه إليه «انظر أي ٣٨ : ١ و ٤٠ : ١ و ٦ و ٤٢ : ٧» .

وما يدل على انه كان عظيما عند الله يخلص نفسه ببره «مز ١٤ : ١٤ و ١٤ : ٢٠» وانه ليس مثله في الارض رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر «أي ١ : ٨ و ٢ : ٣» .
وفي الخامس من رسالة يعقوب (١١) قد سمعتم صبر أيوب .

ومع ذلك قد جاء عنه في العهد القديم من الاعتراض على أمر الله ، والضجر من ابتلائه ، وسوء الأدب في الاعتراض على الله والتألم من الوعظ والإرشاد ما لا ينبغي أن يصدر من أجهل جهال الأشرار .

فقليل عنه انه جعل القضاء ظلما بكلام بلا معرفة «أي ٣٨ : ٢» وصار

يطلب المحاكمة مع الله «أي ١٩ : ٧ و ٢٣ : ٣ - ٩» ويعرض بنسبة الظلم إليه تعالى الله عن ذلك «أي ١٠ : ٣ و ١٩ : ٧» وان الله نزع حقه «أي ٢٧ : ٢» ولفق فوق اثمه «أي ١٤ : ١٧».

وانظر الكلام المنسوب له في السفر المسمى باسمه تجدد العجب العجيب «انظر أقلا أي ٩ : ٢١ - ٢٤ و ٢٨ - ٣٥ و ١٠ : ١ - ٨» ، فهل يجتمع صدق هذا النقل عنه مع صدق المنقول في رسالة يعقوب. قد سمعتم صبر أيوب ، وهل يجتمع هذا مع النبوة والرسالة التي من مهمات مقاصدها قطع مادة هذا الفساد.

الفصل العاشر

في نبوة داود وما ذكر في شأنه

أما نبوته في القرآن الكريم فيكفي فيها قوله تعالى في سورة بني اسرائيل ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾. وعده في جملة الرسل الموحى إليهم كما في سورة النساء ١٦١ - ١٦٣ ، (وانظر الى سورة الانعام ٨٤ - ٩٠ .

وأما في العهدين ففي الثالث والعشرين من صموئيل الثاني ١ وحي داود ابن يسيء ووحى الرجل القائم في العلاء روح الرب تكلم بي وكلمته على لساني ٣ قال إله اسرائيل إلي تكلم صخرة اسرائيل.

وفي ثاني عشر مرقس ٣٦ لأن داود يدعوه بالروح القدس ربا ، ونحوه في الثاني والعشرين من متى.

وفي ثاني الأعمال ٣٠ صرح ما عن بطرس بأن داود كان نبيا ، وفي أول رسالة العبرانيين المنسوبة إلى بولس استشهد بفقرات عديدة من المزامير وجعلها قول الله.

وأما ما ذكر في شأنه ففي القرآن الكريم في سورة ص ٢٠ ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ٢١ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ٢٢ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ

نَعَجْتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ . وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّهَا فَتْنَاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٥٠﴾

قال المتكلف يه ١ ج ص ٤٧ كل من اوتي ذرة من الفهم جزم بأن هذه الأقوال مأخوذة من التوراة.

يعني أنها مأخوذة من الحادي عشر من صموئيل الثاني حيث ذكر فيه ان داود وحاشاه زنى بامرأة اوريا الحثي الذي هو من جنده المؤمنين على علم بأنها امرأة اوريا وذات بعل فحملت منه وحاول أن يمويه حملها منه ويلصقه بأوريا زوجها ثم سعى في قتل اوريا ، وقد تشبث المتكلف لدعوى مطابقة الآيات في المراد لما ذكرنا عن صموئيل الثاني بأقوال بعض المفسرين حيث ذكروا في تفسيرها نحو ما ذكر في صموئيل من الزنا وإلقاء اوريا للقتل وقد قدمناه في المقدمة السابعة ان مثل هذه الأقوال لا تحتفل بها الجامعة الإسلامية ولا يصح الجدل بها ، وان التشبث بها إنما هو من ضيق الخناق خصوصا مع مصادمتها لحكم العقل بعصمة النبي ومعارضتها بما حكاها المتكلف «يه ١ ج ص ٤٩» عن تفسير النسفي وغيره من أن داود وقعت عينه على المرأة فأحبها فسأل اوريا النزول له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها.

وما نقله أيضا «يه ١ ج ص ٥٠» مما روى عن علي عليه السلام انه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهي حد الفرية على الأنبياء فسمى عليه السلام رواة ذلك قصاصا وهم المعتمدون على الخرافات التاريخية ، وصرح بأنه فرية على النبي.

وروى الراوندي في قصص الأنبياء عن الامام السادس من أهل البيت جعفر بن محمد عليه السلام روايتين بهذا المضمون وتبرئة ساحة داود عن هذا الافتراء.

فمن الوهم البين قول المتكلف قبل ذكر الرواية عن علي عليه السلام ان عليا لم يكن زجره إنكارا لحقيقة القصة بل لصرف الناس عن المثالب.

وليت شعري ألم يفهم المتكلف معنى قوله عليه السلام حد الفرية على الأنبياء ولم ينظر إلى معنى الفرية في كتب اللغة ، هذا وقد رويت أيضا في تفسير

الآيات روايات متعددة مختلفة المضمون وكلها معارضة لما ذكره أولا عن المفسرين ومبرئة بجامع مضمونها لداود عن الزنا وما بعده ، فانظر إلى كتاب تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى «قدس سره»^(١).

فأقول : ان من كان له من الفهم ما يهديه إلى الصواب ليحزم بأن مدلول الآيات مبين للقصة المذكورة في حادي عشر صموئيل الثاني ، فإن دعوى أحد الخصمين إن كانت على سبيل المثل لفعل داود كانت هي وجواب داود في القضاء بمقتضى القرآن يدلان على أن الصورة محض الطلب والسؤال للنعجة من دون أخذ لها أو تصرف بها قهرا أو اختلاسا وبمقتضى قانون المثل في مطابقته للمثل أن لا يكون داود تصرف بامرأة اوريا ، وحيث ان الروايات المفسرة للآيات زيادة على تعارضها فيما بينها لم يبلغ بعضها الحد الذي يصح الاعتماد عليه أو الجدل به حسب القانون الذي ذكرناه في المقدمة السابعة فصواب القول في الآيات هو أنها لا دلالة فيها على أن الخصمين من أي نوع كانا ، ولا على أن محاکمتهم كانت صورية لأجل التوبيخ لداود ، ولا على أنه تسرع في القضاء ، ولا على أن فتنته وامتحانه بأي نحو كانا ، فمقتضى ظاهر اللفظ ان المخاصمة غير صورية ، ومقتضى ان داود آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب كما في سورة ص ١٩ ، وانه عن أحكام الله لم يعمل لأن الله هو علمه ولم ينس شريعة الله ولم يضل عن وصاياه «مز ١١٩ : ١١٢ و ١٠٩ و ١١٠» هو انه لم يتسرع في الحكم ولم يجر على غير قانونه الشرعي.

وأما فتنته فيجوز في معناها أن يكون داود قد امتحنه الله بدخول الخصوم من غير الموضوع المعتاد للدخول ومخاصمتهم في أمر غير مهم كثيرا حتى فزع وفكر في ذلك ، وانه ما عسى أن يكون هذا الأمر فشغل بفزعه وفكره زمانا عن وظيفته وطريقته في محراب العبادة من النوافل والتساييح المندوبة فخر راکعا مسارعة إلى وظيفته ، وأتاب إلى الله عما يعده في تقواه واجتهاده في العبادة زلة من زلات المتقين فطلب من الله المغفرة والعود إلى مقامه الرفيع ومنزلة الصديقين فقال الله جل شأنه في اثر الآيات ٢٤ : ﴿فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا

لَزُلْفَى

(١) طبع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

وَحُسْنَ مَأْبٍ ﴿٢٥﴾ ، وكيف يكون له عند الله زلفى وحسن مأب إذا كان قد اتبع هواه مدة من الزمان كما يزعمون إلى الزنا بذات البعل وتسبيبه قتل زوجها ، وقد قال الله له ٢٥ : ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ .

وان هاتين الآيتين الأخيرتين يتحصل منهما برهان استثنائي على أن داود لم يتبع الهوى فلم يفعل خطيئة ، وتقريره هو أن كل من يتبع الهوى له عذاب شديد بحكم الآية الأخيرة ، لكن داود ليس له عذاب شديد بل له عند الله زلفى وحسن مأب بحكم الآية التي قبلها ، فينتج بالبدهة ان داود لم يتبع الهوى فكيف تفسر الآيات السابقة؟ أو يتوهم في معناها ما يناقض هذه النتيجة ، وإذا تدبرت هذا كله عرفت صواب الشيخ السنوسي وجراً المتكلف عليه «يه ١ ج ص ٥٣ س ١٦» ، وسيعلمون غدا من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى.

وفي المزمور المائة والتاسع عشر ١٠١ من كل طريق شر منعت رجلي لكي أحفظ كلامك ١٠٢ عن أحكامك لم أمل ، لأنك أنت الذي علمتني ١١٠ أما وصاياك فلم أضل عنها.

وليت شعري كيف يجتمع هذا المنسوب إلى الإلهام والوحي مع ما سنذكره من العهدين مما يشدد القدح في قدس داود ، وكيف لا يتناقضان؟ وكيف يكون التناقض؟
ففي الحادي عشر من صموئيل الثاني ٢ وكان في وقت المساء ان داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة جدا ٣ فأرسل داود وسأل عنها فقال واحد : أليست هذه بثشبع بنت اليعام امرأة اوريا الحثي ٥ فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها ثم رجعت الى بيتها ٥ وحبلت فأرسلت وأخبرت داود وقالت : اني حبلى ، فأرسل داود على اوريا وجاء به من الحرب وأمره أن يذهب إلى بيته «وغرضه ان يقارب اوريا امرأته فيتموه أمر الحمل» فلم يمض اوريا إلى بيته مواساة لأصحابه المتجردين للحرب في سبيل الله مع

تابوت الله ، ولما مضى اوريا إلى الحرب كتب داود إلى رئيس جيشه أن يجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة ويرجعوا من ورائه ليقتل ففعلوا وقتل اوريا وأخبر داود بموته فأرسل إلى امرأته المذكورة فضمها إلى بيته فولدت له ولدا من حمل ذلك الزنا «٢ صم ١١ : ٦ - ٢٧» فأرسل الله ناثان النبي إلى داود وقال له قد كان في مدينة رجلان واحد فقير له نعجة واحدة عزيزة عليه ، وآخر غني له غنم وبقر كثيرة جدا فأخذ الغني نعجة الفقير وهياها لضييفه فقال داود يقتل هذا الرجل ويرد على الفقير النعجة أربعة أضعاف «وفي النسخة السبعينية سبعة أضعاف» فأخبره ناثان بأن هذا مثل له ووبخه عن قول الله على أفعاله وان الله سيكافيه ويسلط عليه من أهل بيته من يزني بنسائه قدام جميع اسرائيل وأخبره بأن الولد المولود له من هذا الزنا سيموت ، ولما مرض الولد صام داود لأجله وطلب من الله شفائه وبات مضطجعا على الأرض ولم يأكل خبزا «٢ صم ١٢ - ١٨».

وقد نسب إلى داود هاهنا خطيئة أخرى وهو حكمه على أخذ النعجة بخلاف شريعة التوراة إذ قد جمع عليه بين القتل وغرامة أربعة أضعاف النعجة أو سبعة لأنه ان كان قد سرقها غرم أربعة أضعافها ولكن لا يهدر دمه مطلقا إلا إذا وجد ينقب فضرِب ومات فإنه ليس له دم ، ولكن ان أشرقت عليه الشمس فله دم «خر ٢٢ : ١ و ٢» ، واما إن كان قد غصبها فليس عليه إلا أن يعرض عنها ويزيد عليها خمس العوض ويكفر بكبش صحيح ذبيحة اثم «لا ٦ : ١ - ٨».

وأیضا قد نسب له مع أبشالوم ابنه ما ينجر إلى الخطيئة والتساهل في تأديبات الشريعة وحدودها مع الأشرار المفسدين في الأرض لمحض الهوى وحب الولد «انظر ٢ صم ١٨ - ١٥ : ٣٣».

الفصل الحادي عشر

في نبوة سليمان وما ذكر في شأنه

أما نبوته في القرآن الكريم فقد ذكره الله جل اسمه في عداد الأنبياء من ذرية ابراهيم في سورة الانعام ٨٤ وقال تعالى بعد تعدادهم ٨٩ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾.

وذكره أيضا في سورة النساء في عداد الرسل الموحى إليهم المصريح برسالتهم ١٦١ . ١٦٣ .

وأما في العهدين ففي الثالث من الملوك الاول ٥ والاول من الأيام الثاني ٧ تراءى الله لسليمان وقال له : اسأل ما ذا أعطيك؟

وفي العهدين أيضا فقال الله لسليمان : « ١ مل ٣ : ١١ و ١٢ ى ١ : ١١ » ، وفي السابع من الأيام الثاني ١٢ ما حاصله ان الله تراءى ثانيا لسليمان وقال له : قد سمعت صلاتك .

وفي سادس الملوك الاول ١١ وكان كلام الرب إلى سليمان .

وفي الثامن والعشرين من الأيام الاول عن قول داود عن قول الله له ٦ وقال : ان سليمان ابنك هو يبني بيتي ودياري لأني اخترته لي ابنا وأنا أكون له أبا . ونحوه في الثاني والعشرين من الايام الاول ٩ و ١٠ ، وسابع صموئيل الثاني .

وأما ما ذكر في شأنه ففي القرآن الكريم في سورة ص ٢٩ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِيَاتُ الْجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ٣٢ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾.

قال المتكلف «يه ١ ج ص ٤٣» ، قد ورد في القرآن ما يفيد انه اشتغل بالامور الدنيوية التي ألهته عن عبادة الله . والآيات دالة على أن الخيل ألهته عن الصلاة.

أقول : لا ينبغي أن ينكر ان اقتناء سليمان للخيل واختياره لأحوالها كان من الخير الراجح ، لأن اقتناءها كان بمقتضى الحال لتثبيت مملكة الإيمان والاستعداد لدفاع طغيان الوثنيين وعدوانهم ، وربما يدل عليه قوله أحببت حب الخير فلا وجه للقطع بأنه كان من اللهو الدنيوي كما توهمه المتكلف بل هو على ما ذكرناه نحو من أنحاء العبادة ومقدمات المحافظة على الموحدين والجهاد في سبيل الله ، ومن أين في دلالة الآيات ما يفيد انه اشتغل بالنظر الى الخيل عن عبادة واجبة حتى فات وقتها ليكون قد أذنب وفعل قبيحا. فلما ذا لم يحتمل المتكلف ان ذكر الرب في الآية كان من التساييح المندوبة التي يجوز تركها وان كان عمدا فضلا عن الاشتغال عنها بخير آخر ، ولكنها لما كانت من وظائف سليمان المعتادة في ذلك الوقت أسف على فوات وظيفتها بسبب ما يمكن تحويله إلى وقت آخر.

ويمكن ان يكون معنى باقي الآيات ان لم يكن هو الظاهر منها ان سليمان رد الخيل إلى محالها ليدرك وقت الوظيفة من الذكر المعتاد له ، ولما توارت بالحجاب وفات وقت الوظيفة قال : ردوا الخيل علي ليعود إلى الخير الاول فطفق يمسح بسوقها وأعناقها لأحد أمرين : اما لأنه أحب أن يتواضع لله ويعمل عمل المتولين لخدمة الخيل وسواسها ، واما لأن يتألفها ليتمكن منها وتجري على إرادته عند الركوب ، وكيف كان فإن قول الله جل اسمه عند صدر القصة في شأن سليمان «نعم العبد إنه أواب» ، مانع عن حملها على وجه يقتضي وقوع سليمان في المعصية.

وقال الله تعالى في سورة ص أيضا ٣٣ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً
ثُمَّ أَنَابَ ٣٤ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ۖ﴾.

فقال المتكلف «يه ١ ج ص ٤٥» ان هذه العبارات دالة بصراحة اللفظ على وقوعه
أي سليمان في الخطيئة.

أقول : ان من معاني الفتنة هو الامتحان والابتلاء وقد اقتضت الحكمة ابتلاء سليمان
فألقي على كرسيه جسدا فشغله ذلك عن تساويحه المندوبة ووظائفه المعتادة ولم يفعل بذلك
ذنبا ولو تركها عمدا وابتداء ولكن اجتهد الأنبياء في العبادة يأبى ذلك بل يعدونه من
الحسran وأسباب عدم الترقى بالطاعة إلى المراتب السامية ، فساء سليمان ذلك وأتاب إلى
ربه واستغفره لتقصيره عن وظيفته الذي يعده الصديقون من الزلل ونقصان الربح فغفر الله له
، ولعل ما ناله بالإنيابة إلى الله أفضل مما فاته.

ومما ينبغي الاعتبار به ان المتكلف تقول على القرآن وهذه الآيات.

فقال «يه ١ ج ص ٤٣» غير متحرج حتى من انتقاد الناس ، انه ورد في القرآن ان
سليمان سمح بعبادة الأصنام في بيته.

وتشبه لكل ما ادعاه هاهنا كعاداته بأخبار بعض القصص «انظر الى يه ١ ج ص
٤٤ و ٤٥» وانه ليعلم ان جمهور المسلمين والجامعة الإسلامية لا يحتفلون بها ، وانه لحق أن
يقال له ما ذا تصنع؟ أو ما سمعت المثل ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر.

فإن في الحادي عشر من الملوك الاول ٤ وكان في زمان شيخوخة سليمان ان نساء
أملن قلبه وراء آلهة اخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه ٥ فذهب
سليمان وراء عشتاروت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ٦ وعمل سليمان الشر في
عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه ٧ حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس
الموآبيين على الجبل الذي تجاه اورشليم ولمولك رجس بني عمون وانظر الى «٢ مل ٢٣ مل:
١٣».

وليت شعري هل عبادة الأوثان إلا أن يذهب ورائها ويعمل لها مثل ما يعمل عبدتها لها كبناء المرتفعات ونحوه ، وان المتكلف قد هون هذا الأمر «يه ١ ج ص ٤٣» فقال ذكر في التوراة : ان النساء الغربيات أملن قلب سليمان حتى بنى لآلهتهن المرتفعات. ومن الاتفاق الطريف ان في العهدين كلمة تنقل عن قول الله قد لازمتها العاقبة الغير المحمودة «وهي كلمة الابن».

ففي رابع الخروج ٢٢ يقول الرب اسرائيل ابني البكر ٢٣ اطلق ابني ليعبدني فكان عاقبة ذلك ان هؤلاء الذين قيل فيهم هذا قد تقلبوا في شركهم ما شاءوا كما سمعت في المقدمة الخامسة.

وفي الثامن والعشرين من الأيام الاولى في شأن سليمان اخترته لي ابنا وأنا أكون له أبا. ويقول الحادي عشر من الملوك الاول ٥ . ٨ ان هذا المختار مال قلبه إلى الأوثان وذهب ورائها وعمل لها ما يعملها عبادها.

وفي ثالث متى في شأن المسيح ١٧ هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت فكانت العاقبة ممن ينتمي إليه أن يقول ان الله ذو اقانيم ثلاثة فهو واحد وثلاثة. هذا وقد نسب الحادي عشر من الملوك الاول إلى سليمان غير هذا من المعاصي الكثيرة ومخالفات الشريعة ، منها تزوجه بسبعمائة امرأة واتخاذة ثلاثمائة من السراري «١ مل ١١ : ٣».

وقد حرمت التوراة على ملك بني اسرائيل كثرة النساء «تث ١٧ : ١٧» ومنها تزوجه بالوثنيات وقد حرمت التوراة أيضا «خر ٣٤ : ١٦ وتث ٧ : ٣ و ٤».

ولا بد حينئذ من أن تكون مقاربة المرأة التي حرم التزويج بها من قسم الزنا المحرم في التوراة «خر ٢٠ : ١٤ وتث ٥ : ١٨».

وعلى هذا فقد نسب إلى سليمان كثرة الزنا في كثير من عمره الشريف

وذلك من حيث تجاوزه المقدار الموظف له في الشريعة من النساء ومن حين تزوجه بالمشركات.

فليُنظر العاقل انه هل يجوز في حكمة الله ولطفه أن يكون مثل من تنسب له هذه الامور نبيا بعث لإرشاد الخلق واختاره الله ابنا له وأوحى إليه مثل كتاب الأمثال والجامعة المعدودين من كتب الوحي.

الفصل الثاني عشر

في نبوة اليسع وما ذكر في شأنه

أما نبوته في القرآن الكريم فقد ذكره في عداد الأنبياء الذين صرح بنبوتهم في سورة الانعام ٨٦ - ٨٩ ، وفي مقام آخر ظاهر في انه لتعداد الأنبياء في سورة ص ٤٨ .
وأما في العهدين فقد صرح بنبوته في أول التاسع من الملوك الثاني ، وأما ما ذكر في شأنه ففي الثامن من الملوك الثاني ٧ - ٩ ان بنهدد ملك آرام كان مريضاً فارسل حزائيل مع هدية إلى اليسع ليسأله عن كلام الله انه هل يشفى من مرضه ١٠ فقال له اليسع : اذهب وقل له شفاء تشفى وقد أراني الرب انه يموت موتاً .
وقد نسب الى اليسع في ذل صريح الكذب على الوحي وكلام الله .
وفي السادس من الملوك الثاني ١٩ ما حاصله ان اليسع كذب على الجيش الذي أرسله في طلبه ملك آرام ثلاث كذبات لم تلجأ إليها الضرورة كما ألجأت اسحاق إلى قوله عن امرأته انها اخته .

الفصل الثالث عشر

في نبوة ارميا وما ذكر في شأنه

أما نبوته ففي صريح السادس والثلاثين من الأيام الثاني ١٢ وثامن متى ١٧ وفي هذا المقدار كفاية لأهل الكتاب.

وأما ما ذكر في شأنه ففي العهدين في رابع كتابه المسمى ارميا عن قوله ١٠ فقلت آه يا سيد الرب حقا انك خداعا خادعت هذا الشعب واورشليم قائلا يكون سلام وقد بلغ السيف النفس.

أقول : وليت شعري ما ذا يقول المتكلف في هذا المقام؟ أيقول ان الله جل شأنه متصف بهذا تعالى عن ذلك علوا كبيرا؟ أم يقولون ان هذا النبي الموحى إليه بكثير من الغيب والمرسل لموعظة بني اسرائيل وارشادهم لا معرفة بالله ولم يسمع عن التوراة أقلا قولها ان الله ليس إنسانا فيكذب «عد ٢٣ : ١٩».

وفي خامس عشر صموئيل الاول ٢٩ ونصيح إسرائيل لا يكذب أم يقولون ان هذا النبي شاء أن يسب الله ويصفه بالكذب والخداع لينكشف للناس علم الله وغناه وحكمته في إرساله ، ولا أقل من أن يكون هذا الكلام المعداد من الإلهام كذبا في تبليغ الناس وإرشادهم إلى المعارف الحقّة إذ نسب هذه الصفة إلى الله تعالى ، أم يقولون ان هذا الكلام وما يجري مجراه مكذوب على الأنبياء مدسوس في كتب الوحي من تصرف الضلال أو من عبث الجاهل ، فليعتبر ذو الرشد.

الفصل الرابع عشر

في نبوة حزقيال وما ذكر في شأنه

أما نبوته فضرورية عند أهل الكتاب والكتاب المنسوب إليه المشتمل في أواخره على تبليغ الشريعة معدود من الكتب الإلهامية الصادرة عن الوحي وكلام الله عند عامة أهل الكتاب ما عدا بقية السامريين.

وأما ما ذكر في شأنه فقد قدمنا عنه انه اخبر في السادس والعشرين من حزقيال عن قول السيد الرب في شأن تخريب نوبخذ راصر لصور ونهبه لثروتها وغنيمة لتجارها بتفصيل طويل الذيل ، ثم ذكر عنه في التاسع والعشرين عن كلام الرب ان نبوخذراصر لم تكن له ولا لجيشه اجرة من صور وان الله عوضه عنها بمصر فراجع وافرض صحة ما تكلفه المتكلف ومع ذلك تجد ما لا بد من أن يكون كذبا في التبليغ عن الله.

الفصل الخامس عشر

في رسالة المسيح وما قيل في شأنه

أما رسالته في القرآن الكريم فيكفي قول الله جل شأنه في سورة النساء ١٦٩ : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ، وقوله جل شأنه في سورة المائدة ٧٩ : ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ .

وأما رسالته في العهد الجديد فلا تحتاج الى ذكر.

وأما ما ادعى في العهد الجديد من إشارة العهد القديم إليه وإلى نبوته فسيأتي إن شاء الله إيضاح ان بعضها لا وجود له في العهد القديم ، وبعضها لا يمكن انطباقه عليه ، وبعضها نص في سليمان بن داود وبعضها رموز تنطبق على غيره كما تنطبق عليه ، بل لعل انطباقها على غيره أولى.

وأما ما ذكر في شأنه فأمور :

«الأول» ان في سابع لوقا ٣٤ وحادي عشر متى ١٩ ما يتضمن اعتراف المسيح

وحاشاه بأنه شريب خمر . أي كثير الشرب لها . ، وفي السادس والعشرين

من متى ٢٧ . ٣٠ ، ورابع عشر مرقس ٢٣ . ٢٦ والثاني والعشرين من لوقا ١٧ و ١٨ ما يتضمن انه حاشاه شرب الخمر وقال قول المودع لها المتأسف على فراقها ، وفي ثاني يوحنا ١ . ١٢ انه وحاشاه حضر هو وتلاميذه في قانا الجليل مجلس العرس الذي تشرب فيه الخمر ولما فرغت الخمر صنع لهم بطلب أمه ستة أجران من الخمر الجيد فسقوا منه .

وليت شعري ما يصنع المتكلف وغيره بهذا إذا كانت الخمر حراما قطعاً ، كما اعترف به المتكلف «يه ١ ج ص ١٣» ، وكذا سقيها كما في ثاني حبقوق ١٥ ، وكما سنوضحه إن شاء الله في موانع النبوة وبيان حرمتها خصوصا على الأنبياء .

«الثاني» قد قدمنا في الفصل الرابع من الباب الثاني من هذه المقدمة انه قد ذكر عن قول المسيح في شأن معاصريه جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي «مت ١٢ : ٣٩ ولو ١١ : ٢٩» الحق أقول لكم لن يعطي هذا الجيل آية «مر ٨ : ١٢» .

وذكرنا ان كل واحد من هؤلاء الثلاثة يذكر في انجيله ما يكذب هذا القول المنسوب إلى المسيح بنقله صدور الآيات بعد ذلك ويكذبه أيضا يوحنا بواقعة احياء العازر ويلزم من ذلك ، أما نسبة الكذب إلى المسيح وحاشاه أو كذب أصحاب الأناجيل فيما نقلوه من صدور الآيات بعد ذلك أو كذبهم في نسبة هذا الكلام إلى المسيح أو كذب غيرهم في نسبة ذلك إليهم .

وأیضا ذكر عن قول المسيح لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال «مت ١٢ : ٤٠» . مع ان مقتضى الأناجيل الأربعة انه لم يبق في قلب الأرض إلا ليلتين وهما ليلة السبت وليلة الأحد ويوما كاملا وهو يوم السبت وشيئا يسيرا من يوم الجمعة وشيئا يسيرا لا يذكر من يوم الأحد ، فاختر لمن تنسب الكذب في هذا الأمر .

وأیضا في سابع يوحنا ان المسيح إذ كان في الجليل قريبا من عيد المظال

قال له اخوته أن يذهب الى اليهودية ليرى تلاميذه أعماله ، فقال لهم ٨ اصعدوا انتم الى هذا العيد أنا لست أصعد بعد الى هذا العيد لأن وقتي لم يكمل بعد ٩ قال لهم هذا ومكث في الجليل ١٠ ، ولما كان اخوته قد صعدوا صعد هو أيضا إلى العيد.

وأيضا في حادي عشر متى عن قول المسيح في شأن يوحنا المعمدان ١٤ وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع أن يأتي مع أن في أول انجيل يوحنا في شأن يوحنا المعمدان ٢١ فسألوا إذا ما ذا ايليا أنت؟ فقال : لست أنا وينتج من هذين النقلين نسبة الكذب الى أحد النبيين ، اما الى المسيح بقوله ان يوحنا هو ايليا المزمع أن يأتي ، واما الى يوحنا بقوله : انه ليس ايليا مع انه نقل عن قول المسيح في شأن يوحنا ، انه نبي وأعظم من نبي «مت ١١ : ٩».

«الثالث» في ثامن يوحنا عن قول المسيح اذ قال له الفريسيون : أنت تشهد لنفسك وشهادتك ليست حقا حيث قال ١٧ .

وأيضا في ناموسكم مكتوب شهادة رجلين حق ١٨ أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الأب الذي أرسلني وقد نسبوا الى قدسه بهذا الكلام تمام الجهل بحكم التوراة ومعرفة المكتوب وحكم القضاء شرعا وعرفا ، فإن المدعي لا يكون أحد الشهود البتة حتى عند الأوباش.

«الرابع» في ثالث عشر يوحنا بعد أن ذكر أخبار المسيح بأن واحدا من تلاميذه سيسلمه ٢٣ ، وكان متكئا في حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه ٢٤ فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل من عسى أن يكون الذي قال عنه ٢٥ فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال : يا سيد من هو انتهى ، واعلم ان قوله كان متكئا معناه انه كان جالسا وشواهده من العهد الجديد كثيرة انظر أقلا الى «يو ٢ : ١٠ - ١٤ ومت ١٤ : ١٩ و ١٥ : ٣٥ ومر ٦ : ٣٩ ولو ٩ : ١٤ و ١٥ : ٦ و ١٠ : ١١».

ولا تظن ان هذا التلميذ كان ابن أربع سنين أو ثلاث حتى لا يقبح اتكاؤه وجلسه في حضن المسيح ، بل يدلك الحادي والعشرون من يوحنا ٢٠ .

٢٥ على أنه هو يوحنا بن زبدي الذي ينسب إليه هذا الإنجيل ، وانه قبل اتكائه وجلوسه في حضن المسيح بنحو ثلاث سنين كان يصطاد السمك مع أبيه وأخيه ويعمل في السفينة ويصلح الشباك «مت ٤ : ٢١ و ٢٢ ومر ١ : ١٩ و ٢٠» فلا بد وان يكون حين ما يدعى من جلوسه في حضن المسيح واتكائه على صدره شابا في ريعان الشباب وغضارته ، فانظر يا ذا الرشد والفهم الحر واعتبر في أحوال البشر ونزاهة الأولياء وعفافهم وقل هل يجوز على قدس المسيح أن يجلس في حضنه شاب غض في محفل من التلاميذ ويعطيه وجهها حتى إذا أراد أن يكلمه اتكأ على صدره كتغنج الفتاة المعجبة بجمالها المعتمدة على شغف زوجها بها.

أفهدا وضع رسول مرشد إلى الهدى والعفاف أم وضع ... غفرانك الله مما ذكرت فاني أردت إرشاد الجاهل وتنبيه الغافل وتنزيه مسيحك المقدس ورسولك المكرم ليحيي من حي عن بيته.

«الخامس» في عاشر يوحنا في شأن المسيح ٣٣ إجابة اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها ٣٤ أجابهم يسوع أليس مكتوبا في ناموسكم انا قلت انكم آلهة ٣٥ ان قال : آلهة لاولئك الذين صارت إليهم كلمة الله ولا يمكن أن ينقض المكتوب ٣٦ ، فالذي قدسه الأب وأرسله الى العالم أتقولون له : انك تجدف؟ لأني قلت : اني ابن الله انتهى.

فأقول في هذا الكلام وفرض نسبته الى المسيح وحاشاه ان كان هذا الاحتجاج بما في الناموس جدلا من المسيح لليهود وإسكاتا بما في ناموسهم لزم أن يكون في ناموسهم ما ليس من الإلهام بل هو كذب عليه فجادلهم به المسيح الزاما لهم وانتقادا عليهم ، وهذا من شواهد التحريف الذي ادعيناه وإن كان برهانا من المسيح لزم أن يكون معتقدا مصدقا بتعدد الآلهة وكثرتهم وحينئذ أين يكون ما في التوراة ولا تذكروا اسم آلهة اخرى ولا يسمع من فمك «خر ٢٣ : ١٣» لا يكن لك آلهة اخرى امامي «تث ٥ : ٧» لتعلم ان الرب هو الإله ليس آخر سواه ، فاعلم اليوم وردد في قلبك ان الرب هو الإله في السماء من فوق وعلى الأرض من أسفل ليس سواه «تث ٤ : ٣٥ و ٣٩» أنا هو الرب

وليس إله معي «تث ٣٢ : ٣٩».

وفي السابع عشر من الأيام الاول ٢٠ يا رب ليس مثلك ولا إله غيرك.

وفي المزمور الثامن عشر ٣١ لأنه من هو إله غير الرب.

وفي الرابع والأربعين من اشعيا ٦ هكذا يقول الرب ملك بني اسرائيل وفاديه رب الجنود أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري ٨ هل يوجد إله غيري؟ الى غير ذلك من العهدين. وكيف أمكن أن ينقض هذا كله ويقال بتعدد الآلهة ولا يمكن أن ينقض قول المزامير ، أنا قلت : انكم آلهة ولا يصرف عن ظاهره المدعي لأجل دلالة العقل والنقل على توحيد الإله ، هذا كله مع أن المزمور الثاني والثمانين المتضمن لهذه الفقرة ظاهر بسوقه فضلا عن قرينة العقل في أن هذه الفقرة مسوقة للإنكار لا للاخبار ففيه ٢ حتى متى تقضون جورا وترفعون وجوه الاشرار سلا ٥ ، ٣ أقضوا للذليل وللتييم انصفوا المسكين والبائس نجوا المسكين والفقير من يد الاشرار انقذوا ٥ لا يعلمون ولا يفهمون في الظلمة يتمشون تنزعز كل اسس الارض ٦ أنا قلت : انكم آلهة وبنوا العلى كلكم ٧ لكن مثل الناس تموتون وكأحد الرؤساء تسقطون ٨ ، قم يا الله دن الارض لأنك أنت تمتلك الامم انتهى.

فتأمل في أول هذا الكلام وآخره وسوقه وحصل بفهمك الحر معناه ثم تنبه الى أن العهدين مع ما تضمننا من توحيد الإله كما سمعت بعضه وستسمع إن شاء الله في محاله باقيه ، ومع نهي التوراة عن ذكر اسم آلهة اخرى ، وأن لا يسمع ذلك من الفم ، قد ذكر فيها ان موسى إله هارون «خر ٤ ، ١٦» وإله لفرعون «خر ٧ ، ١».

وفي العهد الجديد ما سمعت من أن الذين صارت لهم كلمة الله آلهة ، أو يرضي ذو الفكر السليم أن يكون هذا كله من الوحي الإلهي ، أو كما يقول المتكلف «يه ١ ج ص ٣٨» وغيرها تنزيل العليم الحكيم.

وأما رسل العهد الجديد فقد مر عليك في أواخر المقدمة الخامسة شيء مما وصمهم به كتابهم.

فتبصر أيها العاقل فيما ذكرنا عن العهدين في شأن أنبيائهما وانظر نظر الطالب للحق الراغب في السعادة الخائف من الهلكة ، فهل ترى ذلك كله يمكن أن يكون من الوحي الإلهي وتنزيل العليم الحكيم فإن الله عليك رقيب ، وللمتكلف كلام قد آن أوان التعرض له.

قال «يه ج ص ٤٢ و ٤٣» ان الله عَزَّوَجَلَّ المذكور في التوراة قدوس ظاهر يعاقب على أقل خطيئة بخلاف الإله المذكور عندهم «يعني المسلمين» فإنه يتساهل بالخطايا ويغفرها وحاشا لله الحق من ذلك فإن عدله وقداسته يستلزمان عقاب أصغر الخطايا ما لم يكفر عنها بالذبيحة.

أقول : أنا بفضل الله وبركة الإسلام دين الحق لنبرأ قلوبنا وألسنتنا وأقلامنا وننزهها عن فرض تعدد الآلهة ، ولكننا نقول : ان الله الذي لا إله إلا هو العليم الغني الحكيم اللطيف الخبير اختار من خلقه بلطفه وحكمته وعلمه بعباده رسلا مطهرين مقدسين بررة مبرئين عن الارجاس والقبايح ليكونوا أدلاء على معرفته ، وهداة الى الحق وقدوة للخلق باعثن لهم بما تقتضيه الحكمة الإلهية ، ومصلحة الوقت على التقوى والصلاح ليعرفوا الحق وينكروا الباطل ، ويهتدوا بهداهم الى الرشd والعدل والصلاح فينالوا سعادة الدارين.

فإن صدر من هؤلاء الرسل المطهرين من خلال الاولى والأفضل ما يروونه لحسن معرفتهم بجلال الله منافيا لما ينبغي للعبد العارف من الانقياد الى مولاه عدوا ذلك على أنفسهم زلة تحطهم عما يرغبون فيه من المقام الرفيع وفزعوا مما صدر منهم الى الله مولاهم بالتوبة وطلب المغفرة والرحمة وان لم يفعلوا حراما ويتركوا واجبا فيغفر لهم ذلك ولا يحطهم به عما يجتهدون له من رفيع المقام وحسن الزلفى فإنه أكرم مسئول وأوسع معط.

ونقول : ان الله تقدست أسماؤه أعلى شأننا وأوسع رحمة وعلمنا وأتقن حكمة ولطفنا من أن يرسل للغاية المذكورة من يكذب ، أو يستعمل الخداع والتزوير ،

أو يستهين بالرسالة ومواعيد الله ، ويصفه بالإساءة ويتحكم عليه بالمغفرة لمن أشرك به ، ويرضى بمحوه من كتابه ، أو يصنع وثنا للعبادة ويعبده ويدعو لعبادته أو يبرر نفسه ويصف الله جل شأنه بالجور ويطلب المحاكمة معه ، أو يزي بالحصنات من نساء أصحابه المحامين عنه المجاهدين في سبيل الله ، ويحاول أن يلصق ولد الزنا بغير أبيه ، ويسعى في قتل الزوج ، أو يتزوج بالمشركات والنساء الكثيرة المحرمة عليه في الشريعة بحيث وقع في أغلب عمره بالزنا بمن ومال قلبه الى الشرك وذهب وراء آلهة أخرى وعظم شعائر الأوثان ومعابدها وهو معنى عبادتها ، أو من يكذب في التبليغ عنه أو من يسميه خداعا ، أو من هو شريب الخمر المحرمة ويعين على شرها ويكذب ويصدر منه ما لا يرضاه أولو العفة ويقول بتعدد الآلهة تعالى الله عن ذلك وتقدس رسله عن هذه الأوهام الباطلة.

وأما قول المتكلف ان عدل الله وقداسته يستلزمان عقاب أصغر الخطايا ما لم يكفر عنها بالذبيحة فنقول فيه :

«أولا» ان رحمة الله وغناه يقتضيان الغفران للتائب المنيب إذا وجدده مولاه أهلا لذلك ، وأين يذهب العبد إلا الى مولاه الكريم الرحيم ، نعم إن كانت الخطيئة من نحو الظلم للعباد كان مقتضى العدل أن لا يضيع حق المظلوم وذلك لا ينافي المغفرة للتائب إذا كان أهلا لها. «وثانيا» إن كان العدل والقداسة يستلزمان ما ذكره فليوضح لنا هو أو غيره وجهها معقولا لحل الذبيحة لعقدة هذه الملازمة.

ثم ان أراد من الذبيحة ذبيحة العهد القديم فإن الله لغني عن جميع العالم وعنهما وعن رائحة السرور للرب «لا ١ : ٩ و ١٣ و ١٧» ، وان كثرة المعاصي المنسوبة للأنبياء في العهدين ليناسب تكفيرهم عنها بالذبايح ما في أول اشعيا عن قول الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ١١ اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات.

وان أراد ذبيحة العهد الجديد أعني المسيح المصلوب بزعمه سألناه أيضا كيف يعقل أن تنحل بهذه الذبيحة عقدة ما ذكره من الملازمة.

وأيضاً ما هو ومن هو المانع لله عن جوده ورحمته بغفران خطايا التائب المنيب إلا بالتكفير بالذبيحة.

وأيضاً ما حاجة الله الى الفداء والتكفير حتى يجعل ابنه بزعمهم تعالى عن ذلك عرضة للإهانة والصلب والاستهزاء كما يقول العهد الجديد مع ما كان عليه المسيح بمقتضاه من الاضطراب والخوف والاكتئاب والبكاء وطلبه من الله أن تعبر عنه كأس المنية «انظر مت ٢٦ : ٤٦-٣٦ ومر ١٤ : ٣٢-٤٢ ولو ٢٢ : ٣٩-٤٥».

ومن الظرائف في مسألة الفداء انه لما كان من أقوال التوراة ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها «تث ٢٧ : ٢٦» جاء عن بولس في ثالث غلاطية ١٣ المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة انتهى.

أفليس للسائل أن يسأل عن الكيفية المعقولة لهذا الفداء والافتداء ، وعن موافقته لعدل الله وقداسته المستلزمين للعقاب على أصغر الخطايا ، وعن كيفية كون المسيح وحاشاه لعنة لأجلهم ، وعن توقف فدائهم على كونه وحاشاه لعنة مع الزعم بأنه ابن الله جل شأنه والاقنوم الثاني لله بل الإله الذي تقمص الطبيعة البشرية ليرفع قدرها ، وعن حسن ذلك وعدم منافاته لعدل الله وقداسته ، وعن جواز ذلك بالنسبة لمن يزعمونه إلهاً ، وعن مناسبة ذلك للمكتوب المشار إليه فإنه في الحادي والعشرين من التثنية ٢٢ وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة ٢٣ فلا تبت جثة على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله فلا تنجس أرضك انتهى.

وانظر هل يسب المسيح أعداءه أكثر من هذا «فإن قيل» ان هذا المكتوب المشار إليه غير هذا «قلنا» ها هما العهدان بأيدينا ، فأين يكون المكتوب المشار إليه فيهما.

ولم يكتف المتكلف بما ذكره هاهنا في سر الفداء وخيل له وهمه ان هذا من الحقائق البينة والمعقولات الممكنة التي ينشرح لها العقل بالقبول فقال «يه ٢ ج ص ٢٩٠ و ٢٩١» وإذا قيل ما هي الغاية من تجسده وصلبه «قلنا» ان الغاية

هي أن يكفر عن خطايا كل من يؤمن به لأن الجميع أخطئوا واحتاجوا الى من يكفر عن خطاياهم لأننا إذا نظرنا الى العالم رأينا انه لم يسلم أحد من اقتراف الخطيئة وعقاب الخطيئة هو الموت في جهنم الى الأبد لأن المولى سبحانه وتعالى طاهر قدوس وعدله يستلزم عقاب الخطيئة بهذه الكيفية ، فالمسيح احتمل في جسده ما كنا نستوجبه من العقاب ، ووفى ما كان علينا من الدين رحمة منه لأن الله هكذا أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن بل تكون له الحياة الأبدية ، فطريقة الخلاص موافقة للعدل الإلهي ولكمالات الله.

أقول : أو تدري من يريد بالمتجسد المصلوب في كلامه هذا هو من تكرر في مزاعمه في كتابه بأنه الإله الذي تقمص الطبيعة البشرية ليرفع قدرها فإن أردت الإيضاح قال لك هو اقنوم الابن ، فإن قلت : وما اقنوم الابن قال لك ان الله لواحد والاقانيم ثلاثة الأب والابن والروح القدس والثلاثة هم واحد فالله واحد ثلاثة فإن قلت : كيف يكون الواحد ثلاثة ومن الباذل ومن المبذول إذا كان الثلاثة واحد ومن المصلوب ومن المتجسد قال لك اسكت ولا تكثر في سؤالك فإن هذه الامور لا يدركها العقل ، وليست من وظيفته بل تؤاخذ من تعليم القسوس المؤيدين بروح القدس بلا تعقل لها ، فقد قال بولس الرسول : لأنه إذا كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسّن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة ، لأن جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس « ١ كو : ٢١ و ٢٥ ».

فإن قلت له : إذا كان عقاب الخطيئة هو الموت في جهنم الى الأبد لأن المولى سبحانه وتعالى طاهر قدوس وعدله يستلزم عقاب الخطيئة بهذه الكيفية والمسيح احتمل في جسده ما كنا نستوجبه من العقاب ، ووفى ما كان علينا من الدين رحمة منه ، أفكان الوفاء أو المحتمل عنا من نحو العقاب الذي استوجبهنا والدين الذي كان علينا وهو الموت في جهنم إلى الأبد ، وننسب هذا الى المسيح الفادي أم هو من غير هذا النحو ، فإن كان من غير هذا النحو سألنا كيف وأنت تقول : ان عدل الله الطاهر القدوس يستلزم العقاب بهذه الكيفية.

وأیضا أفلا يكون هذا الوفاء من المخادعة الجزافية.

وأيضاً إذا كان هذا الفداء من الابن رحمة منه ، أفلم يكن عند الأب شيء من هذه الرحمة ليغفر لنا بدون تحمل ابنه لعقاب الخطيئة.

وأيضاً من هو الأب؟ ومن هو الابن؟ وأنت تقول : ان الثلاثة واحد وبالنتيجة يرجع الكلام الى ان الأب تحمل ما تقول ولازم قولك انه تحمل الموت الأبدي في جهنم. «قلت» : سيقول لك المتكلف هذا كلام تحديف فانا نبشر لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صلب المسيح «١ كو ١ : ١٧» فإن الكتاب يقول : صار المسيح لعنة لأجلنا كما سمعت.

فان قلت : ان لي على هذا الكلام وما ذكرته سابقا من نحوه سؤالات كثيرة ، قلت : أو على عهدة الجواب في مثل هذا واني سائل مثلك وقد أجبتك عن البعض بما أعلمه من حالهم ومقاهم وكتبهم ، فجاهد في الله يهدك الى سبيله.

ونتيجة ما تقدم : ان العقل والنقل دالان بأوضح دلالة على لزوم عصمة الرسول عن الخطايا والقبائح والتمرد على الله فلا يجتمع للكتاب المنسوب للوحي والإلهام أن يصرح برسالة شخص ونبوته ، ثم ينسب بصراحته له الفعل القبيح عقلاً أو شرعاً ، ودونك القرآن فهل تجد فيه ما هو صريح في نسبة الفعل الحرام أو ترك الواجب أو فعل القبيح الى من صرح برسائله خصوصاً وقد نبهناك على معاني ألفاظه ومرامي مقاصده ودلائل شواهد ، ولئن وجد فيه ما يوهم ذلك ابتداء فإن قرينة العقل والنقل وخصوص القرائن المتصلة لتكبح ذلك الوهم وتصرف عنه ايهام اللفظ.

وأما العهدان فكم وكم ترى في صريحهما من نسبة الخطايا الكبائر ومفضعات الجرائم الى من صرحا بنبوتهما ورسالتهم ونزول الوحي للتبليغ عليهم ، ولا يجتمع لهما الصدق في وصفهم بالرسالة ونزول الوحي عليهم للتبليغ ونسبتهم الى ما ذكره من الخطايا كما شرحنا بعضه في فصول هذا الباب ، فإن بداهة العقل والنقل لتحكم بكذبهما في أحد الأمرين لا محالة ،

فاختر لنفسك فإن اخترت كذبهما في وصف هؤلاء بالرسالة لزم كذبهما على الوحي
بأجمعهما لأن مدارهما على رسالة موسى والمسيح وهما العمدة في محل الكلام.

الفصل السادس عشر

في عصمة خاتم المرسلين محمد «ص»

وما يتعلق بها

اعلم ان المتكلف حاول أن يلوث قدس رسول الله «ص» بعبادة الاصنام قبل النبوة والميل الى ذلك بعدها فتشبت لذلك بآراء فاسدة وروايات آحاد مضطربة متعارضة مخفوفة بأسباب الوهن والخلل وصار يحمل على ذلك بتشبيهه واقتراحه بعض الآيات التي لا ربط لمدلولها بمراده ، وسود بذلك وجه ست صحائف «انظر يه ١ ج ص ٦٠ . ٦٥» ، وجاء في خلال ذلك بما يشوه وجه التحقيق ويشين شرف الكاتب ، وما ضره لو فاز مع ذلك بحسن الأدب أقلا ، فاستدل لعبادة الاصنام بقوله تعالى في سورة الضحى ٧ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهْدَى﴾ وقال : فهذه العبارة ناطقة بأنه كان على عبادة عشيرته.

أقول : هل ترى المتكلف يدعي ان معنى الضلال في اللغة هي عبادة الأوثان أو عبادة ما يعبداه الأهل والعشيرة ، أو ليس يعلم كل مترعر باللسان العربي ان معنى الضلال مساوق لمعنى التيه واضاعة الطريق ، ويختلف المراد منه باعتبار متعلقه ، فيقال : ضل الرجل عن التوحيد إذا عبد غير الله وضل عن الشريعة إذا جهل أحكامها أو خالفها ، وضل عن الجادة إذا تاه ، وضل عن الصواب إذا خبط وخلط ، وضل عن الرشيد إذا تحير في اموره ، وضد الضلال هو الهدى ، ويختلف المراد منه أيضا باعتبار متعلقه على نهج ما تقدم. فعلى المتكلف ان أراد أن لا يضل في الدعوى أن يبين المراد بالضلال من صريح لفظ الآية حتى يدعى ان العبارة ناطقة بمدعاه ، بل نقول لما ذا لا يكون المراد من الآية ووجدك قبل

النبوة وإعلان الوحي ضالاً عما أوحى إليك من الشريعة المتكلفة لأحسن التهذيب والتكميل وأتقن النظام للدين والدنيا فهذاك الله إليها بنور النبوة وإعلام الوحي ودفع عنك الحيرة فيما كنت تطلبه من الهدى إلى شريعة الحق لتحمل عليها الناس.

وما المرجح لما يدعيه المتكلف على هذا لو لا الهوى ، ولما ذا يخلط «به ١ ج ص ٦١» بين الدين والشريعة فإن الخلاف الذي ذكره عن جامع الجوامع إنما هو باعتبار الاختلاف بين شريعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ من حيث الناسخ والمنسوخ في الأحكام العملية ، ولا اختلاف في دين هؤلاء ولا غيرهم من الأنبياء من حيث التوحيد والمعارف اللاهوتية أصلاً ولم يقل ذو رشد باختلافهم في ذلك.

ثم قال المتكلف : من أقوى الأدلة على حيدانه «يعني رسول الله «ص» عن عبادة الحق وميله إلى الاصنام هو مدحه لآلهة قريش وتقديم العبادة لها.

أقول : المنشأ في تشبث المتكلف في ذلك هي الرواية المقطوعة الفاحشة الاضطراب المشوشة في نقلها وألفاظها حيث أرسلها بعض المفسرين ، وهو أن رسول الله (ص) قرأ في سورة النجم في مجلس لقريش فلما بلغ قول الله تعالى ١٩ : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ٢٠ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ قرأ بعده (تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترتجى) فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به. ومضى رسول الله في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجوده. وسجد جميع من في المسجد من المشركين وقد سرهم ما سمعوا.

وكان المتكلف يذعن بصدق هذه الحكاية أكثر من إذعانه بصدق ما في العهدين حتى عدها من أقوى الأدلة ، وكأن لم يشعر بأن أهل العلم والدراية والنظر من المسلمين قد جبهوا هذه الحكاية بالرد ، وسموها المرتضى خرافة وقال النسفي : ان القول بها غير مرضي ، وفي تفسير الخازن ان العلماء وهنوا أصل القصة وذلك انه لم يروها أحد من أهل الصحة ، ولا أسندها ثقة بسند صحيح او سليم متصل ، وإنما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم ، والذي يدل على ضعف هذه القصة

اضطراب رواها ، وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها ، انتهى كلامه .

أما ضعف سندها فمن جهات كثيرة معروفة في فن الدراية ومعرفة الرجال لا يسع المقام إحصاءها ، وأما انقطاع سندها فأقله أنه لا يتجاوز في طرقة عن التابعين ومن دونهم إلا الى ابن عباس مع أنه لم يكن مولودا في الوقت المجهول للقصة او كان ابن سنتين او ثلاث .

وأما اضطرابها فقد جاء نقلها المضطرب على وجوه ١ ان النبي حين قرأها كان يصلي ٢ وأنه كان جالسا في نادي قومه ٣ حدث نفسه بها فجرت على لسانه ٤ كان يصلي عند المقام فنعس فألقى الشيطان ذلك على لسانه فتكلم . بها فتعلق بها المشركون وحفظوها ٥ ان الشيطان أخبرهم بأن نبي الله قد قرأها ٦ ان رسول الله لم يتنبه لذلك حتى أمسى وأتاه جبرائيل فقرأ عليه في جملة السورة ما ألقاه الشيطان فقال جبرائيل : ما جئت بك بهذا فأوحى الله الى رسوله ﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ (الآية) ، فما زال مهموما مغموما حتى نزل عليه قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ﴾ من نبي الآية ٧ انه سها فقرأها ففرح المشركون بذلك فقال : لا إنما كان ذلك من الشيطان ٨ انه علق يتلوها فنزل جبرائيل فنسخها ٩ قرأها بعد قوله تعالى : ﴿وَمِنَ اللَّائِي الْأُخْرَى﴾ ١٠ قرأها بعد قوله تعالى ﴿قِسْمَةٌ خِيزَى﴾ ١١ انه تنبه لها عند قراءتها وقبل إكمال السورة ففرع وجزع فأوحى الله إليه الآية السادسة والعشرين من السورة ﴿وَكَمْ مِنْ مَلِكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ الآية ١٢ لم يتنبه حتى أتم السورة وسجد المشركون وحملوه فاشتدوا به بين قطري مكة يقولون نبي بني عبد مناف ١٣ جاء في لفظها : انهن لفى الغرائيق العلى وان شفاعتهن لترجى ١٤ ، تلك الغرائيق العلى ، وان شفاعتهن لترجى ١٥ ، ان تلك الغرائيق العلى منها الشفاعة ترجى ١٦ تلك الغرائيق العلى منها الشفاعة ترجى ١٧ ان شفاعتهن لترجى ١٨ ان شفاعتهن لترجى ١٩ وانهن هن الغرائيق العلى وان شفاعتهن التي ترجى ٢٠ تلك الغرائيق العلى وشفاعتهن ترتضى ومثلهن لا ينسى ٢١ وهي الغرائيق العلى شفاعتهن ترجى ٢٢ ، وان شفاعتها لترجى ، وانها لمع الغرائيق العلى ٢٣ تلك إذا في الغرائيق العلى ، تلك إذا شفاعتها ترجى ٢٤ ، تلك الغرائقة العلى وان شفاعتهن ترتجى .

ويزيد الاضطراب في رواية هذه القصة ما في بعض نقلها من ان الله عزى نبيه وفرج عنه بقوله تعالى في سورة الحج ٥١ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فذكروا عن رواية ابن عباس في سبب نزولها ان رسول الله (ص) تمنى من الله ان يقارب بينه وبين قومه فألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه ٢.

عن ابن عباس أيضا ان امنية رسول الله هي إسلام قومه ٣ كان يتمنى كف أذاهم ٤ تمنى من الله أن لا يأتيه شيء يفرق عنه قريشا ، وعلى هذا فالتمني والامنية من أفعال القلب ٥.

عن ابن عباس أيضا إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ٦.

عن ابن عباس أيضا وغيره تمنى تلا وقرأ والامنية التلاوة والقراءة ٧.

عن مجاهد تمنى تكلم وأمنيته كلامه ٨ لم يذكر تمنى النبي (ص) في بعض الروايات عن ابن عباس وغيره ولذا فسروا تمنى بتلى وامنيته بتلاوته واستشهد المفسرون بقول حسان :
تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر
وقول الآخر :

تمنى كتاب الله آخر ليلة تمنى داود الزبور على رسل
وهذا بعض الاضطراب والاختلاف في أمهات المطالب من رواية هذه القصة ، ولو استقصينا الاختلاف في الألفاظ والمعاني لأدى طول الكلام الى الملل ، وخرج الكتاب عن موضوعه ، فانظر أقلا الى الدر المنثور تفسير السيوطي .

وان فيما ذكرنا كفاية لمعرفة ان الحق أبلغ ، والباطل لجلج.

ثم لنعطف الكلام الى تطبيق الآية على المدعي من القصة فنقول اما على تفسير التمني والامنية فيها بالارادة القلبية فلا تصلح لأن تكون تعزية عن الحزن

من أجل القول الذي القاه الشيطان كما يزعم لو فرضت مطابقتها لما ذكره من تمني رسول الله (ص).

وأما اذا جعلنا الامنية بمعنى المتمني وهو الشيء الذي يتمناه الانسان فلا يطابق قوله تعالى ﴿الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ بعض المطابقة الا ما ذكر من ان الامنية كانت اسلام قومه (ص).

فان معنى القى الشيطان في المتمني هو ان يدخل فيه ما يضره ويشوشه ، بل نقول ان معنى قوله تعالى ﴿الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ لا بد ان يكون لتركيبه معنى واحد عربي مقرر وهو ما يرجع الى موافقة المتمني او مخالفته. وعلى كل حال لا يطابق جميع ما قيل في بيان الامنية. وهي ان يقارب الله بينه وبين قومه ٢ اسلام قومه ٣ كف اذاهم ٤ لا يأتيه من الوحي شيء يفرقهم عنه.

وأما تفسير التمني والامنية بالتلاوة فهو شيء غريب لم يسمع له شاهد إلا شاذ يقال انه لحسان فلا يحسن حمل القرآن على لغة هذا شأنها.

وأيضاً ان المروي عن ابن عباس وابن الزبير ان سورة الحج التي فيها هذه الآية مدنية من دون استثناء لهذه الآية أفلا يعارض هذا ما روي من ان الآية نزلت في مكة في مساء واقعة الغرانيق وفي حينها تعزية لرسول الله من أجلها لأنه كان به رحيماً؟ أم تقول ان الله الرحيم برسوله اللطيف بعباده آخر تعزية رسوله عن ورطة الغرانيق ولم ينزل فيها الآية المذكورة إلا بعد مدة من السنين وتنقل في الامكنة وتقلب في الاحوال التي فات بها مقام التعزية والتدارك ، دع هذا كله وقل كيف يدعن عاقل بصدق هذه الحكاية خصوصاً على مزاعم المتكلف مع مناقضتها لما في خصوص المقام من سورة النجم في التنديد بالاصنام وبيان كونها باطلا بقوله تعالى ٢٣ ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ وان هذه الآية لتوضح ان حكاية الغرانيق وسجود المشركين في آخر السورة مع رسول الله سروراً بمدح آلهتهم انما هي تلفيق من غير تدبر افترى المشركين يسجدون في آخر السورة فرحين مسرورين بعد ما سمعوا من التنديد بألهتهم. والتسفيه لهم بقوله تعالى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ﴾ الآية ، أفلم يكونوا

أهل اللسان والمعرفة بمحاوراته؟ أفتراهم لا يفهمون مواقع الكلام مثل ... على أن هذه الحكاية بأصلها وفروعها والاستشهاد لها مخالفة لنص القرآن في نفس سورة النجم بقوله تعالى في شأن رسول الله : ﴿ ٣ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ٤ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ٥ ﴾ .

فإن قلت فإذا فما يكون المعنى في الآية المذكورة قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ﴾ الآية.

قلنا : والله أعلم الظاهر هو أن يكون المراد من الامنية هو الشيء المتمني كما هو الاستعمال الشائع في الشعر والنثر ، كما أن الظاهر من التمني المنسوب الى الرسول والنبي كما يشهد به سوق الآيات هو أن يكون ما يناسب وظيفتهما وهو تمني ظهور الهدى في الناس وانطماس الغواية والهوى وتأيد شريعة الحق ونحو ذلك فيلقي الشيطان بغوايته بين الناس في هذا المتمني الصالح ما يشوشه ويكون فتنة للذين في قلوبهم مرض ، كما ألقى بين أمة موسى من الضلال والغواية ما ألقى ، وألقى بين اتباع المسيح ما أوجب ارتداد كثير منهم وشك خواصهم فيه واضطرابهم في التعاليم وأحكام الشريعة بعده كما مر عليك شرحه في المقدمة الخامسة ، وألقى بين قوم رسول الله ما أهاجهم على تكذيبه وحربه وبين أمته ما أوجب الخلاف وظهور البدع. فينسخ الله بنور الهدى غياهب الضلال وغواية الشيطان ، فيسفر للعقول السليمة صبح الحق ، ثم يحكم الله آياته ويؤيد حجته بإرسال الرسل او تسديد جامعة الدين القيم ، وإذا نورت فكرك بما ذكرناه عرفت شطط المتكلف «يه ٣ ج ص ١٦٩ . و ٢ ج ص ٩٧» .

«ورطات المتكلف» وإذا تبصرت بما شرحناه فلا تعجب من المتكلف إذ جعل قصة الغرائق السخيفة من أقوى أدلته فإنه قد أبدع في التحقيق وحرية الضمير حيث قارن بين هذه القصة وبين ما جاء في العهد القديم في شأن سليمان بن داود فقال «يه ١ ج ص ٦٣ س ١٩» لم يظهر نبي من الأنبياء الصادقين مثل هذا التلاعب ومسايرة الناس على شركهم وعبادتهم الكاذبة ولا مناسبة بين خطيئته «يعني قدس رسول الله وخرافة الغرائق» وبين خطيئة سيدنا سليمان ، فسيدنا أباح لبعض نسائه الأجنبية عبادة آلهتهن ولم يقع هو في هذه

العبادة انتهى.

وينبغي له أن يقول أيضا تكميلا لكلامه وأستغفر الله ، ولا مناسبة أيضا بينها وبين خطيئة سيدنا هارون فسيدنا هارون بقول التوراة صنع العجل إلها يعبد به بنو اسرائيل وبني مذبجا أمامه ونادى غدا عيد للرب.

فأقول في شرح بعض كلامه انك قد سمعت حكاية الغرائيق وهي القصة التي تزداد بزعم المتكلف قوة الى قوة بانقطاع سندها وضعفه وتناقض مضامين روايتها وتلوغها ، وعدم التشام آية التمني معها ومناقضة آية الاسماء والوحي لها وتكذيب العلماء المحققين لها ، وتسميتهم لها خرافة الى غير ذلك.

وفي العهد القديم الذي هو عند المتكلف كتاب وحي إلهي وكلام الله السميع العليم ما نصه ان سليمان أمالت نساءه المشركات قلبه وراء آلهة أخرى فذهب وراء عشتاروت آلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين ، وعمل الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه وبني المرتفعات قبالة اورشليم لعشتاروت رجاسة الصيدونيين ولكموش رجاسة الموابيين وملكوم كراهة بني عمون «انظر الى ١ مل ١١ : ٤ - ٨ و ٢ مل ٢٣ : ١٣».

أفنعول ان في هذا شيئا من الشرك؟ فإن المتكلف يقول : حاشا وكلا بل غاية الأمر ان سليمان أباح لبعض نساءه عبادة آلهتهن وما ذا تقول للمتكلف لو قال تلك ان هذه الإباحة من وظائف الأنبياء والعدل مع النساء الأجنبية؟ وما عساك تقول في سليمان وقد نص عليه العهد القديم عن قول الله ان سليمان هو يبني بيتي ودياري لأني اخترته لي ابنا وأنا أكون له أبا «١ أي ٢٨ : ٦».

والمتكلف يقول «يه ١ ج ص ١٢٢» أنه من كبار الأنبياء فلا يضر في ذلك انه ذهب وراء آلهة أخرى وعمل الشر ولم يتبع الرب وبني مرتفعات الأوثان ، فليعتبر ذو الرشده والبصيرة.

ثم قال المتكلف «يه ١ ج ص ٦٤» كان محمد لا يتكف عن التبعيد بآلهة قومه للتقرب منهم ثم ينقلب عليها لما يرى عدم الفوز بمرغوبه ، فورد في سورة بني اسرائيل ٧٥ ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾

وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا ﴿٧٦﴾

وذكر في سبب نزولها ثلاث روايات او أربع متعارضة متناقضة كل واحدة تذكر سببا مبانينا لما تذكره الاخرى وكلها تنسب الى ابن عباس انظر الى الدر المنثور وتفسير الخازن.
وأقول : وتزيد على ذلك في التعارض والتناقض رواية محمد بن كعب القرظي انها نزلت في أثناء سورة النجم في قصة الغرائق المتقدم ذكرها.
ويا عجباً كيف يتشبث أحد بمثل هذه المتناقضات ويحاول أن يموه أمرها اللهم إلا أن يكون لا يبالي بما يقول وما يقال فيه.

وان المتكلف لم يذكر الآية التي بعد هذه الآية لأجل انه شعر بأنها تنقض غرضه
الفاسد بمدلولها وهو قوله تعالى ٧٦ : ﴿وَلَوْ لَا أَنَّ تَبَتُّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾.

وان الذي ينبغي تحصيله من معنى الآيتين بمقتضى لفظهما والنظر في مقتضى الحال من الامور المعلومة من حال رسول الله (ص) وقريش هو انه لما اشتدت وطأة رسول الله عليهم بالدعوة والتنديد بأللهتهم والتسفيه لهم في عبادتها حتى اهتدى جملة منهم ومال إليه من لم تعمه العصبية صاروا يريدون منه الملاءمة معهم والكف عن الدعوة والتعرض لأللهتهم ويتوسلون الى ذلك مرة بالمشاغبة ومرة بالاضطهاد ومرة بالاستشفاع بأبي طالب وغيره.
وغرضهم من ذلك بزعمهم الفاسد أن ينجر تركه لهم عن الدعوة وتبليغ الوحي الى التساهل منه والموافقة على أهوائهم التي هي افتراء على الله. فرمما خطر على فكر رسول الله (ص) احتمال الصلاح في متاركتهم زمانا قليلا استصلاحا لهم وسياسة في الهدى وتلطفا في تحصيل الغرض فسدده الله الى الصواب وثبته على الجد في الدعوة والدوام عليها وأنزل عليه الآيتين المذكورتين تعريضا بإصرار المشركين والامتنان عليه بتسديده الى الصواب في كل حال ، وحاصل الآيتين ان المشركين قد كادوا باختلاف وسائلهم في طلب المتاركة من رسول الله ليحصل لهم ما توهموه من الغرض الفاسد وهي الموافقة لأهوائهم اخيرا وقاربوا بذلك ان يفتنوه

باحتمال الصلاح في المتاركة والكف شيئاً قليلاً عن الدوام في الدعوة التي أمره الوحي بها فسدده الله وثبته على أن الصلاح إنما هو بالدوام على الدعوة ولو لا هذا التثبيت لكاد رسول الله أن يركن إليهم شيئاً قليلاً من المتاركة لاحتمال الصلاح والنجاح ، فلم يكن المشركون ليفتنوه ولكن كادوا ، ولم يركن رسول الله إليهم شيئاً قليلاً ولكن كاد.

فأين منطوق الآيتين وممرهما من مقصود المتكلف المحال. وكيف لا يقبح الاستشهاد بالاولى منهما على أن رسول الله لا يستنكف عن التعبد بأهله قومه أفيجري في الوهم أن القرآن يسمى التعبد بأهله المشركين شيئاً قليلاً.

وقد ترقى المتكلف فصار يدعي أسباب النزول حسب هواه ومشتهاه فصار يدعي أن بعض ما روي في سبب نزول الآية المتقدمة هو السبب في نزول قوله تعالى في سورة بني اسرائيل ٤١ : ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾.

مع انه لم يرد في ذلك عن المفسرين الذين عرفت حالهم في تفسير الآية شيء من هذه الأوهام على أن صريح السوق فيما قبل هذه الآية وما بعدها ينادي بأنها كأخواتها واردة لتعليم الناس وصايا الله من قبيل - إياك أعني واسمعي يا جارة - انظر الى اطراد الوصايا في هذه السورة من الآية الثالثة والعشرين الى الخامسة والأربعين حيث قال الله جل اسمه ٢٣ : ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعَدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا ٢٤ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

أفيقول المتكلف ان الأمر بالإحسان بالوالدين كان المقصود منه رسول الله مع انه لم يدرك حياة أبويه. كلا بل أن السوق الجاري في هذه الآيات كالسوق الجاري في كثير من خطاب التوراة وخصوص العشرين من الخروج ٣ لا يكن لك آلهة اخرى امامي ٤ لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ١٧. وكذا الثالث والعشرين من الخروج والرابع والثلاثين ١١ . ٢٧ وغير ذلك فراجع.

ثم قال المتكلف «به ١ ج ص ٦٥» لما كان المشركون يرون منه ميلاً الى

آلهتهم كانوا يطلبون منه أن يذكر شفاعتها ، فكان كثيرا ما يجيب دعوتهم ثم يرجع عن ذلك ويدعى ان الله نجاه فورد في سورة الأحزاب ١ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ٢ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾. فلو لم يقترب ذنبا لما نهى عنه.

أقول : ومن الظرائف دعوى المتكلف ان المشركين كانوا يرون ميلا من رسول الله الى آلهتهم. وليت شعري هل وجدوا خصما دائم المثابرة لآلهتهم مثل رسول الله فلا توحشه في ذلك وحدة ولا يصدده عنه اضطهاد ولا تميله عنه المطامع ، كما لا يخفى ذلك على العدو والصديق ، وأظرف من ذلك دعوى المتكلف ان رسول الله كان كثيرا ما يجيب دعوة قريش الى شركهم. وهل وجد في الناس ضدا مقاوما للوثنية مثل رسول الله. وان المتكلف ليعلم انه لا يوافقه على هذه الخرافة أحد من الناس ، ولذا التجأ فيها الى الاحتجاج الذي لا يخفى حتى عليه وهنه وسخافته بقوله : فلو لم يقترب ذنبا لما نهى عنه.

أفيقول ان وصايا الشريعة ونواهيها لا تكون إلا بعد الوقوع في الذنب؟ أفلم يتدبر في شريعة التوراة؟ أفلم يتدبر في شرائع الملوك؟ أفلم يتدبر في أحكام الموالي؟.

وأظرف من ذلك نقضه بنفسه لهذا التوهم حيث قال في تتميم دعواه بزعمه ، روى ان أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا في المواعدة التي كانت بينه وبينهم وقام منهم ابن ابي وامتعب بن قشير والجد ابن القيس فقال له : ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعا وندعك وربك فادعى ان الله أنزل عليه ذلك.

فهل ترى المتكلف لم يشعر ان هذه الرواية تنقض غرضه لصراحتها بأن رسول الله قد جبههم في هذه الآيات بالرد وآيسهم من أمانهم الكاذبة.

وفي تفسير البغوى : انه شق على النبي قولهم وأمر عمران يخرجهم.

وفي تفسير النسفي : هم أن يقتلهم فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ يعني في قتلهم

ونقض العهد ، ولعله لو قيل للمتكلف إذا فمن يشهد لك على مدعاك؟

لقال : أليس في قرآنكم مكتوب شهادة رجلين حق أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي التعصب الذي يغريني ويورطني فإن من أوضح المعلومات التي لا يسترها غبار التزوير والتلفيق ان رسول الله كان أثقل الناس وطأة على الاصنام وأشدهم ذما لها وعيبا لعبدتها وتسفيها لأحلامهم ، لا يفتر عن ذلك ولا يداهن بل كان هذا هو العنوان لنهضته والقانون الاساسي لدعوته حتى عاداه في محض ذلك القريب والبعيد ولاقى من الاضطهاد ما لاقى.

ثم قال المتكلف. ومما يشبه هذه الحادثة قوله في سورة الزمر ٦٥ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

أقول : كأن المتكلف قد مناه وهمه بإحراز الموقفية في المنقولات والمحسوسات حتى صار يعتمد على الحدس والتخمين. أو تراه لم يشعر بأن صدر الآية الذي حذفه مما ينقض مرامه ، فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية وان الآية لتنادي بصراحتها ان هذا الخطاب قد خوطب به رسول الله كما خوطب به كل من قبله من الأنبياء الموحى إليهم.

أفيعول : ان خطاب الأنبياء بذلك كان مما يشبه هذه الحادثة ، أو لم يتدبر ما في هذه السورة الشريفة من التشديد والتفنن في زجر المشركين عن شركهم وتوبيخهم وبيان ضلالهم فيه ، وفي المحاماة عنه والدعوة إليه ، فمرة يزجرهم الله بالحجة عليهم بالتجائهم بمقتضى فطرتهم الى ناحية التوحيد حينما يضايقهم الضر ، ثم يرجعون الى ضلالهم واضلالهم في الرفاهية ، كما في الآية الحادية عشر.

ومرة باعترافهم بأن الخالق القادر هو الله مع عجز الأنداد عن النفع والضرر كما في الآية التاسعة والثلاثين.

ومرة بضرب المثل فيما يشهد به الوجدان من اختلال النظام بالشركة والشركاء كما في الآية الثلاثين.

ومرة يوبخهم ويقطع آمالهم ويخيب أطماعهم بتلقيين رسول الله أعلامهم

بما أمره به من التوحيد وترك الأنداد وبيان النكال المعد للمشركين والبشرى للمؤمنين كما في الآية الرابعة عشر الى الآية الثانية والعشرين.

ومرة بتلقيه توبيخهم والإنكار عليهم بطمعهم في الموافقة لهم على الشرك وآيسهم من أوهام أطماعهم بتلقيه ان الله قد توعدده وجميع الأنبياء قبله بالوعيد العظيم الشديد على الشرك فقال تعالى ٦٤ : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تُأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ٦٥ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ الآية ، فجاء الخطاب في هذه الآية لرسول الله وإعلامه بما أوحى إليه وإلى الأنبياء الذين من قبله مجيء الحجة والبرهان على مضمون الآية التي قبلها وهو الإنكار على المشركين فيما يدعونه إليه وتجهيلهم فيه ، بل والبرهان على التوحيد ونفي الانداد المتقدم في مضامين الآيات التي قبلها ، فأين المتكلف عن التبصر بحدى سورة الزمر ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

ثم قال المتكلف في شأن رسول الله «ص» ، وكما انه كان يقدم على المنكر المنهي عنه كان يتأخر عن أداء المأمور به لأنه كان يخشى بأس قومه ولما كان يرى ان موافقتهم لم تأت بفائدة ولا ثمرة كان يتخلص من ذلك بأن يدعى ان الله زجره فورد في سورة المائدة ٧١ ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

وعن الحسن : ان الله لما بعث رسوله ضاق ذرعا وعلم ان في الناس من يكذبه فقال هذه العبارة.

أقول : أما رواية الحسن فزيادة على كونها معارضة مقطوعة السند. مردودة بأن هذه الآية من سورة المائدة التي هي مدينة من آخر ما نزل من القرآن حينما أظهر الله دينه وكسرت دعوة الحق شوكة الشرك واخذت نائرة المشركين فلا ربط لها بأصل البعثة وتكذيب المشركين ، بل أن صريح الآية ومرمها يناديان بأنها تحت على أمر هو غير أصل الدعوة وتعظم أمره ببيان ان تركه بمنزلة ترك التبليغ لأصل الدعوة وإلا فأى معنى لقوله فإن لم تبلغ أصل الدعوة فما بلغت أصل الدعوة.

وان سألت عن مرمى الآية وقصدها «قلنا» لا يمتنع أن يكون رسول الله

قد يؤمر بأمر سياسي وتدير اجتماعي وقانون اصلاحي غير متعلق بحادثة وقتية يفوت الغرض منها بتأخير البيان ولا يكون في الوحي به تضيق بتعجيل التبليغ فيترتب رسول الله في تبليغه فرصة التأثير ويراعى في تأخيره سياسة الفائدة ومجال التنفيذ وعدم التشويش مراعاة حكمة الوظيفة واعتمادا على توسعة الاطلاق فيأتيه بيان التضيق والتعجيل بصورة الحث والتشديد اشعارا للعباد بأهمية ذلك الأمر وتنويعها بكبير شأنه في السياسة الدينية ونظام المدنية وانتظام الجامعة.

فلما ذا لا يحمل المتكلف الآية على هذا الوجه الواضح؟ ولما ذا يميل مع الهوى؟ ويعتل بالقليل؟ بل لنا أن نقول : ان المأمور به إذا كان عظيم الأثر في النظام العام كبير الفائدة في الاجتماع والجامعة ، فقد تقتضي الحكمة في الاشعار بأهميته والسياسة في تنفيذه وإجرائه وتثبيته في القلوب وجلبها إليه كما هو حقه أن يقرن الله الوحي به إلى الرسول المبلغ له بالحث والتشديد على تعجيل تبليغه ابتداء ومن دون سابقة له في الوحي فيجري الحث عليه على نحو فلسفي سياسي في براعة البيان ليكشف عن حسن أثره في الدين ، ومدخليته في الجامعة.

والشيعة من المسلمين يقولون : ان الآية نزلت في أمر رسول الله بنصب علي خليفة على امته من بعده وأخذ العهد له من الأمة بذلك وبالبناء عليه يتضح انطباق الآية وحسن مرماتها.

ثم ان المتكلف «يه ١ ج ص ٦٦ . ٦٨» والمتعرب «تذ ٦٥» قد تعرضا لشأن تزوج رسول الله بزینب بنت جحش التي كانت عند مولاه زيد بن حارثة فاستفزهما ما فيهما إلى أن جاء في كلامهما بما يقبح حتى منهما فراجعهما فإن الأوراق لأشرف من أن يسود وجهها بنقله.

وهاك خلاصة الأمر في القضية لا يخفى أن زيدا كان غلاما لرسول الله فجاء أبوه حارثة ليفكه من الرق ويأخذه فأبى زيد أن يتبعه رغبة في خدمة رسول الله لما رآه من بره وعظيم شأنه فشكر له رسول الله ذلك وأعتقه وعامله في البر معاملة الابن حتى دعاه الناس زيد بن محمد ، وزوجه زينب بنت جحش ، ثم طلقها زيد ولما انقضت عدتها تزوجها رسول الله حسب قوانين الشريعة المقدسة.

فاسأل المتكلف والمتعرب وأشباههما عن السبب في جرأتهما على رسول الله في ذلك ، فإن كان لأجل تزوجه بالمطلقة حيث منع العهد الجديد الرائج من أصل الطلاق والتزوج المطلقة في حجة متهافئة وتعليل عليل لا يليق بعوام الناس فضلا عن وحي الله للمسيح.

قلنا : من ذا الذي يوجب على رسول الله أن تكون أعماله وشريعته على مقتضى العهد الجديد الرائج ولا سيما في هذا الحكم الذي قد تلجلج العهد الجديد بحجته وتدافعت أقواله في نسخ مشروعيته حتى رفض تعليمه هذا عقلاء اتباعه في هذه الأعصار المتنورة فجعلوا الطلاق شريعة متبعة كما يشهد به الاحصاء ، لأجل ما وجدوه في منع الطلاق من الضرر الباهظ بنظام المدنية والاجتماع وصفاء العيش ، وانتظام أمر العائلة ، وحسن الأخلاق ، والعدل ، والحرية من أقبح القيود.

وان كان السبب هو تزوجه صلوات الله عليه بمطلقة من يدعى ابنه لأنها تكون محرمة عليه بتا وان لم يكن ابنا حقيقيا.

قلنا : من حرم ذلك؟ وفي أي شريعة جاء تحريمه هذه التوراة والعهد الجديد الرائجان وشريعة اليهود وشريعة النصارى.

فإن قالوا : انه محرم بشريعة مشركي الجاهلية «قلنا» لا نضايق من يرضى لنفسه أن يتشبث بمثل هذه الواهيات ، ولكن أليس رسول الله قد جاء ليجعل شرائع الجاهلية وعاداتها الوحيمة تحت قدميه ويجري بشريعة الحق كل الامور على حقائقها. فلما ذا لا يصد المتكلف شيء مما يصد ادباء الكتاب؟ حتى كتب في هذا المقام أكثر من ثلاث مرات ان رسول الله أخذ امرأة ابنه.

هذا وإن كان السبب هو مقدمات التزويج «قلنا» لم يذكر فيها القرآن الكريم إلا قوله تعالى في سورة الاحزاب ٣٧ : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾.

وأما الروايات المضطربة المختلفة فقد اقتصرنا في الصحاح عن أنس على أن زيدا جاء يشكو زينب إلى رسول الله وآل الأمر إلى طلاقها.

وفي رواية أبي سعيد عن زينب قالت : زوجني منه رسول الله فأخذته بلساني فشكاني إلى رسول الله الحديث.

وفي رواية قتادة أن زيدا جاء رسول الله فقال له : إن زينب قد اشتد لسانها علي ، فهل ترى في هذه المقدمات شيئا ينتقد به ، وقد أرسل المتكلف «يه ١ ج ص ٦٦» حسب أمانته وغرضه أن رسول الله أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصر زينب في درع وخمار وكانت جميلة فوقع في نفسه وأعجبه حسننها فقال سبحان مقلب القلوب وانصرف مع أنه قد جاء في رواية محمد بن يحيى بن حيان أن رسول الله لما رأى زينب فجأة أعرض عنها ورجع.

وفي رواية الطبري وكان على الباب ستر من شعر فرفعت الريح الست.

ونقول : لو تنازلنا وأعلمنا أخبار الأحاد فيما يتعلق بأصول الدين. وأغمضنا عن اضطراب هذه الرواية واختلافها ، وقبلنا ما أرسله المتكلف لقلنا ما ذا على النبي وغيره إذا وقع نظره اتفاقا ومن دون قصد على امرأة أجنبية وما ذا عليه إذا عرف بهذا الاتفاق حسن الحسن وقبح القبيح ووقع في نفسه موقعه ، وما ذا عليه لو التفت إلى قدرة الله على التصرف بالقلوب ، أيشترط في النبي أن يكون في مثل هذه الموارد ينقلب الحسن في عينه قبيحا.

وان المحرم القبيح هو النظر إلى الأجنبية ريبة وتلذذا وهو معنى قول الإنجيل الرائج كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بقلبه. وكذا معنى إذا أعثرتك عينك ويدك «مت ٥ : ٢٨ - ٣٠».

«ورطت المتكلف» وقد تروط في هذا المقام بمقاييساته فقال «يه ١ ج ص ٦٦ س ٩» نعم إن داود وقع في خطيئة الزنا ولكن يوجد فرق جسيم بين الأمرين فلم يأخذ داود امرأة ابنة.

أقول : وقد كشف لنا بكلامه هذا عن أنه لا منتهى لورطات الغفلة ولا حد لفلتات العصبية ، فلنصور لك هذه القصة على الرواية التي اشتهاها المتكلف ، ونذكر لك القصة التي قذف بها داود ملخصة من التفصيل الذي ذكر في العهد القديم كتاب إلهامهم ، وقايس أنت بينهما واحكم ولو ببعض إنصافك ووجدانك.

فنقول : جاء في بعض الروايات المضطربة أن رسول الله أتى بيت زيد غلامه ومعتقه فوقع عينه على امرأته فوقع في نفسه وأعجبه واشعر بذلك فطلقها زيد وقل طمعا ببر رسول الله وشكرا عليه ، بل قل مصانعة لندياه بل قل باستدعاء من رسول الله فلما انقضت عدتها تزوجها رسول الله حسب تسويغ شريعته المقدسة ولا تقل بأمر من الله ولا لأجل الحكمة التي سنبينها إن شاء الله في مبحث النسخ.

وجاء في العهد القديم الذي هو كتاب وحي وإلهام عند أهل الكتاب ان داود تمشى على السطح فرأى امرأة اوريا تستحم فسأل عنها فأخبر انها امرأة اوريا. ومن اوريا؟ هو أحد رجاله المؤمنين بالله الغازين للجهاد في سبيل الله مع تابوت الله لنصرة دين الله. فهي في الحقيقة وديعة في حمى داود وظل جواره وأمن رعايته فأرسل عليها وواقعها فحبلت وأخبرته بالحبل فأحضر زوجها من الحرب ليدخل على امرأته فيلتصق به ذلك الحمل الذي هو من الزنا ، وأسكره أيضا لهذا الغرض فأبى ذلك المؤمن المجاهد الناصح أن يستريح إلى أهله ويأنس بهم وذلك ليواسي تابوت الله والمجاهدين في سبيله ، فتوصل داود إلى قتله بأن أمر قائد العسكر أن يجعله في وجه الحرب الشديدة ويرجعوا عنه لكي يضرب ويموت ففعلوا وجاهد اوريا صابرا محتسبا حتى قتل فسر قتله داود وضم امرأته إلى بيته وولدت له من ذلك الحمل ولدا ولما مرض ذلك الولد جزع حتى بات مضطجعا على الأرض باكيا لم يأكل ولم يشرب « ٢ صم ١١ و ١٢ » فدونك المقايسة التي تورط بها المتكلف.

ثم ان له في هذا المقام وللمتعرب « ذ ص ٦٥ » كلاما يفضى استقصاؤه

إلى طول ممل وغايته انهما وجدا في أنفسهما بعض القدرة على تلفيق بعض الألفاظ فتكلما حسب ما تنضح به آنيتهما من دون نظر إلى العاقبة. وأقل ما فيه انهما فتحا به بابا قبيحا ولم يشعرا بأن خصمهم ممن لم يلقيه دين الإسلام طهارة المسيح وبراءته من بوادر العهد الجديد ليقول ويقول إذا رأى ما في سابع لوقا في شأن المسيح ٣٧ وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت انه متكئ في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب ٣٨ ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسح بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ، ولا سيما إذا سمع اعتراض الفريسي والجواب المحكي عن المسيح فإنه لينمق من ذلك روماناً عشقياً ، ومقامة وجدية وصالية يوشيهما من مرامي ألفاظ القصة ورموز شواهدا بمغازلات صباينية ، ومطارحات شوقية ودادية ، وإشارات غرامية ، لم يقف العرجي وابن أبي ربيعة موقفها ولم يحظ امرئ القيس بمثلها ، ولم يبح القيسان ببثها ، ولم يصل نشيد الانشاد الى رموز محاوراتها ، ولود أن يكون قسا إذ فتح إنجيل لوقا للسيدات باب هذه التوبة. فأين تذهب الاحلام وتشد العقول؟

ثم انظر «يه ٣ ج ص ٤٨» تجدد العجب من الإصرار على الغي. فإن سألت عن معنى الآية الشريفة فحاصلها. وإذا تقول يا رسول الله للذي أنعم الله عليه بالخلق السوي والإسلام وسائر النعم العظام ، وأنعمت عليه بالبر والعتق أمسك عليك زوجك واتق الله في شكواك منها أو بحسن معاشرتك لها عند إمساكك إياها ولا يحملك كلامها معك على أن تجور عليها زيادة على التأديب المشروع.

وتخفي في نفسك يا رسول الله ما الله مبدية ، فقد أعلمك أن زينب تكون من أزواجك ولا بد من أن يكون ذلك. وتخشى الناس أن يقولوا جريا على عوائد الجاهلية وضلالا وزورا ان رسول الله أخذ امرأة ابنه مع أن الناس لا ينبغي أن تخشاهم فأنهم لا يضرونك بجهلهم ولا يحطون من شرف منزلتك بأغاليطهم ولا يضلون من سدده الله بالهدى. والله أحق أن تخشاه فانه هو المالك للنفع والضر وهو الذي يحق الحق بكلماته ويتصرف في عبادته بقدرته

ومشيئته وحكمته ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ابطلا لأضاليل الجاهلية وعوائدهم الفاسدة في معاملتهم الادعاء معامللة الابناء الحقيقيين وتثبيتا للناس على شريعة الحق اقتداء بك لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، وفارقوهن عن رغبة واختيار في طلاقهن.

هذا معنى ما ورد عن أهل البيت في تفسير الآية ولا أقل من أن يكون احتمالا في معناها يكبح أغراض المغرضين.

«حديث الافك» ومما ينبغي استطراده من هذا النحو أيضا تعرض المتكلف «به ١ ج ص ٦٨» والمتعرب «ذ ٥٩ . ٦١» لحديث الافك إلا أن المتعرب قد كشف عن محبأه وأبدى نضحه لما في آنيته وإن كان عيالا في كل ما جاء به على بعض افتراء اليهود والوثنيين في شأن ولادة المسيح الطاهرة ويزيدون عليه بأن شواهد العادة الطبيعية تعضدهم وظواهر الأحوال تساعدكم بحيث يباين ما يقولونه لحديث الافك مباينة العادات الطبيعية لجزاف آلتهم مضافا إلى أن أصل حديث الافك وتهمته الشخصية غير معلوم وإنما جاء برواية الأحاد التي لا تفيد علما.

وان القرآن الكريم لم يعين لها موردا خاصا وإنما جاء بعنوان عام. ولو عرضنا الأمرين على اليهود والوثنيين لقال أهل الشرف والنفوس الحرة في حديث الافك لا يسوغ لنا الاقدام على التهمة والتخمين ، وان الاعتبار ليساعد فيه على البراءة.

هذا وان الوحي الصادق الإلهي الرادع عن سوء التهم والقاهر ببيان قدرة الله على خلاف العادات الطبيعية.

والمكذب بنفوذ مشيئته لشواهد الحال قد أعلمنا بفضل الله ولطفه بالطهارة والبراءة في المقامين والله الهادي إلى سواء السبيل.

وأما هزوء المتكلف والمتعرب في هذا المقام واعتراضهما على الأطناب في تشديد النكير والموعظة في آيات الافك فهما معذوران فيه ، إلا إذا نبههما الراصدون بروحانيتهم لسياسة الاجتماع والمدنية المكتشفون بوصول عقولهم أسباب

الايثلاف وارتباط العواطف وحفظ الشرف وناموس العفة. وفهموها ان أضر شيء في ذلك هو الإقدام على التهم في الأعراض. فإن الكلمة البادرة من ذلك تفعل ما لا تفعله السيوف وتجنّى ما لا تجنيه الحروب فإنها تثلم في شرف القبيلة ثلما لا يتدارك ، وتسبب عمومهم بالعار وسما لا ينمحي وتحطهم عن الكفاءة لأقراهم ومن دونهم ، وتصد طالبي العفة عن الرغبة في نسائهم ، وتوقع بينهما العداوة وتنشب الشر والعداوة بينهم وبين القاذف وقبيلته وتلجؤهم إلى قتل البريء وتغرس البغضاء في العائلة وتقطع علائق عواطفهم وتجرحهم غصص النكد والكمد وتشتت الشمل المجتمع وتفرق بين الطفل وأمه ، والوالد وولده ، والحبيب وحبيبه. إلى غير ذلك من المضار الفظيعة ..

وانها لتنشأ عن كلمة يقدر عليها الكبير والصغير والرجل والمرأة والقوي والضعيف والشريف والوضيع. تتفلسف من ألسنة ضعفاء النفوس بأيسر غيظ وأدنى سبب فيسرع انتشارها في الناس فلا يدركها كتمان ولا يمحو أثرها حيلة ولا تدبير ، فلا يرتق فتقها ولا يداوى جرحها وانها مما لا يصد عنه سلطة حاكم ولا يردع عن بواورها قدرة متسلط ولا سيطرة مؤدب إلا النواميس الروحية المكتسبة من التعاليم الإلهية. فلا غرو إذا أظنبت القرآن الكريم في الزجر عن ذلك. وأخذ في الردع عنه بمجامع أسباب التهذيب والتأديب والتشديد في النكير والتغليظ في العقوبة والتلطف في الموعظة وان هذا لمن اعجاز القرآن الذي لا يخفى إلا على الغبي أو المتعصب. فنور فكرك وخذ حظك من التهذيب والكمال بالنظر إلى سورة النور «٢٦ . ٤» وانها مع ما فيها من جوامع الكلم وبواهر الحكم في حفظ النظام وتهذيب الأخلاق وفلسفة صون العائلة وإصلاحها لم تبلغ ألفاظها ربع ما جاء في التوراة الرائجة في صيدلة البرص والقوبا «انظر الى الثالث عشر والرابع عشر من اللاويين» واسأل الحكماء والأطباء عن ذلك ما لم يكن فيهم كاهن ، ولقد أوجزنا وأجملنا في كشف أسرار الآيات الشريفة ، وأخرنا شرح ما تصل إليه عقولنا بعون الله من فوائدها الى حين التعرض لما في القرآن من الأخلاق الاجتماعية.

ولا ألوم المتكلف والمتعرب فيما جاء به في هذا المقام فانهما قد اشربت

قلوبهما طريقة العهدين الرائجين في نسبة الفضائع والفواضح الى الأنبياء وعائلاتهم ونشر ذلك عن لسان الوحي «انظر الى التكوين ١٢ : ١٤ - ٢٠ و ١٩ : ٣١ - ٣٨ و ٢٠ : ٢٠ و ١٧ : ٢٦ و ١٢ : ٧ و ١٢ : ٣٤ و ١٢ : ١ و ١٢ : ٣٤ و ٤ : ١ و ٢٢ : ٣٥ و ٣٨ : ١٣ - ٣٠» والى سفر القضاة «١١ : ١ و ٣ : ١ و ٢٠ : ١٤ و ١٦ : ١ و ٤ : ٤» وإلى صموئيل الثاني «١١ و ١٢ و ١٣ : ٢٢» وزادت النسخة السبعينية في الطنبور نغمة إذ ذكرت في هذه الحكاية الشنيعة ان داود لم يحزن روح آمنون ابنه لأنه أحبه لأنه بكره.

وأیضا «١٦ : ٢٣» وإلى هوشع «١ : ٢ : ٢ و ٤ : ٣ و ٤ : ١» وإلى متى «١ : ٣ و ٥ و ٦» وإلى لوقا «٧ : ٣٧ و ٣٨» وإلى يوحنا «١٣ : ٢٣ - ٢٦» غفرانك اللهم تقدست أنبيائك الطاهرون وكتب وحيك المطهرة وإنما أردت بذلك أن يعتبر من يتوجه إليك بنور هداك.

وأما تشهى المتكلف «يه ١ ج ص ٦٩» في تشبته بالرواية المضطربة في السبب لنزول قوله تعالى في أول سورة التحريم : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ فسيأتي إن شاء الله التعرض له عند التعرض لما في الآية الشريفة من الفوائد في نظم العائلة.

ومال المتكلف «يه ١ ج ص ٦٩» من تأمل تاريخ محمد ظهر له انه اشتهر بالقسوة والحقد فكان يغتال بالغدر والعدوان من عارضه إلى آخره.

أقول : وقد استشهد لذلك بما يروى من قصة عصماء بنت مروان وأبي عفك وكعب بن الاشرف وبني قريظة. وأبي رافع.

وليت شعري هل تعدو وظيفة رسول الله المبعوث لاعلاء كلمة الحق وانتشار الصلاح وقمع الفساد والمفسدين أن يكون حسب إعلان الوحي شديد الوطأة على اعداء الله المفسدين في الارض الذين كانوا عثرة في سبيل التوحيد واعلاء كلمة الحق وحسن النظام فكان اعدامهم بكل وسيلة من لوازم الاصلاح النبوي واحسنه ما لا يثير فتنة ولا ينشب حربا.

ولئن كان هذا من القسوة والحقد والعدوان فيا لهفاه ويا اسفاه على موسى

كليم الله. وما ذا يقولون فيه إذ أمر بقتل ذكور الأطفال وموطوءات النساء من سبي مديان ولم يبقوا إلا البنات الأطفال اللواتي لم يقربهن ذكر. وإنما أبقوهن لانتفاعهم بهن لا رقة عليهن «عد ٣١ : ١٧ و ١٨» وقتل بأمره كل من في مدن سيحون من الرجال والنساء والأطفال «ث ٢ : ٣٤» وكذا مملكة عوج ملك باشان «ث ٣ : ٥ و ٦».

ويا لهفاه ويا أسفاه على يشوع بن نون إذ قتلوا وحرّموا بأمره كل ما في مدينة اريحا من رجل وامرأة وشيخ وطفل حتى الحيوانات «يش ٦ : ١٧ و ٢١» وكذا كل من في مدينة عاي مما عدا البهائم «يش ٨ : ٢٦ و ٢٧» وكل نفس بمقيده ، ولبنه ، ولخيش ، وعجلون ، وحبرون ودبير. وكل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح «يش ١٠ : ٢٨ - ٤١» وكذا حاصور «يش ١١ : ١١».

ومع ذلك ينسب الأمر بهذا كله إلى الله ، بل انه هو الذي شدد قلوب المحاربين لبني اسرائيل من هؤلاء ليقع هذا الفعل بهم وبنسائهم وأطفالهم ولا تكون رافة عليهم ويحرموا ويبادوا كما أمر الرب موسى «يش ١١ : ٢٠».

فان قلت : ان التوراة قد اعلنت بحكمة هذا التحريم والابادة وهي المحافظة على ان لا يختلطوا مع بني اسرائيل فيردوهم او يردون أبناءهم عن عبادة الله الى عبادة آلهتهم «ث ٧ : ٣ و ٤ و ٢٠ : ١٨».

قلت : أولا لئن جاز هذا كله بما فيه من العظائم ، وصح من موسى ويوشع حذرا من العقابة في المستقبل وحماية للتوحيد من احتمال أن يغوى نسل هؤلاء المبادين لبني اسرائيل الذين عرفت في المقدمة الخامسة انهم لم يستقروا على التوحيد في جيل من أجيالهم من زمان موسى الى سبي بابل. فلما ذا لا يجوز لرسول الله المبعوث لمحو الشرك وإعلاء كلمة الحق أن يطهر الأرض من رجاسة فلان وفلان وبني النضير الذين قد أسرفوا وأفرطوا في مقاومة الموحدين والتوحيد بأقوالهم وأفعالهم ، وجرأتهم وبغيهم وغدرهم ونكث العهد ، ونصرة الشرك. أفلم ينظر المتكلف في السير ليعرف ما جناه هؤلاء وعلى الخصوص بني النضير الفجرة الذين أرادوا بغدرهم أن يؤيدوا كلمة الشرك ويمكنوا المشركين

من قتل الموحدين.

وثانيا : ان حكم التوراة الرائجة بالتحريم وإبادة كل نسمة حتى الأطفال مختص بسبعة شعوب : الحثيين. والجرجاشيين. والاموريين والكنعانيين. والفرزيين. والحويين. واليبوسيين. «تث ٧ : ١ - ٥ و ٢٠ : ١٦ - ١٨» ، وأما غير هؤلاء الشعوب من المحاربين لبني اسرائيل ، فإن نساءهم وأطفالهم وبهائمهم تكون غنيمة ولا يقتلون «تث ٢٠ : ١٢ - ١٥».

فنقول : ان المديانيين إن كانوا من الشعوب السبعة ، فلما ذا أبقي موسى من اناثهم الأبكار اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر اثنين وثلاثين ألفا «عد ٣١ - ٣٥» أفأمن موسى من أن يغوين بني اسرائيل ويرددتهم الى عبادة غير الله؟ كيف ولا وان المديانيات هن اللواتي أغوين بني اسرائيل في شطيم إذ زنوا بهن وأكلوا من ذبائح آلهتهن وسجدوا لها وتعلقوا ببعل فغور «عد ٢٥ : ١ - ١٨ و ٣١ : ١٦».

وهل كان هذا منه محابة لبني اسرائيل حيث أعجبهم جمالهن وذاقوا لذة الزنى بهن. ولئن كان هذا عن أمر الله فهأنا يقول القائل نحو ما قاله المتكلف «يه ١ ج ص ٦٦ س ١٣» حاشا لله القدوس الطاهر أن يصادق على العمل الشهواني المنبعث عن لذة الزنى الموقع في الشرك. هذا وإن لم يكن المديانيون من الشعوب السبعة فلما ذا قتل موسى أطفالهم الذكور وهم يبلغون الوفاء عديدة بمقتضى قياس الابكار من الاناث.

وأیضا كيف أقدم يشوع لأجل سرقة من الغنيمة فاحرق عخان وبنیه وبناتهم مع انهم مؤمنون من نسل ابراهيم من بني اسرائيل شعب الله وهب ان عخان سرق فما ذنب البنين والبنات وما ذنب حيواناته حتى أحرقوها أيضا هي وكل ما له «يش ٧ : ٢٤ و ٢٥».

وأیضا في العهد القديم ان صموئيل النبي أمر شاول ان يقتل عماليق رجلا وامرأة طفلا ورضيعا بقرا وغنما جملا وحمارا انتقاما وتشفيا منهم لأجل ما عملوه ببني اسرائيل حين وقفوا لهم بالطريق عند صعودهم من مصر «١ صم ١٥ : ٢ و ٣» بعد ما مضى ما يقرب من أربعمئة وخمسين سنة.

أفليس هذا من القسوة والحق؟ وأعجب من هذا ان ذلك ينسب الى أمر الله وحاشا له أن يأمر بقتل الاطفال الذين لا ذنب لهم ولا تكليف عليهم بفعل الغير قبل ما يزيد على أربعة قرون.

«ورطات المتكلف» فإنه قد قابل بين قتل رسول الله لمن عدتهم وقد عرفت مظاهرهم للشرك على التوحيد وبين عفو داود عن قتل شاول ملك اسرائيل ، وهذا من المضحكات فإن العهد القديم يقول : ان شاول رجل مؤمن موحد قد تنبأ مع الأنبياء ومسحه الله ملكا على اسرائيل لتخليصهم فكان متجردا للجهاد في سبيل الله ونصرة التوحيد وكسر شوكة الشرك والمشركين ويكفي في ارتداع داود عن قتله اعترافه بأنه مسيح الرب «انظر صموئيل الاول من التاسع الى الرابع والعشرين».

ولكن لما ذا لم يذكر المتكلف في المقابلة ما يذكره العهد القديم عن داود وحاشاه من غدره بأوريا في زوجته ونفسه ذلك الغدر الفاحش ، ولما ذا لم يذكر ما يذكره كتابهم عن موسى ويشوع وصموئيل كما ذكرناه؟ وليت شعري ما ذا ترى المتكلف يقول في تقولاته لو لم يكن مثل ما ذكرنا في كتبه التي ينسبها إلى الوحي؟ أتقول : انه لم يطلع عليها ، كيف وقد كرس نفسه مبشرا في نخلته عالما من الكتاب؟ أفلم ينظر في كتبه حتى في المكتب الابتدائي؟ أيكون مثل هذا في هذا الجيل المتنور. ما عشت أراك الدهر عجبا.

«دعوى الخطأ» ثم قال المتكلف «يه ١ ج ص ٧١» في شأن رسول الله «ص» كثيرا ما كان يخطئ في أعماله.

واستشهد لذلك بآيتين الاولى قوله تعالى في سورة الانفال ٦٨ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقد أرسل المتكلف حسب أمانته وترويج غرضه في نزول الآية رواية مضمونها ان رسول الله أتى باسارى بدر وفيهم عمه وابن عمه فاستشار أصحابه وأظهر في لوائح كلماته وأمثاله ميله الى استحياهم وفدائهم فخير أصحابه فاختاروا الفداء فنزلت هذه الآية.

أقول : ولئن تشهى المتكلف فيما أرسل روايته فإن الرواية في هذا الشأن مضطربة ذات وجوه ، فعن أبي عبيدة قال : نزل جبرائيل على النبي «ص» يوم بدر فقال : ان ربك يخبرك إن شئت أن تقتل هؤلاء الاسارى ، وإن شئت أن تفادي بهم ويقتل من أصحابك مثلهم فاستشار أصحابه فقالوا : نفاديهم فنتقوى بهم ويكرم الله بالشهادة من يشاء . وفي رواية ان رسول الله كان كارها لاستيحاء المشركين وأخذ الفداء حتى رأى سعد بن معاذ كراهية ذلك في وجهه الشريف فرجع له قتلهم . وكذا عمر بن الخطاب فاستحسن قولهما .

وفي رواية اخرى لما أمر رسول الله بقتل عقبة والنفر من الاسارى خافت الأنصار أن يأمر بقتلهم جميعا فقاموا إليه واستوهبوه منه ليأخذوا منهم الفداء ، وعلى كل حال فليس في صريح الآية ولا ظاهر سوقها إنكار على رسول الله ولا توبيخ على فعله ولا تخطئة لعمله ، وإنما لفظها وسوقها يعطى أن التوبيخ كان للأمة حيث اختاروا عرض الحياة الدنيا من فداء الاسارى ولم يشددوا الوطأة على أعداء الله فهي كقوله تعالى في سورة النساء ٩٦ : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .

فإن قلت : فما ذكر النبي هاهنا قلت للأعلام بأن استحياء الاسارى والفداء إنما هو للنبي ووظيفته الخاصة به يجري فيها بحسب ما يراه من الأصلح والأولى والأنسب بالعزة ، وليس لأحد أن يتعدى طوره بالتعرض في ذلك فكانت هذه بيانا لمن له الوظيفة وزجرا لمن يتداخل فيها فضولا أو رغبة في المال ، هذا على مقتضى الرواية بأن الآية نزلت في الإبقاء على الاسارى بعد أسرهم . وأما إذا أعرضنا عن الرواية لكونها من الآحاد المضطربة لفظا ومضمونا فلا تفيد علما ولا ظنا بسبب النزول ، فلنا أن نقول ان ظاهر الآية يقتضي كونها توبيخا على نفس الاسر في أول الأمر وترك قتل المأسورين في أول الظفر بهم وهذا أمر لا ربط له برسول الله لأنه وقع في أمكنة متباعدة وأوقات مختلفة عند ما تشتت المشركون بالهزيمة .

وأما ذكر النبي فليبان حكم الحرب الشرعية التي يقوم بها النبي لتأييد

دعوته وإظهار شريعة الحق والتوبيخ للمجاهدين بأن هذه الحرب لا ينبغي للمجاهد أن يميل فيها الى عرض الحياة الدنيا ، وليست مثل سائر حروبكم المقصود منها الغلبة الوقتية ومطامع النهب وفداء الاسارى.

واما اضافة الأسرى الى النبي فليبان علو شأنه وانه أولى بأمرهم لأن سلطة الأسر والغلبة إنما كانت ببركات رئاسته ودعوته ونجدته وشدته في ذات الله واستجابة دعائه.

فإن قلت : إذا كانت المصلحة في عدم الأسر ، بل الأولى اعدام الاسارى وقتلهم ، فلما ذا لم يأمر رسول الله بقتلهم؟ ولما ذا رضي للمسلمين باستحيائهم وأخذ الفداء.

قلت : ان المصلحة وإن كانت كذلك أولا وبالذات إذلالا للشرك وتثبيتا لنيات المجاهدين على الشدة في ذات الله وإعلاء كلمة التوحيد ، ولكن لما علقت آمالهم بفداء الاسارى وكان قتلهم جميعا بعد سكون الحرب يعده المشركون من الغلظة والقسوة وسوء الولاية فتستحكم بذلك عقدة الاضغان ويشتد بذلك تكالب المشركين على الإسلام والمسلمين ، صارت المصلحة بتسوية أخذ الفداء تقوية للمجاهدين وتثبيتا لعزائمهم على الاقدام في الحرب وتسكيناً لغوائل الأضغان والاحقاد وصونا لكرم أخلاق رسول الله عن شطط قول المشركين والمنافقين ، ولعل هذا هو المراد من قوله تعالى في هذا المقام : ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ فَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً﴾.

وأما الآية الثانية التي استشهد بها المتكلف لدعواه فهو قوله تعالى في سورة براءة ٤٣ : ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾.

فاعلم ان ما بعدها من الآيات من الرابعة والأربعين إلى الثامنة والأربعين لينادي بأن صورة العتاب فيها على الاذن لم تكن الملامة لرسول الله «ص» حتى على ترك الأولى ، وإنما حقيقتها وممرها هو التوبيخ لهؤلاء القاعدين المستأذنين بنحو من لحن الخطاب الموجه لرسول الله بيانا لضلالتهم وموافقة اذنه صلوات الله

عليه لهم للصواب والسداد من حيث المصلحة الجهادية ، وليس في عدمها من الفائدة إلا افتضاحهم عند رسول الله وعلمه بكذبهم في التعلل بالمعاذير ، وصدق الصادقين في الجهاد ، وفضيلتهم حيث أعدوا له عدته.

فسوق الآيات الخمس قرينة قاطعة على أن قوله تعالى ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ بنحو لا ربط له بتقدم الذنب وإنما هو جار على النحو المتعارف في التلطف والعناية في الخطاب بتصديره بنحو من الدعاء والإكرام رفعا لحزازه ما في أثناؤه من صورة العتاب وصرفا لحزازته إلى من قصد به.

وهذا تعرف ما في كلام المتكلف «يه ١ ج ص ٧٢ . وكذا ٧٣» حيث قال ومع ذلك فقالوا : ان الله عاتبه ولو كان الإله الحقيقي هنا لعاقبه أشد العقاب ، ففي التوراة لما أخذ عخان بعض الأشياء المحرمة ضرب الله الأمة الإسرائيلية بتمامها وسلط عليها من هزمها ، ولما كان أحد ملوك بني اسرائيل يبقى واحدا من الذين أمر الله بإعدامهم عقابا لهم على خطاياهم كان يضربه ضربة شديدة بخلاف الحال هنا فإذا اقترف محمد المنكر الذي يستوجب أشد عقاب وأنكى عذاب يعاتبه الله ويلطفه ويراعى خاطره. فأين عدل الله وقداسته.

أقول : قد أقام المتكلف من حيث لا يشعر برهانا على براءة رسول الله هاهنا من مخالفة أمر الله أو فعل ما لا يرضاه وإلا لعاقبه أشد العقاب أفتراه يقول : ان الإله الحقيقي غير حاضر هاهنا ، وانه يشتهي ان يستهزىء بعدل الله وقداسته كما يفترى على قدس رسوله. أو كما ينسب العهد القديم إلى الله القدوس العادل امورا تنافي العدل والقداسة ويمتنع صدورها من الله جل شأنه.

«منها» ان عخان سرق من الغنيمة فغضب الله على بني اسرائيل وسلط عليهم الكفرة ونسب إليهم السرقة والخيانة مع ان المقام ينادي بأن عامة بني اسرائيل لم يكن لهم علم بذلك ليؤاخذوا بترك النهي عن المنكر ومع ذلك فاحرق عخان هو وبنيه وبناته وبهائمهم وكل ما له بأمر الله تعالى الله عن ذلك ومقتضى العادة لا بد أن يكون في بنيه وبناته من هو طفل غير مكلف أو لا يعلم بالسرقة أو ضعيف لا يقدر على النهي عن المنكر فأى عدل يعاقب هؤلاء بذنب

غيرهم «انظر يش ٧».

«ومنها» ان صموئيل النبي أمر شاول ملك اسرائيل عن أمر الله بأن يقتل عماليق رجلا وامرأة طفلا ورضيعا عقابا لما فعله أسلافهم قبل أربعمئة سنة تقريبا. وهب ان الكبار كفرة مستحقون للقتل ، فأين يكون قتل الأطفال والرضعان من العدل؟

«ومنها» ان العهد القديم نسب الى داود وحاشاه في شأن اوريا وامراته ما هو من أعظم الخطايا وأشنعها ، فكان عقابه أن سلط عليه ابنه ليزني بنسائه ، ومع ذلك يقول ناثان النبي لداود الرب أيضا قد نقل عنك خطيئتك لا تموت «٢ صم ١٢ : ١٣». فهل يقول المتكلف هاهنا أين عدل الله في عدم عقابه بالموت؟ وأين قداسته بعقابه بالزنا تعالى الله عما يقولون.

ثم قال في شأن رسول الله : كان دأبه مراعاة صاحب الجاه والشوكة وعدم الاكتراث بالمسكين والفقير فمرة قطب في وجه الأعمى ولم يلتفت إليه مع أنه كان آتيا ليتعلم منه ديانتته ، ولما عرف أن هذا لا يليق ادعى بأن الله وبخه ، فورد في سورة عبس ١ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى ۖ فَانْتَبَهَرَهُ ۚ فَانْتَبَهَرَهُ ۚ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَزَكِّي ۚ ۘ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۙ وَهُوَ يَخْشَى ۙ ۚ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ﴾ الخ.

روى ان ابن أم مكتوم أتى محمدا وهو يتكلم مع عظماء قريش وقال : اقرأني وعلمي مما علمك الله فلم يلتفت إليه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما اتبعه الصبيان والسفلة فعبس في وجهه وأعرض عنه.

أقول : اما أولا فإن التشبث بهذه الرواية لما يدعيه باطل من وجوه :

«أولها» كون الرواية من رواية الآحاد التي قد عرفت حالها.

«ثانيها» كونها مقطوعة السند ، فإن أقرب الرواة في سندها الى الزمان الذي تنسب إليه الحكاية هما ابن عباس وعائشة. وهما في ذلك الزمان إما أن لا يكونا مولودين أو انهما طفلان لا يميزان شيئا.

«ثالثها» كونها مضطربة النقل فانه يروي عن عائشة تارة ان رسول الله

حين جاءه ابن أم مكتوم كان عنده رجل من عظماء المشركين ، وثارة انه كان في مجلس في ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل وعتبة بن ربيعة ، وثارة ان اللذين كانا عنده عتبة وشيبة.

وفي الرواية عن ابن عباس انه لقي عتبة والعباس وأبا جهل ، وفي الرواية عن أنس ابي ابن خلف ، وفي الرواية عن أبي مالك امية بن خلف وفي الرواية عن مجاهد عتبة بن ربيعة وامية بن خلف ، وفي رواية اخرى عنه ان رسول الله كان مستخليا بصناديد من صناديد قريش ، وفي الرواية عن الضحاك لقي رجلا من أشراف قريش ، وان هذا الاضطراب مما يلحق الرواية بالخرافة.

«رابعها» كونها معارضة بما هو أحسن منها طريقا ، فقد روى ان الذي عبس في وجه الأعمى ونزلت فيه الآيات هو غير رسول الله ويدل على ذلك قوله تعالى في السورة ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾ فانه لا يصح أن يكون خطابا لرسول الله لأن كل أحد يعلم انه لم يكن من وظيفة رسول الله ولا خلقه ولا عادته ولا همته في الهدى انه لا يبالي بتركي أحد بالإسلام. كيف وقد كان أقصى همته الدعوة إليه خصوصا لمن يقوي الدين بإسلامهم. وليس كل خطاب في القرآن هو خطاب لرسول الله فإن فيه ما لا شك بكونه خطابا لغيره كقوله تعالى في سورة القيامة المكية ٣٤ ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ٣٥ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾.

«خامسها» ان ما في الرواية من سوء الخلق مع الأعمى ومداينة قريش مناقض لما هو المعروف من خلق رسول الله ولا سيما مع المسلم المسترشد ومناقض أيضا لقوله تعالى في سورة القلم المكية ٤ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٩ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾. وقال تعالى في سورة آل عمران ١٥٣ : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

«وأما ثانيا» فانا لو تنزلنا مع المتكلف وفرضنا صحة ما تشبث به من الرواية في نزول الآية لما خرج كلامه عن كونه افتراء على قدس رسول الله. فإن من يفرض انه أعرض مرة عن الأعمى مراعاة لبعض المصالح فأدبه الوحي أو على زعم المتكلف عرف أن هذا لا يليق فتدراكه.

هل يسوغ ممن يتقي فضيحة الافتراء أن يقول في شأنه كان دأبه مراعاة صاحب الجاه والشوكة وعدم الاكتراث بالفقير والمسكين ، فمرة قطب في وجه الأعمى .
وليت شعري ألم يسمع المتكلف من قطيعات السير والتواريخ هتافها بأن رسول الله «ص» كان من أول أمره إلى آخر عمره يعد الفقراء والمساكين خير جليس وأحسن أنيس وأخص سمير ، وأقرب بطانة حتى ساء ذلك أهل الشرف وشق عليهم .
أفلم يسمع من القرآن الكريم إطراره بمدح خلق رسول الله ، أفلم يسمع أقلا من الروايات التي تشبث بها هاهنا ان رسول الله كان شديد الاعتناء بابن أم مكتوم لأن الله عاتبه فيه .

ومن الظرائف ان المتكلف أيد مزاعمه هذه بما أرسل روايته حسب مشتتهاه من أن الأقرع وعيينة وجدا رسول الله جالسا مع صهيب وبلال وعمار وخباب ونفر من ضعفاء المؤمنين فحقروهم وقالوا لرسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء ورائحة جبابهم ، وكانت لهم جباب صوف لها رائحة ليس عليهم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك ، وان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الا عبد فإذا نحن جئناك فاقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعدهم حيث شئت قال : نعم قالوا فاكتب لنا بذلك عليك كتابا فاتي بصحيفة ودعى عليا ليكتب فنزل قوله تعالى في سورة الانعام ٥٢ ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ .

فأقول : أما أولا كيف يجعل هذه الرواية مؤيدة لما توضح بطلانه ، فأين هو عن صراحتها بأن رسول الله كان يجلس مع هؤلاء كأحدهم ولا يكون في مجلسه معهم صدر يختص به كعادة الأشراف ، وان انفصالهم عنه ، واختصاص بعض مجالسه بذوي الجاه كان متعسرا يتوصل طالبه الى تحصيل قراره بكتابة الصحائف .

فهل هذا شأن من دأبه مراعاة صاحب الجاه والشوكة وعدم الاكتراث

بالمسكين فأين الافهام وأين التمييز؟

«وأما ثانيا» فإن هذه الرواية بسبب نزول هذه الآية مما لا يكاد أن يصح لأنها قد رويت مضطربة بوجوه متناقضة وأحوال متفاوتة ، فإن ذكر الأقرع وعيينة وطلبهم من رسول الله مجالسته ليأخذوا عنه وذكرهم لوفود العرب عليه يقتضي أن تكون الواقعة في المدينة بعد فتح مكة.

وكذا رواية الزبير بن بكار في أخبار المدينة خصوصا مع ذكر المؤلفلة قلوبهم فيها. وعن ابن مسعود ان الذين طلبوا من رسول الله طرد الفقراء ليتبعوه هم الملاء من قريش. وعن عكرمة عد جماعة من قريش وأشرف الكفار من عبد مناف ، وانهم توسطوا لطرد رسول الله للمساكين بأبي طالب فأشار عمر بطردهم فنزلت الآية فأقبل عمر معتذرا من مقالته وهذا لا يكون إلا في مكة قبل الهجرة إلى غير ذلك من الروايات المضطربة التي يلزم أيضا من ذكر سلمان الفارسي في بعضها كون الواقعة في المدينة.

وأیضا فقد روى من طرق كثيرة ان سورة الانعام نزلت بمكة جملة واحدة فيكون ذلك منافيا لما يلزمه كون الآية نزلت في المدينة كمرسلة المتكلف ، ومنافيا أيضا لما يلزمه كون الآية نزلت مستقلة عن السورة لاجل سبب خاص ، بل لعل جميع روايات النزول تذكر ان هذه الآية نزلت في مكة أو غير المدينة ، وانها نزلت في جملة السورة فلا يبقى في روايات أسباب النزول مع اضطرابها ووهنها في نفسها ، رواية غير معارضة بما يكذبها بمضمونه.

انظر أقلا إلى الدر المنثور تفسير السيوطي عند أول سورة الانعام وعند تفسير الآية المذكورة فالصواب أن يقال في الآية انها نزلت لحسن التأديب وتهذيب الاخلاق وخطوب بها النبي «ص» ككثير من خطاب القرآن من باب «اياك أعني واسمعي يا جارة» ، بل ككثير من خطاب التوراة.

ثم تعرض المتكلف «يه ١ ج ص ٧٤ و ٧٥» لذكر آيات توهم صدور

الذنب من رسول الله وها نحن نذكرها ونذكر ما ينبغي أن يقال فيها.

الآية الاولى : قوله تعالى في سورة الانشراح ٢ ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ٣ الَّذِي أَنْقَضَ

ظَهْرَكَ﴾ فنقول : ان الوزر في اللغة هو ما يثقل ويتعب وبهذا الاعتبار استعير للذنب اسم الوزر كما حسن ان يستعار للهم المجهد والغم الباهظ ولقد كان رسول الله «ص» قبل البعثة في أشد ما يكون من الغم والهم ، وأثقله وأجهده لأجل ما يراه من ضلال الناس وأهوائهم المردية وعوائدهم القبيحة وعباداتهم الباطلة ويتجرع من ذلك غصص النكد حتى انه صلوات الله عليه كان لأجل ذلك يحب العزلة ويلازم غار حراء مدة من السنة مستوحشا من ضلال الناس معانيا لاعباء هذا الهم المبرح وعسر الحيرة وضيق الصدر منتظرا لفرج الله ولطفه ورحمته الواسعة حتى شرح الله صدره ويسر أمره وفتح له باب الهدى والرحمة بالوحي ووضع عنه أوزار الهم والعنا بالبعثة والرسالة بالدعوة إلى الحق فوجد من ذلك انشراح الصدر ، وروح الهدى وراحة الفرج ، ومسرة اليسر.

ويرشد إلى ذلك دلالة العقل والنقل على عصمة النبي ، وكذا سوق السورة في طرد الامتنان بقوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أي بالوحي والنبوة بعد ما كان ضيقا بالهموم ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ أي ثقل الهم والغم ببركة الأمر بالدعوة ، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ، أي بالرسالة وحقائق معارفها.

ويوضح ذلك تعليله المؤكد بقوله تعالى : ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٦ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ، فإن هذا التعليل إنما يناسب الفرج من الضيق وتيسير الامور ، وإزاحة ثقل الهم الباهظ. ولا مناسبة له مع غفران الذنوب. على انه لو كان ما ذكرناه احتمالا مساويا في الآية لكفى في ابطال مزاعم المتكلف.

الآية الثانية : قوله تعالى في خطاب رسول الله في سورة الفتح ١ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا

مُبِينًا ٢ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ٣ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾.

وان سوق الآيات يأبى أن يكون المراد من الذنب فيها هو معصية الله بل

المتعين بمقتضى مناسبة السوق أن يكون المراد ذنبه عند قريش والعرب من أجل ما جاء به في دعوته الباهظة لاهوائهم الملاحية لدينهم الفاسد ، وما قام به من الدفاع عن حوزة دين الحق بالحروب التي ارغمت آنافهم وحطتهم عن جبروتهم وطاغوتهم فإنه لا مناسبة بين الفتح المبين وغفران الذنوب التي هي معصية الله ليكون الفتح سببا له ، بل في السوق والمناسبة شهادة قاطعة بأن هذا الفتح سبب لغفران ذنبه صلوات الله عليه عند قريش والعرب لما شاهدوه من عفوه وإحسانه ولطفه ، وأيقنوا به في صدقه في دعوته وأنه على بينة من ربه وإن غرضه الشريف الحميد وراء دواعي الهوى وحب الرئاسة والسلطة والهوى في أمر الدين وإلا لشدد في الانتقام والتشفي .

وقد رأوه على شدة ما جنوه عليه بضلالهم وطغيانهم وقبح معاملتهم له قد أعرض عن أوتاره وثاراته التي عندهم ، وفداها لكلمة التوحيد وملاشاة الأوثان فصار بذلك أعدى أعدائه المحاربين له قبل الفتح يسير تحت ركابه ومرف لوائه في حومة الحرب ولهوات الموت يقيه بنفسه ويجاهد بين يديه .

انظر أقلا إلى سيرة غزوة حنين القريبة من الفتح فأتم الله نعمته على رسوله بهذا الفتح إذ جمع له من شد عنه من قريش وغيرهم الذين كانوا عثرة في سبيل التوحيد والإسلام وعقبة دون المسجد الحرام ، وهده صراطا مستقيما الى إقامة شعائر الحج وسنن أبيه ابراهيم ونشر دين الحق وبث الدعوة ونصره الله نصرا عزيزا انقادت به جزيرة العرب للتوحيد وتخطتها الدعوة الى مملكتي فارس والروم .

ويمكن أن ينزل على هذا المعنى قوله تعالى في سورة المؤمن ٥٧ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ .

وكذا قوله تعالى في سورة محمد «ص» ٢١ ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ويمكن أن يكون تعليما للأمة وإن كان الخطاب للرسول كما قدمناه في قوله تعالى في سورة بني اسرائيل ٢٤ ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ الآية ولو لم يكن في سوق الآيات ما يدل على ما ذكرنا للزم حملها عليه بقرينة دلالة العقل والنقل

على عصمة الرسول.

وهب ان ما ذكرناه في الآيات احتمال محض فإنه يكفي في إبطال تكلف المتكلف
«يه ١ ج ص ٧٤ و ٧٥» إذ ليس في الآيات مثل صراحة العهدين بنسبة القبائح الى
الأنبياء كما سمعت منه في هذه المقدمة ما تمجه الأسماع.

«آداب القضاء» قال المتكلف «يه ١ ج ص ٧٥» ونقول أيضا : انه «يعني قدس
رسول الله «ص» كان جائرا في أحكامه ولما ظهر له انحرافه رجع عنه ، كما ورد في سورة
النساء ١٠٦ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ
خَصِيماً وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

قال ابن عباس : نزلت هذه العبارة في رجل من الأنصار يقال له طعمة سرق درعا من
جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من
خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين
فالتمست الدرع من عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له به من علم فاتبع أصحاب
الدرع أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فأخذوها منه فقال اليهودي : دفعها الي
طعمة ، وزاد في الكشف وشهد له جماعة من اليهود وجاء بنو ظفر قوم طعمة الى محمد
وسألوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم محمد «ص» أن يعاقب اليهودي وأن يقطع يده
بلا حق وهو حرام وعلى كل حال فهو مذنب فلو لم يذنب لما استغفر ربه ولو كان نبيا
لعرف الحرامي الحقيقي من أول الأمر.

أقول : هب القصة على ما زاده في الكشف وانه ليس فيه إلا أن رسول الله هم ان
يعاقب اليهودي فنزلت عليه الآية قبل أن يفعل. فكيف يجترئ المتكلف ويقول : انه كان
جائرا في أحكامه فإن هذه الكلمة تقال فيمن تكرر منه الجور في الأحكام وكان عادة له ، ثم
ان الكشف قال «وقيل انه هم أن يقطع يد اليهودي» وهذا مشعر بأنه لم يصح هذا القول
عند الكشف فلما ذا يخون المتكلف في النقل.

وأيضا ان هذه القصة قد تلونت روايتها واضطربت اضطرابا شديدا

يكشف عن كونها لا أصل لها فقد جاء في روايتها وجوه :

١ . ما نقله المتكلف أولا

٢ . ما زاده الكشاف

٣ . ما نسبه الى القيل

٤ . ان المسروق منه رفاعه بن زيد من مشربته «محل في الدار»

٥ . عن ابن عباس أيضا والحسن نفر من الانصار في بعض الغزوات سرت درع

لأحدهم

٦ . السارق بشير بن ابيرق دعاه رسول الله فانكر ورمى بالسرقة ليبد بن سهل

٧ . رمى بها رجلا من اليهود

٨ . بنو ابيرق رموا بها ليبد بن سهل رجل له صلاح وإسلام

٩ . طعمة بن ابيرق استودعه رجل من اليهود درعا ودفنها بيده فأخذها طعمة فألقاها

في بيت أبي مليك الانصاري

١٠ . طعمة سرق درعا لعمه كانت وديعة عندهم فقدم بها على يهودي.

١١ . طعمة استودعه رجل من الانصار مشربة له فيها درع فلما قدم لم يجد الدرع

فرمى بها طعمة يهوديا.

انظر الى الدر المنثور تجد ما ذكرناه من الاضطراب قليلا من كثير ومع هذا الاضطراب

الفاحش لا يصح التشبث بهذه القصة لشيء.

فالآية الشريفة واردة في القضاء اشعارا للعباد بأن الله أنزل على رسوله كتابا يهديه الى

الحكم بالحق وأدب رسوله بأداب القضاء ليسمع من للمتداعين كلامهما ويحكم بينهما بما

أراه الله ، ولا يكون طرفا في المخاصمة فلا يكون خصما يخاصم الخائن ولا يجادل عنه ، كما

في قوله تعالى ١٠٧ ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.

وأما قول المتكلف فلو لم يكن مذنباً لما استغفر من ربه فهو شطط لأنه ليس في الآية الشريفة ان رسول الله استغفر عن ذنب فعله وإنما في الآية قوله تعالى ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ﴾ فيجوز أن يكون الاستغفار المأمور به هو الاستغفار للمبطل من المتداعين اشعاراً للعباد برفع أضعاف التداعي أو إشارة الى أن محاصمة المبطل الخائن خروج عن وظيفة القضاء وأمر يحتاج الى الاستغفار ، فما حال من يجادل عن الخائنين كل ذلك ليتأدب قضاة الامة بهذه الآداب كما جاء قوله تعالى في خطاب رسول الله ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

وأما قول المتكلف ولو كان نبياً لعرف الحرامي الحقيقي من أول الأمر فهو شطط أيضاً.

أما أولاً فإن اضطراب رواية القصة لا يسمح لها بشيء من الثبوت حتى يبنى على أساسها.

وثانياً : من اين يلزم في النبي أن يكون عالماً بكل شيء من أول الأمر في الأحكام والموضوعات بل إنما يعلم بسبب اعلام الوحي.

أفلم ينظر المتكلف في كتب وحيه ان يشوع النبي لم يكن يعلم بالسرقة من الغنيمة؟ ولا بالسارق حتى أعلمه الوحي بالسرقة؟ وعين عخان بالقرعة فاستنطقه فاعترف بالسرقة ، ودله على موضع دفنها ، «انظر سابع يشوع».

وان موسى كلّم الله لم يعلم ان جلد وجهه صار يلمع في كلام معه «خر ٣٤ : ٤٩» ، وقد يشاء الله أن لا يعلم رسله ببعض الأشياء الى آخر الأمر «ففي ثالث عشر مرقس ٣٢ :

وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الأب.

«شطط الغرور» قال المتكلف «يه ٤ ج ص ٢٥١ و ٢٥٢» ارتياب محمد في الله قال في القرآن ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ﴾ ، وقال أيضاً :

﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ واستنتج علماء المسلمين من هاتين العبارتين أن محمداً مثل الأمة في حق صدور المعصية منه وتقدم في الجزء الأول بعض أعماله ومقتضى القانون الذي وضعه المعارض وهو الشك في الإله كفر ، إن محمداً ورد في القرآن انه شك وأشرك وخسر وكفر وافترى وامترى وضل وجهل وكذب الى غير ذلك.

أقول : وقد تشبث لهذه الجراءة على قدس رسول الله بما توهمه من قوله تعالى في سورة يونس ٩٤ ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ . أي في نبأ نوح وقومه ونبأ موسى وهارون مع فرعون .. ﴿فَسئَلِ الَّذِينَ يَفْرَوْنَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ونحو ذلك.

فأقول أما قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ، فلا يفيد سوق الآية ولا لفظها إلا تثبيت التوحيد ورفع أوهام الغلو برسول الله ، وقام الآية ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ .

وأما قوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً﴾ فقد قدمنا لك في أوائل هذا الفصل دلائلها ومرماها فراجع.

وأما قوله تعالى : ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية ، فإن إن الشرطية فيه للتعليق على فرض الشك والمراد من ذلك تلقين الحجة لرسول الله فيما أوحى إليه وإعلامه بأن ما أوحى إليه في شأن نوح وقومه وموسى مذكور في الكتب التي لم تطلع عليها أنت ولا قومك. بل لنا أن نقول أن صورة الخطاب وإن كانت لرسول الله ولكن المقصود من ذلك قومه الذين لا اطلاع لهم على الكتب السابقة.

ولا نجيب عن الآية الشريفة بأنها مثل ما يحكى عنه قول المسيح «ان

كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا» «يو ٥ : ٣١» لأنه حكى عن قول المسيح شهادته لنفسه وقوله أنا هو الشاهد لنفسي «يو ٨ : ١٨» ولا دليل من القرآن على ان رسول الله شك فيما انزل إليه ، كما تدل التوراة الرائجة على ان موسى وحاشاه شك في وعد الله وأجاب بالاستهزاء والسخرية كما ذكرناه في أواخر الفصل السابع في عصمة موسى فراجع.

وأما النواهي الواردة في القرآن الكريم عن الشرك والامتراء والجهل والمظاهرة للكافرين ونحو ذلك فهي مثل ما تذكره التوراة من النواهي الواردة عن خطاب الله لموسى لا يكن لك آلهة أخرى إمامي. لا تسجد لمن ولا تعبدن لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. لا تقتل ، لا تزن لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور ، لا تشته امرأة قريبك «خر ٢٠ : ٣ . ١٧» لا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم ، لا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر «خر ٢٣ : ١ و ٢».

فإن كل من له فهم مبرأ عن رجاسة العصبية ورذيلة الغرور يعلم ان الخطاب بهذه النواهي لا يدل على أن المخاطب قد كان فعل الشيء المنهي عنه. بل يعرف انها إذا خوطب بها النبي فهي لتأسيس الشريعة وبيان تعاليمها للأمة وقد بقي للمتكلف ما هو من قبيل هذا مما يتشبت له بأخبار الآحاد المضطربة المردودة في الجامعة. وقد أخرجنا التعرض لها إلى المحال المناسبة لذكرها على أن الناظر العارف يتضح له وجه بطلانها مما شرحناه هاهنا والله الموفق. وان المتكلف قد غالطه وهمه بأن يدرك مقصوده في التمويه بالتشبت بأقوال بعض المفسرين ونحوها مما لا تقيم له الجامعة الإسلامية وزنا فقال : «يه ٣ ج ص ٥» الشيطان قرين محمد ، وتشبت بنقله عن بعض المفسرين قولهم : انه كان لرسول الله عدو من شياطين الجن كان يأتيه بصورة جبرائيل وانه يسمى الأبيض.

وليت شعري كيف ترى المتكلف يصول ويتحمس لو جاء في كتاب إلهامي عند المسلمين أو سيرة تسالموا عليها أن الشيطان تصرف برسول الله كما جاء في الاناجيل التي تسالم النصارى على إلهاميتها في شأن المسيح وحاشاه من أنه بعد أن

اعتمد من يوحنا المعمودية التوبة وانفتحت السموات وأتاه روح الله وروح القدس مثل حمامة
جسمية وصوت من السماء هذا هو ابني الحبيب الذي سررت به وامتلاً من الروح القدس
أصعده الروح إلى التربة أربعين يوماً ليحرب من ابليس.

أو تدري ما معنى ذلك؟ هو أن يروض نفسه ويؤدبها على مخالفة الشيطان وهوى
النفس الذي هو شبكته لئلا يقوى الشيطان عليه بالغواية.

فإن قلت : ما حاجة المسيح إلى التجربة من ابليس والتأديب للنفس عن اتباع الهوى
، مع أن المتكلف يزعم انه ابن الله والاقنوم الثاني وهو والله واحد ، والإله الذي تخلص
الطبيعة البشرية ليرفع قدرها ، بل الكلمة الذي كان عند الله وكان هو الله كل شيء به كان
وبغيره لم يكن شيء فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس «يو ١ : ١٠ - ٥».

قلت : لا أدري ومن ذا الذي يدري؟ فاستمع الى تمام الكلام فان الشيطان بعد تجربة
الأربعين يوماً أصعد المسيح الى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة من الزمان ،
وقال له ابليس : أعطيك هذا السلطان كله واسجد لي ، ثم جاء به من البرية إلى اورشليم
وأقامه على جناح الهيكل وقال له : ان كنت ابن الله فاطرح نفسك من هاهنا «مت ٤ : ٣» .
١١ ولو ٤ : ٣ - ١٣».

فإن قلت : ان من كان في مزاعم المتكلف وأصحابه بالمنزلة التي ذكرناها عنهم من
الالهية ولوازمها كيف يطمع فيه ابليس أن يسجد له بعد تجربة أربعين يوماً ، وانا لنرى أن
من كان من الصالحين فيه شيء من النعمة والتوفيق الإلهي ليندحر عنه ابليس ولا يطمع في
اغوائه إلا بالاختلاس والمخادعة من ناحية التقوى ، فكيف يطمع بالمسيح في السجود له؟
وكيف لم يجبه المسيح على مزاعم المتكلف وأصحابه بقوله اخساً يا شيطان فاني أنا الاله
المستحق للسجود ولي ملكوت كل الموجودات وبني كان كل شيء وبغيري لم يكن فتهي في
قبضة سلطاني. ولما ذا أخفي هذه الحقيقة والحال انه لم يكن معهما أحد من اليهود ليخاف
منه ، بل قال له : انه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه تعبد ، ومن هو

إله المسيح ومعبوده إذا كان المسيح إلهًا.

وكيف يتصرف الشيطان بالإله؟ فمرة يصعده الى جبل ومرة يأتي به من البرية ويقيمه على جناح الهيكل. وكيف أراه كل المسكونة في لحظة من الزمان؟ أفلم يكن يراها من يقال : انه إله؟ أفيكون الشيطان أقدر على ذلك من الإله؟.

قلت : لا أدري سل عما عندك في هذا الشأن ممن يبشر لا بحكمة كلام ويقول استحسّن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة «١ كو ١ : ١٧ . ٢٦» فانا إذ قيدنا العقل بالتمييز بين الممكن والممتنع لم نستطع جوابا لسؤالك على موضوعه ، واستمع لباقي الكلام ولا تقطع اطراده فان نص الرابع من لوقا ١٣ ولما أكمل ابليس كل تجربة «أي مع المسيح» فارقه الى حين.

وفي النسخة المطبوعة سنة ١٨١١ م مضى عنه الى زمان.

وفي ترجمة هنري مارتن بالفارسية «مدني أز وى جدا گشت».

وفي ترجمة بروس «تا مدني أز او جدا شد».

ولم يعلم من الاناجيل مقدار زمان المفارقة ، ولعله كان يوما وأهملت الاناجيل ذكر الاقتران بعده كما اهمل كل من الاناجيل كثيرا مما ذكره الآخر.

وفي سادس عشر متى عن قول المسيح في شأن بطرس ٢٣ اذهب عني يا شيطان انت معثرة لي لأنك لا تهتم بما لله بل بما للناس ونحوه في «مر ٨ : ٣٣» مع ان بطرس هو الرسول المعطى له بناء الكنيسة ومفاتيح ملكوت السموات «مت ١٦ : ١٧ . ٢٠» ورعاية الامة «يو ٢١ : ١٥ . ١٧».

وفي الثاني والعشرين من لوقا عن قول المسيح لسمعان بطرس في شأن الصليب ومقدماته والقيامة من القبر ٣١ سمعان سمعان هو ذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالخنطة. وقد قدمنا لك في المقدمة الخامسة عن الاناجيل ما تذكره في شأن شكهم بالمسيح عند حادثة الصليب ، وعدم مواساتهم له بسهر ليلة وتفرقهم عنه ،

وتركهم له وحده ، وإنكار بطرس له ، وشكهم جميعا في قيامه من القبر ، فإن راجعته واطلعت على تفصيله تعرف أن الأناجيل تقول في شأنهم انه لم يبق في غريلة الشيطان لهم حبة حنطة على الغربال وان لسان حالها لينشد في حقهم :

مخضت الوطاب على زبدة فلم ألف إلا مخيضا صراحا
وفي الثاني عشر من كورنتوش الثانية عن قول بولس الرسول العظيم عند النصارى ٧
ولئلا ارتفع بفرط الاعلانات اعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني لئلا ارتفع من
جهة هذا تضرعت الى الرب ثلاث مرات أن يفارقني.

وفي ترجمة هنري مارتن بالفارسية «وأز اينجا كه مبدا از غايت مشاهده مغرور شوم
نشتري در جسم بجهت بي قراري داده شد كه فرستاده شيطانست تا مرا مشيت زند كه
مبدا مغرور شوم».

وفي ترجمة بروس «خاري در جسم من داده شد فرشته شيطان تا مرا لطمه زند مبدا
زياده سر افرازي نمايم».

ثم انظر إلى الرابعة عشر من رابع غلاطية ، وفي ثاني تسالونيكي الاولى ١٨ لذلك
أردنا أن نأتي إليكم انا بولس مرة ومرتين وإنما عاقنا الشيطان.

فلو ان أحدا قال للمتكلف ان كتاب وحيكم يقول : ان بطرس شيطان ويقول
الشيطان قرين بولس لما تعدى وحده في الجدل ، وحاشا المسيح وحوارييه مما نقلناه عن كتب
المتكلف ، ولكن انظر الى المتكلف كيف يتغاضى عما ذكر فيها وهو يقول : انها كلام الله
السميع العليم. ويتشبه للبهتان على قدس رسول الله بأقوال من لا يتبع قوله في الدين
والجامعة الاسلامية ولو تألف من أمثاله ألف ألف مجمع فلا يعدو مثل كلامه هذا أن يكون
عند الجامعة خرافة مردودة.

المقدمة التاسعة

في بيان ما تثبت به الرسالة وتقوم به الله على النا

الحجة وبيان ما يلزم فيها وما لا يلزم

يلزم فيها ان تكون مقتضية لتصديق المدعويين بالرسالة وإيمانهم بصدق مدعيها بحسب حالهم ووقتهم كافية في الاحتجاج عليهم قاطعة لمعاذيرهم. ويلزم أيضا ان تكون معلومة عند الدعوة وطلب التصديق اما بأن تكون سابقة في الزمان ولكنها معلومة أو يمكن تحصيل العلم بها للمدعويين ، كما لو نص الرسول السابق المسلم الرسالة عند المدعويين بالنص الصريح المشخص المعين على رسالة المدعي ، وكان ذلك النص معلوما عند المدعويين أو يمكن لهم تحصيل العلم به عند الفحص بشرط أن لا يكون محتملا للاشتباه والاشتراك وإلا فلا حجة فيه ، واما أن تكون سابقة في الزمان على الدعوة مستمرة إلى حينها ، كما لو كفت أحوال مدعي الرسالة أخلاقه الحميدة في الشهادة على صدقه في دعواه للمشاهد لها وغيره الذي يمكنه تحصيل العلم بها ، واما أن تحدث عند الدعوة وطلب التصديق حسب ما تقتضيه الحكمة بشرط أن تكون معلومة للمدعويين أو يمكنهم تحصيل العلم بها.

وإذا تبصرنا بهدى العقل وتصفحنا الكتب المنسوبة الى الإلهام وجدناها لا يسمحان بأن تنتهى ونقترح على الحجة المذكورة ان تكون علة تامة لتصديق كافة المدعويين وإيمانهم فعلا ، لأن في الناس من المتعصبين من أوقعوا أنفسهم في أسر العصبية وعبوديتها ونبذوا عقولهم وراء ظهورهم فلا ينتفعون بها ، ومن

المقلدين من أماتوا بداء التقليد قلوبهم ، وأعموا عيون بصائرهم ، وهؤلاء لا يستضيئون بنور عقولهم ، ولا يوجهون نظرهم الى طلب الحق ليهتدوا إليه ﴿وَأَنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ الاعراف «١٢٣ و ١٢٤».

وانظر الى العهدين فكم ترى في نقلهما من هؤلاء امما لم تنفع فيهم بواهر المعجزات المتكررة والآيات المتظافرة مهما بلغت فلا يجدي معهم إلا أن يصرف الله نفوسهم بقدرته القاهرة الى الإيمان ويلجئهم بغير اختيار منهم عليه ويطبعهم عليه كما يطبع الحجر الأبيض على البياض وهذا خلاف ما جرت عليه حكمة الله في خلقه لعباده.

ولا يسمحان أيضا بأن تقترح في الحجة على الرسالة ان تكون دائما من قسم الفعل المعجز الخارق للعادة فإن ذلك غير لازم بل يكفي نص الرسول المسلم الرسالة عند المدعويين على رسالة الرسول الذي يدعوهم نصا معينا مشخصا لا يحتمل الاشتراك والاشتباه وذلك لأجل حكم العقل بعصمة الرسول في التبليغ ، فعصمة الرسول الناص حجة كافية في تصديق الرسول المنصوص عليه وصدقه بدعواه الرسالة.

ويكفي أيضا ان يكون مدعي الرسالة على نحو يمتاز به عن سائر البشر في تهذيب جميع أخلاقه واستجماعه لصفات الكمال وطهارته عن جميع الرذائل والنقائص منزها عن الميل مع الهوى مبرءا عن الإثم والتخلق والتصنع والتزوير فان هذا كاف في الحجة على صدقه ومقتضى لأن يؤمن به من لم تعم العصبية عينيه أو يصم التقليد اذنيه.

وان قلت : ان ذلك من نحو المعجز الخارق لعادة الطبيعة البشرية فلا نضايقتك فيما تقول.

والمقتضى العهد الجديد ان إيمان الناس بيوحنا المعمدان كان على أحد هذين الوجهين حتى أقبل عليه جمهور اليهود وغيرهم مصغين لبشائره ووعظه معتمدين منه بمعمودية التوبة.

ففي عاشر يوحنا ٤١ ان يوحنا «المعمدان» لم يفعل آية واحدة مع انه عن قول المسيح نبي وأعظم من نبي «مت ١١ : ٩ ولو ٧ : ٢٦» ومرسل من الله «يو ١ : ٦» وليس في الناس نبي أعظم منه «لو ٧ : ٢٨» وكان جميع الشعب من بني اسرائيل ما عدا من كان يأكل الدنيا باسم الدين واثقين بأنه نبي «انظر لو ٢٠ : ٦ ومر ١١ : ٣٢» ، وان إيمانهم لا بد أن يكون على أحد الوجهين اما لأجل نص أبيه زكريا عليه بأنه نبي الله العلي «لو ١ : ٧٦». واما لأجل ما كان عليه يوحنا من تهذيب الأخلاق واجتماع صفات الكمال وحسن جده واجتهاده في خدمة الله وإرشاده عباده الى الهدى والتوبة والطاعة وكونه القدوة في جميع الكمالات وشرف النفس وطهارة العفة.

وان كثيرا من أنبياء العهد القديم قد أذعن الناس بنبوتهم وأصغوا الى تبليغهم عن الله ، مع انه لم يذكر في العهدين ان ذلك كان مقتزنا بفعل المعجز أو النص المشخص اللذين هما حجة أيضا على الرسالة فتصفح العهدين في حال صموئيل ، وداود ، وسليمان ، واشعيا ، وارميا ، وحزقيال ، وهوشع ، ويوثيل ، وعاموس ، وعوبديا ، ويونان ، وميخا ، وناحوم ، وحبقوق ، وصفنيا ، وحجي ، وزكريا ، وملاخي .

وتبصر في ان العهدين قد ذكرا من غير هؤلاء جملة من الأنبياء واستقصيا في ذكر معجزاتهم.

فإن قلت : ان الكثير أو الكل من هؤلاء المذكورين قد ذكر العهدان في شأنهم انهم قد تنبؤوا عن الوحي بأمور من الغيب فوقع في المستقبل على نحو ما اخبروا وهذا من نحو المعجز .

قلت : لما ذا نسيت ان الحجة التي هي محل الكلام إنما هو ما كان مقتضيا لتصديق الناس في أول أمر التبليغ وطلب التصديق وان الذي تذكره لو صح فإنما ينكشف كونه معجزا بعد وقوع ما اخبروا به على طبق الخبر وان البعض الكثير مما تشير إليه إنما تبين صدقه بمقتضى العهدين وانتفى عنه احتمال الكذب بعد موت النبي الذي اخبر به بمدة أو بمئات من السنين ، والبعض الآخر إنما تبين صدقه بمقتضى العهدين وانتفى عنه احتمال الكذب بعد سنين من أول

الدعوة وطلب التصديق.

ومثل هذا لا يكون حجة على الرسالة لمن يطلب منهم التصديق في أول التبليغ ، ولا يكون حينئذ مقتضيا لتصديقهم وإيمانهم ، وأنه حينئذ لمردد بين كونه دالا على صدق مدعي الرسالة في دعواه إذا وقع المخبر به وبين كونه دالا على كذبه فيها إذا لم يقع ، كما أعطت التوراة علامة على ذلك «تث ١٨ : ٢١ و ٢٢».

ولا يسمح العقل والنقل أيضا ان نقترح كون الحجة على الرسالة مشاهدة لكل المدعويين أو المطلوب منهم الإيمان بذلك الرسول وإن كانوا أجيالا عديدة. فإن المدار على حصول العلم بها على النحو الذي تكون به حجة كافية للرسالة فإنه لا يجد العقل فرقا في كونها حجة بين كونها معلومة بالحس أو بالنقل المتواتر ، وعلى ذلك جرت حجج رسل العهدين.

فإن معجزات موسى إنما شاهدها جيله من بني اسرائيل مع أن الإيمان به كان مطلوبا من أجيالهم ، على انه من البعيد عادة أن يكون جميع بني اسرائيل رجالا ونساء قد شاهدوا معجزات موسى حينما كان الإيمان مطلوبا منهم. وإن معجزات المسيح حتى أشياعه الخمسة آلاف من قليل الخبز والسمك إنما كانت مشاهدة لبعض الناس في سوريا مع ان الإيمان به كان مطلوبا من جميع الناس في شرق الأرض وغربها.

نعم : لا ننكر ان المعجزات يختلف حالها بالنقل المتواتر ، فإن منها ما لا يشك من نقلت له في كونها معجزة كانشقاق البحر الأحمر لبني اسرائيل وعبورهم على اليابسة والماء عن يمينهم ويسارهم مع غرق فرعون وجنوده على أثرهم ، ومنها ما تختلج فيه الشكوك ولو تواتر نقل أصله وذلك مثل ما في ثالث يوحنا من جعل المسيح للماء خمرا.

وما في سابع لوقا من احياء المسيح ابن الأرملة في نايين من الموت.

وما في حادي عشر يوحنا من إحياء المسيح لعازر من الموت ، فإن هذه المقامات الثلاثة معرض للشكوك واحتمال التصنع والتواطؤ فيها ، ولا يرتفع

الشك في واقعة قلب الماء خمرا إلا بأن يخبر جماعة يبلغ عددهم حد التواتر المفيد للعلم ويبينوا أنهم شاهدوا الماء في الاجران ، وانه انقلب في الحال خمرا مسكرا من دون مداخلة عمل أو تصرف.

ولا يرتفع الشك أيضا في واقعتي إحياء الميتين المذكورين إلا باخبار جماعة يبلغ عددهم حد التواتر المفيد للعلم وهم من العارفين المميزين بين الموت وغيره كالأطباء ونحوهم ويشهدون بأنهم شاهدوا موت الميتين يقينا ولم يكن يحتمل التصنع والاعماء ونحوه ، أو يخبروا في واقعة لعازر بأنهم شاهدوه منتفخا منتنا بانتفاخ الأموات ونتنهم ثم أحياء المسيح بعد ذلك.

فإن قلت : إذا كان بعض الذين تشملهم دعوة الرسول لم يشاهد المعجز والحجة على الرسالة ولم يحصل له العلم به من النقل وان جد واجتهد بالفحص أو علم بمبدئه لكنه ليس من أهل التمييز بين كونه من قسم المعجز أو من قسم السحر أو من قسم المهارة في الصناعة كما يشتهه على البربري الوحشي إذ رأى الفونغراف انه هل هو من المعجز أو من السحر أو من ممكنات الصناعة؟ فهل من كان على أحد هذه الأحوال مكلف بالإيمان بذلك الرسول ومعاقب على عدمه ، أو هو غير مكلف ولا معاقب.

قلت : أولا اما مثال البربري الوحشي فيمكن له تحصيل العلم والتمييز بالرجوع إلى أهل الخبرة والتمييز الذين يركن إليهم في اموره ويطمئن بهم في معلوماته على وجه يعلم ويميز كون الشيء المشار إليه معجزا أو سحرا أو من ممكنات الصناعات البديعة.

وثانيا : ان في هذا المقام مخادعات للشيطان ، ومغالطات للهوى ومخالسات للعصبية ، ومعثرات للتقليد قد ضل بسببها كثير من الناس ، فمن فرض انه لم يقصر بجده في طلب الحق ، ولم يصده عند انقياده الى الشيطان أو الهوى أو العصبية أو التقليد ، وإنما حجبه عن الوصول الى الحق قصوره وان صدق في الجد مبلغ جهده في طلبه فهذا الانسان غير معاقب والله من ورائه محيط وهو بكل شيء عليم لا يكلف نفسا إلا وسعها.

ولا يسمح العقل والنقل أيضا بأن نقترح على المعجز كونه من نحو خاص

لأن الغرض منه هو كونه دالا على صدق الرسول وحجة على الناس وأي نحو منه كان وافيا بهذا الغرض.

صح في الحكمة أن يكون حجة على الرسالة فانظر الى ما تضمنه العهدان من اختلاف معجزات أنبيائهما وشواهدهم على الرسالة كمعجزات موسى لبني اسرائيل ولفرعون ، ومعجزات ايليا واليشع والمسيح. بل قد توجب الحكمة الإلهية اختلافها مراعاة لمصلحة الوقت وحال المدعوين بحسب أزماتهم وأحوالهم ومعرفتهم.

ولا يسمحان أيضا بأن نشترط في المعجز أن يكون معتمدا بالاشارة من النبي السابق ، لأن هذا الشرط يلزم منه بطلان النبوات بأجمعها فان النبوة الاولى منها لا اشارة إليها إذ ليس قبلها نبوة فتبطل فيبطل ما بعدها من النبوات ولا ينفعها الاشارة من النبوة التي بعدها لأن مقتضى هذا الشرط ان النبوات المتأخرة لا تثبت لكي تنفع اشارتها حتى يثبت ما قبلها بما له من الشروط. ويكفي من العهدين في الدلالة على بطلان هذا الاشتراط ما دل منها على كفاية المعجز في الدلالة على النبوة والرسالة.

ففي رابع الخروج « ١٠ . ١ » ان الله جعل لموسى آية العصا واليد البيضاء حجة لرسالته على بني اسرائيل ومقتضيه لايمانهم به ، وقد كفى ذلك وآمن لأجله بنو اسرائيل « خر ٤ : ٣٠ و ٣١ ».

وفي خامس يوحنا عن قول المسيح ١٦ لأن الأعمال التي أعطاني الأب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي ان الأب قد أرسلني.

وفي ثاني الأعمال عن قول بطرس ٢٢ يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما انكم أيضا تعلمون.

ولا يسمح العقل والنقل أيضا بأن نقترح على المعجز ان لا يصدر إلا بعد الطلب والاقتراح لأن الغرض منه على نحو الغرض من النص واعجاز كمالات الرسول إنما هو اقتضاؤه لايمان المدعوين كما ذكرنا.

وهذا الغرض يحصل مع تقدمه على طلب المدعوين فإنه قد تقتضي الحكمة تقدمه تعظيماً لشأن الرسول وبياناً لكرامته على الله.

وفي ثاني يوحنا في حديث قلب المسيح للماء بمعجزة خمراً ١١ هذه بداءة الآيات التي فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فأمن به تلاميذه ، ولم تكن بطلب المدعوين لأجل التصديق وإنما كانت بطلب أمه.

ولا يسمحان بأن نقترح على المعجز أن يصدر عند كل طلب واقترح فان الطالب للحق بصدق النية يكفيه العلم بالمعجز الأول كما قدمنا ، وأما المتمرد المستهزئ فانه لا فائدة في صدور المعجز ، ثانياً إجابة لاقتراحه وتشهيه ولا غاية إلا جعل آيات الله عرضة للمستهزئين وهذا خلاف الحكمة في المعجز.

ففي سادس عشر متى عن قول المسيح لما جاءه الفريسيون والصدوقيون فسألوه أن يريهم آية من السماء ٤ جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي «وانظر مر ٨ : ١١ و ١٢ ولو ١١ : ١١ و ٢٩».

ولا يسمحان بأن نقترح على الرسول أن يكون قادراً مختاراً على فعل الآيات والمعجزات متى شاء ومتى طلبت منه لأنه إنسان لا يقدر بطبيعته إلا على ما يقدر عليه سائر البشر.

وأما أمر الآيات فبيد الله يجريها على ما تقتضيه حكمته البالغة.

وفي خامس يوحنا ١٩ فأجاب يسوع وقال لهم الحق الحق أقول لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً ٣٠ أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً.

وفي سادس مرقس في شأن المسيح في وطنه ٥ ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة.

المعجز ما هو؟

فالمعجز هو ما يظهره الله على يد رسوله من الفعل الخارق للعادة بحيث يعجز عنه سائر البشر بما عندهم من دقائق الفلسفة والحذاقة في الصناعة والمهارة في الفنون وبذلك يعرف أن الله هو الذي أظهره بقدرته الباهرة على يد الرسول

تصديقا لرسالته.

وأما شهادته بصدق الرسول في دعواه الرسالة فهو من المرتكزات في الأذهان كما لا يخفى ، وعليه كافة أهل الملل القائلين بالنبوات.

وانا معاشر المسلمين قد بينا وجه ارتكازه في الأذهان إذ قد أوضحنا البرهان في اصولنا على أن الله لا يظهر المعجز المذكور على يد الكاذب بدعوى الرسالة لامتناع ذلك في عادة الله بحسب حكمته وغناه وقدرته جل شأنه لان إظهار المعجز على يد الكاذب بدعوى الرسالة قبيح ، ويمتنع صدور القبيح من الله القدوس ، الغني ، الحكيم ، العليم.

وإلى الآن لم أطلع على ما عند أهل الكتاب من البرهان العقلي على ذلك ، وان الاحتجاج له بالكتاب المنسوب إلى الإلهام لا يفيد شيئا وذلك لتوقف ثبوت الإلهامية للكتاب على ثبوت الرسالة وهي متوقفة على معرفة الوجه لشهادة المعجز على صدق دعوى الرسالة.

على ان كتب العهدين وإن ذكرت في بعض مضامينها شهادة المعجز على الرسالة لكن في بعض مضامينها ما يعارض ذلك ويشوش بيانه ويكدر صفوه فانهما قد سميا المعجز بالآية. والقوة. والاعجوبة «انظر أقلا الى خر ٤ : ٨ و ٧ : ٣ و يو ٢ : ١١ واع ٢ : ٢٢ وعب ٢ : ٤» ومع ذلك قد نسب صدور الآية والاعجوبة والقوة إلى الكاذبين بدعوى النبوة ، وإلى الداعي للشرك وإلى الدجال الأثيم «انظر أقلا إلى تث ١٣ : ١ و ٢ ومت ٢٤ : ٢٤ ومر ١٣ : ٢٢ و ٢ تس ٢ : ٩».

فإن قلت : ومضافا إلى ذلك قد ورد في التوراة ان سحرة مصر وعرافيها قد طرحوا عصيهم فصارت ثعابين كما فعل هارون «تث ٧ : ١١ و ١٢» وفعلوا أيضا بسحرهم مثل ما فعل هارون ، فاصعدوا الضفادع على أرض مصر «تث ٨ : ٦ و ٧».

وغاية الأمر انهم لم يقدرُوا أن يخرجوا البعوض من أرض مصر وان عصا هارون ابتلعت

عصيهم.

فكيف يعرف الناس ان فعل موسى وهارون كان من المعجز الخارج عن طاقة البشر بما عندهم من الحكمة والفلسفة؟ وانه فعل الله لأجل تصديقهما بدعوى الرسالة.

وكيف يكون حجة من الله على صدق دعوى الرسالة؟ وهل يختلج في أذهان الناس في مسابقة هذا الميدان إلا أن موسى كان أحذق وأتقن من السحرة والعرافين في الحكمة وفن السحر ، وقد جاء في العهد الجديد عن استفانوس المملوء من الروح القدس ان موسى بواسطة تربيته في بيت فرعون تهذب بكل حكمة المصريين ، وكان مقتدرا في الأقوال والأعمال « ١ ع ٧ : ٢٢ ».

قلت : أعلي تحمل ثقل ما في العهدين الرائجين؟ أم قد ضمنت لك صحة جميع ما فيها.

فسل وقل ما هو المائز بين المعجز الذي هو الحجة على الرسالة وبين السحر؟ لكي أقول لك : ان المعجز هو ما كان على نحو يعترف غير العميان بالعصبية والتقليد بأنه من الله لا من السحر. ونحوه وإن قال المتعصبون أو المقلدون مكابرة وجهلا وعنادا انه سحر ويختلف ذلك بحسب اختلاف الناس في وقتهم ومحلهم ومعارفهم.

قال المتكلف «يه ١ ج ص ٢٢٤» المعجزة هي أمر خارق للعادة داعية الى الخير والسعادة «ص ٢٢٥» يلزم أن تكون نافعة ومفيدة أو كما قال السيد الجرجاني داعية إلى الخير والسعادة. فمثل كلام الجمادات ككلام الحصى والرومان والعنب واسكفة الباب ، وحيطان البيت وكلام الشجر وشهادة الذئب لمحمد «ص» بالنبوة وكلام الطيبة ليست بمعجزة فانه لا فائدة للإنسان منها وهي جدية بأن تدرج في سلك الخرافات.

أقول : أولا قد قال المتكلف «ص ١٣» لا ننكر ان شرب الخمر حرام والتوراة والإنجيل ناطقان بانها حرام قطعاً.

وجاء في ثاني يوحنا ٢ . ١٢ ان المسيح كان في مجلس العرس ولما نفذ خمرهم استدعت منه أمه ان يصنع لهم. بمعجزه خمر «لئلا تتعطل عبادة السكر

ولا تحصل سكتة في عريدته وهذيانه وفواحش آثاره» فعمل لهم ستة اجران من الخمر الجيد وكان ذلك بدء الآيات منه فأمن به تلاميذه.

فينتج من كلام المتكلف هذا وكلام يوحنا وحكايته. انه لا يلزم في المعجزة ان تكون داعية الى الخير والسعادة ، بل يجوز أن تكون مضرّة في الشريعة منتهكة لحرماتها مضطهدة لصالحها داعية الى مثل فواحش السكر وشُرور مجالسه المنعقدة له لتزيد في عريدته وتقوى انبعاث مفسده وقبائحه ويقوم الهرج والمرج من تتابع السكر واستحكام آثاره المعهودة قبّحها على ساق ، ولكن المتكلف ينسى أو لا يدري بما يقول وما في كتب إلهامه.

وليت شعري ما الذي يريده المتكلف من منفعة المعجزة وفائدتها أكثر من كونها مقتضية لاهتداء الخلق إلى صدق الدعوة وبر الإيمان ، وهو معنى كونها داعية إلى الخير والسعادة ، وكل ما عدده من معاجز رسول الله من كلام الحصى الى كلام الطيبة يفيد باعجازه الصريح الباهر هذه الفائدة ، ويمنح ببركته هذه المنفعة على أكمل الوجوه إذ لا يحتمل فيه التصنع والتواطؤ كدعوى إحياء الميت من دون أن يبلى بالموت. وليت شعري ما الذي أراده بقوله إذ لا فائدة للإنسان منها ، أترأه يريد من فائدة المعجزة للإنسان أن تكون مثل ابقاء مجلس العرس وادامة شرب الخمر لتأخذ شدة السكر من العقول مأخذها وتؤثر حدته ما تؤثر من مفسادها.

وعليه فأية فائدة إذا في لعن المسيح لشجرة التين حتى يبست في الحال إذ لم يجد فيها ثمرا يسد جوعه ، وهل فيها إلا الضرر على مالكيها إن كانت مملوكة ، أو على الفقراء والعابرين إن كانت من المباحثات «انظر مت ٢١ : ١٨ - ٢٣ ومر ١١ : ١٢ - ٢٤».

وأية فائدة في صيرورة يد موسى برصاء ، وأية فائدة في صيرورة عصا موسى حية «انظر الى خر ٤ : ٢ و ٣ و ٦ و ٨ و ٣٠» ، وأية فائدة للإنسان في أن عصا هارون اخرجت فروخا وأزهرت زهرا وأنضجت لوزا «عد ١٧ : ٨» وأية فائدة للإنسان في تكلم اتان بلعام ومراجعته في الجواب «عد ٢٢ : ٢٨ و ٣٠». وليت المتكلف إذ كتب كتابه كان له بعض الإمام بكتب إلهامه ، أو أنه

يظن ان في الناس من يكون له اطلاع عليها ، أو انه كان يحذر من عاقبة ما يقوله ، أو انه احتشم الحقائق الإلهية والمآثر النبوية فعرف قدره ولم يوجه إليها بضاعته من الجرأة واللسان البذي.

المقدمة العاشرة

في ذكر الموانع للنبوة والرسالة الشاهدة

على كذب ادعائها

وهي امور «الأول» أن ينص النبي المعلوم النبوة على كذب المدعي للنبوة والرسالة ، فإن تصديق هذا المدعي تكذيب للنبي المعلوم النبوة في تبليغه لكذب هذا المدعي وهو غير جائز بالعقل والنقل واتفاق المليين القائلين بالنبوات «ومثل هذا» أن ينص النبي المعلوم النبوة على أن لا يكون نبي من هذه القبيلة أو من هذا الصنف أو في الزمان الفلاني ويكون مدعي النبوة من هذه الأقسام.

ومثله أن ينص على انحصار النبوة بهذه القبيلة أو بهذا الصنف أو بهذه البلاد أو بهذا الزمان ويكون مدعي النبوة من غيرها.

«المانع الثاني» أن يعطى النبي المعلوم النبوة علامة على كذب دعوى النبوة وتنطبق تلك العلامة على مدعيها.

«المانع الثالث» ان يعترف مدعي النبوة ويخبر بنبوة شخص وينص هذا الشخص على كذب ذلك المدعي للنبوة في دعواه لها لأنه ان كان هذا الشخص نبيا حقا ، فقد نص على كذب مدعي النبوة فيلزم تصديقه في ذلك وان لم يكن هذا الشخص نبيا فقد كذب مدعي النبوة في التبليغ عن الله باخباره بنبوة هذا الشخص ، والعقل وإجماع أهل الملل حاكمان بأنه لا يكذب النبي في التبليغ.

«المانع الرابع» أن يكون مدعي النبوة فاعلا للإثم وما هو قبيح في العقل أو في الشريعة التي يتدين بها لما قدمناه في الفصل الثالث من المقدمة الثامنة من

دلالة العقل والنقل على لزوم عصمة النبي ، ومن جملة ذلك أن لا يظهر عليه الكذب المحرم في تعاليمه واستشهاداته.

«المانع الخامس» أن لا يأتي في دعوته بما هو مخالف للعقل ومنه الدعوة الى الشرك وتعدد الآلهة وعبادة غير الله ، فان العقل لا يدعن نبوة من هو على خلاف هداه وبديهي حكمه ، ويجعلها أشد الجحود ، وأنا ان لم تتبع موازين العقل فقد أضعنا رشدنا ، وضللنا عن السبيل الهادي الى الله ورسله وكتبه والمعارف الحقة ، وهل وراء العقل إلا الجهل؟ وهل بعد الحق إلا الضلال المبين؟

«المانع السادس» تناقض تعاليمه في بيان الحقائق وتناقض احتجاجه لها بنحو لا يكون من النسخ للحكم السابق ، فان اللازم من ذلك كذبه في التبليغ في أحد الأمرين المتناقضين وجهله في وجه الاحتجاج للأمور الإلهية.

«المانع السابع» شرب الخمر أم الشرور والقبائح والتهتك والخلاعة المنافية لوظيفة الرسول وسفارته من قبل الله على الخلق لهداهم وتكميلهم وتحذيرهم وإصلاح مدنياتهم وأخلاقهم ، كما يدل عليه اعتبار العقل وتظافر النقل ، ففي القرآن الكريم في سورة المائدة ٩٣ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ وفي سورة البقرة ٢١٦ ﴿وَإِنَّهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ أي الخمر والميسر.

وفي ثاني حبقوق ٥ وحقا ان الخمر غادرة.

وفي رابع هوشع ١١ الزنا والخمر والسلافة تخلب القلب.

وفي العشرين من الامثال ١ الخمر مستهزئة المسكر عجاج ومن يترنح بهما فليس بحكيم.

وفي الثالث والعشرين منه ٢٠ لا تكن بين شربي الخمر ٢٩ لمن الويل لمن الشقاء؟ لمن المخاصمات؟ لمن الكرب؟ لمن الجرح بلا سبب؟ لمن ازمهار العينين ٣٠ للذين يدمنون الخمر الذين يدخلون في طلب الشراب الممزوج ٣١ لا تنظر الى الخمر إذا احمرت حين تظهر حبابها في الكأس وساعت مرققة ٣٢ في

الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالافعوان ٣٣ عيناك تنظران الاجنبيات وقلبك ينطق بامور ملتوية
٣٤ وتكون كمضطجع في قلب البحر أو كمضطجع على رأس سارية ٣٥ يقول ضروبني ولم
اتوجع لقد لكأوني ولم اعرف متى استيقظ اعود اطلبها بعد.

وفي خامس اشعيا ١١ ويل للمبكرين صباحا يتبعون المسكر للمتأخرين في العتمة
تنهبهم الخمر ٢٢ ويل للأبطال على شرب الخمر ولذي القدرة على مزج المسكر ، وفي
الثامن والعشرين منه ١ ويل لأكليل فجر سكارى افرام المضروبين بالخمر ٧ ولكن هؤلاء
أيضا ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر الكاهن والنبي ترنحا بالمسكر ابتلعتهما الخمر تاهتا من
المسكر ضلوا في الرؤيا قلقا في القضاء.

وانظر الى تاسع عشر التكوين «٣٨ . ٣٠» وتبصر فيما جنته الخمر بزعمهم على
لوط البار «٢ بط ٢ : ٧ و ٨» مما تقشعر منه الجلود وتشمئز منه حتى نفوس الفساق.
وفي الحادي العشرين من التثنية «٢١ . ١٨» أن كون الولد سكيراً من معاييه التي
يشتكى بها والده عند شيوخ المدينة ليرجموه حتى يموت وينزع الشر.

وفي عاشر اللاويين ٨ وكلم الرب هارون قائلاً ٩ خمراً ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك
معك عند دخولكم الى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا فرضاً دهرية في أجيالكم ١٠ وللتمييز
بين المقدس والمحلل والنجس والطاهر ١١ ولتعليم بني اسرائيل جميع الفرائض التي كلمهم الرب
بها بيد موسى.

وفي أول لوقا عن قول ملاك الرب لزكريا في تمجيد ابنه يوحنا المعمدان ومدحه ١٥
لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب.

وفي خامس افسس ١٨ ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح ،
وتأمل في أن العهد القديم قد أمر بأن النذير لله لا يشرب خمراً ولا مسكراً وكل ما يعمل من
جفنة الخمر بل أمر المرأة الحاملة بالنذير بذلك «انظر عد ٦ : ٣ و ٤ وقض ١٣ : ١٤».

المقدمة الحادية عشرة

في وجوب النظر في دعوى الرسالة

ليعرف أمرها من حيث الصدق فيجب الإيمان بها أو الكذب فيجب جحودها أو يبقى أمرها مرددا مجهول الحال فيجب العمل على ما يقتضيه العقل وطريقة العقلاء في مثل هذه الموارد ، ولعمري أن هذا المقام هو الذي يرفع به الشيطان راية الغواية ويستنهض جنده ويعد عدته ويرتب جيشه فيجعل الغفلة على مقدمته ، والعصبية على ميمنته ، والتقليد على ميسرته ، وحب الراحة على القلب وجب الدنيا في الكمين والميل مع الهوى جاسوسه فيستخدم النفس الأمانة وزيرا على هذا الجند لأنه طالما استسلس قيادها لغوايته وجربها في طاعته أعاننا الله وجميع الراغبين في الحق على مكاييد الشيطان ومخادعاته وهدانا بنور العقل وبصيرة الهدى الى الصواب انه أرحم الراحمين.

اعلم هداك الله الى الحق اليقين ، وكفأك شر الشيطان اللعين انه إذا قام مدعي النبوة والرسالة ودعي الى الإيمان به وقبول ما يدعيه من الوحي وأخبر ان عدم الإيمان به مستلزم لوبال الضلال وموجب لأليم العقاب وشديد النكال فلا شك ان هذه الدعوى قبل النظر في الشواهد والموانع محتملة للصدق والكذب فيقع المدعو حينئذ بين أخطار ثلاثة لأنه ان تسرع الى تصديقها من دون نظر وتثبت في أمرها كان مخاطرا في ذلك لاحتمال كذبها في الواقع ولخوف ضرر الضلال بالإيمان بها واتباع تعاليمها الفاسدة الكاذبة التي تعمى عن الحق ، وان تسرع الى تكذيبها من دون نظر وتثبت في أمرها كان مخاطرا أيضا في ذلك

لا احتمال صدقها في الواقع ولخوف الضلال ببحود الرسالة الحقّة والعقاب الشديد عليه وحرمانه بركة الإيمان بها ومنافع تعاليمها وإصلاحها وتكميلها وسعادة تقربها الى الله والفوز العظيم ، وان بقي مترددا فيها متوقفا في شأنها من دون نظر وثبت في أمرها كان أيضا مخاطرا لا احتمال صدقها في الواقع ولخوف العقاب على عدم الإيمان بها وحرمانه وخسرانه ما ذكرنا من منافعها العظيمة.

فلا رافع لهذه المخاطر ولا مؤمن من مخاوفها العظيمة إلا اتباع هدى العقل والاستضاء بنوره في الجد والاجتهاد بالبحث والنظر في أمرها بشرط مراقبة النفس في معائر الميل مع الهوى ، والرغبة في الدين المألوف وغوايات العصبية وعمايات التقليد مع حسن التجرد في الجهاد ، والتحذر عن هذه المعائر ، فيجب على المدعو حينئذ بحكم العقل وطريقة العقلاء اعمال النظر في أمر ما دعي إليه بالنحو الذي ذكرناه ليتخلص من هذه المخاطر ويرفع الضرر عن نفسه التي هي أعز الأنفس وأكرمها عليه ، فضلا عن جلب النفع لها ، فانه ان تثبت بهذا النحو من النظر الصادق كان فائزا بالسعادة ان أصاب ومعدورا بحكم الشرع والعقل ان أخطأ وآمنا من العقاب بحكم العقل والشرع فانه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

فصل فيما يتعلق بكيفية النظر

لا يخفى انه لا يجتمع في الواقع ونفس الأمر شاهد الرسالة مع المانع منها ، فإذا اجتمعا في الظاهر تبين كذب الكاشف عن أحدهما أو عنهما كليهما ، وان الكاشف عنهما اما أن يكون هو الحس فيهما معا ، واما ان يكون هو النقل فيهما معا. وأما أن يكون هو النقل في احدهما والحس في الآخر.

وان الذي يهم عموم الناس بعد رحلة خاتم المرسلين الى سعادة الآخرة إنما هو الكاشف النقلي في شأن الأنبياء الذين تنسب إليهم الدعوة الى دينهم وشرائعهم الواردة في إصلاح البشر في أمر دنياهم وآخرتهم ، فلا بد وان يكون الكاشف النقلي هو النقل المتواتر المفيد للعلم ، فإن غيره مما لا يفيد العلم لا حظ له في المداخلة والحكومة في اصول الدين المبنية على الاعتقاد واليقين.

«النقل المتواتر» المفيد لليقين هو اخبار جماعة يذعن العقل المبرئ عن

غواية العصبية وعماية التقليد بأنهم لم يتواطئوا على الكذب ، وإذا كان النقل متعدد الطبقات فلا بد من أن يكون متواترا في جميع طبقاته على هذا النحو ليكون مقيدا لليقين وإلا فلا. وليعلم الطالب للحق الراغب في الهدى الحريص على نجاته ودفع المخاطر العظيمة والمخاوف المهلكة عن نفسه انه اذا بلغته دعوة الرسالة الى الايمان بها واتباع شريعتها والاهتداء بتعاليمها. كان عليه ان يفحص جهد قدرته عن النقل لشواهد تلك الرسالة وموانعها من معدنه واهل خبرته. وليتلفت الى انه لا ينبغي ان يعتمد في امر الشواهد على من يحرص بتعصبه على اخفائها حتى يلبسها بتمويهه ثوب الاستحالة والامتناع. او من يحرص بتعصبه لدعواها حتى يفرغها بتلفيقه في قالب بداهة الوجدان.

ولا يعتمد أيضا في امر الموانع على من يدعوه الحسد والعناد الى تخيلها بأباطيله للعيان. أو من يدعوه الهوى الى سترها بحجب الكتمان ، بل ليعتبر لتأييد الشواهد باعتراف الخصوم بنحو منها. وليعتبر لتأييد الموانع بالتزام جامعة الاتباع بما يؤول إليها. ثم ليتثبت في امر النقل ويدقق في جميع طبقاته لئلا يكون فيها ما يمنع من كونه متواترا. ويحقق في سائر منقولات هذا النقل لئلا يكون فيها ما يلزم منه كذبه وفساده ويكشف بنحو اجمالي عن فساد دعوى التواتر فيه. وليحقق في شأن المنقول من الشاهد للرسالة والمانع منها حسب قانون العقل الذي ذكرناه لئلا يشتبه عليه الشاهد بما ليس بشاهد والمانع وما ليس بمانع.

وليحذر كل الحذر في هذا المقام العظيم كله من مخادعات الشيطان ومهاجمات جنوده التي ذكرناها. بل يتجرد لمقاومة الشيطان محافظا على حدود منعه فان ميل الانسان مع الهوى قد دل الشيطان على جميع عوراته التي يؤخذ منها ، فان قصر الانسان فيما شرحناه فازل الشيطان عن الحق في مقام النظر قدمه وثناه عن الهدى فلا يلومن إلا نفسه حيث استحق بتقصيره العقاب العظيم واستوجب الحرمان وقرت بضالته وهلاكه عين الشيطان. ذلك هو الخسران المبين. اعاذنا الله من ذلك وكل طالب للهدى ودين الحق انه ولي التوفيق.

فان ثبتت عنده نبوة النبي فليعد النظر لأخذه بشريعته وتعاليمه فيهما ليميز بين الحق منهما وبين ما زوره تلاعب الأيام عليهما ، ثم يميز بين ما هو الثابت في حقه منهما وبين ما هو منسوخ بشريعة صادقة من نبوة لا حقة ليعرف بصدق النظر ما هو حكم الله الفعلي في حقه فيتعبد الله به ويطلب صلاحه وسعادته في الدارين بسببه.

فصل : في انموذج النظر

حسبما شرحنا من قوانينه تمرينا للذهن

انا قد حاولنا إثبات النبوات وكتبها وشرائعها بحججها من غير توقف لثبوت نبوة أو ثبوت آثارها على تصديق النبوة التي بعدها ، فوجهنا النظر الى نبوة الأنبياء الذين هم قبل موسى فلم نجد لدعواهم النبوة وحجتها ولا لشرائعهم ولا لكتبهم أثرا يعتد به في غير النبوات التي بعدهم ولئن كان لها أثر عند أهل الملل من بعد موسى فإنما هو من نبواتهم وكتبها. فوجهنا النظر الى نبوة موسى وكتابه وشريعته وما حدث بعده من النبوات والكتب والشرائع.

فنظرنا أولا في رسالة موسى وكتابه وشريعته فوجدنا معاصرينا من اليهود متفقين في نقلهم على ان موسى ادعى الرسالة من الله وظهرت على يده المعجزات العظيمة وأنزل الله عليه كتاب التوراة وبعثه بالشرعية ، وان التوراة الدارجة الآن هو الكتاب المنزل من الله عليه لبيان الشرعية وغيرها.

وهم متفقون أيضا على أن هذه النقول قد تلقوها متواترة في أجيالهم وطبقاتهم يدا عن يد إلى الجيل السامعين من موسى دعوى الرسالة المشاهدين لمعجزاته ، ويؤيد نقل اليهود المعاصرين ومن قاربهم نقل طبقات المسلمين وطبقات النصارى عن طبقات اليهود ولكنه منقطع ينتهي في أثناء سلسلة التواتر الى طبقات اليهود دون غيرهم وذلك ظاهر فان المسلمين أولهم من العرب والعجم وجملة من الامم الذين ينكرون نبوة موسى ومعجزاته وكذا النصارى في أممهم.

بل نقول ان نقل المسلمين والنصارى لمعجزات موسى إنما أصله وحقيقة مأخذه إنما هو الاعتماد على نبواتهم ، ولذا ترى المسلمين لا يعرفون من معجزات موسى إلا ما جاء في القرآن الكريم ، فينحصر حصول التواتر بنقل اليهود ، وعلى كل حال فان نقل اليهود يمكن باعتبار كثرتهم في أجيالهم أن يكون من المتواتر ما لم يمنع من ذلك مانع أو نجد فيه ما يكذبه ويشهد بعدم كونه من النقل المتواتر.

فوجهنا نظرنا الى الفحص وابتدأنا بالنظر في الموانع فوجدنا في عاشر يوحنا عن قول المسيح ما يقدح بعمومه في رسالة موسى ورعايته للأمة ويصمه بالعيب المانع من النبوة فانه بعد ما ذكر الرعاية الحميدة والاختلاس «يو ١٠ : ٦٠» قال ٧ الحق أقول لكم اني أنا باب الخراف ٨ جميع الذين أتوا قبلي هم سراق ولصوص انتهى.

إلا انه يكفي في دفع هذا المانع توقف منعه على ثبوت نبوة المسيح والعلم بأن هذا المنقول من قوله ، بل يكفي في بطلانه عجالة انه جاء في الأناجيل عن أقوال المسيح ما يناقضه في شأن موسى ، ويكفي من ذلك صراحتها بكون المسيح متبعاً لشرعية موسى عاملاً بالفصح وأعياد التوراة آمراً باتباع أقوال الكتبة لأنهم جلسوا على كرسي موسى «مت ٢٣ : ٢» جاعلاً قول التوراة من عند الله وتكليم الله لموسى وقول الرب «مت ٢٢ : ٣١ ومر ١٢ : ٢٦ ولو ٢٠ : ٣٧».

فصرفنا النظر الى تعاليم موسى لعلمنا يوجد فيها شيء من الموانع فنظرنا في سند التوراة الدارجة التي هي بنقل اليهود كتاب تعاليمه فوجدناها مساوية لدعوى موسى للرسالة وظهور المعجز على يده في اتفاق اليهود ودعواهم التواتر على أن جميعها كتاب موسى عن الوحي ، وأنهم قد تسلموا نقلها متواتراً عن أجيالهم يدا بيد الى الجيل المعاصرين لموسى ، فأحرزنا من ذلك ان هذا النقل المتحد في الأمرين لا يمكن أن يدعن بتواتره في بعض منقولاته مع كذبه في المنقول الآخر ، فلزمنا في مقام النظر التفحص عن هذه المنقولات إذ لعل ما يوجد فيها من الموانع ما هو مساو في السند لصورة الحجة فلا يبقى اعتماد على

هذا النقل المتساوي فيهما.

وإذ تفحصنا وجدنا في تعليم التوراة عن قول الله لا تذكروا اسم آلهة أخرى ولا يسمع من فمك «خر ٢٣ : ١٣» لتعلم ان الرب بخره هو الإله ليس آخر سواء «تث ٤ : ٣٥» أنا أنا هو وليس إله معي «تث ٣٢ : ٣٩».

ووجدنا أيضا في التوراة عن قول موسى عن قول الله ان موسى يكون إلهًا لهارون «خر ٤ : ١٦» وجعله إلهًا لفرعون «خر ٧ : ١».

وفي التوراة أيضا ان موسى استعفى من الرسالة بخطاب مع الله غير جار على الأدب ، ولم يثق بوعده الله حتى حمى غضب الله عليه ، وقال لله لما ذا أسأت الى هذا الشعب لما ذا ارسلتني؟

وقال أيضا لما ذا أسأت الى عبدك؟

وقال في شأن عبدة العجل : والآن ان غفرت لهم وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت ، وشك في قدرة الله على اشباع بني اسرائيل من اللحم وخاطب الله بما يشبه الإنكار لذلك. وذكرت التوراة أيضا ان موسى وهارون لم يؤمنا بالله. وعصيا قوله. وخاناه كما ذكرنا ذلك تفصيلا في الفصل السابع من المقدمة الثامنة ، وهذا لا يجتمع مع الرسالة كما ذكرناه في المقدمة المذكورة : مضافا الى ان في التوراة الرائجة ما يمتنع ان يكون من الإلهام كما سمعت فيما مضى وسيمر عليك ان شاء الله ، مضافا الى شهادة ارميا : بأن شريعة الله وتوراته حولها الى الكذب قلم كذب الكتبة. كما سمعت في المقدمة السادسة ، ثم تحققنا أيضا في خصوص سند التوراة فوجدناه بحكم المقدمة الخامسة وشهادة المقدمة السادسة واوليات المقدمة الثالثة عشر فتحقق لنا انه منقطع لا يمكن في العادة للعاقل ان يحتمل اتصاله الى موسى بل لا بد من ان يكون نقل مجموع التوراة الدارجة عن موسى كاذبا لا اعتداد به.

فيتضح من ذلك ان دعوى اليهود تواتر نقلهم لدعوى موسى الرسالة وظهور المعجز على يد غير صحيحة. وذلك لأجل التناهي بين منقولاتهم التي

يدعون فيها التواتر فيعلم كذب احدهما او كليهما اجمالا . ولأجل ظهور الكذب على بعض منقولاته.

لكننا قلنا : يمكن ان تكون دعوى اليهود صادقة في اتصال النقل والتواتر لدعوى موسى للرسالة وظهور المعجز على يده . وان ظهر انقطاع النقل بل والكذب في نقل التوراة . وذلك لأجل اكتشاف الداعي الى الكذب في نقل التوراة وهو حرص الكهنة ورؤساء الدين على ابقاء صورة الشريعة وآثار موسى بعد تلاشيها وانطماسها بدواهي التقلبات والانقلابات المشروحة في المقدمة الخامسة فلفقوها من أوهامهم ومن النقول المشتبه صدقها بكذبها وكابروا في حفظ اسمها وعنوانها بدعوى تواترها .

ومع ذلك لا يعدو أمر موسى في دعواه الرسالة وظهور المعجز على يده من حيث نقل اليهود ان يكون احتمالا وظنا لا يصلح ان يكون حجة في اصول الدين . ولو ان نقل اليهود له افاد العلم وكان حجة لما ثبت عندنا الا مجرد نبوة موسى ولا أثر لذلك الا وجوب الايمان به فقط اذ لم تصل إلينا منه شريعة معلومة ولا كتاب معلوم . ثم وجهنا نظرنا الى دعوة المسيح وانجيله وتعليمه وشريعته فوجدنا المعاصرين من النصارى متفقين في النقل على انه ادعى الرسالة وظهرت على يده المعجزات وانزل عليه الإنجيل .

ومتفقين أيضا على أنهم قد تسلموا هذا النقل مسلسلا عن اجيالهم يدا عن يد الى الكثيرين من جيل المسيح السامعين لدعواه الرسالة والمشاهدين لمعجزاته . ومتفقين أيضا بهذا الاتفاق في النقل على ان الأناجيل الأربعة الدارجة هي من تعاليم المسيح واحواله الواقعية ، وانها قد كتبها رسل ملهمون عن الروح القدس ادعوا الرسالة وظهر على يدهم المعجز وانهم «اعنى النصارى» تسلموا هذا كله مسلسلا من نقل اجيالهم الى الكثيرين السامعين من هؤلاء الرسل

دعواهم الرسالة ، والمشاهدين لظهور المعجز على ايديهم ، وأن هذه الكتب الأربعة من كتابتهم.

ومتفقين أيضا بهذا الاتفاق على أن أعمال الرسل ، وأربعة عشرة رسالة لبولس ، وواحدة ليعقوب واثنتين لبطرس ، وثلاثا ليوحنا وواحدة ليهوذا.

ورؤيا يوحنا على ما شرحناه في المقدمة الأولى هذه كلها كتب رسل ملهمين ادعوا الرسالة وظهر على يدهم المعجز ، وانهم تسلموا هذا كله مسلسلا من نقل اجيالهم الى الكثيرين السامعين من هؤلاء الرسل دعوى الرسالة المشاهدين لظهور المعجز على ايديهم ، وان هذه الكتب المذكورة من كتابتهم.

وجدنا النصارى المعاصرين أيضا يدافعون أشد المدافعة في أقوالهم وكتاباتهم على الخدشة في سند هذه الأناجيل والكتب ، ويحامون عنها بدعوى تواتر النقل لكونها كتباً إلهامية صادرة من رسل ملهمين.

فقلنا لننظر أولا في الموانع عن رسالة المسيح وهؤلاء الرسل فوجدنا اليهود يقدحون في نسب المسيح وولادته الطاهرة فتمتنع رسالته بحكم «تث ٢٣ : ٢» ، ويدل عليه اعتبار العقل فإن هذا الأمر منقصة منفرة للناس فيمتنع للرسالة التي هي إتمام للحجة من الله على الناس أن يكون فيها مثل هذا الأمر المنفر.

وأیضا یصفون قدس المسيح بالضلال والسحر ، وكذا بعض الوثنيين حتى عدوا من كتبه كتاب الشعبدات والسحر ، وانه في مدة بقاءه بمصر تعلم النيرنجات ، ويكيلون لباقي الرسل بنحو هذا المكيال.

فقلنا : لننظر أولا في الحجة على رسالة المسيح وموانعها الداخلية فإن تمت الحجة لم تعارضها هذه الموانع الخارجية بل يوضح تمام الحجة كذب دعوى هذا المانع.

فقد قضت العادة بأن كل من نهض لدعوة جديدة أو رئاسة جديدة محقا كان او مبطلا لا بد أن ينهض له مقاومون يرمونه بالعيب والضلال فاشتبه حق هذا لقدح بباطله ، وخصوصا ان قدح اليهود وغيرهم في نسب المسيح في غير محله ، لأن الذي يدعونه أمر غيبي ، وان كانت العادة تعضده إلا ان اليهود

معتزفون بأن الله قادر على خلق الولد في رحم أمه من غير فحل .
وقد ظهرت قدرة الله في شأن آدم وحواء بأعظم من ذلك ، وإن الطبيعة التي سخرها
الله بقدرته صالحة لمثل هذا .

فقد وجدنا في الحيوانات المعتاد تخلقها بآلات التناسل قد تتخلق بغيرها كما هو
المشاهد في «الفار» إذ يتخلق من الطين ، والدجاج قد يبيض ويفرخ من غير فحل ، فإن
أخبر نبي بتولد إنسان من غير فحل وجب تصديقه لاخبار الصادق بأمر ممكن في قدرة الله
جل شأنه مع صلاحية الطبيعة لمثله خصوصا مع وقوع ما هو من هذا القبيل ، هذا وإن لم
يخبر به النبي فلا ينبغي أن يستلب حقه من الامكان والاحتمال وإن كان على خلاف العادة
خصوصا إذا كانت المرأة الوالدة من المعروفات بالدين والعفاف .

دع هذا فنظرنا في هذا الاتفاق من النصارى المعاصرين المتساوي في جميع منقولاته
على نحو احد بحيث لا يمكن ان يكون متواترا في بعض منقولاته كاذبا في المنقولات الأخر
فوجدناه محتل الاركان متناقض المنقولات مضطربا فيها مشتملا على ما يكذب بعضه بعضا
وعلى واضحات الموانع من رسالة المسيح ولنذكر لك من ذلك شيئا يسيرا . فان الاستقصاء
يفضي الى السئام والملل والخروج عن المقصود من وضع الكتاب والمقدمة . فاستمع من ذلك
الى امور :

الأول : شهادة التاريخ بأن بعض منقولات هذا النقل ما ليس متواترا بل هو منقطع
قد تواطأ على صحته بعض السلف بتلفيق الأدلة والمؤيدات بزعمهم فتبعهم الخلف واستعاروا
له اسم التواتر .

ولنقتصر من نقل ذلك على ما نقله اظهر الحق فإنه الميسور تعجيله فقد نقل من
ذلك موارد :

المورد الاول عن جيروم في مقدمته على كتاب يهوديت ان سبعة كتب وبعض
الفقرات مما يدعي المعاصرون والمتأخرون تواتره قد كانت مشكوكة فانعقد مجلس العلماء
المسيحيين لتحقيق أمرها بأمر السلطان قسطنطين في بلدة نائس «نيقية» سنة ثلاثمائة وخمس
وعشرين فلم يتحقق وهي ست رسائل

العبرانيين ، ويطرس الثانية ، ويوحنا الثانية ، والثالثة ، ويعقوب ، ويهوذا والسابع رؤيا يوحنا بل سلم من دونها كتاب يهوديت «المردود عند البروتستنت» قال : ثم انعقد مجلس «لوديسا» . اي لاوديقية . سنة ثلاثمائة وأربع وستين فأوجب التسليم للست رسائل المذكورة ، وأبقى رؤيا يوحنا على الشك إلى أن انعقد مجلس «كارثيج» . اي قرطاجنة . ستة ثلاثمائة وسبع وتسعين فسلم رؤيا يوحنا.

والمتكلف لم تسعه المكابرة بتكذيب إظهار الحق ولا توهين جيروم لأنه ادخره للاستشهاد بكلامه ، وصرح «يه ١ ج ص ١٤٨ س ٧» بأنه كان مشهورا بالتحقيق والتدقيق في عصره وهو الجيل الرابع للمسيح ولكنه لما ألجأه الوقت أن يكتب شيئا ما قال «يه ١ ج ص ٨٢» مداولة المجالس في الكتب الموضوعية قال : «يعني اظهر الحق» التأم مجلس العلماء المسيحيين للنظر في الكتب المشكوكة.

قلنا : يؤخذ من كلامه انه لا خلاف في الكتب الموحى بها وهو الصواب الى ان قال المتكلف : ولم يحصل أدنى خلاف بين اعضاء المجلس النيقاوي على صحة الكتب المقدسة انتهى .

وأقول : كيف اخذ المتكلف من كلام اظهر الحق أو جيروم انه لا خلاف في الكتب الموحى بها مع تصريحه في النقل عن جيروم ان الكتب السبعة المذكورة كانت مشكوكة وبقيت على الشك بعد المجلس الاول فسلم منها في المجلس الثاني ستة وبقي السابع مشكوكا إلى المجلس الثالث.

أفيقول المتكلف : ان هذه الكتب السبعة ليست من الكتب الموحى بها هذا وان اراد المتكلف ان سكوت اظهر الحق أو جيروم عن الباقي من كتب العهد الجديد يدل على انها مسلمة في جميع الاعصار.

قلنا : متى سكوت اظهر الحق أو جيروم أو غيرهم عن باقي الكتب كما سنذكره في الموارد الآتية وأنها بمرأى المتكلف ومسمعه وقد تعرض لها ، ولكني اخبرك ان ظني القوي ان المتكلف لا يدري ما ذا قال هاهنا ، واما قوله : ولم يحصل ادنى خلاف بين اعضاء المجلس النيقاوي على صحة الكتب المقدسة

فنعول فيه ان اراد من المجمع النيقاوي هو مجلس نائس المذكور.

قلنا : ان نقل جيروم ابعء عن التعصب من دعوى المتكلف وهو اعرف بالأمر القريبة من عصره ومشهور بالتحقيق والتدقيق وهو مثبت والمتكلف نافي. وان اراد من المجمع النيقاوي غير مجلس نائس المذكور فلا يضرنا لأننا لا ننكر ان مجامع النصارى قد اتفقت في بعض الأدوار على صحة هذه الكتب بل اتفقت في ادوار كثيرة على صحة كتب كثيرة حتى نبغت فرقة البروتستنت في القرن السادس عشر فانفردت بدعوى كذبها. وقد تعرض المتكلف أيضا للمجمع النيقاوي المذكور «يه ٣ ج ص ٢٤٦» فلم يجسر على مخالفة جيروم في النقل ولكنه تكلم بما لا دخل له بالمقام كاستشهاده بكثرة الأساقفة على انتشار الديانة المسيحية وان الكتب الموحى بها هي التي تكتب بإلهام الروح القدس وان كتاب يهوديت ليس منها.

المورد الثاني : عن وارد كاتلك قال في كتابه : صرح جيروم في مكتوبه ان بعض العلماء من المتقدمين كانوا يشكون في الباب الآخر من انجيل مرقس ، وبعض القدماء كانوا يشكون في بعض الفقرات من الباب الثاني والعشرين من لوقا ، وعن المحقق نورتن في كتابه المطبوع في بلدة بوستن سنة ١٨٣٧ ص ٧٠. في هذا الإنجيل «يعني مرقس» عبارة واحدة قابلة للتحقيق «وهي من الفقرة التاسعة من الباب الأخير الى آخر الإنجيل».

والعجب من كريسباخ انه ما جعلها معلمة بعلامة الشك في المتن وأورد في شرحه ادلة على كونها الحاقية «ثم نقل ادلته وقال» فثبت منها ان هذه العبارة مشتبهة سيما إذ لاحظنا العادة الجبلية للكاتبين بأنهم كانوا ارغب في ادخال العبارات من اخراجها انتهى.

قال المتكلف «يه ١ ج ص ١٢٣» : ان القول بأن العلماء كانوا يشكون في الإصحاح الأخير من انجيل مرقس هو افتراء محض غاية الأمر ان غريغوريوس اسقف «نسا» في كبدوكية قال : ان انجيل مرقس ينتهي بقوله «وخافوا» «والصواب خائفات» وغض الطرف عن الاثنتي عشرة آية الأخيرة لأنه لم يجدها في بعض نسخ الفاتيكان ، ومن المؤكد انها كانت موجودة في نسخ كريسباخ ولكنها

كانت مكتوبة بين قوسين.

فأقول : هب المتكلف كذب إظهار الحق او وارد كاتلك او معتمده جيروم في شك بعض العلماء المتقدمين في آخر مرقس ولكنه اعترف بأن اسقف «نسا» قد اخرج اثني عشرة فقرة من آخر مرقس جزما والاعتذار بأنه لم يجدها في بعض نسخ الفاتيكان اعتذار واه لا محصل له إلا القدح بتثبيت الأساقفة وقصورهم بل وتقصيرهم في معرفة الحقائق والمحافظة على الكتب الإلهامية بزعمهم.

وينجر إلى القدح أيضا بسند العهد الجديد لأنه لم يكن لعموم الناس قبل القرن السادس عشر حظ في تداوله ، كما حدث بعد ذلك وإنما كان أمره مختصا بالأساقفة ومن تحت أيديهم من القسوس وغيرهم ، على انه لم تكن قبل ناشئة البروتستنت كتب تختص بعنوان الفاتيكان وإنما كان أمر الكتب في هرج ومرج نسكن سورته المجامع وبعد مجلس كارتيج أي قرطاجنة صار الفاتيكان وغيره واجب التسليم الى القرن السادس عشر.

وأیضا هب ان المتكلف كذب «نورتن» في نقله عن شرح كريسباخ ولكنه اعترف بأن الفقرات المذكورة كانت مكتوبة في نسخته بين قوسين ، ومن المعلوم من الاصطلاح في رسم العهدين ان الجعل بين هلالين إنما هو علامة على ان ما بينهما غير موجود في اصح النسخ وأقدمها وهو أعظم من الشك.

ومن اراد الحكومة بين المتكلف وبين وارد كاتلك ونورتن فليحقق في كتابات جيروم وكريسباخ فان المتكلف قد أنكر الفقرة الثالثة من ثاني التكوين في تقديس اليوم السابع وتبريكة «انظر يه ٤ ج ص ١٧٤ س ٣» فهل يؤمن بعد ذلك على نقل؟.

المورد الثالث : عن «ص ٢٠٥» من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ م من كاتلك هولند كتب استادلن في كتابه ان كافة الإنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة المدرسة الاسكندرية بلا ريب.

والمحقق برطشنيذر قال : ان هذا الإنجيل كله وكذا رسائل يوحنا ليست من تصنيفه بل صنفها واحد في ابتداء القرن الثاني.

والمحقق المشهور كروتيس قال : ان هذا الإنجيل كان عشرين بابا فالحق كنيسة افسس الباب الحادي والعشرين بعد موت يوحنا.

وعن هورن في الباب الثاني من القسم الثاني من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ م انه قال الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة أبتر وغير معينة لا توصلنا إلى أمر معين ، والمشايخ القدماء الأولون صدقوا الروايات الواهية وكتبوها وقبل الذين جاءوا من بعدهم مكتوبهم تعظيما لهم ، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب الى كاتب آخر وتعذر تنقيدها بعد انقضاء المدة انتهى.

ولم يتعرض المتكلف للكلام على هذا النقل «انظر به ١ ج ص ١٣٤» الى آخره.

المورد الرابع : عن هورن «ص ٢٠٦ و ٢٠٧» من المجلد الثاني من تفسيره المطبوع سنة ١٨٢٢ م ، لا توجد في الترجمة السريانية الرسالة الثانية لبطرس ، ورسالة يهوذا ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ومشاهدات يوحنا ، ومن الآية الثانية الى الآية الحادية عشر من ثامن يوحنا ، والآية السابعة من الباب الخامس من الرسالة الاولى ليوحنا.

وعن وارد كاتلك «ص ٣٧» من كتابه المطبوع سنة ١٨٤١ م ذكر راجرس وهو من اعلم علماء بروتستنت أسماء كثيرين من علماء فرقته الذين اخرجوا الكتب المفصلة من الكتب المقدسة باعتقاد انها كاذبة الرسالة العبرانية ورسالة يعقوب ، والرسالة الثانية ، والثالثة ليوحنا ، ورسالة يهوذا ومشاهدات يوحنا.

وقال داکتر بلس من علماء بروتستنت : ان جميع الكتب ما كانت واجبة التسليم الى عهد يوسى بيس واصر على أن رسالة يعقوب ورسالة يهوذا ، والرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ليست من تصنيفات الحواريين ، وكانت الرسالة العبرانية مردودة الى مدة والكنائس السريانية ما سلموا ان الرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يهوذا وكتاب المشاهدات وما سلموا كونها واجبة التسليم وكذا حال كنائس

العرب لكننا نسلم.

وعن لاردنر «ص ١٧٥» من المجلد الرابع من تفسيره سرل وكذا كنيسة اورشليم في عهده ما كانوا يسلمون كتاب المشاهدات ، ولا يوجد هذا الكتاب في الفهرست القانوني الذي كتبه.

ثم قال «ص ٣٢٣» ان مشاهدات يوحنا لا توجد في الترجمة السريانية القديمة وما كتب عليه بارهي بربوس ولا يعقوب شرحا وترك «أي بدجسو» في فهرسته الرسالة الثانية لبطرس والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ورسالة يهوذا ومشاهدات يوحنا وهذا هو رأي السريانيين الآخرين.

وعن «ص ٢٠٦» من المجلد السابع من كاتلك هولدا ان روز كتب «ص ١٦١» من كتابه ان كثيرا من محققى بروتستنت لا يسلمون كون كتاب المشاهدات واجب التسليم. واثبت برويرا يوالدا : بالشهادة القوية ان انجيل يوحنا ورسائله وكتاب المشاهدات لا يمكن أن تكون من تصنيف مصنف واحد.

وعن يوسى بيس في الباب الخامس والعشرين من الكتاب السابع من تاريخه «قال» ديونيسيوس اخرج بعض كتاب المشاهدات عن الكتب المقدسة واجتهد في رده وقال : هذا كله لا معنى له واعظم حجاب الجهالة وعدم العقل ونسبته الى يوحنا الحواري غلط ومصنفه ليس بحواري ولا رجل صالح ولا مسيحي بل نسبه سرنتهن الملحد الى يوحنا لكني لا اقدر على إخراجهم عن الكتب المقدسة لأن كثيرا من الاخوة يعظمونه الخ.

وعن يوسى بيس في الباب الثالث من الكتاب الثالث من تاريخه ، ان الرسالة الاولى لبطرس صادقة إلا ان الرسالة الثانية له ما كانت داخله في الكتب المقدسة في زمان من الأزمنة لكن كانت تقرأ رسائل بولس اربع عشر إلا ان بعض الناس اخرج الرسالة العبرانية.

وفي الباب الخامس والعشرين من الكتاب المذكور ، اختلفوا في ان رسالة يعقوب ورسالة يهوذا والرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية ، والثالثة ليوحنا

كتبها الإنجيليون او اشخاص اخر كان أسماءهم هذه.

وفي الباب الخامس والعشرين من الكتاب السادس من تاريخه أيضا نقل قول ارجن في شأن الرسالة العبرانية الحال الذي كان على ألسنة الناس ان بعضهم قالوا : ان هذه الرسالة كتبها كليمنت الذي كان بشب الروم وبعضهم قالوا : ترجمها لوقا انتهى كلام ارجن. قال : وأنكرها رأسا ارنيس بيشب ليس الذي كان سنة ١٧٨ م وهب بوليتس الذي كان سنة ٢٢٠ م ونوتيس برسبتر الروم الذي كان سنة ٢٥١ م وقال ترتولين برسبتر كارتيج الذي كان سنة ٢٠٠ م انها رسالة برنيا ، وكيس برسبتر الروم الذي كان سنة ٢١٢ م عد رسائل بولس ثلاثة عشر ولم يعد هذه الرسالة ، وسائي برن بشب كارتيج الذي كان سنة ٢٤٨ م لم يذكر هذه الرسالة ، وقال اسكالجر من كتب الرسالة الثانية لبطرس فقد ضيع وقته.

وعن تاريخ البيبل المطبوع سنة ١٨٥٠ م قال كروتيس : هذه الرسالة رسالة يهوذا الاسقف الذي كان خامس عشر من اساقفة اورشليم في عهد سلطنة ايدرین.

وعن يوسي بيس في الباب الخامس والعشرين من الكتاب السادس من تاريخه :

قال ارجن في المجلد الخامس من شرح انجيل يوحنا ان بولس ما كتب شيئا الى جميع الكنائس والذي كتبه الى بعضها فسطران او أربعة سطور.

والمتكلف لم يتمكن من انكار هذه النقول ولا القدح بناقليها ، وغاية ما تمكن في مقابلة بعضها انه لفق بعض الشواهد الواهية لصحة الكتب المذكورة باستشهاد بعض الأشخاص ببعضها ، وتصحيح بعضهم لها واشتمالها على اسم الرسول المنسوبة إليه او الوعظ وغير ذلك من التشبثات التي ليس فيها شيء يشهد بعدم الجعل «انظر يه ١ ج ص ١٥٣» إلى آخره على ان المتكلف قد غفل او تغافل عما هو الموضوع لكلام إظهار الحق فانه أورد هذه النقول وغيرها شواهد على عنوان الفصل الثاني من الباب الأول وهو انه لا يوجد عند اهل الكتاب سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد فكل ما فر إليه

المتكلف من الاستشهادات مما يؤكد دعوى إظهار الحق على انا لو استقصينا في التعرض لتلك الشواهد لاوضحنا سخافتها في نفسها ولكنها لا تمس غرضنا بوجه ولو تمت بل تؤكد قولنا : ان دعوى النصارى المتأخرين تواتر كتبهم إلى المصادر المدعاة لا أصل لها ، بل أن النصارى مختلفون فيها ، وان من يريد منهم التصحيح يحتاج إلى أعمال الظنون والاعتماد على تقليد آحاد الناس في امر مضى له تسعة عشر قرنا.

المورد الخامس : قد ذكر إظهار الحق أيضا في المقصد الثاني من الباب الثاني شهادة كثير من محققهم ومفسريهم وأئمتهم في أجيال مختلفة ونصهم على زيادة كثير من العهد الجديد وانه الحاقى ليس منه «انظر المقصد الثاني المذكور من الشاهد السابع والعشرين إلى آخره».

والمتكلف لما اراد ان يتكلم على هذه الشواهد لم يتمكن من جحود نقلها ولا القدح فيمن نقل عنهم فتستر باهماله لذكر من نقلت عنه فموه بإظهار نسبتها إلى إظهار الحق وصار يجب عنها بالتلفيق والتشبهات «انظر به ٣ ج ص ٢٧٠ . ٢٩٠».

ثم جعل استشهادات إظهار الحق المشار إليها استشهادا بأقوال المسيحيين الضعيفة والآراء السقيمة وضرب المثل باعتقاد المتقدمين بكون الشمس متحركة والأرض ثابتة وقد اتضح فساد.

إلى أن قال : ولا يخفى ان المعترض «يعني إظهار الحق» أورد كل رأي سقيم وقول باطل قديم وما دري ان الدنيا في تقدم ، فكل سنة تظهر حقائق جمة بل انكشفت بالأبحاث الجديدة امور مهمة إلى ان قال : ولو كان آدم كلارك او غيره من الجيل الماضي في هذا العصر لأقلعوا عن كثير من آرائهم الساقطة.

فأقول أولا : ان المتكلف طالما ادعى ان كتبهم وصلت من السلف الى الخلف بالسند المتصل القوي «انظر أقلا عنوانه به ٣ ج ص ١٩٢» ولم يجد ملجأ في زعمه صحتها واتصال سندها في تسعة عشر قرنا إلا بقول فلان واستشهاد فلان.

وثانيا : ان جل الذي استشهد بنقلهم إظهار الحق قد التجأ المتكلف في

كتابه إلى التشبث بآرائهم ونقولهم ، انصر كتابه في أمثال هذه الموارد وراجع إظهار الحق في هذا المقام.

نعم : هؤلاء وأمثالهم من سلف المتكلف عنده على حالتين متباينتين ان استشهد إظهار الحق بكلامهم في مقام لا يهتمون به كانوا عند المتكلف من الجهلة العارين عن الفهم والعلم «انظر به ١ ج ص ٩٥ س ٦».

وكان ما ينقله من أقوالهم رأي سقيم وقول باطل قديم وآراء ساقطة «انظر به ٣ ج ص ٢٩١ و ٢٩٢». وان استشهد بهم المتكلف لمزاعمه كانوا أئمة فضلاء اثبات محققين مدققين ، انظر الى مدحه لهم عند ما يتشبث بأقوالهم وآرائهم.

وثالثا : ان صحة سند الكتاب وتواتر سلسلته الى مصدره انما هو امر تاريخي ولا وجهة للتقدم في فلسفته إلا مراجعة مأثورات القدماء المتصدين للبحث عنه والتنقير فيما كان في زمانهم وما قاربه من أحواله وما جرياته. وعند التعارض يحكم الاعتراف على الدعوى والاطمئنان على التهمة ، ومن الوهم الواضح قياس التاريخ بمسألة حركة الشمس او الأرض فإن وجهة التقدم في فلسفة هذا مبانة لما تقدم وإنما هي بمزاولة الرصد بالآلة وأعمال النظر في الرياضيات والطبيعات.

وقد صار المتكلف في هذا المقام ان رأى المجمع يوافقه في مزاعمه احتفل بقراره وارتاح بالاستشهاد به كما في مجمع «ترنت» سنة ١٥٣٧ ، وان رأى المجمع صدق على ما لا يوافقه أو شك فيما يزعم المتكلف إلهاميته قال لا يسوغ الاعتماد على قرار ذلك المجمع. وان الكتاب الذي يكتب الوحي الإلهي ويتأيد بالمعجزات في غنى عن قرار مجلس ، «انظر به ٣ ج ص ٢٤٦ و ٢٤٧».

أقول : نعم ان كتابة الرسول او املاء للكتاب عن الوحي في غنى عن قرار مجلس ، ولكن يا حبذا لو صحت الأحلام. وكيف السبيل الى العلم بأن ما بأيدي الناس هو ذاك. وان الكلام في المجمع على كتب العهدين يجري في امرين باهظين «احدهما» اتصال سنده اتصالا علميا الى مصدره الذي ينسب إليه

ومرجع هذا الى محض التحقيق التاريخي «وثانيهما» ان مصدره كتبه عن إلهام متأيد بالمعجزات ومرجع هذا الى التحقيق التاريخي والنظري وان المجمع العام النيقاوي الأول المشتمل على ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفا ، لم يتحقق فيه صحة السند لسبعة من الكتب التي يزعم النصارى المتأخرون تواترها في جميع الأجيال إلى الرسل ، بل أبقوها مشكوكة النسبة إلى مصادرها وهذا مما يوضح فساد دعوى التواتر فيها.

ويكشف عن ان هذه الدعوى من اصرار المكابرات ، بل يوهن قبول ما بعده من الجماع لها ولا سيما إذا ادعت تواترها فإن هذه الامور التاريخية البعيدة العهد لا سبيل إلى حجتها بقول فلان واستشهاد فلان ، ومن هو فلان؟ حتى لو فرضنا انا علمنا قطعا انه هو القائل او المستشهد ، أهو نبي أم نخادع عقولنا حتى إذا قيل انه استشهد بفقرة نقول ان كلما يكتب على الورق معلوم النسبة إلى الإلهام ، أو قال : ان ليعقوب رسالة نقول ان كلما يكتب على الورق وهو رسالة يعقوب مثلا ، فان هذه الامور لا تثبت ثبوتا حقيقيا علميا إلا بقول المعصوم الموحى إليه بأن هذا الكتاب المعين بالإشارة الحسية وهذه الألفاظ المخصوصة هي كتاب فلان النبي.

أو يثبت ذلك بالتواتر المتصل في جميع الأجيال ، أفيقول المتكلف ان سبعة كتب من العهد الجديد الرائج هي متواترة وان شك فيها في القرن الرابع ثلاثمائة وثمانية عشر اسقفا من المنتخبين للمجمع العام للنظر في الديانة النصرانية وكتبها نظرا أوليا أو ثانويا وقد قصرُوا وقصروا عن الوصول الى التواتر أو أنهم كابروا بإنكاره حتى بقي الشك مستمرا الى مدة ، أيكون مثل هذا في التواتر؟.

نتيجة ما تقدم : انه قد اتضح من نقل الموارد الخمسة المذكورة ان اتفاق المتأخرين في النقل لا يصلح لأن يكون من التواتر المفيد للعلم لأجل ظهور الخلاف في دعوى التواتر ، ونقله في سبعة من الكتب وجملة من فقرات الكتب الاخر.

وان انعقاد المجمع في أجيال النصارى للنظر في امور الكتب ولو ثانويا كما

يزعم المتكلف هو مما يقرب ان اعتمادهم في كتبهم كان على التواطؤ وقرار المجلس ولو لأجل التشبث بالشواهد ، وهذا مما يدع التواتر هباء منثورا. فإن من أركان التواتر أن يكون الاتفاق على النقل مستندا إلى النقل المسلسل في الأجيال إلى المصدر بحيث لا يحتمل أن يكون مستندا الى التواطؤ وقرار المجامع أو البحث والتشبث بالشواهد والامارات.

الأمر الثاني : ان الاناجيل التي يدعون تواتر نقلها الى المصدر الإلهامي قد وجدناها تكذبهم في دعواهم ان المسيح ادعى الرسالة العامة وظهر على يده المعجز ، وان هذا متواتر في نقلهم.

ففي خامس عشر متى عن قول المسيح ٢٤ فأجاب وقال : لم ارسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة.

وفي صراحة الاناجيل أيضا عن قول المسيح انه لا يظهر على يده المعجز والآية مدة حياته في الأرض إلا بقيامه من الأموات بعد مكثه في بطن الأرض ثلاثة ايام ، «انظر الى مت ١٦ : ٤ ومر ٨ : ١١ و ١٢ ولو ١١ : ١١ و ٢٩».

الأمر الثالث : ان الاناجيل التي يدعون تواتر نقلها الى المصدر الإلهامي قد وجدناها تبطل احتجاجهم بأن ظهور المعجز شاهد وبرهان على الصدق في دعوى الرسالة ، فقد صرحت بأن الآية والاعجوبة والقوة التي هي عبارة عن المعجز تظهر على يد الكاذب في دعوى النبوة «انظر الى متى ٢٤ : ٢٤ ومر ١٣ : ٢٢».

أفيمكن ان يكون نقل النصارى متواتر في دعوى المسيح للرسالة العامة. وفي ظهور المعجز على يده وفي الأناجيل المشتملة على ما يكذب ذلك ويبطل الاحتجاج به. أم نتشهي ونقول انه متواتر في بعض دون بعض مما ذكرنا وان كان النقل فيهما متساويا كتساوي دعوى التواتر.

الأمر الرابع : ان العهد الجديد الذي يدعي النصارى تواتره الى المصدر الإلهامي والأنبياء المرسلين. ويحامون اشد المحاماة عن الخدشة في تواتره وصحة سنده. قد وجدناه قد تضمن ثلاثة مضامين.

الأول : ان يسوع المتولد في بيت لحم من مريم العذراء المبشر به في العهد الجديد هو ابن داود ومن نسله وداود ابوه انظر اقسا الى لو ١ : ٣٢ واع ٢ : ٣٠ ورو ١ : ٣ .

الثاني : ان يسوع هو المسيح الموعود به . وهذا هو العنوان لدعواه الرسالة انظر اقسا مت ١٦ : ١٦ . ٢٠ . ١٤ : ١١ و ٦٢ و يو ٤ : ٢٥ و ٢٦ .

الثالث : ان المسيح ليس ابن داود ، ففي ثاني عشر مرقس ٣٥ ثم اجاب يسوع وهو يعلم في الهيكل كيف يقول الكتبة ان المسيح بن داود ٣٦ لأن داود نفسه قال بالروح القدس . قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى اضع اعداءك موطئا لقدميك ٣٧ فداود نفسه يدعوه بالروح ربا فمن اين هو ابنه ونحوه «مت ٢٢ : ٤١ . ٣٦ ولو ٢٠ : ٤١ . ٤٥» .

ولا يخفى عليك انا اذا اخذنا بالمضمون الأول ، وهو ان يسوع بن داود ومن نسله ، مع المضمون الثاني ، وهو انه هو المسيح لموعود به ، لزم كذب المضمون الثالث ، وهو ان المسيح ليس ابن داود ، واذا اخذنا بالمضمون الثاني مع الثالث . لزم كذب المضمون الأول . وهو ان يسوع المذكور من نسل داود وابنه ، واذا اخذنا بالمضمون الأول مع الثالث ، لزم كذب المضمون الثاني وهو ان يسوع هو المسيح فتبطل دعواه الرسالة لأنها معنونة بكونه المسيح الموعود به كما لا يخفى ، فليختر المتكلف ان اي هذه المضامين الثلاثة كاذب ، مع انه من العهد الجديد المتواتر وكلام الله السميع العليم بزعم المتكلف .

وأيضاً كيف يجعل داود له أرباباً متعددة أحدهما يخاطب الآخر وكيف يحتج المسيح بهذا القول وينسبه الى الروح القدس ، مع انه جاء في العهد القديم عن قول الله انا انا هو الرب وليس إله معي «تث ٣٢ : ٣٩» أنا الرب وليس آخر «اش ٤٥ : ٥ و ٦ و ١٨» .

فإن قلت : ان معنى الرب المراد به المسيح هاهنا هو المعلم ، قلت أجل فلما ذا لا يكون المعلم ابن داود ومن نسله ، دع هذه فإن هذا التفسير منك في هذا المقام فضولا لا يقبلونه .

الأمر الخامس : ان الاناجيل التي يدعي النصارى تواترها عن المصدر الإلهامي قد ذكرت عن المسيح احتجاجات واهية لا تليق بسائر الناس فضلا عن رسل الله ذوى الحجة الواضحة والبيان الشافي الكافي.

منها : ما أسلفناه في الفصل الخامس عشر من المقدمة الثامنة عن قول المسيح لما قال له الفريسيون : أنت تشهد لنفسك وشهادتك ليست حقا حيث ذكر انه قال : وأيضا في ناموسكم مكتوب شهادة رجلين حق أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الأب الذي أرسلني «يو ٨ : ١٧ و ١٨».

فهل ترى أحدا من أوباش الناس يحتج لدعاويه بمثل هذا؟ أفيخفى على أحد من الناس ان المدعي لا يكون احد الشاهدين لا في القضاء الشرعي ولا العرفي.
ومنها : ما أسلفناه أيضا من قول الإنجيل ان المسيح لما أجابه اليهود قائلين لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تحديف فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلها ، أجابهم يسوع أليس مكتوبا في ناموسكم أنا؟ قلت أنكم آلهة «يو ١٠ : ٣٣ و ٣٤».
فهل ترى ان واحدا من الموحدين يحتج بهذا الاحتجاج وينسب الناموس المنسوب الى الوحي إلى القول بالشرك وتعدد الآلهة؟ وقد أسلفنا ما في هذا من الكلام فراجع.

الاحتجاج للمنع من الطلاق

ومنها ما عن المسيح في احتجاجه للمنع من الطلاق.
ففي تاسع عشر متى ٣ وجاء إليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ٤ فأجاب وقال لهم : أما قرأتم ان الذين خلق من البدء خلقهما ذكرا وانثى ٥.
وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا ٦ إذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد ، فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان ٧.

قالوا له : فلما ذا أوصى موسى أن يعطي كتاب طلاق فتطلق ٨ قال لهم ان موسى من اجل قساوة قلوبكم أذن لكم ان تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا ٩ وأقول لكم : ان من طلق امرأته إلا لسبب الزنا وتزوج باخرى يزني «ونحوه مر ١٠ : ٢ - ١٠».

فأقول : اما الاستشهاد بأنه يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته فإنه ان اريد منه الالتصاق بالمرأة احيانا من أجل ضرورة التمتع والرغبة في النسل وتربية الأولاد فليس ذلك إلا لأن الوالدين لا يصلحان لذلك ، فهذا الالتصاق بالمرأة كالتصاقه في أغلب اوقاته بنوع من التكسب وأعمال المعيشة فيترك لاستزواجه منه أباه وأمه وامرأته وولده ، أفصح ان يجعل التصاقه هذا به حجة على انه لا يجوز أن يفارقه ويتركه اذا استغنى عنه أو سقط عن الفائدة أو كان مضرا بنظام حياته وصحته واستراحته. أو انقياده للشرعية ونواميسها.

وان اريد بهذا الالتصاق تقديمها على اكرام الوالدين وبرهما اللازم ، والاعراض عنهما لأجلها ، فهو استشهاد بعمل الأوباش الذين لم تؤدبهم النواميس الروحية على اكرام الوالدين والبر بهما ، ولا يبالون بإثم العقوق ومنقصته فهم كالحمار إذا رأى الأتانة تبعها ، ولم يبال بمن فوقه وما يراد منه.

فانا نجد كثيرا منهم يلتصقون هكذا بالزواني اللاقي يختصون بمن بغير زواج شرعي. وأما الروحانيون المؤدبون بالشرعية فلا يقدمون نساءهم على اكرام والديهم وبرهم ولا يتركونهم لأجلهن ، وحاشا للوحي الإلهي ان يستشهد بعمل الأوباش المخالفين لنواميس الشرية.

وأیضا ما معنى ان الرجل وامرأته يصيران جسدا واحدا وانهما ليسا بعد اثنين. فما لنا نرى بعض الكلمات قد كابت الاعداد على حقائقها فلم تعط الوحدة والاثنيية والتثليث حقوقها من المعاني والحقائق. أفمن ماتت زوجته أو طلقها لسبب الزنا يكون نصف جسد واحد ، وإذا تزوج باخرى يعود جسدا واحدا أو يصير الثلاثة والاربعة والعشرة جسدا واحدا.

وأيضاً ما معنى القول بأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ، مع ان الوجدان شاهد على أن كثيراً مما جمعه الله يفرقه الإنسان كأجزاء الاجسام الصورية والجوهرية وقد سوغت له الشريعة كثيراً من ذلك.

نعم ان جمع الله بين الرجل والمرأة بالزواج برابطة شرعية غير مؤقتة لا يمكن أن يفرق بدون شريعة ، ولكن الله قد شرع ذلك على يد موسى ثم نقول لهذا المحتج : كيف تسوغ أنت طلاق المرأة إذا كانت زانية ومقتضى حجتك انها صارت هي وزوجها جسدا واحدا وليس بعد اثنين ، وما جمعه الله لا يفرقه إنسان.

وأيضاً ما معنى قول المحتج بأن موسى من أجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا.

أفيعقول ان موسى جاء بشريعة الطلاق من عند نفسه مداراة لقومه القساوة القلوب لا من عند الله؟ أم يقول : ان الله شرع الطلاق مؤقتاً من أجل قساوة القلوب؟ ولكن رفعت هذه الشريعة حيث تسلطت المملكة الروحية على قلوب بني اسرائيل والعالم أجمع قدستهم روحانيتهم وأدبتهم على حسن الائتلاف وعرفان الحقوق حتى تلاشت قساوة قلوبهم.

فنقول : يا حبذا لو صحت الأحلام فإنك إذا نظرت في تاريخ العالم ورسوم هذه المملكة منذ حادثة الصليب وقبلها وبعدها حتى الوقت الحاضر ونظرت إلى حوادث الوقت قلت مستعبراً :

قف بالمعاهد نبكي رسمها العافي بمدمع من سويد القلب رعاف والإجمال أجمل ، وأيضاً ما معنى احتجاج هذا المحتج بأنه لم يكن من البدء هكذا ، أفكلما لم يكن من البدء ينبغي أن لا تكون به شريعة مسوغة له إذا فإن آدم وحواء كانا في البدء عريانين «تك ٢ : ٢٥» فينبغي ان لا تجيء شريعة تسوغ لبس الثياب ، فإن قلت : قد عرض لهما من الأحوال ما يقتضي خلاف ذلك وقد صنع الله لهما أقمصاً من جلد وألبسهما «تك ٣ : ٢١».

قلنا : وقد عرض من الأحوال فيما بين الرجال ونسائهم ما لم يكن بين آدم

وحوا وقد شرع الله الطلاق على يد موسى «تث ٢٤ : ١» وفي الكل لم يكن من البدء هكذا.

وأيضاً بناء على هذه الحجة ينبغي أن لا تحيى شريعة بتسويغ الطلاق لعلّة الزنا ، أو بتزويج الرجل إذا طلق امرأته لعلّة الزنا أو إذا ماتت ، ولا للمرأة أن تتزوج إذا مات زوجها أو طلقها لعلّة الزنا لأنه لم يكن من البدء هكذا ، إذ لم يجر شيء من ذلك بالنسبة لآدم وحوا. أفهكذا يكون احتجاج الرسل وما ذا يمنع الرسول من ان يقول : اني رسول من الله بشريعة تحريم الطلاق إلا لعلّة الزنا ولا يحتج بهذا الاحتجاج الواهي من جميع اطرافه.

الزواج في القيامة : ومنها ما في العشرين من لوقا عن قول المسيح في الاحتجاج على الصدوقيين ٣٤ فأجاب وقال لهم يسوع أبناء هذا الدهر يزوجون ويزوجون ٣٥ ولكن الذين حسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوجون ولا يزوجون ٣٦ إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة ، فانظر وتأمل وقل ما وجه التعليل لعدم التزواج في القيامة بأن القائمين من الموت لا يستطيعون ان يموتوا أيضاً ، وما وجه الحجة الكافية في ذلك.

أفيمتنع الزواج عقلاً أو عادة على من لا يموت من نوع الإنسان وقل ما معنى نسبة الموت الى استطاعتهم ، وما معنى كونهم مثل الملائكة ، فإن كان ذلك بدعوى كونهم ارواحاً مجردة فهو إنكار للقيامة من الأموات والمعاد الجسماني الذي عليه صريح العهد الجديد ، وما معنى كون أبناء القيامة أبناء الله فإن كان مضمونه ان غير الأبرار لا يقومون من الموت كان ذلك مخالفاً لصراحة الأناجيل والعهد الجديد وإن كان الغرض منه التعرض لحال الأبرار فقط كان غير مطابق للسؤال العام عن حال الأبرار وغيرهم ، وان كان المراد ان جميع الناس أبرارهم وشرارهم يكونون في القيامة مثل الملائكة وأبناء الله فأين الدينونة وأين الجزاء حسب الأعمال وأين جهنم النار التي لا تطفئ كما هو مكرر في صراحة العهد الجديد وكيف يعقل ذلك.

القيامة من الأموات : ومنها ما في العشرين من لوقا عن قول المسيح أيضا في الاحتجاج على الصدوقين للقيامة من الأموات.

وأما ان الموتى يقومون فقد دل عليه موسى في أمر العليقة كما يقول الرب إله ابراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب ٣٨ وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء. وانظر الى «مت ٢٢ : ٣١ و ٣٢ ومر ١٢ : ٣٦ و ٣٧».

ولا يخفى انه ان كان وجه هذا الاحتجاج انه ليس في العالم موت ولا أموات كما يشعر به قوله لأن الجميع عنده احياء.

قلنا : هذا مخالف لضرورة الوجدان والعهدين مع انه بهذا الوجه لا يدل على القيامة من الموت ، بل يدل على انه ليس هناك أموات يقومون بل الجميع عنده احياء ، وهذا خلاف المدعى فيكون البرهان المخالف للضرورة غير منطبق على المدعى.

وان كان الوجه في الاحتجاج هو أن الله لا يكون إله أموات وقد قال انه إله ابراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب فلا بد أن يكون ذلك باعتباره حياتهم بعد الموت وتوجيهه ان المراد من الأموات هي أجسادهم المفارقة للأرواح ، ومن الأحياء أجسادهم التي فيها أرواحهم ، فلا يكون الله إله أموات وأجساد خالية من الأرواح لأنها جماد ، فلا بد ان يكون القول بأن الله إلههم إنما هو باعتبار قيامهم من الموت ، وتلبس الروح بهم لخروجهم حينئذ عن كونهم جمادا.

قلنا : أولا لما ذا لا يكون الله إلهها للجماد؟ أو ليس هو إله كل شيء وربّه وخالقه؟ أو لم يجيء في العهدين انه إله صهيون «مز ١٤٧ : ١٢» وهي جماد وإله الآلهة «مز ٥٠ : ١». وهي اصنام جاد وإله السماء «دا ٢ : ١٨ و ١٩ وروء ١١ : ١٣».

وثانيا : لو سلمنا ان كون الله إلهها لابراهيم واسحاق ويعقوب إنما هو باعتبار تعلق الارواح بأبدانهم. لقلنا : من اين يدل ذلك على القيامة من الموت وتعلق الأرواح بأبدانهم بعد الموت ، ولما ذا لا يكون ذلك باعتبار تعلق الأرواح بأبدانهم قبل الموت ، وهل يكون الاحتجاج على هذا التقدير إلا من قبيل التشهي

والمجازفات التي يجب أن تنزه الأنبياء عن غلطها.

وان كان الوجه في الاحتجاج هو ان كون الله إلهًا لإبراهيم واسحاق ويعقوب انما هو باعتبار وجود ارواحهم ، فلو كانت ارواحهم منعدمة عند الموت لما صح قول الله لموسى انا إله ابراهيم الى آخره.

فيدل هذا الخطاب من الله لموسى على ان ارواح ابراهيم واسحاق ويعقوب موجودة حين الخطاب لم تنعدم بموتهم.

قلنا : لو سلمنا ان الله ليس إلهًا للأجسام وان الخطاب ليس باعتبار وجود ارواحهم في حياتهم الاولى لكان الخطاب المذكور لا يدل الا على وجود ارواحهم حينئذ فلا يدل على قيامة الأجسام بعد بلائها من الموت.

وعلى كل حال لا تجد لهذا الاحتجاج ربطا بالمدعى وحاشا للأنبياء ان يحتجوا بمثل هذه الحجج الواهية ، ويا أسفاه على القيامة ان توقف امرها على مثل هذه الحجة ، ويا أسفاه على توراة موسى إذ لا يوجد فيها من أمر القيامة ذكر حتى الجأت الحاجة الى التشبث بمثل هذا.

ويا لهفاه على قدس المسيح إذ ينسب له مثل هذه الاحتجاجات. ولا أقول لك ليست هذه الاحتجاجات من قول المسيح ، بل أقول انما ممن لا يعرف وجه الاحتجاج ولا يميز بين الصحيح والغلط فهي أنسب ما تكون بمن يقول لا بشر لا بحكمة كلام . استحسّن الله ان يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة . لأن جهالة الله أحكم من الناس « ١ كو ١ : ١٧ . ٢٦ » او بمن يحتج على التثليث بقول الله لموسى أنا إله ابراهيم وإله اسحاق وإله يعقوب.

ومن العجيب ان اصحابنا النصارى يكلفوننا بأن ندعن بأن الاناجيل الاربعة هي الإنجيل الذي نزل على المسيح وصدقه القرآن الكريم وقال انه نور وهدى ، فيا لهفاه على النور والهدى إن كان كما نرى.

الأمر السادس : ان الاناجيل التي يدعون تواتر سندها الى رسل موحى إليهم قد اختلفت اختلافا كثيرا يوضح انما ليست من عند الله ويكفي ذلك اختلافها الفاحش في نسب المسيح.

١ . ففي متى ان يوسف النجار الذي ينسب إليه المسيح هو ابن يعقوب ، وفي لوقا انه ابن هالي .

٢ . أوصل متى نسب يوسف النجار الى سليمان بن داود وأوصله لوقا الى ناثا بن داود .

٣ . جعل متى بين يوسف وداود خمسة وعشرين أبا وجعلهم لوقا أحد واربعين أبا .

٤ . جعل متى في طرد النسب زربابل ابن شألتيئيل بن يكنيا ، وذكر في لوقا زربابل ابن شألتيئيل بن نيري فإن كان مرادهما من زربابل شخصا واحدا فقد اختلفا في أسماء أجداده وعددهم الى داود .

وأيضا ذكر متى : في طرد النسب ابيهود بن زربابل .

وذكر لوقا ريسا بن زربابل ولا يوجد هذان الاسمان في أولاد زربابل الذين ذكروا في ثالث الإيام الاول «١٩ و ٢٠» كما ذكر فيه ان زربابل هو ابن فدايا ابن شألتيئيل .
ونقل اظهار الحق في الفصل الثالث من الباب الأول اعتراف جماعة من المحققين مثل اكهارن ، وكيسر ، وهيس ، وديوت ، ووي نر وفرش وغيرهم بأن متى ولوقا مختلفان اختلافا معنويا .

ونقل أيضا عن آدم كلارك في ذيل شرحه للباب الثالث من لوقا انه نقل التوجيهات لهذا الاختلاف وما رضى بها وتخير .

وانه قال «ص ٤٠٨» من المجلد الخامس يعلم كل ذي علم ان متى ولوقا اختلفا في نسب الرب اختلافا تحير فيه المحققون من القدماء والمتأخرين .

والمتكلف لما لم يوافق هواه هذا النقل ادعى ان المنقول عنهم جهلة «يه ١ ج ص ٢٠٩» وان كانوا من أئمة اسلافه ولكن لا بد له ان يجعلهم من الأئمة المحققين عند ما يستشهد بكلامهم في كتابه كما هو ديدنه ومع هذا فقد ألجأه الأمر الى بعض الاعتراف وان مزجه بشيء من المكابرات فقال «يه ١ ج ص ٢٠٦»

كان العلماء والمحققون يظنون في مبدأ الأمر انه يوجد تناقض بين انجيل متى وبين انجيل لوقا في نسب المسيح ولكن ظهر لهم بأنه لا يوجد تناقض ولا اختلاف.

ثم انه تكلف الجواب عند هذه الاختلافات الباهظة فقال في الاختلاف الأول ما حصله ان متى كتب في انجيله نسب يوسف النجار الحقيقي لأنه كتب انجيله للعبرانيين فجرى في النسب على الطريقة التي كانت مشهورة عندهم «وهي رعاية النسب الحقيقي» فنسب يوسف الى أبيه الحقيقي يعقوب وكذا سائر آبائه الحقيقيين الى ابراهيم.

وان لوقا كتب في انجيله نسب يوسف المجازي فنسبه الى هالي مجازا لأن هالي هو أب حقيقي لمريم ولما لم يكن لها أخ واقتزن بها يوسف صار هالي أبا مجازيا ليوسف فنسبه إليه لوقا.

ثم أخذ المتكلف في توجيه ما ذكره عن لوقا فتعثر حسبما يقتضيه التقحم وهو يعد ذلك من تقدم الدنيا في المعارف وتنبه المتأخرين في الامور التاريخية بنباهتهم الى ما غفل عنه المتقدمون ، فلنوقفك على تناقض كلامه وسخافة دعاويه التي تقدمت بها الدنيا.

١ . قال : بما ان العبرانيين لا يدخلون في جداول نسبهم النساء فإذا انتهت العائلة بامرأة ادخلوا قرينها في النسب واعتبروه ابن والد قرينته وعلى هذا كان المسيح حسب هذا الاصطلاح الجاري والعادة المرعية المتبعة ابن يوسف «انظر يه ١ ج ص ٢٠٤» ثم لم يلبث ان ناقض هذا الكلام بقوله «ص ٢٠٥» بما ان متى كتب انجيله الى العبرانيين جرى في النسب على الطريقة التي كانت مشهورة عندهم «اي مراعاة النسب الحقيقي» ، وبما أن لوقا البشير كتب انجيله الى اليونان جرى في النسب على المصطلح عليه عندهم.

فيتبين من كلامه الأخير ان مراعاة النسب الصوري المجازي إنما هو اصطلاح اليونان وان اليهود كانت الطريقة المشهورة عندهم إنما هي مراعاة النسب الحقيقي وبالضرورة تكون مراعاة النسب المجازي ليست اصطلاحا جاريا ولا عادة مرعية ، وهب ان اصطلاح اليهود انهم يعتبرون قرين

البنات الوحيدة ابن والدها ، وبهذا كان يوسف ابنا لهالي أب قرينته مريم لكن قل يا من يعرف ما يقول كيف صار المسيح على هذا الاصطلاح الجاري ابنا ليوسف ، فهل كان المسيح مقترنا بابنة يوسف الوحيدة أم هذا الغلط مما تقدمت به الدنيا.

التناقض الثاني : قال «ص ٢٠٥» ان شالتييل رئيس عائلة سليمان الشرعية «وذلك لأنه يتصل بسليمان بالولادة الحقيقية» انظر ثالث الايام الاول فيتبين من كلامه هذا ان النسب الشرعي هو ما كان بالولادة الحقيقية الطبيعية ثم ناقض هذا بقوله : ان لوقا نظر الى انه «يعني يوسف» الابن الشرعي لهالي «وذلك باعتبار اقترانه بمريم ابنة هالي الوحيدة بناء على ما ادعاه من الاصطلاح الجاري لليهود».

فنقول : لو سلمنا ان هذا اصطلاح جار لليهود ولم يناقضه المتكلف ببيانه ان هذا إنما هو اصطلاح اليونان الذي جرى عليه لوقا لقلنا أين يكون هذا من التوراة الرائجة التي هي كتاب الشريعة بزعمهم فانها لا يوجد فيها ما هو من هذا القبيل ، الا ان الرجل إذا مات وليس له ابن تزوج اخوه بزوجه ، والبكر الذي تلده يقوم باسم أخيه الميت لئلا يمحي اسمه من اسرائيل «تث ٢٥ : ١٠-٥».

التناقض الثالث : قد تكرر من المتكلف ان كون يوسف ابنا شرعيا لهالي بسبب اقترانه بابنة هالي الوحيدة مريم ، ثم ناقضه بمنام رآه أو خيال توهمه.

فحاول ان يطبق البنوة على ما ذكرناه عن شريعة التوراة في سفر التثنية فادعى ان متان المذكور جدا ليوسف في نسب متى هو من نسل سليمان حقيقة وخلف يعقوب وان متثات المذكور جدا ليوسف في نسب لوقا كان من سبط يهوذا من عائلة اخرى «وظاهره انه ليس من نسل سليمان والا لادعى ذلك» ولما مات متان تزوج امرأته متثات فولد منها هالي ، فصار يعقوب وهالي اخوين من الام ثم مات هالي بدون عقب فتزوج اخوه يعقوب بامرأته فولدت منه يوسف فكان ابن هالي حسب شريعة التثنية.

وليت شعري عن اي تاريخ يذكر ذلك ولو كان لهذه القصة على طولها أثر

في التاريخ لما تحير المتقدمون في هذا المشكل ولكنها خيال تخيله بعد ما كتب ان بنوة يوسف لهالي باعتبار اقترانه بابنته الوحيدة مريم.

ويدل على ذلك ان اظهار الحق رد هذه السفسطات بقوله : ان هذا التوجيه لا يصح الا اذا ثبت من التواريخ المعتمدة ان مريم بنت هالي انتهى.

والمتكلف لم يقدر ان يتثبت في قبال هذا بشيء من التواريخ بل ألجأته الضرورة الى قوله «ص ٢١٣» قد اقمنا البراهين القوية على انها بنت هالي.

قلت : ولم يأت بشيء سوى دعواه ان اصطلاح اليهود ان ينسبوا قرين البنت الوحيدة الى والدها ، ثم ناقض هذه الدعوى وجعل هذا من اصطلاح اليونان.

وان الطريقة المشهورة عند اليهود في النسب خلافه وهي رعاية الولادة الحقيقية ولذا جرى عليها متى لانه كتب انجيله لليهود ، وهب ان ما ذكره اصطلاح لليهود فمن اين يثبت ان والد مريم اسمه هالي وان مريم كانت بنته الوحيدة وان لوقا نسب يوسف الى هالي بهذا الاعتبار ، وان مثل المتكلف في هذه البراهين القوية كمثّل بعض المغفلين حيث قال لزوجته ليلي : ان في دارنا سارقا فقالت له : من اين علمت ذلك؟ فقال : ان الناس يقولون ان السارق اذا دخل الدار لا يحسون به وأنا الآن لا احس بشيء ، بل لم يقل هذا المغفل ان السارق اسمه فلان وله بنت وحيدة اسمها فلانة وقد اقترن بها فلان فنسبه فلان الآخر الى والدها ولم يقل ان هذه المزاعم مما تقدمت بها الدنيا كاكشاف التلغراف ، والفونوغراف ، والماكينات البديعة والهئية الجديدة ، ومما يشبه من اقوال المتكلف هذا النحو ان اظهار الحق نقل عن انجيل يعقوب الذي لا يقصر عن كونه تاريخا قديما من القرون الاولى ، انه صرح ان ابوي مريم «يهويقيم وعانا».

فقال المتكلف مما تقدمت به الدنيا «ص ٢١٣» على انه اذا روت التواريخ ان مريم كانت ابنة اليوقيم او الياقيم فهما مشتقان من هالي او «الى» فإن الياقيم مركبة من اليا وكلمة قيم.

وأيضاً نقل اظهار الحق ان «اكتسايين» قال : انه صرح في بعض الكتب التي كانت توجد في عهده «ان مريم ^{عليها السلام} من قوم لاوي» فلا تكون من اولاد ناثان ، بل ولا داود ولا يهوذا واحتج اظهار الحق لصدق ذلك بصراحة انجيل لوقا بأن الیصابات امرأة زكريا كانت من بنات هارون «لو ١ : ٥» وصراحته بأن مريم نسيبة الیصابات «لو ، ١ : ٣٦» ثم دفع احتمال ان قرابتهما من النساء بما ذكره عن التوراة في السادس والثلاثين من العدد من أن كل رجل يتزوج من عشيرته وسبطه وكذلك المرأة فيتعين ان تكون مريم قرابة الیصابات وشريكتها في النسب من جهة الرجال فتكون من بنات هارون فيعتضد بذلك نقل اكتسايين.

والمتكلف لم يتعرض لنقل اكتسايين ولم يحر فيه جواباً ولكن تعرض لاحتجاج اظهار الحق فجوز لبني اسرائيل ان يتزوج كل واحد من غير سبطه لكي يجوز ان تكون قرابة مريم للیصابات من جهة النساء فلا يتعين كونها كالیصابات من بنات هارون ، واحتج لذلك بأن هارون نفسه اقترن بامرأة من سبط يهوذا.

وليت شعري أقول ان المتكلف لم يشعر بأن تزوج هارون في سبط يهوذا لا يعارض اظهار الحق لان هارون فعله قبل نزول الشريعة بل قبل خروجهم من مصر بمدة واظهار الحق يحتج بشريعة جاءت بمقتضى التوراة بعد موت هارون بمدة وبعد ما اخف بنو ماكير بن منسى ارض جلعاد وطردها الاموريين منها.

نعم : لو كان للمتكلف إلمام بشيء من العلم ومعرفة بالعهدين وموقفية في الاحتجاج لقال على اظهار الحق ان الشريعة التي اشار إليها في السابع والثلاثين من العدد لا تدل على المنع بالكلية من تزوج كل من الرجل والمرأة في غير سبطه وانما يدل على منع البنت الوحيدة الوارثة ان تتزوج في غير سبطها لئلا يتحول نصيب سبط من الارض الى سبط آخر.

بل ان صدر السابع والثلاثين من العدد ليشير الى انه كان يجوز في شريعة موسى ان تتزوج المرأة الوارثة في غير سبطها ولكن موسى نسخ هذا الحكم في البنت الوارثة عند مطالبته بنات صلفحاد بسهم ابيهن من ارض جلعاد ، أفـتـظن

ان المتكلف فر من هذا الاحتجاج سترا لما فيه من الإشارة الى وقوع الناسخ والمنسوخ في شريعة موسى.

ثم ادعى المتكلف «ص ٢١٣» ان اليهود كانوا يسمون مريم بنت هالي.

قلنا : عن اي تاريخ قديم تنقل ذلك ومن ذا قاله من القدماء فانا لا نقبل اقوال امثالك ممن تقدمت بمعارفهم الدنيا ، ولما ذا تحير المتقدمون في رفع الاختلاف بين متى ولوقا لو كان لما تدعيه أثر هم اولى بالاطلاع عليه لقرب عهدهم منه وعلى دعواك نقول : لما ذا كان العلماء والمحققون يظنون في مبدأ الامر انه يوجد تناقض بين انجيل متى ولوقا في نسب المسيح لو كان لما تدعيه اثر.

«نتيجة ما تقدم» انه قد اتضح مما تقدم ان كون والد مريم اسمه هالي وان نسبة لوقا ليوسف الى هالي باعتبار ان يوسف قرين ابنته الوحيدة مريم ، وانه ابن شرعي له من اضعاف الاحلام التي كلما اراد المتكلف ان يلفقها سقط وتعرقل.

«زربابل وابيهود وريسا» لما ادعى المتكلف ان زربابل المذكور في متى «١ : ١٣» هو الرجل المذكور في لوقا (٣ : ٢٧) توجه عليه الاعتراض بأن متى انهى إليه نسب يوسف بابيهود ، ولوقا انماه بريسا ، ولا يوجد في أبناء زربابل المذكورين في ثالث الايام الاول فان نصه ١٩ وبنو زربابل مشلام وحنينا وشلومية اختهم ٢٠ وحشوبه ، واوهل ، وبرخيا ، وحسديا ، ويوشب حسد خمسة انتهى.

فقال المتكلف «ص ٢٠٥» غير مبال ان ابيهود ابن زربابل الاكبر وريسا ابنه الاصغر ليموه على البسطاء انهما معروفان من اولاد زربابل بحيث يتميز الاكبر من الاصغر ، ولكنه لما رأى انه يطالب بما ذكرناه عن ثالث الايام الاول وهو يقول : ان كل العهد القديم كلام الله السميع العليم ولا يقدر ان يقول فيه كما يصف علماء اسلافه بالجهل اذا خالفوه فيما هم ادري به واولى.

قال قلنا ليس الامر كما ذكر «يعني اظهار الحق» فانه يعلم من سفر الايام الاول «ص ٣» ومن لوقا أيضا ان ابن زربابل هو رفايا ولكنه ذكر في لوقا بلفظه

ريسا وذكر في متى اييهود وهو المذكور في الايام الاول بعوبديا ، وفي لوقا بيهودا والمشابهة قوية بين هذه الالفاظ ، كما لا يخفى على المتأمل ولا سيما في الاصل العبري.

ولعله اذا قلنا له ما معنى هذا الكلام يقول : انكم معاشر المسلمين لا دراية لكم بالعهدين ولا وقوف لكم على الامور الجديدة التي تقدمت بها الدنيا فنقول : إذا إنّنا نطلب من أهل الدراية من اليهود والنصارى ان يراجعوا متى ولوقا ، والأيام الاول ويلاحظوا مواقع هذه الاسماء فيها ويخرجوا كلام المتكلف عن شبه كلام المبرسمين ويسألونه ان المشابهة القوية بين ألفاظ هذه الأسماء هل اوجبت وقوع الغلط في الإلهام أو في الكتب المتواترة او أعطت حرية للمتكلم والكاتب أن يفعل ما يشاءان.

«اييهود واضطراب المتكلف» ولما اعترض اظهار الحق بأن اييهود المذكور في متى ولدا لزرابابل لم يذكر من ابنائه في ثالث الايام الاول ، سنح للمتكلف «يه ٢ ج ص ١٩٠» ان يعدل عن جوابه هاهنا بتشابه الحروف بين اييهود وعوييد ولا سيما في الأصل العبراني ، بل أجاب هناك بأن اليهود كانوا يسمون الشخص الواحد بأسماء متعددة فأعرضنا عن هذه الدعوى وهذا الاضطراب ولكنه قال بعده : على انه اذا صرف النظر عن ذلك قلنا ان البشير متى ذكر النسب من زرابابل الى المسيح من الجداول المحفوظة عند اليهود ثم اخذ يبالغ في حفظ اليهود لجداول انسابهم.

فنقول : انا نسأل المتكلف وأعوانه عن مراده من هذه العبارة أفيقول ان الروح القدس الذي ألهم متى والإنجيل الذي هو كلام السميع العليم قد اعتمد في النسب من زرابابل الى المسيح على جدول اليهود لأنهم كانوا يحافظون عليها ، فلا عليه إذا أخطئوا فيها فإنه اعتمد عليهم ولا عليه إذا أخطأ بخطئهم أم يقول : ان متى اصاب بصوابهم ولكن الخطأ في سفر الأيام الاول وان كان أيضا كلام الله السميع العليم وإلهام الروح القدس للأنبياء. أو أن المتكلف لم يدر ما قال هنا ، ولا يعرف وجه اعتذاره وهو يستدعي المسامحة فيه.

«ريسا واضطراب المتكلف» ولما تعرض «يه ٢ ج ص ٢٥٣» لذكر ريسا

الذي جزم هاهنا جزم العارف الخبير بأنه الابن الاصغر لزربابل ناقضه هناك وقال جازما : ان لفظة ريسا لقب زربابل لأن معناها الأمير والرئيس فكأن لوقا قال : يوحنا هو ابن زربابل الأمير ، أما يوحنا فهو المسمى في سفر أخبار الأيام الاول بحنينا ، ولا يخفى ما في هذه الأسماء من الاتحاد والتشابه.

أقول : ومع هذا التناقض والاضطراب بقي مصرا على أن مريم هي من ذرية الأصغر من أولاد زربابل ، وليت شعري ألم ينكشف له بالوحي او بالمنام أو بتقدم الدنيا يوما فيوما بالمعارف ان مريم من ذرية الاكبر كما انكشف له أخيرا أن ريسا هو لقب زربابل لا اسم ولده الأصغر ، كما ادعاه هاهنا.

وأیضا إذا كان يوحنا الذي جعله لوقا ابنا لريسا هو حنينا المذكور في الأيام الاول من أبناء زربابل ، فنقول : ان لوقا ذكر ابن يوحنا يهوذا ولم يذكر في الأيام الاول من أولاد حنينا من اسمه يهوذا؟ فما ذا يقول المتكلف : من هو الذي اقترن ببنت وارثه فصار ابنا شرعيا لوالدها الحقيقي؟.

«زربابل ونيري» ولما جزم المتكلف بأن زربابل المذكور في متى هو ذات زربابل المذكور في لوقا توجه عليه الإشكال باختلاف متى ولوقا في نسبه ، فمتى نسبه الى يكنيا الى سليمان بن داود ، ولوقا نسبه الى شألتيئيل بن نيري الى ناثان بن داود ، فحاول المتكلف أن يتخلص من هذا بدعوى ان متى كتب النسب الحقيقي لزربابل ، ولوقا كتب النسب المجازي له باعتبار اقتران أبيه شألتيئيل بابنه نيري الوحيدة رئيس عائلة ناثان بن داود وذلك اما لأن لوقا كتب انجيله الى اليونان فجری في النسب على اصطلاحهم كما زعمه المتكلف مرة ، واما لأن ذلك عادة مرعية متبعة عند اليهود كما زعمه مرة اخرى حسب ما تقدم في اضطرابه في هذا الشأن وتناقض كلامه فيه.

وقد استشهد من الآثار القديمة والعهد القديم على صحة نسبة الرجل إلى والد امرأته الوحيدة ، وذكر لذلك أمثلة لا تساعده على وهمه «انظر ص ٢٠٦ . ٢٠٩» .
فنقول من أين له ان نيري لم يخلف ولدا ذكرا وان شألتيئيل اقترن بابنته

فصار ابنه واتحد فرعا عائلة ناثان وعائلة سليمان كما زعم ، ومتى رأى هذا المنام؟ ولما ذا لم يطف على القدماء هذا الطيف؟ وعلى كالوين مقتدى فرقة بروتستنت.

وأما ما استشهد به فعلى أقسام «منها» ما كان من قسم نسبة الولد الى جده الحقيقي من جهة الأب أو من جهة الام ، وذلك مثل ما وجد في كتابات الآثار القديمة في «بالميرا» حيث ذكر فيها ان «ارانيس» أب «اليالامينيس» مع انه جده الأعلى وان «اليالامينيس» هو ابن بانوس حفيد موسيموس حفيد ارانيس المذكور «انظر ص ٢٠٨».

ومثل تسمية صدقيا بابن يوشيا «ار : ٣ و ٣٧ : ١» مع انه ابن يهوياقيم ابن بوشيا «١ أي ٣ : ١٦» ومثله ان يائير ابن سجوب وأباه سجوب بن حصرون سميا بني ماكير ابي جلعاد مع انه جدهما للام «انظر ١ أي ٢ : ٢١ - ٢٤» ومثله ان شيشان لم يكن له بنون فأعطى بنته امرأة ليرجع المصري عبده فادرج الأولاد في نسب سبط يهوذا باعتبار امهم.

وهذه الأمثلة كلها لا ربط لها بدعوى المتكلف ان الرجل ينسب عادة واصطلاحا وشرعا الى والد قرينته ، وأين هذا من هذه الأمثلة فإنه لم يقع فيها إلا جعل الجد أبا وابن الابن أو البنت ابنا وهو كذلك وان كان المتفاهم منه من كان بلا واسطة.

«ومنها» ما كان من قسم التبني بالتربية ، كما اتخذت ابنة فرعون موسى ابنا لها «خر

٢ : ١٠».

واتخذ مردخاي استير ابنة «اس ٢ : ٧» واتخذت نعمى عوبيد ابنا «را ٤ : ١٧» وهذا القسم لا يدرجه أحد في النسب ولذا نسب العهد القديم موسى الى أمه الحقيقية يوكابد «خر ٦ : ٢٠» ، واستير الى أبيها الحقيقي ابيجايل «اس ٢ : ١٥» ، وعوبيد الى أمه الحقيقية راعوث «را ٤ : ١٣ و ١٥» ، وأي شهادة لهذا القسم بنسبة الرجل الى والد قرينته في جدول النسب.

«وقسم منها» لا يمكن بمقتضى شريعة التوراة ان ينزل على ما يدعيه

المتكلف ليشهد له وذلك ان حيرام او حورام الذي أبوه رجل صوري قد ذكر في ثاني الايام الثاني ١٤ انه ابن ارملة من بنات دان.

وفي سابع الملوك الاول ١٤ وهو ابن أرملة من سبط نفتالي ، فانه لا يمكن للمتكلف أن يدعي ان نسبة هذه الأرملة إلى أحد السبطين المذكورين كانت لأجل ان أباهما أوجدها اقتزن بامرأة وارثة من ذلك السبط فنسب الى والد قرينته وسبطها. فإن شريعة التوراة من قبل أربعمئة وأربعين سنة تقريبا قد منعت البنت الوارثة أن تتزوج في غير سبطها «انظر عد ٣٦ : ١٠ . ٦».

فالأولى أن يعد هذا الاختلاف في نسبة الأرملة إلى السبطين من اغلاط العهد القديم أو تلاعب الزمان به كما وقع في ثاني الأيام الاول ١٧ واييجاييل ولدت غماسا وابو غماسا يثر الإسماعيلي.

ووقع في السابع عشر من صموئيل الثاني ٢٥ وغماسا ابن رجل اسمه يتر الاسرائيلي الذي دخل الى ابيجاييل بنت ناحاش ، وزيادة على الاختلاف بالاسرائيلي والاسماعيلي فقد قال هنا ان ابيجاييل بنت ناحاش ، وفي ثاني الملوك الاول «١٣ . ١٧» قال انها بنت يسي اخت داود فراجع المقامين في النسخ العبرانية والعربية وغيرهما.

«نتيجة باهظة للمتكلف» فانه ينتج من تكلفاته المشحونة بالتناقض والأوهام كما عرفت ان المسيح متولد بواسطة أمه تولدا حقيقيا من يهوياكين «يكنيا» وأبيه يهوياقيم ، وقد قال العهد القديم في شأن يهوياقيم المذكور. هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس على كرسي داود «ار ٣٦ : ٣٠».

وقال في شأنه أيضا أو شأن ابنه كنياهو «يهوياكين ويكنيا» ، هكذا قال الرب اكتبوا هذا الرجل عقيما رجلا لا ينجح في أيامه لانه لا ينجح من نسله رجل يجلس على كرسي داود وحاكما بعد في يهوذا «ار ٢٢ : ٣٠» وحينئذ كيف يجتمع هذا مع ما في لوقا في شأن المسيح عن قول ملاك الرب ويعطيه الرب

الاله كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون ملكه نهاية «لو ١ : ٣٢ و ٣٣» فكيف إذا يعطي المسيح كرسي داود أبيه ويملك على بيت يعقوب وهو على توجيه المتكلف من نسل يهوياقيم ويهوياكين حقيقة.

فإن قلت : ان المتكلف قد وجه ذلك «يه ١ ج ص ٢٢٣ و ٢٢٤» بزعمه ما ملخصه ان المقصود من كرسي داود المعطى للمسيح هو المملكة الروحية التي قد تسلطن بها المسيح في شرق الارض وغربها وهي التي تقوم بالمحبة والطهارة والسلام وإزالة الشحنة والخصام وهي المملكة التي لا تزول الى الأبد فشبهت تقريبا للأذهان بمملكة داود.

قلت : لم يكن الوعد الذي في لوقا لمريم على وجه التشبيه وان الرب يعطيه مثل كرسي داود حتى يقال بأنه شبهت مملكة المسيح الروحية بمملكة داود الدنيوية تقريبا للأذهان ، بل الوعد هو اعطاء الرب للمسيح كرسي داود أبيه وقد سبق عن ارميا عن الوحي ان كرسي داود لا يكون لنسل يهوياقيم ويكون يهوياقيم أو يهوياكين عقيما لا ينجح من نسله رجل يجلس على كرسي داود ، وينبغي ان يكون المراد من كونه عقيما هو كونه عقيما عن الخير في ذريته وإلا فالوعد كاذب ، فإن كلا من يهوياقيم ويهوياكين له نسل كثير بمقتضى العهدين الى زمان المسيح وبعد المسيح ، فقل : كيف يكون عقيما عن الخير في ذريته من يكون من نسله مثل المسيح الذي يعطيه كرسي المملكة الروحية إلى الأبد.

وأما قول المتكلف : ان ملكوت المسيح روحية تقوم بالمحبة والطهارة والسلام وإزالة الشحنة والخصام وهي المملكة الباقية التي لا تزول.

فنقول فيه : يا حبذا لو جلس المسيح على كرسي هذا الملكوت قرنا واحدا فقد دللناك من العهد الجديد في أواخر المقدمة الخامسة على ان تلاميذه ونصارى قرنه لم يخضعوا لهذه المملكة ولم تنفذ فيهم أحكامه الروحية كل النفوذ حسب قوانينها ، وأما فيما تأخر عن قرنه فلا يخفى محل هذه المملكة مع ما جرى في جميع القرون والادوار إلى الوقت الحاضر من المخاصمات والمشاحنات والاضطهاد وسفك الدماء وانتشاب الحروب الفظيعة إلى غير ذلك من الاحوال والافعال التي تلاشى جميع ما ذكره من أركان المملكة الروحية وقوانينها ، كما

يشهد به التاريخ والوجدان ولو اطلق عنان القلم فيما جرى في خصوص القرن الحاضر لسجل من الأفعال والأحوال تاريخاً مشجياً ، ويا للأسف انا لا نرى لهذه المملكة نفوذاً حتى على من يعد نفسه من جندها المتجردين بزعمه لتثبيتها.

«تتمة» وعلى ما ادعاه المتكلف من اتصال نسب المسيح الحقيقي من قبل أمه من زربابل الى سليمان الى داود الى يهوذا بن يعقوب يتوجه سؤال واستفسار ، وهو ان إلهام متى ووحيه في طرد النسب لم يتعرض للامهات إلا لثامار ، وراحاب ، وراعوث ، وامرأة اوريا ، أفترى الروح القدس يريد أن ينبه من نظر في العهد القديم على مواقع الكلام في نسب المسيح ، فإن قلت يريد أن ينبه على الامهات اللاتي لسن من بني اسرائيل ، قلت : فلما ذا اهل ذكر نعمة العمونية ، أم رجبعام بن سليمان « ٢ أي ١٢ : ١٣ و ١ مل ١٤ : ٢١ » . ومن اختلاف نقلها عن قول المسيح للكتبة والفريسيين الذين طلبوا ان يروا منه معجزة جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي ، ومع ذلك تنقل صدور المعجزات العظيمة .

ومن اختلافها نقلها عن قوله انه يبقى في قلب الارض ثلاثة ايام وثلاث ليال ، مع نقلها ما يقتضي انه لم يبق في قلب الارض إلا سواد ليلتين وبياض يوم واحد وجزئين قليلين جدا من يومين آخرين ، وقد أسلفنا الكلام في هذا في الفصل الرابع من المقدمة الثامنة . «ايليا ويوحنا والمسيح» ومن اضطراب الاناجيل نقلها عن قول المسيح في حق يوحنا المعمدان بأنه هو ايليا المزمع ان يأتي «مت ١١ : ١٤» وانه نبي واعظم من نبي وانه لم يقم بين المولودين من النساء نبي اعظم منه إلا المسيح «مت ١١ : ٩ - ١٢ ولو ٧ : ٢٦ - ٢٩» .

مع انها نقلت عن يوحنا المعمدان نفسه قوله بأنه ليس «ايليا يو ١ : ٢١» . فكيف يقول المسيح عن يوحنا انه ايليا المزمع ان يأتي ويقول مع ذلك يوحنا الذي هو نبي وأعظم من نبي انه ليس ايليا ، فأى الأقوال إذا كاذب أو

ناشئ عن الجهل أو تلاعب الايام.

وقد حاول المتكلف «يه ١ ج ص ٢٢٢» رفع هذا التناقض بدعوى ان المراد من مجيء ايليا في كلام المسيح وكلام ملاخي انما هو مجيء من يشبه ايليا التشتي وفيه روحه وهو يوحنا المعمدان لكثرة شبهه بايليا ، وان يوحنا المعمدان إنما انكر كونه ايليا التشتي الحقيقي الذي كان معاصرا لليشع النبي فلا يناقض اخبار المسيح بأن يوحنا هو ايليا المجازي.

أقول : قد جاء في رابع ملاخي ٥ ها أنا ذا ارسل إليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب العظيم والمخوف.

فهل ترى في هذا الكلام أمانة المجاز والتشبيه خصوصا مع النص على تعريف ايليا بالنبي اشارة الى وصفه المعهود المميز له.

دع هذا بل نقول ان يوحنا هل كان يعلم ان ايليا الذي بشر به ملاخي هو ايليا المجازي المشابه لإيليا الحقيقي ، او انه يجهل ذلك فإن كان يجهل ذلك فكيف يكون اعظم الأنبياء كما يقول المسيح وان كان يعلم بذلك فهل كان يعلم بأنه هو ايليا المجازي الذي بشر به ملاخي ، او انه يجهل ذلك. فإن كان يجهل ذلك كان أعظم الأنبياء جاهلا بوظيفته وبشارة الكتب به ، ويكون المتكلف وأشباهه اعرف منه بمقاصد كتب الوحي ، هذا وإن كان يوحنا يعلم بأنه هو ايليا المجازي الذي بشر به ملاخي فلما ذا لم يرفع هذا الوهم عن الخلق الكثير من الفريسيين وغيرهم الذين آمنوا به واعتمدوا منه بمعمودية التوبة وادعوا بنبوته ولما ذا لا يقول لهم حسب وظيفته ان ايليا النبي الذي يرسل إليكم قبل مجيء يوم الرب إنما هو شخص يشبه ايليا في أحواله الشريفة وهو انا ولا تتوهموا من بشارة ملاخي ان ايليا الحقيقي الذي ارتفع في العاصفة هو الذي يرسل إليكم قبل مجيء يوم الرب.

فلا يصدكم هذا الوهم في انتظار ايليا الحقيقي عن الايمان بالمسيح ، وهذه هي الوظيفة اللازمة على من جاء ليهيئ طريق الايمان بالمسيح لا انه يقيهم على وهمهم في انتظار ايليا الحقيقي بل يغريهم بالجهل ويقول لهم لست

ايليا مع ان معناه المقارب للصراحة بشهادة الحال والسؤال انه ليس ايليا الذي ينتظرونه ويسألونه عنه حسب بشارة ملاخي فكان ذلك منه صدا لهم عن الإيمان بالمسيح ومعترة فيه بل لا يسلك من يريد منع الناس عن الإيمان بالمسيح طريقا أنجح من هذا فقد بقي الفريسيون متعلقين بهذه الشبهة.

فما للمتكلف يحامي عن الأناجيل التي لا يخفى حالها ويحاول اصلاح اضطرابها وتناقضها بما يلزم منه نسبة الجهل الى يوحنا المعمدان او مخالفته لوظيفته حيث يغريهم بالجهل ويصددهم عن الإيمان بالمسيح ، مع ان يوحنا لم يكن مداهنا في تعاليمه ، او لم يكن أيسر على المتكلف ان يقول : ان التناقض جاء من خلل الأناجيل الرائجة وبما ذكرناه تعرف مواقع الوهن في كلامه «يه ١ ج ص ٢٢٢».

«يوحنا ومعرفته برسالة المسيح» واعطف على ذلك اضطرابها بل تناقضها في معرفة يوحنا المعمدان برسالة المسيح وجيل شأته من حين نزول الروح القدس عليه بل قبل ذلك وان يوحنا كان يعمد الناس بمعمودية التوبة وقبل ما يتبع المسيح واحد من تلاميذه أشار الى شخص المسيح وقال هو ذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي قد صار قدامي ، اني قد رأيت روح الرب نازلا مثل حمامة من السماء فاستقر عليه وأنا لم أكن اعرفه لكن الذي ارسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلا ومستقرا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس وأنا قد رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله ومن اجل شهادة يوحنا هذه صار اثنان من تلاميذه تلاميذ للمسيح ودعا احدهما أخاه بطرس فتلمذ عليه ، ثم دعا المسيح فيلبس وثنائيل فحصل له بعض التلاميذ ، وحينئذ لم تكن صدرت منه آية بل بعد ذلك صدرت منه بداءة الآيات التي صنعها في مجلس العرس في قانا الجليل «انظر يو ١ : ٢٩ - ٢ : ١٢».

وان يوحنا قبل ان يلقي في السجن صرح لتلاميذه بما حاصله ان ذات يسوع الذي شهد له هو المسيح الآتي بما له من الصفات وان الأب قد دفع كل شيء في يده والذي لا يؤمن به لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله «يو ٣ : ٢٢ - ٣٦».

فأنظر وقل كيف يجتمع هذا كله مع ما في حادي عشر متى ٢.

أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح ارسل اثنين من تلاميذه ٣ وقال له :
انت هو الآتي أم ننتظر آخر ٤ فأجاب يسوع وقال لهما : اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان
وتنظران ٥ العمى يبصرون . وطوبى لمن لا يعثر فيّ.

وفي سابع لوقا بعد ان ذكر بعض المعجزات واحياء ابن الأرملة في نايين قال ١٨
فأخبر يوحنا تلاميذه بهذا كله ١٩ فدعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل الى يسوع قائلاً أنت
هو الآتي أم ننتظر آخر إلى آخر ما تقدم.

قال المتكلف «يه ٤ ج ص ٢٥٠» ان مقصود يوحنا من إرسال التلميذين هو لكي
ينظرا بأعينهما أعمال المسيح ويؤمنوا به.

قلت : طريق ذلك في الهدى والارشاد ان يقول لهما يسوع هو المسيح الموعود به فاني
نبي اخبركم بذلك عن الله وقد رأيت روح الله قد استقر عليه وعرفتم أنتم دعوته ومعجزاته
فآمنوا به ولكي يزداد إيمانكم وتطمئن قلوبكم فاذهبوا وعاینوا معجزاته الباهرات.
وأما الكلام الذي ذكرناه عن متى ولوقا فهو أجني بسوقه ولفظه وشواهدة عما يزعمه
المتكلف.

كيف وصريح لوقا ان التلاميذ هم الذين اخبروا مرشدهم يوحنا بمعجزات المسيح ولا
يصح ان يكون تلاميذ يوحنا إلى حين دخوله في السجن لم يكونوا من المؤمنين بالمسيح ،
كيف وقد كان يوحنا يلهم وينادي بالبشارة بالمسيح قبل ان يعتمد المسيح منه ويحل عليه
روح القدس أفترك تلميذه الى حين دخوله في السجن وهما لم يؤمنا بالمسيح حق الايمان.
وأیضا ان كان ارسله التلميذين لأجل ما يزعمه المتكلف فهو الواجب على النبي
المرشد ان يقول لهما : ما يسددهما ويهديهما الى الايمان إذا شاهد المعجزات ، أم يجعل
أمامهما عثرة الكلام المنبئ عن شكه في ان يسوع هو المسيح الآتي ويغرس في اذهانهما
انتظار آخر غيره.

وأیضا لما ذا يقول لهما المسيح اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران ويعدد معجزاته
ويبين دعوته بقوله والمساكين يبشرون ، بل اللازم بمقتضى زعم

المتكلف ان يحتج عليهما لا على يوحنا

والحاصل : ان الكلام المذكور في متى ولوقا لا يتحمل من المعنى في محاورات العقلاء وخصوص الأنبياء إلا أن يكون قد تيقن من المعجزات ما هو مصدق للدعوة وحجة عليها ، ولما كان في السجن لم يمكنه إلا أن يرسل تلميذه ليكشفنا عن حقيقة الدعوة وان يسوع هل يدعي انه المسيح الموعود به أو انه نبي قبل المسيح فكان الجواب منه ليوحنا ببيان ما هو المعهود من معجزات المسيح الموعود به وبشارته ، وهذا مناقض لما مر عن يوحنا.

«وانظر» يه ١ ج ص ٢٤١ س ٢» تجده صريحا بالاعتراف بأن يوحنا أرسل التلميذين لأجل حاجته لا لمحض حاجتهما في الإيمان.

والمتكلف يرضى بأن يكون كلام يوحنا جاريا على غير النهج العقلائي في الغرض بل يجعل في طريق الهدى والإرشاد معثرة الشك والضلالة ويكون جواب المسيح على خلاف الغرض وفضولا زائدا ، كل ذلك محاماة منه عن الأناجيل وإن كانت موهونة من جهات كثيرة.

«يوحنا والمسيح أيضا» واعطف على ذلك ان الأناجيل تقول مرة ان يوحنا من بطن أمه يمتلئ من الروح القدس «لو ١ : ١٥» ولما جاءت مريم وهي حامل بالمسيح الى اليصابات وهي حامل بيوحنا وسلمت عليها ارتكض يوحنا جنين اليصابات في بطنها ابتهاجا ، وامتألت من الروح القدس وباركت مريم وجنينها ، وقال : من أين لي هذا ان تأتي أم ربي إلي «لو ١ : ٤٠ . ٤٥».

وهذا صريح في ان اليصابات وجنينها يوحنا يعرفان المسيح حق المعرفة وبما له من الوظيفة وهو جنين في بطن أمه ، وان المسيح قبل ان ينزل الروح القدس ويحل عليه جاء الى يوحنا ليعتمد بمعموديته فمنعه يوحنا قائلا أنا محتاج ان اعتمد منك وأنت تأتي إلي «مت ٣ : ١٣ و ١٤».

وهذا ينادي بأنه يعرف يسوع بأنه المسيح حق المعرفة ويدل على ذلك أيضا انه كان يبشر بالمسيح ويقول للشعب المعتمدين منه انه سيأتي من يعمدكم بالروح القدس «مت ٣ : ١١ ومر ١ : ٧ و ٨ ولو ٣ : ١٥ و ١٦» بل اشار

للشعب بأنه قائم في وسطكم «يو ١ : ٢٦».

فانظر أفلا يناقض هذا ما ذكرته الاناجيل من ان يوحنا وهو في السجن ارسل يستعلم من المسيح انه هو الآتي «يعني المسيح الموعود به» أم ينتظر آخر كما تقدم كما يناقض ما ذكرته عن قول يوحنا أيضا وأنا لم أكن اعرفه لكن الذي ارسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلا ومستقرا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس «يو ١ : ٣٣».

وهذا صريح في أن يوحنا لم يكن يعرف بأن يسوع هو المسيح إلا بعد أن نزل روح القدس واستقر على يسوع. أفلا يناقض هذا أفلا قول يوحنا ليسوع أنا محتاج ان اعتمد منك وأنت تأتي إلي ، مع ان هذا الكلام كان قبل ان يعتمد يسوع من يوحنا ، وقبل ان ينزل الروح القدس ويستقر عليه وقد أطل المتكلف هاهنا في الكلام ولكنه لم يدر ما يقول «انظر يه ١ ج ص ٢٤٠».

«الأعميان والأعمى» ومن تناقض الاناجيل واضطرابها انها ذكرت فيما هم خارجون «اي المسيح وتلاميذه» من اريحا تبعه جمع كثير وإذا أعميان جالسان على الطريق فلما سمع ان يسوع مجتاز صرخا قائلين ارحمنا ارحمنا يا سيد يا ابن داود فوقف يسوع وناداهما ما تريدان ان أفعل بكما؟ قالوا : يا سيد تنفتح أعيننا ، فتحنن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه «مت ٢٠ : ٢٩ - ٣٤» ، ثم اضطرب نقلها وتخالف وتناقض في عدد من فتحت عينه وعوفي من عماه في هذه الواقعة.

فذكرت ثانيا وفيما هو «أي المسيح» خارج من اريحا مع تلاميذه وجمع غفير كان بارتيماوس الأعمى ابن تيماس جالسا على الطريق يستعطي فلما سمع انه يسوع ، ثم سافت القصة مع هذا الاعمى الواحد على نحو ما تقدم «انظر مر ١٠ : ٤٦ - ٥٢ ونحوه لو ١٨ : ٣٥ - ٤٣».

وناقضت ما تقدم أيضا إذ ذكرت ان هذه القصة كانت لما اقترب المسيح من اريحا ثم بعد ذلك دخلها واجتاز فيها «انظر لو ١٨ : ٣٥ و ١٩ : ١».

وقال المتكلف «يه ١ ج ص ٢٣٢» لو أفادت عبارة مرقس الحصر لثبت

التناقض وهي لا تفيد مطلقا.

وذكر هذا الأعمى لأنه كان ابن رجل مشهور طحنته صروف الزمان والقادر على فتح عيني أعمى قادر على فتح عيني غيره وغيره ، وعلى كل حال فلا تناقض مطلقا ، فالتناقض يتحقق إذا قال احدهم : ان المسيح فتح عيني بارتيمائوس ، ثم قال الآخر : ان المسيح لم يفتح عيني بارتيمائوس ولم يحصل شيء من ذلك.

قلنا : قد اعترف المتكلم ببعض الحق من حيث لا يشاء وهو قوله : لو أفادت عبارة مرقس الحصر لثبت التناقض فنقول ان مثلها في مثل موردتها يفيد الحصر ولا بد أن يريد المتكلم بها إن كان ممن يعرف كيف يتكلم فإنه إذا كانت الواقعة كما في متى ان الأعمى كانا مقتربين في الجلوس والاستعلام عن المسيح والاستغاثة به وانتهار الجمع لهما ، وعودهما في لاجئة الاستغاثة والصراخ ووقوف المسيح لهما ، وسؤاله لهما ، وجوابهما له ، وشفائهما لهما ، واتباعهما له فمن كمال العي والشطط لمن يريد ان يسجل تاريخ معجزات المسيح وبمجده بها وينوه بها للناس ان ينقل الواقعة على غير وجهها ورونها ومجدها ويترك بعض مضمونها وهي واقعة واحدة ، كيف وهم يقولون ان المسجل لهذه الواقعة هو إلهام الروح القدس تنويعها بمجد المسيح ولا يلزم أن نقول هو الروح القدس.

بل ان واحدا من المؤرخين العارفين إذا أراد ان ينوه بمجد الواقعة التاريخية وكان عالما بالواقعة على النحو المذكور في متى لا يمسحها إلى النحو المذكور في مرقس ، فهل يرضى الملك على مؤرخ كتب تاريخ حربه وفتحته وموفقيته في الحرب الفلاني في اليوم الفلاني في الساعة الفلانية ان يكتب في تاريخه ان الملك لاقى الفيلق الفلاني وجرى بينهما كيت وكيت ثم لاشاه واستولى على معسكره ، هذا وهو عالم ان الملك جرت له هذه الواقعة بتفصيلها مع فيلقين اثنين ولاشاهما معا بموفقيته وقوته ، وهل يرتضي الناس من هذا المؤرخ تاريخه الأبر على الخصوص إذا كان كتبه لتبشير رعية الملك والاحتجاج على خصومه وترهيبهم بقوته وسطوته ، كلا ولا يفعل المؤرخ ذلك إلا إذا كانت الواقعة على ما كتب أو

كان جاهلا بحقيقتها.

وبما ذكرناه تعرف ان اسلوب مرقس يقتضي الحصر فإن الحصر لا ينحصر بأداة خاصة بل ان بعض السوق من الكلام ومقتضى الواقعة أظهر من الأداة في الحصر. ولعل المتكلف شعر بذلك فندم على اعترافه بأن عبارة مرقس لو أفادت الحصر لناقضت ما في متى ، فعدل وناقض كلامه الأول بقوله «فالتناقض يتحقق إذا قال احدهم ان المسيح فتح عيني بارتيمائوس ، ثم قال الآخر ان المسيح لم يفتح عيني بارتيمائوس» فنقول له ان التناقض متحقق بين ما في متى ومرقس كما هو متحقق بين كلاميك شئت أو أبيت. وأيضا ما ذا يفيد إذا كان بارتيمائوس ابن رجل مشهور ، فهل فتح عيني الفقير من أب وجد ليس بمعجزة ينبغي ذكرها والتمجيد بها. هب ان مرقس صح منه ان يراعي كون بارتيمائوس ابن رجل مشهور ولذا ذكر اسمه ، فما بال لوقا ذكر الواقعة أيضا مع أعمى واحد ولم يذكر اسمه ، ومن أين للمتكلف ان بارتيمائوس ابن رجل مشهور طحنته صروف الزمان. فهل شارك كتبة الاناجيل في الإلهام كما واساهم بالتناقض ، هب انا سأمناه في ذلك فما ذا يصنع بالتناقض في هذه الواقعة فإن في متى ومرقس انها وقعت بعد خروج المسيح من اريحا ، وفي لوقا انها وقعت عند ما اقترب من اريحا ثم دخلها كما أشرنا إليه ولكن المتكلف لا يبالي من ان يقول وعلى كل حال فلا تناقض.

«المجنون والمجنونان» وجاء في متى انه لما جاء المسيح إلى العبر إلى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جدا حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق ، ولما أراد شفاهما طلبت منه الشياطين التي فيهما أن يأذن لها بالخروج إلى قطع خنازير كان هناك فأذن لها وخرجت منهما ودخلت في الخنازير فألقت نفسها في البحر وماتت فهرب الرعاة إلى المدينة وأخبروا بقصتها وقصة المجنونين فخرج أهل المدينة وطلبوا من المسيح ان ينصرف عنهم «مت ٨ : ٢٨ - ٣٤».

وفي مرقس وجاءوا «اي المسيح وتلاميذه» الى عبر البحر إلى كورة الجديريين ، ولما خرج من السفينة للوقت استقبله من القبور إنسان به روح نجس كان مسكنه القبور ، وذكر القصة المتقدمة بتمامها مع مجنون واحد «مر ٥ : ١ - ٢١».

وفي لوقا وساروا الى كورة الجديريين التي هي مقابل الجليل ، ولما خرج الى الارض استقبله رجل من المدينة كان به شياطين ، وساق القصة نحو مرقس مع مجنون واحد. قال المتكلف «يه ١ ج ص ٢٣٣» ان مرقس ولوقا اقتصرنا على ذكر المجنون الذي كان أشد هياجاً وعريضة.

وثانياً انهما اقتصرنا على ذكر المجنون الذي كان من الامم ، وصرفنا النظر عن اليهودي. وثالثاً ان الذي ذكره كان من المهذبين والمترجح انه كان من ذوي اليسار وذا شهرة إلى آخر ما ذكره.

قلت : من أين له ان احد المجنونين اللذين ذكرا في متى كان أشد هياجاً وكان من المهذبين وذوي اليسار والشهرة وان المجنون الآخر كان يهودياً مع أن متى وصفهما معا بشدة الهياج ومنع الناس عن الاجتياز في الطريق وسائر الأحوال المذكورة في القصة.

ومرقس ولوقا ذكرا مجنوناً واحداً ومهما وصفاه بشدة الحال لا يزيد عما ذكره متى في المجنونين معا ، وان متى ومرقس ولوقا لم يتعرضوا في كلامهم ولا اشعاراً بكون المجنونين أو أحدهما من الامم أو اليهود ، أو الخاملين أو المهذبين وعلى ان هذه كلها دعاو لا أصل لها حتى في أضغاث الاحلام فإنها لا تصلح لرفع التناقض والاضطراب بين نقل متى ونقل مرقس ولوقا.

وزد على ذلك ان متى ذكر الواقعة في كورة الجرجسيين ولسان القصة يقتضي كونها قريب المدينة «وهي جرجسا» قريب مقابرها ومسارحها وجرف البحيرة.

ومرقس ولوقا ذكراها في كورة الجدرين ولسان القصة أيضا يقتضي كونها قريب المدينة «وهي جدر» وقريب مسارحها ومقابرها وجرف البحيرة فقد تناقضوا أيضا في محل الواقعة ومقتضى خايطات الجغرافيين ان بين جدره وجرجسا نحو عشرة اميال انكليزية ، وان جدره تحت ولاية هيردوس وجرجسا تحت ولاية فيلبس ، ويزداد الاضطراب وظهور الغلط في القصة بملاحظة الخايطات فإن كون القصة قريبة من المدينة قريبة من البحيرة إنما يناسب كونها في كورة الجرجسين لأن جرجسا كذلك ، وأما جدره فهي بعيدة عن البحيرة نحو أربعة أميال.

وكذا ذكر لوقا للجبل الذي كانت ترعى فيه الخنازير وألقت نفسها منه الى البحر ، لأن هكذا جبل موجود قرب جرجسا والبحيرة ولا يوجد جبل قرب جدره والبحيرة ، ولكن ذكر العشر مدن في لوقا إنما يناسب كون الواقعة في جدره وكورة الجدرين ، لأن العشر مدن قريبا منها ومن ولايتها دون جرجسا ، ولذا ترى النصارى يذكرون في حاشية متى قراءة الجدرين.

وفي حاشيتي مرقس ولوقا قراءة الجرجسين او الجرشين فاعتبر. وفي هذا القدر كفاية للمتبصر.

«الامر السابع» ان الاناجيل التي يدعون تواترها إلى الوحي والمصدر الإلهامي قد نسبت لقدس المسيح امورا لا تنفك عن كونها موانع من النبوة والرسالة فاسمع بعضها.

١. «تناقض الكلام» فقد ذكرت عن المسيح انه قال : ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا «يو ٥ : ٣١» وذكرت عن قوله أيضا : ان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق لأني أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب؟ «يو ٨ : ١٤» ولا خفاء في تناقض هذين الكلامين وكذب احدهما وهو مانع من النبوة.

وقد حاول المتكلف «يه ١ ج ص ٢٤١ و ٢٤٢» ان يرفع هذا التناقض وإذ كلف نفسه من ذلك ما لا يطاق ضاعت عليه مجار الكلام وروابطه ومضامين العهدين ، وأطال فيه بما لا يسمن ولا يغني من جوع فقال كان يجب على صاحب

إظهار الحق لتوضيح المعنى ان يورد الفقرة الثالثة عشر من ثامن يوحنا وهي ، فقال له الفريسيون أنت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقا ١٤ أجاب يسوع وقال لهم وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق ، ثم قال المتكلف تفريعا على ذلك ، فترى ان الكلام اللاحق لا ينافي الكلام السابق فإن معنى قوله وان كنت أشهد لنفسي أي إذا شهدت على سبيل الفرض والتقدير فشهادتي حق.

ثم اخذ المتكلف في التفرقة بين معنى ان وإذا وأطال في الكلام ، فكانت نتيجة التفرقة انه جعل إذا ولو في موضع ان عند ما تكلف بتكرار الكلام وتقليبه.

فأقول : لا يخفى عل من له أدنى فهم ان الفقرة التي اوجب على إظهار الحق ذكرها لا تنفعه شيئا ولو ملاً من تكرارها كتبها او نادى بها بأعلى صوته ألف ألف مرة صارخا فقال له الفريسيون الى آخره.

وأما فراره إلى الفرض والتقدير فلا يخلصه من التناقض بل يقال له : أليس التقدير المذكور مناقض لقوله ان كنت اشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا ، ومن اين جاء بالفرض والتقدير مع ما حكي بعد ذلك بيسير عن قول المسيح.

وأیضا في ناموسكم مكتوب ان شهادة رجلين حق أنا هو الشاهد لنفسي ويشهد لي الأب الذي أرسلني «يو ٨ : ١٧ و ١٨».

ثم قال المتكلف وعلى كل حال فكلمة «ان» لا تفيد وقوع الفعل بل لو وقع لما وجد ادنى منافاة.

قلنا : ان كلتا الفقرتين مصدرتان بقوله ان كنت اشهد لنفسي ويقول الإنجيل كما تقدم انه شهد لنفسه وقال انا هو الشاهد لنفسي.

فأين إلى أين الفرار بالفرض والتقدير وما يجدي مع تحقق التناقض بين التقديرين أيضا.

نعم ان قال المتكلف ان هاتين الفقرتين خاليتان من المعنى كقولي بل لو وقع الفعل لما وجد أدنى منافاة.

قلنا له : لا تنفك صورة الكلام عن التناقض أيضا وان لم يكن هناك معنى مقصود.

٢ . «تناقض الكلام أيضا» ومن ذلك ما في تاسع عشر متى عن قول المسيح لما قال له بعض الناس ايها المعلم الصالح انكر عليه هذا القول ١٧ وقال لما ذا تدعونني صالحا ليس احد صالحا إلا واحد هو الله.

ومثله في مرقس «١٠ : ١٨» ولوقا «١٨ : ١٩» وهذا مناقض لما يحكى من قوله الإنسان الصالح «مت ١٢ : ٣٥ ولو ٦ : ٤٥» ، وقوله انا هو الراعي الصالح أما أنا فياني الراعي الصالح «يو ١٠ ، ١١ و ١٤».

والمتكلف «يه ٤ ج ص ٢٨٥» تكلم على قوله لما ذا تدعونني صالحا بما ينزه القلم عن شططه في التوحيد وصحة الكلام ، ويكفي في المناقضة ما يحكى من قوله الإنسان الصالح.

٣ . «تناقض الكلام أيضا» ومن ذلك ما في ثاني عشر متى عن قول المسيح ٣٠ من ليس معي فهو علي ومن لا يجمع معي فهو يفرق ، وكذا «لو ١١ ، ٢٣» وهذا ناقض لما يحكى عن قوله فيمن لم يتبع طريقته ، من ليس علينا فهو معنا «مر ٩ : ٤٠ ولو ٩ : ٥٠».

٤ . «تناقض التعاليم» فمن ذلك ما ذكر في متى عن قول المسيح ما حاصله انه لا حسن في صوم تلاميذه ما دام موجودا معهم ، ولا فائدة في صومهم بل لا محل له وهو كنوح بني العرس مع وجود العريس بينهم وكجعل رقعة جديدة على ثوب عتيق يصير الخرق بها أردأ ، وكجعل الخمر الجديدة في زقاق عتيقة تنشق بها الزقاق وتتلف وتنصب الخمر «مت ٩ : ١٤ . ١٨ ومر ٢ : ١٨ . ٢٣ : ٥».

فإن هذا مناقض لما حكى عن المسيح في خطابه لتلاميذه بما حاصله ان الصوم من أركان الإيمان وان بعض الكرامات والمرتب العالية لا تنال إلا به وبالصلاة ، وان بعض الشياطين لا تخرج إلا بالصوم والصلاة ، ولذا لم يقدر التلاميذ على إخراج ذلك الشيطان. «انظر مت ١٧ : ١٤ . ٢٢ ومر ٩ : ١٤ . ٣٠».

٥ . «تناقض التعاليم أيضا» ومن ذلك ما في ثامن عشر لوقا عن تعليم المسيح لتلاميذه ١ وقال لهم أيضا مثلاً في أنه ينبغي أن يصلي كل حين ولا يمل ، وضرب المثل بقاض ظالم مع امرأة لا ينصفها من خصمها فأزعجته بالإلحاح فأنصفها لأجل إلحاحها فآله ينصف سريعاً مختاربه الصارخين إليه فمارا وليلاً «انظر لو ١٨ : ١ - ٨».

وضرب أيضاً مثلاً بمن يلج في الطلب فيعطى لأجل حاجته «لو ١١ : ٩ - ٥» .
وأيضاً أمر بالتضرع في كل حين «لو ٢١ : ٣٦» وهو نفسه كان ليلة هجوم اليهود عليه يصلي بأشد حاجة «لو ٢٢ : ٤٤» وهذا كله مناقض لما في سادس متى عن تعليم المسيح ٧ وحينما تصلون لا تكررُوا الكلام باطلاً كالأمم فانهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب ٨ فلا تشبهوا بهم لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه فان هذا نهي عن الدوام في التضرع والدعاء وبيان لكونه باطلاً من عوائد الأمم الوهمية وأنه لا فائدة فيه فان الله يعلم بالحاجة قبل أن يسأل.

٦ . «التناقض في التعليم أيضاً» فإن التعليم والتعليل لعدم تكرار الدعاء في الحاجة بأن الله يعلم بما قبل أن يسأل مناقض لأصل مشروعية الصلاة وخصوص الصلاة الربانية وخصوص التكرار فيها بقوله لا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير فان ما بعد لكن وما قبلها بمعنى واحد مضافاً الى أنه لا بد أن يتكرر هذا الدعاء بتكرار الصلاة الربانية في الشهر أو السنة أو في العمر مرات عديدة وبحسب هذا التعليل يكون تكرارها أيضاً باطلاً.

٧ . «التناقض بين التعليم والعمل» وأيضاً هذا التعليم والتعليل مناقض لما تذكره الأناجيل من فعل المسيح نفسه ليلة هجوم اليهود عليه فانه كرر الدعاء في طلبه من الله عبور كأس المنية عنه وكان هذا الدعاء هو صلاته كره ثلاث مرات «انظر مت ٢٦ : ٣٩ - ٤٥» وانظر الى السابع عشر من يوحنا فكم تجد فيه دعاء مكرراً باللفظ أو المعنى.

٨ . «التناقض أيضاً بين التعليم والعمل» فقد ذكرت الأناجيل عن تعليم

المسيح بحفظ الوصايا ومن جملتها إكرام الام «مت ١٩ : ١٩ ومر ١٠ : ١٩ ولو ١٨ : ٢٠» فانه يناقضه ما يحكى من معاملته مع أمه.

ففي ثاني عشر ٤٦ وفيما هو يكلم الجموع إذ أمه واخوته قد وقفوا خارجا طالبين ان يكلموه ٤٧ فقال له واحد هو ذا امك واخوتك واقفين خارجا طالبين ان يكلموك ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هي امي؟ ومن هم اخوتي؟ ٤٩ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها امي واخي ٥٠ لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات فهو أخي واختي وامي ونحوه «مر ٣ ، ٣١ . ٣٥ ولو ٨ ، ١٩ . ٢١» أفلم يكن من إكرام الام الذي اوصى الله به أن يقوم لها ويكلمها ويطيب قلبها برؤيته وليتهم نقلوا انه اعتذر منها بدون ان يهينها بقول من هي امي ويندد بقداستها بكلام مفهومه انها ليست ممن يعمل مشيئة الله ، أفيقولون انها لم تكن من المؤمنين به العاملين بمشيئة الله ، أم يقولون ان مخالفة الاكرام المذكور في الوصية هو ان يقوم لها ويكثر ضربها على رأسها وعينيها ، وأما ما دون هذا فليس من مخالفة الوصية.

«المتكلف والمتعرب» وعلى هذا كان على المتكلف والمتعرب أن يعدا في كتابيهما من اغلاط القرآن الكريم وصف المسيح بالبر بوالدته «سورة مريم ٣٣» ويقولان ان الإنجيل يذكر انه قابل دعوتها بالانتهاز واستهان بها وندد بقداستها ، ولا يتجه عليهما في ذلك كما يتوجه في فاحش غلط المتكلف «يه ٢ ج ص ٣٥ و ٩٣» حيث نسب الغلط إلى قدس القرآن في قوله تعالى في شأن مريم «يا اخت هارون» فجعل المتكلف هذا القول من أعظم الأغلاط يكرره بلجاجة «انظر مت ٢٦ : ٣٩ ولو ٢٢ : ٤١ . ٤٥» ولا اقل من كونه توها منه أو ايها ما بأن القرآن الكريم أراد بذلك هارون أخا موسى النبي ، فكأن الله لم يخلق هارون غيره ولا عمران غير ابيه أو ان الله نهي عن ان تكن امرأة بأخت هارون أو ان هذا كله اخذت به مريم اخت موسى امتيازاً من الله. وزاد المتعرب على ذلك «ذ ص ٤٩» حيث اعترض على القرآن بأن دعى مريم بابنة عمران واخت هارون. فقال غير مبال : وهي في الإنجيل بنت الياقيم.

فقبحا للغرور وتعسا للاقتحام وأين يوجد في الإنجيل نسب مريم إلا ذكر

كونها نسبية اليصابات واليصابات من بنات هارون.

نعم : لما اختلف متى ولوقا في نسب يوسف النجار وتحير في ذلك قدماء النصارى فر بعض المتأخرين الى محض المكابرة بدعوى ان لوقا نسب يوسف النجار إلى والد مريم وهو «هالي» وحروفه تشابه حروف «الي» وهو يشبه ان يكون مقتطعا من الياقيم فبخ بخ للدنيا في سعادتها بالتقدم بمثل هذه الأوهام وقد قدمنا قريبا ما فيها.

٩ . «التناقض أيضا بين التعليم والعمل» :

ذكر الإنجيل عن المسيح انه علم بمذمة الكذب وقال ان ابليس كذاب وأبو الكذاب

«يو ٨ . ٤٤».

ويناقضه ما ذكره الإنجيل أيضا وقرف به قدس المسيح إذ نسب إليه ما هو كذب صريح حيث ذكر ان اخوة المسيح قالوا له اصعد إلى هذا العيد فأجابهم اصعدوا أنتم إلى هذا العيد أنا لست اصعد بعد الى هذا العيد لأن وقتي لم يكمل بعد ، ولما كان اخوته صعدوا حينئذ صعد هو إلى العيد لا ظاهرا بل كأنه في الخفاء «يو ٧ ، ٨ . ١١» وهذه التناقضات المذكورة هي من اعظم الموانع من النبوة والرسالة.

«الامر الثامن» ان الاناجيل قرفت قدس المسيح بمنافيات العفة وما هو من اعمال الفساق المتهتكين وهو بالبداهة من موانع النبوة والرسالة وذلك كمجيء المرأة الخاطئة الى المسيح وأنها وقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحها بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب ، وان المسيح كان راضيا مستحسنا لعملها هذا حتى ضرب الأمثال للفريسي الذي انكر ذلك وفضلها عليه بأنها غسلت رجليه بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها ولم تكف عن تقبيلهما منذ دخلت «انظر لو ٧ ، ٣٦ . ٤٧».

وكجلوس يوحنا ابن زبدي في حضن المسيح حتى إذا استشفع به بطرس وطلب منه ان يسأل المسيح عن السر اتكأ يوحنا على صدر المسيح وسأله وقد قدمنا هذا في الفصل الخامس عشر من المقدمة الثامنة وبيننا بمقتضى الأناجيل ان

يوحنا حينئذ لم يكن طفلا بل كان شابا في ريعان الشباب وغضارته.

«الامر التاسع» ذكرت الاناجيل ان المسيح وحاشاه شريب خمر «اي كثير الشرب لها»
«لو ٧ : ٣٢ - ٣٥ ومت ١١ : ١٧ - ٢٠» وانه قال في الخمر قول المودع المولع المتلهف
«مت ٢٦ ، ٢٧ و ٢٩ ومر ١٤ : ٢٣ و ٣٥ ولو ٢٢ ، ١٧ و ١٨» وانه حضر مجلس
العرس المنعقد للسكر واذ نفذ خمرهم عمل لهم بمعجزة ستة اجران من الخمر «يو ٢ : ١ - ١١».

وقد قدمنا في المقدمة العاشرة ما يعلم منه ان شرب الخمر والرضاء به والإعانة عليه
من موانع النبوة.

«الامر العاشر» ان هذه الاناجيل التي يدعون تواترها إلى مصدر إلهامي وبسميها
المتكلف كلام الله السميع العليم قد قرفت قدس المسيح إذ حكمت عنه ما يرجع الى القول
بتعدد الآلهة «انظر يو ١٠ ، ٣٣ - ٣٧» وكذا تعدد الأرباب «انظر مت ٢٢ ، ٤١ - ٤٦
ومر ١٢ : ٣٥ - ٣٨ ولو ٢٠ : ٤١ - ٤٥» وقد ذكرنا هذا الأخير في الأمر الرابع وذكرنا
عن العهد القديم ما يدل على توحيد الرب بل جاء في مرقس عن قول المسيح وتعليمه الرب
إلهنا رب واحد «مر ١٢ : ٢٩» وقدمنا حكاية تعدد الآلهة في الفصل الخامس عشر من
المقدمة الثامنة وذكرنا دلالة العهد القديم على توحيد الإله والنهي عن ذكر اسم آلهة أخرى
وان لا يسمع ذلك من الفم.

وأیضا جاء في سابع عشر يوحنا تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال ايها
الأب قد أتت الساعة مجد ابنك ليمجدك ابنك.

أيضا ٢ إذ أعطيته سلطانا على كل جسد ليعطي حياة أبدية لكل من اعطيته ٣
وهذه هي الحياة الأبدية ان يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته.
وعلى هذا فتكون الاناجيل قد قرفت قدس المسيح بأمرين «أحدهما» القول بتعدد
الآلهة والأرباب وهو الشرك «وثانيهما» تناقض تعاليمه مرة بالتوحيد وأخرى بالشرك وحاشا
قدسه من كل ذلك.

وفي هذا المقدار كفاية ولو لا أن الاستقصاء يحمل على التحامل وإرادة سوء القالة لزدناك.

نتيجة ما ذكرنا ان النصارى يدعون تواتر نقلهم في أمرين «أحدهما» ان عيسى عليه السلام ادعى الرسالة العامة وظهر على يده المعجز «وثانيهما» ان الاناجيل كتب إلهامية من أنبياء ادعوا النبوة وظهر على يدهم المعجز وقد اتضح لك ان دعوى التواتر ونقله في الأمر الثاني لا يكاد يصح بل يشهد بنفسه على كذبه ومع ذلك فلا يبقى للبصير وثوق واعتماد على دعواهم ونقلهم للتواتر وزيادة على هذا ان هذا الأمر الثاني لا يكاد يصح بل يشهد بنفسه على كذبه ومع ذلك فلا يبقى للبصير وثوق واعتماد على دعواهم ونقلهم للتواتر وزيادة على هذا ان هذا الأمر الثاني الذي ينقلون تواتره ويدعونه بأشد إصرار ليكذب الأمر الاول في دعوى الرسالة العامة وظهور المعجز. وكون المعجز حجة على الصدق في دعوى الرسالة بل يصرح بظهوره على يد الكاذب في دعوى النبوة بل يظهر على يد الكافر كالدجال ، ومع ذلك فقد أكثر من ذكر ما هو مانع من نبوة المسيح أشد المنع.

وهل ترضى للعاقل مع هذا كله أن يخدع نفسه ويجانب عقله ويتساهل في دينه ويركن إلى نقلهم ودعواهم التواتر في هذا الوجه ، ولا سيما ان قرار الديانة والاعتماد على كتبها كان مبنيًا عند أسلافهم على قرار المجامع ، وهذا مما يلاشي الاطمئنان بالتواتر فإن مبناه على عدم احتمال المواطاة فكيف وان المجامع هي أمانة المواطاة. فعلى طالب الهدى ان يتوقى ويتحذر من ان يستهويه السراب الى مهالك التيه ، بل يلزم الجادة الموصلة الى المنهل المأنوس والمورد الهني.

«المقدمة الثانية عشرة»

في النسخ في الشريعة الإلهية وفيها فصول

الفصل الأول في ماهيته وحقيقة المراد منه في الاصطلاح

النسخ في الاصطلاح هو رفع الله للحكم الشرعي بتشريع حكم آخر يخالف له ، وحقيقته هو ان الله اللطيف بعباده العليم بأحوالهم ومصالحهم في جميع الأزمنة وتقلبات الامور قد يشرع حكما باعتبار مصلحة يعلم ان لها أمدا منتهيا وحدا محدودا إلا انه جلت حكمته لم يبين حده لعباده وإن كان مخزوننا في علمه فإذا انقضى أمد تلك المصلحة وأمد الحكم المنبعث عنها شرع الحكم الثاني على مقتضى المصلحة المتجددة. فقولنا النسخ رفع الحكم الأول إنما هو تسامح في الكلام باعتبار دلالة دليله في ظاهر الحال على بقاءه في جميع الأزمان ، وإلا فالحكم الأول مرتفع في الواقع بنفس انتهاء مصلحته المحدود بجدها عند الله.

ولا ينبغي ان يتوهم ذو شعور بأن القائلين بإمكان النسخ في الشرائع ووقوعه يقولون بأن الله يريد في أول تشريع الحكم دوامه أبد الآباد ثم يعدل عن ذلك ويشرع حكما آخر تعالى الله عن ذلك.

«الفصل الثاني : في امكانه»

لا يخفى ان الله القادر على جعل الشريعة وتشريع الأحكام لقادر على ان يجعل حكمين لزمانين مثلا ، فاذا انقضى زمان الحكم الاول أعلن لعباده بواسطة رسله تشريع الحكم الثاني. ولا نجد من ذلك مانعا بل لا مانع كما

ستعرف إن شاء الله.

وهناك كشف الحقيقة فانا إذا نظرنا الى حكمة الله ولطفه بعباده وعلمه باختلاف أحوالهم وتقلبات اطوارهم وغناه عنهم وعن جميع العالم :

حكمت علينا عقولنا وفهمنا وجداننا بأن أحكامه الشرعية في العبادات والعبادات والسياسات إنما هي لاقتضاء مصالح العباد في طهارة نفوسهم وقربهم من حضرته وتهذيب أخلاقهم ، وانتظام اجتماعهم ومدنيتهم ، وسهولة انقيادهم الى الطاعة والأدب.

ومن الواضح ان الناس قد تختلف وجوه مصالحهم وتتغير بحسب الازمان لانهم بشر متغيرون بحسب الاعصار وتقلب الأحوال في الاخلاق والعبادات والقوة والضعف ، واللين والقسوة ، وسهولة الانقياد الى الطاعة والتمرد والابتداء في الانقياد والتمرن عليه ، إلى غير ذلك من الاختلاف الذي لا يخفى على الفطن.

وبالضرورة يكون ما شرع لمناسبة اخلاق هذه الأجيال لا يناسب الأجيال المخالفة لها في الاخلاق وما يناسب الأجيال القوية لا يناسب الضعيفة وما شرع لمناسبة الأجيال السهلة الانقياد الى الطاعة لا يناسب الأجيال المتمردة ، وما يناسب المتمرن لا يناسب المبتدئ ، وما يناسب القاسي لا يناسب اللين.

حكى في الأناجيل ان اليهود اعترضوا على المسيح في منع الطلاق إلا لعللة الزنى ، وعارضوه بورود الطلاق في شريعة موسى مطلقا ، فقال لهم : ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هكذا «مت ١٩ : ٧ و ٨ ونحوه مر ١٠ : ٢ - ٧».

وانظر أيضا ما هو البديهي من الأحكام العرفية فإن ما يجعله حكماء العقلاء من الشرائع والقوانين لاصلاح اجتماع الرعية ومدنية مملكتهم وانتظام أدبهم لا بد من أن يكون في أول امر التشريع وخصوص حال الانقلاب أيسر وأسهل على الرعية مما تقتضيه المصلحة عند تمرنهم على الانقياد لشريعة المملكة وذلك لحكمة نفوذ الشريعة السهلة على القبول حتى تتمرن الرعية على الانشراح

بالتشريع وإجراء المشروع ، وهذه مصلحة مهمة يحفظ بحكمتها سائر المصالح.

وإذا توجهت بعقلك ووجدانك الى ما ذكرنا حكمت بالبداهة بإمكان النسخ في الشرائع الإلهية بل تحكم بلزومه بمقتضى الحكمة واللفظ في بعض الموارد ، فإن استوضحت وقلت كل حكم شرعي يراعى فيه معدل المصلحة لكافة البشر والقدر الجامع الذي تتساوى فيه جميع أطوار الناس وأخلاقهم في جميع الأزمان فلا يبقى محل للنسخ.

قلنا : ان من الامور ما لا تختلف جهته باختلاف الأزمان والأحوال كالزنى مثلا ، وهذا لا يعتريه النسخ لحرمة ، وأما ما تختلف جهته بحسب الاعصار والأحوال كما ذكرنا فإن كنت تقول بجواز مراعاة معدل المصلحة فيه من غير لزوم فذلك لا ينافي ما ذكرناه لإمكان وقوع النسخ وان كنت تقول بلزومه سألتك أولا ما هو الملزم به ومن الملزم؟ ونبهناك ثانيا الى ان سياحة الفكر في تقلب أحوال البشر بحسب الاعصار والأخلاق والعادات حسبما شرحنا بعضه لتكشف لكل ميمز وتعرفه بأن مراعاة معدل المصلحة على ما تقول لا تنفك عن حرمان أكثر الناس من بركات اللطف بهم ومقتضيات مصالحهم ، وما هو الداعي لذلك مع امكان أن يعمهم اللطف باستيفاء بركات مصالحهم على مقتضى الحكمة من دون مانع ولا فساد.

فإن قلت : إذا فما بال اليهود والنصارى ينكرون امكان النسخ ووقوعه حتى ان بعض كتابهم ليشددون النكير على القول بالنسخ ويبالغون في امتناعه على جلال الله.

قلت : ان كان شكك من هذه الجهة فانا نشكرك على ابدائها فاعلم أنا لم نبخس اليهود والنصارى في ابتداء الأمر حقهم من حسن الظن ولأجل ذلك تتبعنا كتبهم التي ينسبونها إلى الإلهام والوحي ونظرنا في نحلهم التي عكفوا عليها وشريعة جامعتهم في يهوديتهم أو نصرانيتهم فوجدنا اليهودية قد كثر فيها النسخ نقلا عما قبلها ونسخا لما تقدمها ونسخا لما جاء فيها ووجدنا النصرانية الرائجة قد بنى اساسها وسيج بنياؤها ودار محورها على دعوى معنى النسخ الذي نقول به بل على ملاشاة الشريعة السابقة وأحكامها ، ولم نجد وجهها صحيحا لما تذكره عنهم

إلا المنافرة مع النون والسين والحاء في اسم النسخ ، وانا لا نضايقهم في الاسم بل نسمي هذا الذي نقول بإمكانه ووقوعه بالاسم الذي يسمون به رفع الشرائع الموجود في كتبهم التي ينسبونها الى الوحي الإلهي ونقتصر في مدعانا على مثل ما وقع في الشرائع التي ينسبونها الى الله.

وان السير في كلمات بعض كتابهم في هذا المقام وخصوص المتكلف «يه ٤ ج ص ١٥٥ . ١٩٤» قد كشف لنا عن منشأ الاشتباه أو مبدأ الحياد في المغالطة والتمويه ، وهو انهم تخيلوا بوجههم أو خيلوا بتمويههم ان النسخ الذي يدعي المسلمون وقوعه في الشرائع هو رفع الحكم الشرعي مع ابطال غايته الاصلية التي شرع لأجلها وهي مصلحة العباد ابطالا جزافيا من غير نظر الى تحديد مصلحة اخرى تناسب خلافه فكأنهم لم يسمعوا ولم يفطنوا من هتاف الصريح من كلمات المسلمين وكتاباتهم قولهم بأن الله الغني الحكيم شرع الشرائع لطفاً منه بعباده ورحمة لهم برعاية مصالحهم بأنواعها حسب ما تقتضيه حكمته وعلمه بما يناسبها من الأحكام بحسب اختلاف الاحوال والأوقات ، وعلى ذلك فقد تقتضي الحكمة واللفظ تبديل الحكم الأول إلى ما هو أنسب منه في الزمان الثاني بالمصلحة والغاية المطلوبة في التشريع ، وهذا التبديل إنما هو لأجل المحافظة على الغاية التي شرع الحكم الاول لأجلها وهذا هو النسخ عند المسلمين وان فرض ان شريعة الحكم الثاني هي جوهر شريعة الحكم الاول باعتبار الغاية المطلوبة من التشريع ، وان الاولى ترمز وتشير الى الثانية لكونها أنسب باللفظ والرحمة بحسب الوقت والحال ، فإن كل الشرائع الإلهية متحدة في غايتها المرعية ولكن أليست الاحكام المتبادلة فيها مختلفة بالنوع والحقيقة فنحن نصفهما بالناسخ والمنسوخ بلحاظ هذا الاختلاف.

مثاله بأن نتكلم على طريقة القائلين بسر الفداء فنقول ان الله قد شرع بلطفه ورحمته في التوراة أحكاماً لمصالح العباد في البر والتأديب والتكفير والخلاص والتكميل واستمرت على ذلك ألفاً وخمسمائة سنة تقريبا ولكن لما كانت هذه الغايات تحصل فيما بعد ذلك على أحسن وجه وأتم حصول فرضا بسبب الإيمان بالمسيح وبركة سر الفداء وذبيحة الفداء الكريم رفعت ذوات

الاحكام الخاصة التي كانت في شريعة موسى وخفف ثقلها الباهظ وبدلت شدتها بسهولة الراحة والإباحة ، وهذا من وادي النسخ الذي يقول به المسلمون. ولا يشك فاهم أو غبي في ان أحكام التوراة قد بدلت في النصرانية الرائجة في الصورة والماهية وهم يقولون ان ذلك بوحى من الله وعليه فهو النسخ الذي يقول به المسلمون.

وهبنا قلنا ما يقوله المتكلف «يه ٤ ج ص ١٨٤» ان الشريعة الموسوية بمنزلة البذر والمسيحية بمنزلة الشجرة والثمرة ، وان المسيحية جوهر الموسوية وفذلكتها ولكننا لا نخادع عقولنا ووجداننا ونقول انها هي من حيث الاحكام ولا نكون من هذا اضحوكة بقولنا ، وعلى كل حال فإن كتاب الله منزله عن الناسخ والمنسوخ.

فاصغ لما نتلوه عليك من الكتب التي ينسبونها الى الله والوحي واحفظ ما ذكرناه لك في معنى النسخ الذي نقول به وحاسبهم حسابا يسيرا وجادلهم بالتي هي احسن. ولنذكر لك مما جاء في كتب وحيهم مما لا محيص عن كونه بمعنى النسخ الذي نقول به ، وإن أبوا تسميته نسخا.

ثم نذكر لك أيضا من كتب وحيهم موارد كثيرة لا يسميها المسلمون في الاصطلاح الغالب نسخا ولكنها يرد عليها كلما اعترض به اليهود والنصارى على النسخ فاستمع لذلك إن شاء الله.

١ . الناسخ والمنسوخ في شريعة نوح

بمقتضى نقل التوراة جاء في سابع التكوين «٢ و ٨» وكذا الثامن ٢٠ ان الله ذكر لنوح قبل الطوفان البهائم الطاهرة والتي ليست بطاهرة والمراد من غير الطاهرة ما لا يجوز أكله ولا تقديمه للقرابين والمحرقات.

ثم جاء في تاسع التكوين في ذكر ما بعد الطوفان عن قول الله لنوح ٣ كل دابة حية تكون لكم طعاما كالعشب الأخضر ، وهذا يدل على جواز الأكل لكل دابة حية بخلاف الشريعة السابقة.

وحاول المتكلف «يه ٤ ج ص ١٦٧» ان يتخلص من هذا فقال المراد بقوله تعالى كل دابة حية كل الحيوانات الطاهرة. واغرب في تشبثات الاستشهاد ولعله إذ علم ان في تاسع التكوين المذكور «١٠ و ١٢ و ١٥ و ١٦» ما يطل دعواه هذه ويوضح ان وصف الحياة غير وصف الطهارة هرب الى دعوى ان المراد من لفظ كل هو البعض ، ولكن مراجعة الموارد المشار إليها من تاسع التكوين تنادي بأن المراد من «كل» هو العموم على ان الدعوى بإرادة معنى «بعض» من لفظ «كل» ناشئة من الوهم والاستشهاد لها بالقرآن؟؟؟ الكريم ناشئ من الخطأ في الفهم.

٢ . التوراة وشريعة نوح والحيوانات

ثم نسخت التوراة هذه الإباحة العامة في شريعة نوح لأكل كل دابة حية كالعشب الأخضر وحرمت كثيرا من الحيوانات «انظر حادي عشر اللاويين ورابع عشر التثنية».

٣ . التوراة وما قبلها في التزوج بالاخت

فحرمت التوراة التزوج بالاخت وإن كانت من الأب وحده «لا ١٨ : ٩» مع انها ذكرت ان سارة امرأة ابراهيم كانت اخته من ابيه «تك ٢٠ : ١٢» ولا تصغ إلى تحريف الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ حيث حرفت وترجمت الاخت بالقريبة التي تعم بنت العم ونحوها ليتخلص من هذا الاعتراض فإن نص الأصل العبراني [وجم امنه اختي بت أبي هوا أخ لا بت امي وهي لي لا يشه] أي وأيضا اختي بنت أبي هي لكن لا بنت امي وصارت لي امرأة ولو كان الذي في الأصل العبراني بمعنى القريبة لقال «شاري».

٤ . أيضا الجمع بين الاختين في التزويج

فحرمته التوراة «لا ١٨ : ١٨» مع انها ذكرت ان يعقوب تزوج براحيل على اختها ليئة «تك ٢٩ : ٢٣ و ٣٠» وبقيتا عنده مجتمعتين مدة من السنين «انظر تك ٢٩ . ٣٥».

٥ . التزوج بالعمة

فحرمته التوراة «لا ١٨ : ١٢ و ٢٠ : ١٩» مع انها ذكرت ان أبا موسى وهو عمران بن قهات بن لاوي «خر ٦ : ١٦ . ١٩» قد اخذ عمته يوكابد بنت لاوي التي ولدت له في مصر امرأة له «انظر خر ٢ : ١١ . ١ و ٦ : ٢٠ وعد ٢٦ : ٢٩» ينكشف لك الخطأ في مكابرة المتكلف وخبطه «يه ٤ ج ص ٨ . ١٠» في احتمال كون يوكابد ليست عمة عمران . وبيان النسخ في هذه الموارد الثلاثة هو انه لا بد أن تكون لابراهيم ويعقوب وعمران شريعة إلهية أباحت لهم هذا التزويج المذكور وقد نسختها التوراة ، هذا هو مراد إظهار الحق ولم يقل ان التوراة نفسها حكمت بجواز تزويج هؤلاء النبيين وسبطهما ثم نسخته كما توهمه المتكلف .

ثم اجاب «يه ٤ ج ص ١٦٧» بأنه لم ينزل الله على آدم ولا على ابراهيم شريعة بجواز تزويج الاخت الغير الشقيقة ثم حرمتها موسى وإنما هذا الزواج كان من العادات التي اصطلح عليها القدماء قبل شريعة موسى ، وقال ص ١٦٨ لم ينزل الله على القدماء شريعة ثم نسخها موسى ، بل اصطلح القدماء على عادات للجريان عليها في هذه الدنيا . وقال ص ١٦٩ ان زواج عمران كان قبل نزول الشريعة .

أقول : من اين للمتكلف ان القدماء لم تكن لهم شريعة مطلقا او في خصوص الزواج ، مع انه لا يشهد لدعواه هذه كتاب ينسب إلى الإلهام أم جاءه الوحي بذلك؟ أم يقول ان رحمة الله ولطفه لم يسع الذين قبل موسى ، كما وسع بني اسرائيل المتمردين .

ثم ان قال انه لم تكن قبل موسى للقدماء شريعة مطلقا .

«قلنا» : ان التوراة لتكذبك في ذلك فانها تقول ان الله جعل لنوح شريعة صنعة الفلك ومن يحمله فيه من الأناسين والحيوانات ، وشريعة الحيوانات الطاهرة والنجسة والضرورة يكون من الشريعة بناء المذبح واصعاد المحرقات «انظر تك ٦ و ٧ و ٨» .

وجعل لابراهيم شريعة الختان «تك ١٧ : ٩ - ١٥».

وتقول التوراة أيضا ان ملكي صادوق ملك شاليم كان كاهنا لله العلي ولأجل ذلك أعطاه ابراهيم عشر الغنيمة «انظر تك ١٤ : ١٨ - ٢١» فقل ما معنى الكهانة ان لم تكن شريعة ، وما وجه العشر الذي أخذه من ابراهيم أتقول انه كان عشرا ملوكيا كلا بل ان سابع العبرانيين يفصح عن كونه عشرا شرعيا كاشفا عن عظمة ملكي صادوق الذي أعطاه ابراهيم إياه ، أفترى المتكلف ينكر هذا كله ويقول ان الله ترك القدماء هملا كالبهائم بلا شريعة ولا نعمة ، أم يقول انه لم تكن للقدماء شريعة في خصوص الزواج؟ فنقول له أترك الله عباده وعاداتهم في الزواج وان تسافدوا تسافدوا البهائم؟ دع عنك المشركين ولكن التوراة تقول: منذ ولد انوش بن شيث ابتداء يدعى باسم الرب وذلك بعد خلق آدم بمائتين وثمانين سنة «انظر تك ٤ : ٢٦ و ٥ : ٣ - ٧».

فالمؤمنون من ذلك الزمان الى زمان ابراهيم وآل ابراهيم فرضنا ان الله لم يجعل لهم شريعة في الزواج وتركهم وعاداتهم ، ولكن هل كان الله راضيا لهم بتلك العادات التي اصطالحوا عليها لأجل مناسبتها لمصلحة وقتهم أو كان ساخطا لها ، فإن كان ساخطا لها فلما ذا لم ينههم عنها ويشرع لهم ما يناسب مصلحة وقتهم.

وقد اوحى الله الى ابراهيم وخاطبه في امور كثيرة وكذا يعقوب ولو ان الله يخاطبهم بقدر ما تذكره التوراة عن خطاب الله لموسى في تفصيل ثياب هارون والكهنة «خر ٢٨ : ٢ - ٤٢» او صيدلة البرص «لا ١٣ و ١٤» لكفى في جعل الشريعة لهم ، أم لم تكن فرصة للرحمة واللفظ بخليله وآل خليله كفرصة طور سيناء او مصارعة يعقوب «تك ٣٢ : ٢٤ - ٢٩» إلا بقدر الختان المؤلم الذي تخلص منه النصارى. هذا وان كان الله راضيا بتلك العادات على ما ذكرنا فهي شريعة إلهية لهم.

وأیضا فإن الله سمى سارة بأنها امرأة ابراهيم مرارا عديدة أفلا يكفي هذا في امضاء زواجها فيكون شريعة «انظر أقالا تك ١٧ : ١٥ و ١٩» دع هذا كله ولكن نبه المتكلف بأنه جاء في السادس والعشرين من التكوين عن قول الله ٥

من اجل ان ابراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي اوامري وفرائضي وشرائعي ، وسله هل يقول بعد هذا لم ينزل الله على القدماء شريعة أم يقول ان المراد بهذا كله شريعة الختان الواحدة.

يعقوب وليئة

ثم سله ما وجه العذر والتخلص عن جمع يعقوب للأختين بقوله «يه ٤ ج ص ١٥٨» ان مسألة يعقوب هي انه خطب راحيل فمكر به أبوها وأعطاه ليئة غير انه استمر على خدمته فأعطاه راحيل.

أتره يقول ان ليئة لم يكن نكاحها صحيحا بل كان فاسدا بحسب عادة الوقت لأن يعقوب كان مخدوعا بها ودخل عليها بزعم انها راحيل ولم يعرف انها ليئة حتى اصبح فلا يكون تزوجه براحيل معها من الجمع بين الاختين. نعم ان قال ذلك لم نعترض عليه بأنه يلزم ان يكون اقترانه الفاسد بليئة زنى فيكون يعقوب وحاشاه زانيا مدة حياة ليئة ويكون اولاده منها روايين وشمعون ولاوي ، ويهوذا ، ويساكر ، وزبولون اولاد زنى والعياذ بالله لا يدخلون في جماعة الله الى الجيل العاشر «تث ٢٣ : ٢».

ولا نقول إذا كيف دخل في جماعة الله جيلهم الرابع والخامس وان منهما موسى كليم الله ، وهارون قدوس الله ، واللاويون حملة تابوت الله ، وخدام مسكنه وزعماء كهنوته وحفظة شريعته.

فأنا بحسب ما ألفناه من أدب المتكلف لا نأمن أن يقول لم ينزل على القدماء شريعة بتحريم الزنى ، او يقول نعم وقع يعقوب في خطيئة الزنى هذه المدة المديدة دلالة على ضعف الطبيعة البشرية ثم تاب من خطيئته وزيادة على ذلك ان المولى القدوس العادل سلط عليه ابنه روايين فزنى بزوجه بلهة أم اولاده دان ، ونفتالي ، «تك ٣٥ : ٢٢» انظر يه ١ ج ص ١٣ و ١٨ و ٦٦ ويقول أيضا ان أولاد الزنى الذين لا يدخلون في جماعة الرب هم العمونيون والموآبيون «انظر يه ٣ ج ص ٢٦٣».

رسول الله وإظهار الحق والمتكلف

والمتكلف من وغر صدره أو قل من حرية ضميره لما رأى إلزام اظهار الحق لهم بالنسخ في تزوج عمران بعمته وتحريم ذلك في شريعة موسى لم يلتفت الى مراد اظهار الحق وهو انه ان كانت هذه الحكاية صحيحة فلا يمكن عادة لعمران الموحد لله ابن قهات بن لاوي بن يعقوب نبي الله ابن اسحاق نبي الله ابن ابراهيم خليل الله ان يتزوج على غير شريعة تلقاها من آبائه الأنبياء في إباحة هذا التزويج وصحته.

فيلزم من ذلك وقوع النسخ في شريعة موسى ، بل توهم المتكلف ان اظهار الحق يحاول التنديد بطهارة ولادة موسى كليم الله فصار يقابله بخرافات القصص ثم زاد في الافتراء بالتعرض لقدس رسول الله في تزويجه بمطلقة غلامه زيد بن حارثة الذي لشدة رافة رسول الله به صار الناس يدعونه زيد ابن محمد ، فقال غير مبال بالانتقاد عليه «يه ٤ ج ص ١٦٩» . وما ذا نقول : فيمن ادعى ان الله أجاز له ان يتخذ امرأة ابنه وجعل ذلك قانونا ويا حبذا لو نسخ هذا القانون فإن ذلك كان أحق بالنسخ ، لانه قانون وخيم ومبدأ ذميم لأنه يسوغ الاقتران بزوجة الابن ولكنه لم ينسخه فهو وصمة باقية مدى الدهور.

فنقول له الحق لا أنت ، يقول ان الله جل شأنه شاء ان يمحى باطل الجاهلية ويلاشي خرافاتهم ويقلع مفاسدها ، وحيث كانوا يرتبون آثار الابن الحقيقي على الدعي جهلا منهم وزورا يلزم منه مفاسد لا تحصي منها معاملة الدعي لأرحام من يدعي به ونسائه معاملة المحارم الحقيقية في الخلطة والتكشف مع انه ليس هناك علقة واقعية ولا رحم ماسة تصده عن النظر إليهن بالفحشاء والاقدام على المكروه مع كثرة الفرص وعدم الاحتشام في الخلطة فهو كحرامي البيت المذكور في المثل ، وان الغالب على الأدعياء كونهم من أمكنة نائية فلا تعرف نجايتهم من سوء منبتهم ولؤم عنصرهم.

فأوحى الله إلى رسوله الصادع بأمره الذي لم يستعف من رسالته ولم يضجر

من أحكامه ان يبطل هذه العادة الذميمة بتبليغه قول الله في سورة الأحزاب ٤ ﴿وَمَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ٥ ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾.

وأمره أيضا تثبيتا لإبطال هذه العادة الوخيمة بأن يكون أول عامل بشريعة الحق ومقاوم لخرافات الجاهلية ليكون اسوة للمؤمنين ويرتفع ببركته حرج الأباطيل ، وقد قدمنا الكلام في هذا الشأن في الفصل الخامس عشر في عصمة رسول الله.

ومن عدم موفقية المتكلف في كتابه ان لهج بهذا الافتراء وتسميته لزيد ابنا لرسول الله حتى ان الغافل ليحب ان يعرف ان هذا هو الابن البكر لرسول الله او من سائر أولاده ، وهل كانت أمه مبعوضة او ميتة ، فإن الغافل لا يخطر في خياله ان أحدا يصبر على الافتراء بهذا المقدار من الإصرار ولا سيما في كتاب يطبع وينشر في العالم لنصرة الديانة في مقابلة امة عظيمة راسخة القدم في العلوم الدينية ولكن.

لا تنتهي الأنفس عن غيرها ما لم يكن منها لها زاجر وبما ذا يأتي وينفر المغفلين من قومه إلا بهذا التمويه فإن قدس رسول الله ليس لقائل فيه مغمز.

«سؤال» هل تقدر ان تكشف ما هو المنشأ في إصرار المتكلف على إلصاق الدعي بمن يدعى به حتى صار يضجر من هذه الشريعة التي محقت باطل الادعاء وردت الامور إلى حقائقها.

٦ . نسخ التوراة لحكمها في محرقة السهو

جاء في رابع اللاويين عن الشريعة الموضوعة في جبل سيناء «١٣ . ٢٢» انه إذا سها كل جماعة اسرائيل واخفى امر عن المجمع وعملوا واحدة من مناهي الرب يقرب المجمع ثورا ذبيحة خطيئة محرقة ، مع تفصيل في كيفية

تقديمه وحرقة من دون ذكر في الشريعة لتقدمه او سكيب او ذبيحة اخرى.
وجاء في الخامس عشر من العدد عن الشريعة الموضوعة في برية فاران «٢٤ . ٢٦» في
حكم هذا الموضوع المتقدم بأن يقدموا مع الثور المذكور تقدمه وسكيبا وتيسا ، وهو نسخ
للحكم بكفاية الثور في الشريعة الاولى.

قال المتكلف «يه ٤ ج ص ١٩٢» ان الذبائح متنوعة فالعبارة في سفر اللاويين عن
ذبيحة الاثم ، وفي سفر العدد عن ذبيحة الاثم مع النذور كما يتضح لمن طالع العبارتين.
أقول : يتضح من مطالعة العبارتين وكلام المتكلف هذا أحد امرين اما انه لم يطالع
العبارتين وإنما تحكم فيهما على نقل إظهار الحق المجهل ، واما انه لا يبالي بما يقول وما يظهر
عليه اعتمادا على ان المسلمين وغالب النصارى لا ينظرون في التوراة نظر مستقص في
احكامها ، ولا اقول انه لم يفهم معنى التوراة لأنه لا يخفى حتى على الغبي انه لا دخل للنذور
ولا ربط فيما بعد الثانية والعشرين من خامس عشر العدد اصلا وليس فيها ما يوهم ذلك ،
وهاك نص العبارة ٢٤ فان عمل خفية عن أعين الجماعة سهوا يعمل كل الجماعة ثورا واحدا
ابن بقر محرقة لرائحة سرور للرب مع تقدمته وسكيبة كالعادة وتيسا واحدا من المعز ذبيحة
خطيئة ٢٥ فيكفر الكاهن عن كل جماعة بني اسرائيل فيصفر عنهم لأنه كان سهوا.

٧ . أيضا امرأة الاخ

وقد حرمت التوراة امرأة الاخ من دون استثناء في الشريعة الموضوعة في جبل سيناء
«لا ١٨ : ١٦ و ٢٠ : ٢١» ثم بعد اربعين سنة تقريبا نسخت هذا التحريم العام في
الشريعة الموضوعة على عبر الاردن وواجبت على اخي الزوج الميت الذي لم يخلف ولدا ان
يتزوج بامرأة اخيه الميت ليقوم له نسلا فإن أبي تقدمه المرأة إلى الشيوخ وتخلع نعله وتبصق في
وجهه امام الشيوخ ويدعى اسمه بيت مخلوع النعل «تث ٢٥ : ١١» .
ولئن حاول المتكلف ان يجعل الحكم الثاني من قبيل التخصيص للحكم

الاول لا من النسخ ، فانا سنوضح بعون الله ان ما كان بيانه بعد العمل بالعام فهو من الناسخ لا من المخصص ، وقد بقي الحكم الأول على عموميه اربعين سنة تقريبا وكلها وقت العمل ، فإن بني اسرائيل كانوا مئات الألوف وقد كثر فيهم الموت ، وبالضرورة يتفق عندهم في كل سنة كثير من موارد الحكم العام بأنواعها.

٨ . التوراة وداود وعمر اللاويين

جاء في شريعة التوراة مرة ان اللاوي الذي يوظف لخدمة المسكن وخيمة الاجتماع يكون من ابن ثلاثين سنة إلى خمسين كما في رابع العدد من النسخة العبرانية وتراجمها ، وجاء مرة اخرى انه يكون من ابن خمس وعشرين سنة «عد ٨ : ٢٤ و ٢٥» وحيث اننا لم نتحقق من التوراة العبرانية ان أي الحكمين كان متقدما ولم يظهر لنا ان رفع الأول منهما كان بعد العمل به او قبله فلم نجزم هاهنا بأن احدهما ناسخ للآخر ، خصوصا وقد خالفتهما الترجمة السبعينية فانها ذكرت الخمس وعشرين سنة في المقامين فلا اختلاف ، وعلى كل حال فلا بد من استمرار العمل على الخمس وعشرين سنة أو الثلاثين إلى أن نسخة داود النبي وجعل الموظف من اللاويين لخدمة المسكن ، وخيمة الاجتماع يكون من ابن عشرين سنة فما فوق ، ففي الثالث والعشرين من الأيام الاول ٢٤ هؤلاء بنو لاوي حسب بيوت آبائهم رعوس الآباء حسب احصائهم في عدد الأسماء حسب رعوسهم عاملوا العمل لخدمة بيت الرب من ابن عشرين سنة فما فوق ٢٥ لأن داود قال قد أراح الرب إله اسرائيل شعبه فسكن في اورشليم الى الأبد ٢٦ وليس للاويين بعد ان يحملوا المسكن وكل آنية لخدمته ٢٧ لأنه حسب كلام داود الأخير عد بنو لاوي من ابن عشرين سنة فما فوق.

ولست ادري ما ذا يقول المتكلف هاهنا؟ أيقول ان الله جل شأنه وضع الحكم الأول محدودا في سابق علمه بمصلحته الموقته ، ثم لما تجددت حال اخرى ومصلحة اخرى أعلن الله لنيبه داود ما يناسبها من الحكم كما ذكر في كلام داود ثم ليقل مع ذلك وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ كما لهج به ، أم يقول ان هذا تصرف من داود بالشريعة بغير حق وقد أخطأ فيه كما أخطأ في شأن اوريا

وامراته وكان هذا الخطأ منه بعد قوله في الكلمات الإلهامية التي هي كلام الله السميع العليم حفظت طرق الرب ولم اعص إلهي لأن جميع احكامه امامي وفرائضه لا أحيد عنها وأكون كاملا معه واتحفظ من إثمي (٢ صم ٢٢ : ٢٢ و ٢٣ و مر ١٨ : ٢١ - ٢٣)». وأخطأ أيضا بنو اسرائيل ، وعزرا ، وحجي وزكريا ، الأنبياء إذ جروا على فعل داود وتركوا شريعة موسى فوظفوا للخدمة في المسكن من اللاويين من كان ابن عشرين سنة فما فوق «عز ٣ : ٨».

٩ . ١١ التوراة وحزقيال والمحرقه اليومية

جاء في التوراة ان محرقه كل يوم خروفان حوليان احدهما للصباح ، وثانيهما لما بين العشاءين. وتقدمة كل واحد من الخروفين عشر الأيفة من دقيق ملتوت برقع الهين من زيت وسكبية ربع الهين «عد ٢٨ : ٣ - ٩».

وجاء في حزقيال ان محرقه كل يوم حمل حولي يعمل صباحا صباحا وتقدمته سدس الايفة دقيق وثلاث الهين لرش الدقيق «حز ٤٦ : ١٣ - ١٦». فنسخ شريعة محرقه الليل (٢) ومقدار الدقيق (٣) ومقدار الزيت في تقدمه الصباح.

١٢ . ١٦ وأيضا محرقه السبت

فقد جاء في التوراة انها خروفان حوليان وتقدمتها عشرين من دقيق ملتوت بزيت مع سكبية «عد ٢٨ : ٩».

وجاء في حزقيال ان محرقه السبت ستة حملان وكبش وتقدمتها ايفة. للكبش. وهين زيت للأيفة وللحملان عطية يد الرئيس «حز ٤٦ : ٤ و ٥ : ١» فنسخ حكم الخروفين (٢) ومقدار التقديمه للكبش (٣) وما يناسب الدقيق من الزيت (٤) ورفع حكم السكيب (٥) زاد عطية الرئيس في تقدمه الحملان.

١٧ . ٢١ وأيضا محرقه رأس الشهر

فقد جاء في التوراة انها ثوران وكبش واحد وسبعة خراف حولية وتقدمتها

لكل ثور ثلاثة اعشار من دقيق ملتوت بزيت وللكبش عشرين ولكل خروف عشر وسكائبهن نصف الهين من الخمر للثور وثلاث الهين للكبش وربيع الهين للخروف ، ويضاف الى ذلك تيس من المعز ذبيحة خطيئة «عد ٢٨ : ١١ . ١٦».

وفي حزقيال ثور واحد وستة حملان وكبش . والتقدمة ايفة للثور وايفة للكبش وللأيفة هين من زيت وللحملان ما تناله يد الرئيس «حز ٤٦ : ٦ و ٧» فنسخ حكم الثورين والخراف (٢) وتقدمة الثور والكبش (٣) وما يناسب الدقيق من الزيت (٤) وحكم السكيب (٥) وزاد عطية الرئيس في تقدمه الحملان.

٢٢ . ٢٥ وأيضا محرقة الفصح

وذكرت التوراة لمحرقات سبعة ايام الفصح وتقدماتها لكل يوم نحو ما ذكرت لمحرقات أول الشهر «عد ٢٨ : ١٦ . ٢٥».

وفي حزقيال ان لكل يوم سبعة ثيران وسبعة كباش وتيسا ذبيحة خطيئة ، وتقدماتها ايفة للثور وايفة للكبش وهين من زيت للأيفة «حز ٤٥ : ٢٣ و ٢٤» ، فنسخ حكم الذبائح (٢) وتقدمتها (٣) وما يناسبها من الزيت (٤) وحكم السكيب.

٢٦ . ٢٩ وأيضا محرقات عيد المظال

فذكرت التوراة فيه محرقات السبعة ايام مختلفات العدد أكثرها في اليوم الخامس عشر من الشهر السابع ثلاثة عشر ثورا وكبشان وأربعة عشر خروفا حوليا مع تيس ذبيحة خطيئة ، وتقدمتها لكل ثور ثلاثة اعشار من دقيق ملتوت بزيت وعشرين لكل كبش وعشر لكل خروف ، وينقص العدد في الأيام فيكون في اليوم السابع سبعة ثيران وكبشين وأربعة عشر خروفا ، وتقدماتها وسكائبها على نحو ما تقدم «عد ٢٩ : ١٢ . ٣٩».

وفي حزقيال ان الرئيس يعمل في سبعة ايام عيد المظال محرقة نحو ما يعمل في عيد الفصح «حز ٤٥ : ٢٥» فنسخ حكم الذبائح (٢) وتقدماتها (٣) وما يناسبها من الزيت (٤) وحكم السكيب.

وأيضاً ما هو للرئيس وما عليه وعليك تعداد ما فيه من النسخ

لم يجيء في التوراة شريعة التقدمة للرئيس على اسرائيل ولم تجعل عليه بإزاء ذلك المحرقات وتقدماتها وسكيبها في الأعياد والشهور والسبوت والمواسم بل ذكرت التوراة ان هارون يأخذ من جماعة بني اسرائيل تيسين لذبيحة خطيئة وكبشا محرقة «لا ١٦ : ٥» وان القرايين وذبائح السلامة وذبائح الكفارة وذبائح الخطيئة والإثم ، وسائر التقدّمات يقدمها بنو اسرائيل بأنفسهم «انظر سفر اللاويين من اوله الى السادس منه». وكان حق الكهنة على اسرائيل الساعد والكرش من الذبائح والباكورات «تث ١٨ : ٣ و ٤» وقرايينهم وتقدماتهم ، وذبائح خطاياهم ، وذبائح آثامهم ، والابكار ، والباكورات وحق بني لاوي على اسرائيل هي العصور «عد ١٨ : ٨ - ٢٢». وقد جاء في حزقيال ضد هذه الشرائع فجعل على بني اسرائيل تقدمة للرئيس سدس الايفة من حומר الخنطة والشعير اي سدس العشر من الحומר وبث من الزيت اي عشر الكر ، وشاة واحدة من مائتين. وجعل على الرئيس بإزاء ذلك المحرقات وتقدماتها وسكيبها في الأعياد ، والشهور والسبوت كل مواسم بيت اسرائيل ، وهو يعمل ذبيحة الخطيئة والتقدمة والمحرقة وذبائح السلامة للكفارة عن بيت اسرائيل «حز ٤٥ : ١٧».

وعلى هذا فإن كان ما ذكرناه عن حزقيال صادرا عن وحي إلهي كما نسبته إلى قول السيد الرب فلا محيص فيه عن القول بالنسخ في هذه الشرائع المختلفة المتباينة ، او يقال بأنه من التشويش وتلاعب الأيام الطارئ على العهد القديم كما بنى عليه إظهار الحق كلامه. ولكن المتكلف لا يرضى بشيء من ذلك ويقول النسخ مناف لحكمة الله وعلمه «يه ٤ ج ص ١٥٥» وكتاب الله منزّه عن النسخ والمنسوخ «يه ٤ ج ص ١٨٤» ، ويقول «يه ١ ج ص ٩١ و ١٧٧» ما حاصله انه لما كان حزقيال مع بني اسرائيل في سبي بابل ذكر لهم الهيكل والفرائض المقدسة ليؤكد لهم ان المولى سيعيدهم إلى وطنهم وتشويقا لهم الى تلك الأوقات السعيدة.

وثانيا : ان عبارته نبوية استعارية يشير بها إلى مجاد المسيح فاطلق الهيكل

على كنيسة المسيح. وعلى كل حال فلا يوجد أدنى تناقض بين أقواله وسفر العدد لاختلاف الموضوع فإن حزقيال لم يأت بما يناهض شريعة موسى.

أقول : قد ذكرنا لك موارد المناقضة والمنافات بين ما يذكر عن شريعة حزقيال وشريعة موسى ، فطابق أنت لأجل الاستيضاح ما بين الخامس والأربعين والسادس والأربعين من حزقيال وما بين شريعة التوراة وخصوص الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من العدد وقل ما ترضاه لك حرية ضميرك ومجد فهمك وشرف صدقك ومعرفتك وانظر الى انه هل يرضى لك ذلك ان تقول لا نسخ هاهنا ولا تناقض ولا منافاة بل ان عبارة حزقيال نبوية استعارية تشير إلى أمجاد ملكوت المسيح فأطلق الهيكل على كنيسة المسيح أم تقول بابتداء فهمك وأول فطرتك اين هذه المقامات وأين الهيكل واين الكنيسة بل لا بد للكلام من معنى ، وللاشارة قانون يميزها عن الهديان ، وان للكلمات نقادا وللحقائق رصادا وليس كل الناس ابناء الحياء عن الصواب ولا سيما هذه الأجيال المتنورة.

٣٠ و ٣١ ... التوراة والمسيح والطلاق والتزوج بالمطلقة.

شرعت التوراة طلاق الرجل لامرأته إذا لم تجد نعمة في عينه لأنه وجد فيها عيب شيء وشرعت أيضا تزوج رجل آخر بهذه المطلقة «تث ٢٤ : ١ - ٤» ، ونسخ الإنجيل هذا الحكم بقوله عن المسيح من طلق امرأته إلا لعل الزنى يجعلها تزنى ومن يتزوج مطلقة فإنه يزني «مت ٥ : ٣٢ و ١٩ : ١٩ و ١١ : ١١ و ٢٢ ولو ١٦ : ١٨».

وقد حاول المتكلف في تبديل الإنجيل لشريعة التوراة في الطلاق والتزوج بالمطلقة ان يجعله من قسم التخصيص المصطلح لا من قسم النسخ «انظر به ٤ ج ص ١٧٠ و ١٧١» فأطال وحرف وخلط فراجع. وهذا اما من عدم الوصول الى الفارق المعنوي المميز بين التخصيص والنسخ ، واما من الفرار إلى التمويه والمغالطات.

فاعلم ان التخصيص في الاصطلاح هو ان يأتي المتكلم في خطابه بلفظ عام ولكنه لا يريد منه العموم لجميع افراده بل يريد بعضها ، وحينئذ يلزمه في

قانون التفهيم وصحة الخطاب ان يأتي على وفق مراده من العام بالمخصص المتصل او المنفصل ليكون بيانا للمراد قبل ان يحضر وقت العمل من المخاطب فينكشف بالمخصص ويتبين مقدار ما أراده من العام في أول الأمر وحين الخطاب.

مثاله : ان يقول المتكلم اكرم الكتاب وهو يريد من عموم الكتاب من لم تكن عادته التمويهات ومنخرفات الابطال ، فعليه في قانون البيان ان يقول متصلا او منفصلا قبل حضور وقت الاكرام المأمور به لا تكرم كتاب التمويهات والأبطال. فالتخصيص المصطلح هو البيان لإرادة البعض من افراد العام في أول الخطاب.

وأما إذا تأخر ورود الخاص عن وقت العمل بالعام واستمر العام على عمومه مئات من السنين وصح العمل بجميع افراده اعتمادا على عموم لفظه في هذه المدة كما في شريعة التوراة في الطلاق فليس ذلك من التخصيص المصطلح بل إنما هو نسخ ورفع للحكم عن بعض أفراد العام بعد إرادة المتكلم لعمومه فإنه لو لم يرد عمومه على طبق اللفظ لوجب عليه في الحكمة ان يبين مقدار مراده من أفراد العام قبل حضور وقت العمل ، ولا يؤخره عن ذلك ، فإنه يكون بهذا التأخير مغريا بالجهل مقصرا في بيان المراد عند الحاجة إلى البيان ولا شك في قبح ذلك في حكمة الكلام وصواب المحاورات.

فيكشف ورود الخاص قبل وقت العمل عن إرادة بعض افراد العام حين الخطاب وهو معنى التخصيص المصطلح.

ويكشف تأخر الخاص عن وقت العمل عن ان العموم مراد من حين الخطاب إلى حين مجيء الخاص فيكون الخاص رافعا لحكم العام المراد على عمومه وهذا من حقيقة النسخ الذي كشفنا عن معناه في أول المقدمة ، فإن صح صح النسخ بجميع اقسامه ولو كان النسخ باطلا لكان هذا باطلا أيضا لأن الجهة فيهما واحدة وهي رفع الحكم الثابت والشريعة السابقة.

ولا يخفى ان حكم التوراة في الطلاق عام لكل عيب في المرأة حتى عيب

سوء الخلق والخلقة ولم يبين تخصيصه في التوراة ولا من موسى بعيب الزنى بل عمل بنو اسرائيل بالعموم وصاروا يطلقون من لم تجد نعمة في اعينهم لكل عيب إلى زمان المسيح ، كما يشهد بذلك الإنجيل الراجح في نقله لكلام المعترضين على المسيح في أمر الطلاق واقرار المسيح لاعتراضهم ، وجوابه بأن موسى جوز لهم ذلك من اجل قساوة قلوبهم «مت ١٩ : ١٠ . ٩ ومر ١٠ : ٦ . ٢» وهذا هو النسخ ، فإن فر المتكلف من تسميته نسخا ، واقترح الخلط في الاصطلاح بتسميته تخصيصا جارينا ، وقلنا : ان محل كلامنا هذا النحو من التخصيص . ومن الظرائف المؤنسة ان المتكلف قد نسي موضوع الكلام في هذا المقام وهو الطلاق فعقبه كالمستنتج بقوله :

وقد أقام المسيح دليلا مقنعا باهرا على ان المولى سبحانه وتعالى خلق لآدم حواء ولو كان تعدد الزوجات جائزا لخلق له امرأتين ولكن المولى سبحانه وتعالى هو العليم الحكيم يضع كل شيء في محله ويعرف ما يكون سببا في عمار البيوت وما يعجل بخرابها غير ان الإنسان زاغ عن شريعة الله لفساده وانحرافه وقسوته وتكبره واعجابه بنفسه . فنقول أولا : ما ربط هذا الكلام بمسألة الطلاق ونسخه ، وأي تعلق له بما قبله من الكلام .

وثانيا : ما ربطه بالاحتجاج المنسوب إلى المسيح فإنه مع ما ذكرنا فيه من الوهن مسوق لعدم التفريق بين الرجل وامرأته «انظر مت ١٩ : ٤ - ٧» .

وثالثا : ان هذا النحو من الاحتجاج يبطل عليهم مشروعية رهبانيتهم وترك الزواج فيقال لهم لو كانت الرهبانية وترك الزواج جائزا لما خلق الله لآدم زوجة ، ولكن الله هو العليم يعلم ما يكون سببا في تناسل البشر وحفظ النوع غير ان الإنسان يبتدع ما لم ينزل الله به من سلطان .

ورابعا : ان هذا الاحتجاج من المتكلف إنما تكون له صورة غير قبيحة إذا قلنا بوجود تعدد الزوجات عقلا وفي كل شريعة ، وأما إذا قلنا بالجواز فلا يصلح هذا الاحتجاج حتى للمغالطة ، اذ نقول : ان الله اختار لآدم احد

الأميرين الجائزين ، بل لا بد ان يكون على احد الأمرين الجائزين على كل حال.

وخامسا : قد قلنا في هذا الاحتجاج المقنع الباهر : يقتضي انه لا يجوز لبس الثياب لأن الله خلق آدم وحواء عريانين وبقياء على ذلك مدة من الزمان ، فلو كان لبس الثياب جائزا لخلق لهما ثيابا من أول الأمر ، ولكنه لم يكن من البدء هكذا ، «فإن قلت» : ان الله قد صنع لهما بعد ذلك اقمصة من جلد.

«قلت» : وقد شرع الله لموسى شريعة الطلاق ، وبقيت هذه الشريعة باعتراف المتكلف نحو ألف وخمسمائة سنة والكل من الله وفي الكل لم يكن من البدء هكذا.

وأما قوله ولكن المولى هو العليم الحكيم يضع كل شيء في محله إلى آخره فأمر المتكلف دائر فيه بين أمرين إما انه لا يبالي بما يقول ولا دراية له لا من العهد القديم ولا من أهل العلم بأن تعدد الزوجات كان جائزا قبل المسيح في الشريعة ، وعلى جوازه نصت التوراة. سماحناه فيما فعله ابراهيم ويعقوب لزعمه الفاسد انه لم تكن قبل موسى شريعة.

ولا نقول له ان جدعون النبي بدلالة تكرار كلام الله معه كما في السادس والسابع من القضاة قد كانت له نساء كثيرات «قض ٨ : ٣٠».

وكذا داود النبي وسليمان ، لأننا قد ألفنا من أدب المتكلف ان يقول ان هؤلاء فعلوا خلاف الشريعة وأخطئوا وتابوا فعاقبهم المولى. ولكننا نقول له ان التوراة صريحة في جواز تعدد الزوجات «انظر تث ٢١ : ١٥ - ١٨» فكيف وضع الله هذه الشريعة؟ أترأه يريد ان يخرب بيوت شعبه وأبنائه بل ابنه البكر «خر ٤ : ٢٢ و ٢٣ وار ٣١ : ٩».

وإما ان يكون المتكلف يعرف ذلك من التوراة والعهد القديم ولكنه كما يظهر من اواخر كلامه هاهنا قد نحسه ما ينقل من عقيدة «ماني كيز» واصحابه حيث يقولون ان الذي اعطى موسى التوراة وكلم الأنبياء الإسرائيلية ليس باله بل شيطان من الشياطين او الإله الثاني خالق الشر نقله إظهار الحق في الجزء

الثاني عن تاريخ «بل» وتفسير «لاردنر» ، او انه أخذ ذلك مما عن قول «بولس» فإنه يصير ابطال الوصية السابقة من اجل ضعفها وعدم نفعها «عب ٧ : ١٨» ، فإنه لو كان الأول بلا عيب لما وجد موضع لثان «عب ٨ : ٧».

او من القول المنسوب للمسيح الحق ، الحق اقول لكم اني أنا باب الخراف جميع الذين جاءوا قبلي هم سراق ولصوص «يو ١٠ : ٧ و ٨» ، او مما نقله «وارد كاتلك» عن كتاب «للوطر» من قوله نحن لا نسلم موسى ولا توراته لأنه عدو عيسى.

وقوله انه استاذ الجلادين انظر إلى الوجه الحادي عشر من الفصل الرابع من الباب الاول من إظهار الحق ، أو قول «ساييل» والرسالة المنسوبة «لعبد المسيح الكندي» ان الله تساهل مع اليهود فأعطاهم أحكاما غير صالحة وفرائض لا يحيون بها.

ثم من ذا الذي عناه بقوله غير ان الإنسان زاغ عن شريعة الله إلى آخر كلامه ، أترأه يعني موسى النبي في شريعة تعدد الزوجات ، أم جدعون وداود ، وسليمان الأنبياء ، أم جميع الناس من يعقوب ومن قبله ومن بعده من بني اسرائيل أو انبيائهم الى زمان تحريمه في النصرانية.

وأما ادعاءه خراب البيوت بتعدد الزوجات فباطل بالوجدان لما نرى عليه المسلمين منذ أربعة عشر قرنا.

بل إذا اعطيت الحكمة حقها من التدبر دلت بأوضح دلالة على ان الله الرؤوف العليم الحكيم لم يكن ليخلق النساء أكثر من الرجال بأضعاف كما يشهد به الاحصاء. ثم يشرع في أمرهن شريعة توجب حرمان أكثرهن عن قضاء الوطر من الشهوة المقلقة التي اودعها الله فيهن ويسبب بشريعته تعطيلهن عن فائدة التناسل التي جعل فيهن قابليتها مع انها أشرف الفوائد وأحبها إلى الانسان فيبقي بمقتضى الشريعة في نكد عيش العزوبة والتمل حتى يترتب على ذلك ما يترتب من العواقب الذميمة انظر الى حوادث البشر ولو لا محذور سوء القالة لأشرنا الى جملة منها ، ولم يكن الله ليعطل الرجال عن بركة التناسل إذا عقلت نساؤهم او يؤسن من المحيض او مرضن مرضا مزمنًا.

٣٢ و .. الحلف

لم تمنع التوراة من الحلف والقسم بل أمرت بعدم نقضه «عد ٣٠ : ٢» وقد منع الإنجيل منه بالكلية «مت ٥ : ٣٣ - ٣٨».

٣٣ و ٣٤ و ... القصاص والسياسة

وقد شرعتها التوراة ونهت عن الاشفاق فيها «خر ٢١ : ٢٣ - ٢٥ ولا ٢٤ : ١٩ و ٢٠ وتث ١٩ : ٢١».

٣٥ و ٣٦ و ... الدفاع والمطالبة بالأموال

وشرعت التوراة دفاع السارق ولو بقتله والمطالبة بالأموال وغراماتها والمحاكمة فيها انظر إلى الثاني والعشرين من الخروج. ونهى الإنجيل الرائج عن القصاص والسياسة والدفاع والمطالبة بالأموال ، وجعل ذلك من مقاومة الشر بالشر «مت ٥ : ٣٨ - ٤٢ ولو ٦ : ٢٩».

٣٧ و ... الصوم

وقد كثر في العهد القديم ذكره والتقرب والتضرع به إلى الله «قض ٢٠ ٢٦ ومر ٣٥ : ١٣ واش ٥٨ : ٣ - ٧ وزك ٥ : ٦ و ٦» وغير ذلك ، وكذا في العهد الجديد «مت ٤ : ٢» وكان تلاميذ يوحنا المعمدان يكثرون منه. وقد أبطله نقل الإنجيل عن المسيح وألغاه عن تلاميذه ما دام موجودا فيهم وضرب الأمثال لعدم مناسبته «انظر مت ٩ : ١٤ - ١٨ ومر ٢ : ١٨ - ٢٣ ولو ٥ : ٣٣ - ٣٩».

٣٨ و ... الإنجيل والإنجيل بشارة الرسل

في الإنجيل ان المسيح اوصى تلاميذه في أوّل الأمر حين ارسلهم للتبشير بقوله إلى طريق امم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى الى خراف اسرائيل الضالة «مت ١٠ : ٥ و ٦».

ويؤيد هذا الحكم وظهوره في الدوام ما عن قول المسيح لم ارسل إلا إلى خراف بيت اسرائيل الضالة. ثم نسخ هذا الحكم ورفع به عما عن قوله للتلاميذ

أيضا فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به «مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠».

وقوله أيضا : اذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليفة كلها «مر ١٦ : ١٥».

«تنبيه» جاء في الإنجيل ان المسيح امضى شريعة موسى على متبعيه وثبتها وأمر باتباعها بقوله للجموع وتلاميذه ، على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه «مت ٢٣ : ١ - ٣».

ومقتضى انجيل «متى» ان هذا الكلام كان في «اورشليم» قبل الفصح الذي جرت فيه حادثة الصليب بيومين «انظر مت ٢٣ - ٢٦ : ٢» فيكون في اواخر ايام المسيح على الأرض وبناء عليه تكون شريعة التوراة شريعة المسيح باعتبار هذا الإمضاء والتثبيت والأمر بالاتباع لها ، فكل نسخ جاء بعد هذا من الرسل لشريعة التوراة يرجع في الحقيقة الى نسخ شريعة موسى والمسيح.

٣٩ و ... التوراة والرسل والختان

وهو شريعة الله لابراهيم وذريته ومتبعيه وعلامة عهده معهم «تك ١٧ : ٩ - ١٥».

وشريعة موسى «لا ١٢ : ٣» وقد جعله شرطا في جواز الأكل من الفصح «خر ١٢ : ٤٣ - ٤٩» وقد استمرت هذه الشريعة إلى ان ختن بها المسيح «لو ٢ : ٢١» وبقيت مستمرة ما دام في الأرض وبعد ذلك مدة في زمان الرسل ، ثم نسخه الرسل ورفعوا وجوبه عن المؤمنين من الامم في ضمن ما رفعوه في المشورة بينهم «انظر خامس عشر الاعمال» ، ثم نسخه «بولس» ورفع رفعه كلياً «انظر روميه ٣ : ١ و ٣٠ و ٤ : ١٠ - ١٣ و ١ كو ٧ : ١٨ - ٢٠ وغل ٦ : ١٥».

وقد أطل المتكلف في كلامه في هذا المقام ولم يأت فيه إلا بتناقض أطرافه وسوء الحياذ عن الجواب «انظر يه ٤ ج ص ١٧٥ و ١٧٦».

قلنا : ايها الكاتب ان الختان الذي كان واجبا في شريعة ابراهيم وشريعة

موسى إلى شطر من ايام الرسل اما ان تقول فيه ان وجوبه مختص بذرية ابراهيم وان شريعة التوراة لا تعم غير بني اسرائيل ، ونسألك عما في هذه الدعوى من مخالفة العهدين ، واما ان تقول بأن شريعته عامة لكل الناس وانه علامة عهد الايمان بين الله وبين المؤمنين.

وعلى كل تقدير فقل هل هو إلى الآن واجب على نحو وجوبه الأول. وان الرسل لم يتعرضوا لرفع وجوبه بوجه من الوجوه وغاية ما بينوا انه لا يخلص بدون الايمان ، او تقول انه الآن ومن زمان مشورة الرسل في شأنه غير واجب بوجوب شريعته السابقة بل رفع ثقله لأنه كان رمزا إلى المعمودية والمعمودية تشير إلى الغسل بدم المسيح ، وقد انقضى زمان الرمز وجاء زمان الخلاص المرموز إليه. أجب بأحد الأمرين ثم اعرف اين تقول فلا ناسخ ولا منسوخ.

عبد المسيح الكندي

ومن الظرائف المؤنسة انه قد ظهرت في القرون المتأخرة رسالة نصرانية تنسب لعبد المسيح الكندي وانه كان في زمان بني العباس ومن جملة ما فيها قوله ان الله جل اسمه لما كان مزمعا أن يدخل بني اسرائيل الذين هم ولد ابراهيم الى ارض مصر ولم يزل عالما ان الشره سوف يحملهم على ارتكاب الفواحش التي حرّمها عليهم ونجس اهلها جعل هذا سببا لمن اراد ارتكاب الفاحشة من امرأة مصرية نظرت الى هذه العلامة التي في جسده وهي الختان فامتنعت ولم تواته فوسمهم الله بهذه السمة لهذه العلة.

أقول : وغرضه من هذا الكلام هو ان يعتذر عن تركهم للختان بمجرد المشورة في رفعه مصانعة للأمم مع انه عهد الله الذي يحفظ في الأجيال. وعلامة العهد بينه وبين المؤمنين ، والذي لا يختتن يقطع من شعبه لأنه نكث عهد الله «تك ١٧ : ٩ - ١٥».

وشريعة موسى وشرط في عمل الفصح والأكل منه كما اشرنا إليه ، ولكن هذا الرجل لو لم يعتذر لكان خيرا لأدبه مع أنبياء العهدين ولاعتذاره مثل مشهور في الشعر فإنه حاول ان يتخلص من اللوم بكذبة ينسب فيها انبياء العهدين الى

غاية الجهل بالحقائق ، وأسرار الأحكام من «يوشع» النبي الى رسل العهد الجديد ويكون هو اعرف منهم بوجوه الأحكام وحقائق الشريعة ، واذ عرف المجيب هذه العلة فليقل لما ذا جاء في كتب إلهامهم ان الله امر يوشع ان يختن بني اسرائيل من ابن اربعين سنة فما دون فحملهم هذا الأذى الشديد وعرضهم لفتك العدو بهم قبل ما يبرءون من جراحة الختان وقال بختانهم اليوم دحرجت عنكم عار مصر وهي «غرلة الشرك» هذا كله وقد مضى لهم من خروجهم من مصر أربعون سنة «انظر يش ٥ ، ٢ . ١٠» ولما ذا لم يتنبه باقي أنبياء بني اسرائيل الى هذه العلة في الختان ليرفعوه؟ ولما ذا لم يخبرهم الروح القدس بذلك؟ ولما ذا لم يرفعه المسيح لهذه العلة ويحتج بها لرفعه كما احتج للنهي عن الطلاق مع ان صورة الاحتجاج بها اوجه من صورة حجة الطلاق الواهية كما عرفت.

وأیضا لما ذا أمر التلاميذ والجموع بحفظ ما يقوله الكتبة والعمل به لأنهم جلسوا على كرسي موسى مع انه يعلم انهم يشددون في وجوب الختان. ولما ذا لم يرفعه الرسل لأجل هذه العلة بل ابقوا شريعته بعد المسيح مدة تزيد على خمسة عشر سنة ، ولما ذا لما ارادوا دفعه عن الامم مصانعة بالتخفيف عنهم لم يحتجوا لرفعه بهذه العلة بل تشبثوا لرفعه بمجرد استحسانهم للتخفيف عن الامم ورفع الثقل عنهم «انظر خامس الأعمال بتمامه».

وأیضا صرح العهد الجديد عن قول «بولس» ان ابراهيم أخذ علامة الختان ختما لبر الايمان الذي كان في العزلة «رو ٤ : ١١» ولم يعلله بولس بما ذكره هذا الرجل تمويهها من دون تدبر.

وأیضا لما ذا لم يحتج بولس بهذه العلة مع انه لهج في كتبه برفعه وتقلب في وجوه الاحتجاج لذلك.

هذا واني احاشي الحوارين من التعرض لرفع الختان وإنما هو ممن حاول ان يستجلب الامم إلى رئاسته ولو بهدم الشريعة ، وانما نسبته لهم جدلا لمن ينسبه لهم ، ويتضح مما ذكرنا ان هذا الرجل يدعي معرفته بشيء جهله الأنبياء والمسيح ورسل العهد الجديد ، وإذا اتضح ما ذكرنا فإني ارجو رجاء ناصح من عموم النصارى وخصوص المقلدين لأكابهم ان لا يقبلوا قول أكابهم حتى

يفصحوا عنه ولا أقل من مطابقته مع العهدين التي هي كتب إلهام عندهم ، فإني على يقين بأن العهدين على ما فيهما مباينان لأكثر أقوال الأكابر مبطلان حججهم ودعاويهم ، ولا يخفى على عاقل ان الله جل شأنه لا يقبل من العباد عذرهم عن ضلالهم بقولهم : اطعنا ساداتنا وكبراءنا واعتمدنا على أقوالهم في الدين والإيمان ، كيف وقد اتضح بفضل الله مصادمة أقوال الأكابر لكتب العهدين التي هي دستور ديانتهم كما عرفته وتعرفه إن شاء الله من متفرقات هذا الكتاب.

فإن تقدم الناس في الطبيعيات والرياضيات والصنائع ليبشرهم بالتقدم في معرفة حقائق الدين واصلوا معارفه إذا نظروا وبحثوا في جميع مقدماتها ولم يعتمدوا على قول فلان وفلان ، والمجمع الفلاني ، والمصلح الفلاني ، قال الله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

فليعتبر ذو الرشد بأقوال المتكلف في كتابه وانه كيف كان يراها قبل ان يطلع على هذا الكتاب الذي خدمنا به الحق وطالبيه ، أفلم يكن يراها ببدائى نظرة واضحة الصواب قوية الحجة سديدة الشواهد ، واني أسأله بفضيلة الصدق كيف يراها بعد ما اطلع على كتابنا مع اني لم استقص ذكر ما فيها؟ أفلم يحصل له الشك في صوابها أقلا.

اللهم انعم على عبادك بهداك وخذ بأيديهم بتوفيقك إلى الصراط المستقيم انك ارحم الراحمين.

٤٠ و ... الحيوانات النجسة والمحرم أكلها.

لا يخفى ان التوراة قد حرمت لحوم كثير من الحيوانات وصرحت بنجاستها ونجاسة حيواناتها «انظر الى الحادي عشر من اللاويين والرابع عشر من التثنية وقد سبق شيء من ذلك في شريعة نوح بمقتضى نقل التوراة اجمالا «تك ٨ : ٢٠».

وقد ابيحت هذه المحرمات وحكم بطهارتها في العهد الجديد بما عن بطرس «اع ١٠ :

١١ . ١٧» واتفاق الرسل «ا ع ١٥ : ٢٨ و ٢٩» وعن «بولس»

«رو ١٤ : ١٤ و ٢٠ و تي ١ : ١٥ و تي ٤ : ٤».

وقد اورد المتكلف في مكابرتة لإظهار الحق هاهنا كلاما طويلا لم يفز فيه حتى بحسن الأدب «انظر يه ٤ ج ص ١٧١ . ١٧٣».

وان لسان الحال من إظهار الحق ليقول له أيها الكاتب المنصف البصير اني اقول ان الحيوانات التي نجستها التوراة وحرمت لحمها قد طهرها العهد الجديد حكاية عن رسله وأباح أكل لحمها فسخ حكم التوراة وبذله بحكم مخالف له ، وانت تقول ان العهد الجديد صادر عن وحي الله إلى الرسل ، وان احكامه احكام الله ، وكذا التوراة فلا محيص لك عن القول بالنسخ في الاحكام الإلهية وليس من جوابي ان تقول تعصب أعمى . موسوسين . جوهر الدين سلام . فرح . محبة . خرافات . ضلال ، بل الجواب اما ان تقول بأن التنجيس وتحريم الأكل اللذين في شريعة التوراة هما حكم الله لمصلحة أولا لمصلحة ثم رفعه الله في العهد الجديد وبذله على لسان رسله بالإباحة والطهارة لاجل طهارة المؤمنين بالمسيح وبرهم وخلاصهم ببركة سر الفداء وذبيحة الفادي الكريم وتعليقه على الخشبة او ما تشتهي من الأسباب ، ونسمح لك بأن لا تسمي هذا نسخا بل سمه بما تشتهي إذا كان المعنى محفوظا ، واما ان تقول بمحضر اصحابك المنصفين لا بمحضر غيرهم من المتعصبين ان الحيوانات التي نجستها التوراة وحرمت أكل لحمها لم يبدل حكمها في العهد الجديد بالطهارة والإباحة ولا يدل كلام الرسل ولا كلام «بولس» على شيء من ذلك بل ان حكمها المذكور في التوراة باق على حاله لم يرفع ولم يبدل ، فإن ردوا عليك وقالوا لك إذا فمن اين جاءت الإباحة العامة والطهارة العامة في الديانة النصرانية الرائجة بين جميع النصارى في أجيالهم ، فتنبه من غفلتك وأعد النظر في كل ما قلته في كتابك وانب الى الحق وان اتفقوا على تصديقك فقل فيما بينهم متحمسا بملء فمك متناسيا لما قدمناه من أمثلة النسخ.

كما كتبته في كتابك «٤ ج ص ١٥٦ و ١٥٧» ان الديانة الصحيحة منزهة عن وصمة النسخ ، وان الله العالم بالظاهر والباطن وأميال الناس وأحوالهم أنزل كتابه المقدس منزها عن الناسخ والمنسوخ ، ثم اضرب ما تشتهي من الأمثال

والهج في مجلسك بقولك ، وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ.

نعم : لا تقل ذلك بمحضر المتعصبين المطلعين على العهد الجديد الذين يعطون الكلام حقه في اخذ معانيه على النهج العقلاني في المحاورات خصوصا الكلام المنسوب إلى الإلهام ، ولا يجعلون صريحه رموزا جزافية على مقتضى شهواتهم فإنهم يحضرون لك من العهد الجديد نسخا عديدة من تراجمكم ومطابعكم ويرونك ويقرءونك ما في حادي عشر الأعمال عن وحي «بطرس» ٥ أنا كنت في مدينة يافا اصلي فرأيت في غيبة رؤيا اناء نازلا مثل ملاءة عظيمة مدلاة بأربعة اطراف من السماء فأتى إلي ٦ فتفرست فيه متأملا فرأيت دواب الارض والوحوش والزحافات وطيور السماء ٧ وسمعت صوتا قائلا لي قم يا بطرس اذبح وكل ٨ فقلت كلا يا رب لأنه لم يدخل في فمي قط دنس او نجس ٩ فأجابني صوت ثانيا من السماء ما طهره الله لا تنجسه أنت ١٠ وكان هذا على ثلاث مرات. وفي خامس عشر الأعمال عن حكم الرسل وكتابتهم بعد الاجتماع والمشورة ٢٨ لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ان لا نضع عليكم ثقلا اكثر غير هذه الأشياء الواجبة ٢٩ ان تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنى.

وعن «بولس» في رابع عشر رومية ١٤ اني عالم ومتيقن في الرب يسوع ان ليس شيء نجسا لذاته إلا من يحسب شيئا نجسا فله هو نجس ٢٠ كل الأشياء طاهرة. وفي رابع «تيموثاوس» الاولى ٤ لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شيء إذا اخذ مع الشكر ٥ لانه يقدس بكلمة الله والصلاة.

وفي أوّل «تيطس» ١٤ لا يصغون الى خرافات يهودية ووصايا اناس مرتدين عن الحق ١٥ كل شيء طاهر للطاهرين ، واما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهرا بل قد تنجس ذهنبهم أيضا وضميرهم ، أفنقول بعد هذا وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ؟. إلا ان ينقذ في ضميرك شيء من هذا المنقول عن الرسل لأجل تعاضد

ظهوره في التنديد بالشرعية السابقة وتبكيته على حكمها بالتحريم والتنجيس كما يعطيه قولهم ما طهره الله فلا تنجسه أنت ، ليس شيء نجسا بذاته كل الاشياء طاهرة كل خليفة الله جيدة لا يصغون إلى خرافات يهودية إلى آخره.

وفي ثاني «كولوسي» ٢٠ إذا ان كنتم قد متم مع المسيح عن اركان العالم فلما ذا كأنتك عائشون في العالم تفرض عليك فرائض ٢١ لا تمس لا تذق ، ولا تجس ٢٢ التي هي جميعها للفناء في الاستعمال حسب وصايا وتعليم الناس؟ وسيأتي إن شاء الله ما يشبه هذا.

٤١ و ٤٢ و ... الذبائح وأحكام الكهنة

ذكرت التوراة احكاما كثيرة في الذبائح والمحرقات وأحكام الكهنة هارون وبنيه في أجيالهم «انظر الى الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر الخروج وإلى سفر اللاويين بتمامه» وقد رفعت هذه الأحكام كلها وبذلت بمقتضى المكتوب في العهد الجديد عن الرسل انظر أقلا من السابع الى نهاية العاشر من رسالة العبرانيين.

ولقد شذ الكلام هاهنا بالمتكلف «انظر يه ٤ ج ص ١٧٧ - ١٨١» وكان الذي عليه ان يجيب بإحدى كلمتين ، اما ان يقول ان الأحكام المشار إليها لم ترفع بل هي باقية في شريعة الحق على ما كانت عليه الى الآن ، واما ان يقول انها رفعت من زمان الرسل كما يقول العهد الجديد لأجل حصول الغاية التي كانت تلك الأحكام ترمز وتشير إليها ، ودعه يقول بعد هذا فلا ناسخ ولا منسوخ في كتب الله.

٤٣ و ... السبت والأحد والسابع والأول

لا يخفى ان يوم الأحد هو اليوم الأول من الاسبوع كما يشهد به اسمه وانظر «مت ٢٨ : ١ ومر ١٦ : ٢ و ٩ ولو ٢٤ : ١ و يو ٢٠ : ١ و ١٩». ويوم السبت هو اليوم السابع من الاسبوع وهو الذي استمر من لم يرتد الى الوثنية من بني اسرائيل على تعظيمه وتقديسه والاستراحة فيه حسب الوصية من عهد موسى الى الوقت الحاضر ، وكذا المؤمنون بالمسيح وخواصه إلى حادثة الصليب «انظر

لو ٢٣ : ٥٦» ولم يذكر ان المسيح أبطله ، وإنما عارضه اليهود إذ شفي فيه المرضى فجعلوا ذلك منه نقضا للسبت ، وقد أخطئوا ولم يتدبروا ان مثل هذا لا يعد من الأعمال المحرمة في السبت ولا يكون نقضا له ، ولذا احتج عليهم المسيح بذلك «انظر مت ١٢ : ٣ و ١١ و ١٢ ولو ١٣ : ١٥ و ١٦».

نعم : نقض النصارى حكمه المؤكد في مواضع كثيرة من التوراة وصرح بنسخ حكمه ورفع ما عن «بولس» في ثاني «كولوسي» ١٦ فلا يحكم عليكم أحد في أكل ولا شرب او من جهة عيد أو هلال أو سبت.

وفي رابع غلاطية في صرف انظار الغلاطيين عن الناموس بعد ان ذكر في الثالث ما ذكر قال ٩ وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالبحري عرفتم من الله فكيف ترجعون أيضا الى الاركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون ان تستعبدوا لها من جديد ١٠ أتحفظون أياما وشهورا وأوقاتا وسنين ١١ أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثا.

وقد أطل المتكلف هاهنا «انظر يه ٤ ج ص ١٧٣ - ١٧٥» وحاصل ما عنده ان الله يطلب من الانسان سبع وقته ، وان معنى السبت الراحة وهو ينطبق على أول الاسبوع كما ينطبق على سابعه وقد تخصص يوم السبت بيوم قيامة المسيح وهو يوم الأحد ومعنى الوصية السابقة في التوراة هو ان نحفظ سبع وقتنا فلم يقل «يعني الله جل اسمه» اذكر اليوم السابع لتقدسه ، وكذا لم يقل الكتاب ان الرب بارك اليوم السابع بل قال ان الرب بارك يوم السبت وقده «انظر ص ١٧٤ س ٣ و ٤».

أقول : «أو لا» بعد الإغماض عما هو معلوم نسأل المتكلف ان السبت الذي في شريعة التوراة هل كان معينا باليوم السابع أو مخيرا فيه بين أسباع الاسبوع وأيامه او مخيرا فيه بين اليوم الأول والسابع ، فإن كان معينا باليوم السابع كان تبديله بيوم آخر وهو الأول نسخا ان كان التبديل عن وحي وإلا كان ضلالا ، وإن كان مخيرا فيه بين أسباع الاسبوع كان أيضا تعيينه بيوم الأحد نسخا لحكم التخيير أو ضلالا ، وكذا ان كان مخيرا فيه بين الأول والسابع.

«وثانيا» ان النظر في التوراة الرائجة يكشف عن ان المتكلف لم ينظر إليها

أو لم يفهم ما فيها أو انه قد أقدم على التمويه اقتحاماً وغروراً من دون نظر الى العواقب.
فإن نص التوراة في ثاني التكوين ١ فأكملت السموات والارض وكل جندها ٢ وفرغ
الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل
٣ وبارك الله اليوم السابع وقدسسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً.
انظر الأصل العبراني والتراجم وفكر في نفسك واطلب من الله هداً ونجاة نفسك التي
هي اعز الأنفس عليك ، ولا تقل إذا كيف يقول المتكلف «لم يقل الكتاب ان الرب بارك
اليوم السابع» ولا تقل كيف يكون هذا وقد طبع كتاب المتكلف بمعرفة المرسلين الامريكان ،
ولا تقل «شنشنة اعرفها من اخزم» فإن هؤلاء لهم وظائف يخدمونها ، وقد درّت أرزاق
الجمعيات وتوفرت الأموال ، وأمنوا وبال العواقب ، وزيادة على هذا قد باعوا هذا الكتاب
بالذهب فعليك بنفسك.

وفي العشرين من الخروج ٨ اذكر يوم السبت لتقدسسه ٩ ستة أيام تعمل وتصنع جميع
عملك ١٠.

وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة للرب إلهك لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك
وعبدك وامتك وبهيمنتك ونزيلك الذي داخل أبوابك ١١ لأن في ستة ايام صنع الرب السماء
والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسسه ،
ونحوه في الحادي والثلاثين من الخروج أيضاً «١٢ . ١٨».

ولا يخفى على الفاهم والغبي اذا نظر الى مجموع ما ذكرناه هاهنا عن ثاني التكوين
والعشرين من الخروج ان يوم السبت الذي أوصت التوراة بتقديسه والاستراحة فيه إنما هو
اليوم السابع الذي ذكرت التوراة نفسها في شأنه في ثاني التكوين ان الله بارك اليوم السابع
وقدسه لأنه استراح فيه من عمله. ثم ذكرت في العشرين من الخروج لأن في ستة ايام صنع
الرب السماء والأرض والبحر وكل

ما فيها واستراح في اليوم السابع ، لذلك بارك الرب يوم السبت «اي يوم الراحة» وهو السابع كما يفهمه من هذا الكلام كل احد.

٤٤ و ... الناموس والعهد الجديد

لا كلام للنصارى في أن الله أنزل على موسى شريعة مدونة في كتاب اسمه التوراة واتفقوا على ان ذلك الكتاب هو أسفار التوراة الخمسة الموجودة بأيدي الناس بلا زيادة ولا نقصان ، وفيها ان الله يكلم موسى بالشريعة وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه «خر ٣٣ : ١١» وفما الى فم وعيانا لا بالألغاز «عد ١٢ : ٨» وفيها عن قول الله فتحفظون فرائضي وأحكامي التي إذا فعلها الإنسان يحى بها «لا ١٨ : ٥».

وعن قول موسى الإلهامي وأي شعب هو عظيم له فرائض واحكام عادلة مثل كل هذه الشريعة التي أنا واضع إمامكم اليوم «تث ٤ : ٨».

وفي المزمور التاسع عشر ٧ ناموس الرب كامل.

وفي المزمور المائة والتاسع عشر ٩٣ إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بها احيتني ١٤٢ وشريعتك حق و ١٥١ قريب أنت يا رب وكل وصاياك حق ١٢٨ وفي كل شيء مستقيمة.

وفي العشرين من حزقيال ١١ وأعطيتهم فرائضي وعرفتهم أحكامي التي ان عملها الإنسان يحى بها.

وانظر الى عدد ١٣ و ٢١ وفي تاسع نحيا ١٣ وأعطيتهم أحكاما مستقيمة وشرائع صادقة فرائض ووصايا صالحة ، وفي ثاني ملاخي ٤ فتعلمون اني ارسلت إليكم هذه الوصية لكون عهدي مع «لاوي» قال رب الجنود ٥ كان عهدي معه للسلام والحياة وأعطيته اياهما للتقوى فاتقاني ومن اسمي ارتاع هو شريعة الحق كانت في فيه.

وفي خامس «متى» عن قول المسيح ١٧ لا تظنوا اني جئت لأنقض الناموس او الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل . ١٩ ، فمن نقض إحدى هذه

الوصايا الصغرى وعلم الناس ، هكذا يدعى اصغر في ملكوت السموات.

وفي الثالث والعشرين أيضا ١ حينئذ خاطب الجموع وتلاميذه ٢ قائلا على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون ٣ فكل ما قالوا لكم ان تحفظوه فاحفظوه وافعلوه.

وقد سمعت عن الرسل أقوالهم في نسخ أحكام التوراة نسخا يقارب ملاشاتها ، وقد جاءت المجاهرة بملاشاتها فيما عن «بولس» في عاشر العبرانيين ٩ ينزع الأول ليثبت الثاني.

وفي ثالث «غلاطية» ١٣ المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ٢٣ ولكن قبل ما جاء الإيمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقا علينا الى الإيمان العتيد ان يعلن ٢٤ إذ قد كان الناموس مؤدبنا الى المسيح لكي نتبرر بالإيمان ٢٥ ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب ، وهذا كلام ليس فيه خدشة بشرف التوراة بل غاية ما فيه انه ادعى وجهها لملاشاة احكامها والاطلاق المريح من القيود الباهظة للأميال والشهوات ، ولكن قد تقدم قريبا عن رابع «غلاطية» ٨ . ١١ ما يشير إلى التوراة ويبين انها أركان ضعيفة فقيرة.

وتقدم قبله عن ثاني «كولوسي» ٢١ و ٢٢ ما مضمونه ان الحكم بنجاسة بعض الأشياء وحرمة أكلها إنما هو من وصايا الناس وتعليمهم ومن الفرائض التي جميعها للفناء.

وتقدم قبل هذا أيضا عن أول «تيطس» ١٤ ما مضمونه ان الحكم بنجاسة بعض الاشياء هو من الخرافات اليهودية ووصايا المرتدين عن الحق.

وفي سابع العبرانيين ١٨ فانه يصير ابطال الوصية السابقة من اجل ضعفها وعدم نفعها ١٩ إذ الناموس لم يكمل شيئا.

وفي ثامن العبرانيين أيضا ٧ فانه لو كان الاول بلا عيب لما طلب موضع لثان ١٣ فإذا قال جديدا فقد عتق الأول ، وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال ، وفي هذا المقدار كفاية وإن كان في الرسائل المنسوبة إلى «بولس» في العهد الجديد أضعاف ذلك ، على انه مناقض لما عن قول «بولس» نفسه في

ثالث «تيموثاوس» الثانية ١٦ كل الكتاب موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر ١٧ ليكون إنسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح.

«تنبيه» ان ما ذكرناه عن «بولس» في «رومية» و «غلاطية» إنما كان خطاباً لليهود المؤمنين بالمسيح لينصرفوا عن العمل بالناموس ، هذا وقد فر المتكلف هاهنا كعادته الى سر الفداء «انظر يه ٤ ج ص ١٨٣ و ١٨٤» وكأنه لا يدري انه لا ينفعه الفرار إذ لا بد من ان يقال له ان احكام الناموس هل كانت باقية على «بولس» واتباعه أم ارتفعت ولو لأجل سر الفداء ولا بد أن يقول بالثاني وهو النسخ فإن ما عن «بولس» يصرح بأن المسيح نقض العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض «اف ٢ : ٥» لأنه ان تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس «عب ٧ : ١٢».

٤٥ و ٤٦ و ٤٧ ... الرسل وبولس وما ذبح للأوثان والمخنوق والدم

قد تقدم عن خامس عشر الأعمال عن الرسل انهم بعد ما رفعوا قيود التوراة وثقلها ونسخوها بمشورتهم أبقوا منها أربعة أشياء اوجبوا الامتناع عنها وهي ما ذبح للأوثان ، والدم والمخنوق والزنى «اع ١٥ : ٢٨ و ٢٩» وقد رفع ما عن «بولس» وجوب الامتناع عن ثلاثة منها بعموم قوله كل شيء طاهر للطاهرين ، وكل خليفة الله جيدة ولا يرفض شيء منها إذا اخذ مع الشكر وغير ذلك مما تقدم ولكنه اضطرب كلامه في خصوص ما ذبح للأوثان ، فتارة رجح الامتناع عنه من اجل ضمير الأخ الضعيف «١ كو ٨ : ١ - ١٣».

وتارة منع منه بقوله : «إنما يذبحونه للشيطان فلست اريد ان تكونوا أنتم شركاء الشياطين لا تقدرون ان تشاركوا في مائدة الرب ، ومائدة شياطين أم نغير الرب أعلننا أقوى منه «كو ١٠ : ٢٠ - ٢٣» ثم قال بعد ذلك لما ذا يحكم في حريتي من ضمير آخر فإن كنت انا أتناول بشكر فلما ذا يفترى علي لأجل ما اشكر عليه «١ كو ١٠ : ٢٩ و ٣٠».

«تنبيه» اعلم ان الاصطلاح الأغلب او الغالب هو ان النسخ رفع الله للحكم الشرعي بعد وقت العمل به وقد ذكرنا في الجدل أمثلة ما وقع منه في العهدين وهي وان عددناها سبعة وأربعين مثالا على سبيل الاجمالي لكنها تنحل إلى ألوف من الأمثلة وبقيت هاهنا أمثلة من العهدين منها ما لا تدل الواقعة المذكورة على ان رفع الحكم فيها كان قبل وقت العمل. وصاحب «اظهار الحق» جعل هذين القسمين من النسخ ولا مخالفة بينه وبين الاصطلاح الأغلب إلا في أمر اصطلاحى يرجع الى مجرد التسمية. وعلى كل حال فما سنذكره من الأمثلة المقدمة في توهم المنع والمكابرة بدعوى الجهة المانعة بل هي أولى بالامتناع بحسب مزاعم المتكلف لأن رفع الحكم فيها لم يمض له زمان كثير من حين تشريعه ، ومنه ما لا يبلغ الساعة والساعتين والمتكلف يتضجر ويشدد النكير على رفع الحكم قبل ان تمضي لتشريعه مدة طويلة «انظر يه ٤ ج ص ١٨٤ س ١٠ - ١٤» ، بل ان سوق كلامه المشار إليه وما قبله يعطي انه يجوز رفع الحكم بل ملاشاة الشريعة السابقة بعد الف وخمسمائة سنة ، ولا يجوز بعد شهر او يوم ، فهذه الأمثلة حجة عليه وعلى المتعرب في كلامه «ذ» «ص ٤٦ س ١٤ - ص ٤٧ س ٢» ولكنهم لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية ، وهاك ما نذكره من الأمثلة.

١ . نوح والحيوانات

جاء في سادس التكوين عن قول الله لنوح ١٨ ولكن اقيم عهدي معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامراتك ونساء بنيك معك ١٩ ومن كل حي كل ذي جسد اثنين من كل تدخل الفلك لاستبقائها معك تكون ذكرا وانثى ٢٠ من الطيور كأجناسها ، ومن البهائم كأجناسها ، ومن كل دبابات الارض كأجناسها اثنين من كل تدخل إليك لاستبقائها.

وفي سابع التكوين أيضا ١ وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك لأنى اياك رأيت بارا في هذا الجيل ٢ من جميع البهائم الطاهرة معك سبعة سبعة ذكرا وانثى ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكرا وانثى ٣ ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وانثى لاستبقاء نسل على وجه كل الارض ، فقد تبدل

في شريعة الله لنوح حكم البهائم الطاهرة وطيور السماء ورفع حكمها الأول وهو إدخال اثنين منها وبديل بحكمها الثاني وهو إدخال سبعة سبعة.

وفي سابع التكوين أيضا ١٣ في ذلك اليوم الذي عينه دخل «نوح» و «سام» و «حام» و «يافث» بنو نوح وثلاث نساء بنيه معهم الى الفلك ١٤ هم وكل الوحوش كأجناسها ، وكل البهائم كأجناسها ، وكل الدبابات التي تدب على الارض كأجناسها ، وكل الطيور كأجناسها ، كل عصفور كل ذي جناح ١٥ ودخلت الى نوح اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة ١٦ والداخلات دخلت ذكرا وانثى من كل ذي جسد كما أمره الله. وهذا الخبر يوافق الحكم الأول ويخالف الحكم الثاني فهل هو كاشف عن حكم ثالث رافع للثاني أو كاشف عن ان الأول هو الحكم الثاني والثاني هو المنسوخ او ...

وقد حاول المتكلف ان يفر من هذا الاختلاف الى غير النسخ فقال «يه ١ ج ص ١٨٦ و ٤ ج ص ١٩٢» ان الأمر الأول كان على وجه الاجمال بأن قال له خذ لك زوجين من كل البهائم والطيور ولم يبين إذا كانت طاهرة او غير طاهرة ثم اوضح بعد ذلك بـسـطـريـن بأن يأخذ من الطاهرة سبعة لاستبقائها ولتقديم الذبائح منها فهو تفصيل بعد إجمال وتقييد بعد اطلاق ولك ان تجعله من الجمع ثم التقسيم وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه او الجمع مع التفريق والتقسيم.

أقول : لا يخفى ان التفصيل بعد الاجمال او التقسيم بعد الجمع او الجمع مع التفريق والتقسيم إنما هو ان يأتي الكلام مجملا مبهما في بعض مضامينه من حيث المقدار او النوع او الكيفية ونحو ذلك فيأتي الكلام الثاني مبينا ومفصلا لإبهام الأول من دون مضادة لمضمونه كما يقول القائل ارسل العسكر مع ابهام الكيفية ثم يفصلها ويقسمهم بقوله ارسل امراءهم ركبانا وسائرهم مشاة ، او يقول ادخل الى الفلك من كل الحيوانات فيبهم المقدار ثم يفصله ويبينه بقوله ثانيا.

ادخل من الطاهر والطيور بأجناسها من كل سبعة ومن غيرهما من كل اثنين ، وأما اذا قال من كل جنس اثنين فقد بين العدد ولم يبهمه ، فاذا قال بعد

ذلك ادخل من الطاهر والطير سبعة سبعة ومن غيرهما اثنين اثنين فلا يكون ذلك من الإجمال والتفصيل او الجمع والتقسيم ، كما لا يخفى على من يفهم معاني هذه الألفاظ ، وذلك لأجل المضادة في الكلام الثاني مع الأول من حيث العدد وتوضيح المقام هو ان وجوه التوفيق المدعاة بين الكلامين هاهنا هي ثلاثة :

الأول : التفصيل والتقييد بعد الاجمال والاطلاق وقل التقسيم بعد الجمع او الجمع مع التقسيم والتفريق ، ولكن هذا النحو هاهنا موقوف على كون الكلام الأول مجملا مبهما مطلقا من حيث العدد وذلك بأن نجعل قوله اثنين منسلخا عن معنى العدد بل هو بمعنى ذكر وانثى وإن كانت الفا فيأتي قوله سبعة واثنين بيانا وتقسيما لما ابهم من عدد الطيور والبهائم الطاهرة وغيرها وقل حينئذ انه تفصيل بعد الإجمال إلى آخره ، ولكن هذا الوجه باطل لأمر اما «أو لا» فلانه لم يسمع في كلام العقلاء استعمال لفظ اثنين منسلخا عن معنى العدد فهل سمعت عاقلا يقول أكلت من الطيور اثنين وهو لا يريد العدد بل يريد ذكرا وانثى وإن كانت عشرة ، وأما «ثانيا» فلأنه قد صرح وبين الاثنين ذكرا وانثى وكانت ذكرا وانثى ، وأما «ثالثا» فلأن كل فاهم لما يسمع ويقرأ ليفهم ان المتكرر خمس مرات من قوله ذكرا وانثى إنما هو بيان لإجمال المعدود بالعدد المبين في الكلامين على حد سواء.

«الوجه الثاني» : العموم والخصوص بأن يكون قوله في الأمر الأول من كل ذي جسد اثنين ، وكذا قوله اثنين من كل تدخل إليك عاما للطير والطاهر وغيره فخصه الكلام الثاني ببيان ان الطاهرة والطير يدخل منها سبعة وهذا خطأ منشأ الخبط والخلط بين التخصيص والنسخ فإن التخصيص إنما هو إخراج بعض افراد العام عن الحكم قبل وقت العمل به ، أما رفع الحكم عن جميعها فهو النسخ ولا يمكن البناء هاهنا على التخصيص في حكم الطيور لأنه حكم في الأمر الأول بأن يدخل من الطيور بأجناسها اثنين من كل جنس وحكم في الأمر الثاني على الطيور بأجناسها بأن يدخل منها سبعة سبعة فلا يكون حكم الطيور في الأمر الثاني تخصيصا لحكما في الأمر الأول أو بالعكس وذلك لأجل تساوي الموضوعين في الكلام ، فليس أحدهما أعم والثاني أخص كما هو شرط العموم

والخصوص وما هو إلا النسخ رضي المتكلف أو ابى.

«الوجه الثالث» : النسخ ولا أقل من لزومه في حكم الطيور ، وهو كاف في المطلوب.

ثم نقول مداعبة للمتكلف «أفق» فإن الأمر الأول والأمر الثاني في الداخل الى الفلك كانا في زمان نوح قبل الطوفان فكان عليك ان تبين الزمان الفاصل بين مجملهما ومفصلهما كما تزعم هل كان يوما او سنة او عشرة ، ولم يكن صدور الأمرين بكتابة التوراة ليكون ورود التفصيل بعد الاجمال بسطرين.

ولقد أطلنا الكلام حرصا على إيضاح الحقائق والتنبيه على مواقع الخطب لا على المثال فإن فيما ذكرنا كفاية.

٢ . امتحان الله لابراهيم

في الثاني والعشرين من التكوين ١ وحدث بعد هذه الامور ان الله امتحن ابراهيم فقال له : يا ابراهيم فقال ها أنا ذا ٢ فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق واذهب الى ارض المريا واصعده هناك محرقة على احد الجبال الذي اقول لك ، ومعنى المحرقة ان يذبحه ويحرقه قربانا لله كما يدل عليه باقي الكلام إلى ان قال ٩ فلما أتيا الموضع الذي قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضع على المذبح فوق الحطب ١٠ ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه ١١ فناداه ملاك الرب من السماء وقال ابراهيم ابراهيم فقال ها انا ذا ١٢ فقال لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا فرفع ما تقدم من الأمر بالذبح والاحراق بإصعاد اسحق محرقة. وقد صرح إظهار الحق بأن هذا المثال من النسخ قبل العمل الكاشف عن كون الأمر الأول امتحانيا.

ومن الظرائف ان المتكلف توهم ان مراد إظهار الحق كون النسخ هاهنا في ذات نقل التوراة لقصة ابراهيم هذه فأخذ ينكر عليه بعد فضول من الكلام «يه ٤ ج ص ١٨٥ و ١٨٦» ويعترض عليه بقوله في اوائل بحث النسخ بأن النسخ لا يطرأ على القصص.

أقول : وان لسان الحال من إظهار الحق ليقول للمتكلف يا أيها الرجل

الذي لم يسمح لنفسه ببقاء صفة جميلة لها اني اقول كما قلت في أول مبحث النسخ ان النسخ لا يطرأ على القصص ، وكل من يميز الكلام يعرف ان مرادي هو ان القصة من حيث انها قصة وحكاية لا تكون ناسخة ولا منسوخة ، لأن النسخ إنما هو في الأحكام الإلهية ، واني لم اقل ان ذات قصة التوراة ناسخة او منسوخة بل قلت ما لا يخفى حتى على الاغبياء.

ان قصة التوراة نقلت ان الله أمر ابراهيم بذبح ابنه محرقة ثم رفع هذا الحكم وبذله ونسخه قبل العمل ، فقل أيجوز رفع الحكم الأول وتبديله لكونه محدودا بمصلحة الامتحان لكي نقول لك إذا فكل حكم محدود بمصلحته فإذا انتهى حده يبطله الله ويجعل مكانه ما تقتضيه المصلحة الاخرى وهذا هو النسخ أم تقول انه لا يجوز رفع الحكم الأول وان كان محدودا بمصلحة الامتحان والتوراة كاذبة أو غالطة في نقلها لذلك ، فإنه لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان «عب ٨ : ٧».

وأعلم ان خبيث القول وبذي اللسان لينقصان من فضيلة الصواب وحسن الفطنة ، فكيف بهما إذا تعقبا شطط الباطل وخبط الجهل ، وكم وكم اوصى العهد الجديد بالسلام والوداعة ، والطهارة ، أحشفا وسوء كيله ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون.

٣. عمر اللاوي الموظف للمسكن

ذكرت التوراة العبرانية في رابع العدد «٤٧ . ٣» في سبعة موارد حكم الله بأن اللاوي الموظف لخدمة المسكن يكون من ابن ثلاثين سنة الى خمسين وذكرت أيضا في ثامن العدد «٢٤ و ٢٥» حكم الله بأن الموظف المذكور يكون من ابن خمس وعشرين سنة الى خمسين ، فأحد الحكمين تبدل الى الآخر لا محالة ، فإن كان بعد العمل بالأول فهو النسخ بالاصطلاح الغالب. وإن كان قبل العمل فهو نسخ أيضا باصطلاح إظهار الحق وجماعة. وعلى كل حال فإن الجهات التي يتشبهون بها لامتناع النسخ جارية في هذا سواء سميناه نسخا او لم نسمة.

قال المتكلف «يه ٤ ج ١٩١ و ١٩٢» كان اللاويون في عصر موسى

يخدمون من سن (٢٥) في الخدم الخفيفة اما وقت مهمات نقل خيمة الاجتماع الثقيلة في أثناء ارتحالهم فكان يلتزم الحال الى رجال أقوى فاختلفت العبارات لاختلاف الاعتبارات ، ومما يؤيد ذلك انه بعد ان بني الهيكل خف العمل وقبل في خدمة الرب من كان عمره نحو ٢٠ سنة فقط ، فربنا وضع كل شيء في محله فعين الأعمال الشاقة للأشداء الذين في عنفوان شبابهم ، والأعمال الخفيفة لغيرهم فلا ناسخ ولا منسوخ.

قلنا : ان من يلتزم بأن كتابة التوراة مرتبة على ترتيب نزولها فلا بد له من أن يقول ان حكم الله المتقدم هو كون الموظف لخدمة المسكن من كان ابن ثلاثين سنة الى خمسين وقد عداهم موسى على هذا المنوال فكان المعدودون ثمانية آلاف وخمسمائة وثمانين «عد ٤ : ٤٦ . ٤٩» .

وفي سابع العدد «١٠ . ١» ان موسى اعطى القرايين التي قدمت بعد إقامة المسكن للاويين الموظفين للخدمة حسب أمر الله ، وانهم تطهروا وكفر عنهم هارون وأتوا إلى خدمتهم كما أمر الرب «عد ٨ : ٢١ و ٢٢» وبعد ذلك كله ذكرت التوراة ان الله كلم موسى قائلاً : هذا ما للاويين من ابن خمس وعشرين سنة فصاعدا يأتون ليتجنّدوا أجنادا في خدمة خيمة الاجتماع. ومن ابن خمسين يرجعون من جند الخدمة ولا يخدمون بعد يؤازرون اخوتهم في خيمة الاجتماع لحرس حراسة ، لكن خدمة لا يخدمون «عد ٨ : ٢٣ - ٢٦» .

فإن كان المتكلف يلتزم بأن ترتيب كتابه على ترتيب حوادثه فعليه أن يقول ان الحكم المذكور اخيرا هو المتأخر في التشريع وله ان يقول ان الحكمة في ذلك هو انه لما قرب ارتحال بني اسرائيل وكانت خيمة الاجتماع الى عمل كثير في الارتحال والنزول رفع الله الشريعة الاولى و اضاف الى المعدودين من كان ابن خمس وعشرين سنة الى ثلاثين ليساعدوهم في الخدمة كما شرع ان يساعدهم في الحراسة ابناء الخمسين فما فوق. هذا وان كان لا يلتزم المتكلف بأن كتابة التوراة على ترتيب حوادثها فلا تقبل دعواه ان شريعة الخمس وعشرين سنة هي المقدمة إلا بدليل يدل على ذلك.

ثم نقول : ن اراد المتكلف بما ذكرنا من كلامه هو التخلص من تبديل احد

الحكمين بالآخر بل يدعي انه لم تكن إلا شريعة واحدة ، وهو كون الموظفين للخدمة من ابن خمس وعشرين سنة الى الخمسين ولكن يختص ابناء الثلاثين فما فوق بالخدمة الشاقة.

قلنا : لا يكاد يفهم ذلك من التوراة إلا بطريقة الرمز الجذافية التي يهرب إليها المتكلف. مع ان الدعوى المعهودة هي ان العهد القديم رمز للعهد الجديد. لا ان التوراة ترمز الى احكامها ، مع ان التوراة تجبهه بالرد لتصريحها في الأول بأن جميع اللاويين الذين عددهم موسى وهارون وكل الداخلين ليعملوا عمل الخدمة كانوا من ابن ثلاثين سنة الى خمسين عد ٤ : ٤٦ - ٤٩ : وان التزم المتكلف بتبديل احد الحكمين المذكورين بالآخر وفر الى قوله اختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فانا لا نضايقه في التسمية بل نقول في النسخ ان المصالح قد تتغير وربنا يضع كل شيء في محله واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات.

«ومن ورطات المتكلف» قوله ولما بنى الهيكل خف العمل وقبل في خدمة الرب من كان عمره نحو ٢٠ سنة فقط ، فينبغي ان يوقظ ويقال له ان توظيف ابن العشرين سنة قد جعلت شريعته في ايام «داد» انظر ١ اي ٢٣ : ٢٤ - ٢٨ وكان ذلك قبل بناء الهيكل بما يزيد على احدى عشرة سنة. فإن الهيكل شرع في بنائه «سليمان» في السنة الرابعة لملكه وكمل بنائه في السنة الحادية عشرة «انظر ١ مل ٦ : ١ و ٣٧ و ٣٨». ولم يجيء في العهد القديم ذكر لشريعة توظيف ابن العشرين سنة بعد ما ذكرنا لا في ايام «سليمان» ولا ما بعده إلا في ايام «عزرا» بعد سبي بابل «عز ٣ : ٨».

فإن سألت وقلت ان للمتكلف طريقا في التخلص عن هذا المثل للنسخ وذلك بأن يقول : ان كل ما جاء في النسخة العبرانية في رابع العدد بتحديد عمر اللاوي الموظف بثلاثين سنة إلى خمسين قد جاء بدله في الترجمة السبعينية تحديده من الخمس وعشرين سنة إلى خمسين وان الترجمة السبعينية ذكر انها كانت في غاية الاعتبار كما اشرنا إليه صحيفة ٥ ونوه بها المتكلف «يه ٤ ج ص ٩٠ - ٩٢» فبناء عليها لا مخالفة بين رابع العدد وثامنه في هذا الحكم ، فلما ذا لم

يسلك المتكلف هذا الطريق في الفرار عن إلزام اظهار الحق.

قلنا : لو ان المتكلف يلتفت الى هذا التخلص لما تشبث به لأنه يبين عليه ما يكابر في ستره ، وهل كيف يسمح بأن ينبه على مثل هذا الاختلاف الباهظ بين العبرانية والسبعينية مع انه يقول تارة ان الأصل العبراني هو المعول عليه «يه ٤ ج ص ١٦» .
ويحامي عن دعوى تواتره في كثير من كتابه وتارة ينوه بالترجمة السبعينية ويجعلها هي المعتمد لليهود والمسيح والرسول ويجعل تواريخها شاهدة لتواتر التوراة «يه ٤ ج ص ٩٠ . ٩٢» .

فإن قلت : وأيضا يصادمه ما في الثالث والعشرين من الأيام الأول ١ و ٢ فإن فيه ان «داود» لما شاخ وملك ابنه «سليمان» عد اللاويين للمناظرة على بيت الله من ابن ثلاثين سنة «قلت» لا يتوقف المتكلف لأجل ذلك ولو تعلق له غرض بتقديم السبعينية هاهنا لقال غير مبال ان «داود» أخطأ وخالف الشريعة فعاقبه المولى ، بل لا بد له ان يقول ذلك فإنه قال فيما تقدم من كلامه ان توظيف ابن الثلاثين في زمان موسى كان لقرب ارتحال بني اسرائيل وحاجة نقل الخيمة إلى رجال أقوياء قربنا وضع كل شيء في محله ، وان عد «داود» من ابن الثلاثين سنة كان في زمان الاستراحة وعدم الحاجة الى نقل المسكن فهو في غير محله ، وربنا وضع كل شيء في محله .

٤ . حزقيال وتكليفه

في العهد القديم ان الله جل شأنه امر نبيه «حزقيال» بأن يأكل كعكا من خبز الشعير يخبزه أمام عيون بني اسرائيل على الخبز الذي يخرج من الانسان لأنه هكذا يأكل بنو اسرائيل خبزهم النجس بين الامم ، فاستغاث «حزقيال» الى الله فرفع عنه هذا الحكم وبدله بغيره وقال له انظر قد جعلت لك خثي البقر بدل خبز الانسان «حز ٤ : ١٢ . ١٦» .

اجاب المتكلف «يه ٤ ج ص ١٩١» بعد ان ذكر نبوة «حزقيال» بضيق بني اسرائيل «حز ٤ : ١٧» فقال فالنبي استغاث الله فأجاب صلواته وحقق طلبته ،

وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ ، ولو لا ضيق المقام لزدنا الكلام وعلى المطالع أن
يمعن النظر في هذه الآيات فيجد بطلان دعوى المعارض.

أقول : فيا أيها المطالع سألتك بفضيلة الكمال وزينة الأدب ان تطالع كل الرابع من
«حزقيال» وإن شئت فكل كتاب «حزقيال» لتقول أين تجد من ذلك بطلان ما يقوله اظهر
الحق ، فهل في كلام «حزقيال» او في كلام المتكلف برهان على ان حكم الله لم يتبدل في
شأن «حزقيال» أو هل إذا تبدل الحكم بسبب الدعاء لا يكون تبديلا.

وليت شعري ان المتكلف قد استحسن الجواب في هذه المقامات بقوله وعلى كل
حال فلا ناسخ ولا منسوخ ، فلما ذا يتكلف الجواب بغيره.

«تكملة» قال المتكلف به ٤ ج ص ١٥٦ ولعمري ان الناسخ والمنسوخ اذا وجدا في
قانون او دستور أو في كتاب كان اعظم وصمة يوصف بها هذا القانون او الدستور او
الكتاب. ولذا كانت الديانة الصحيحة الحقيقية وكتبها المنزلة منزهة عن هذه الوصمة . ١٥٧ .
فما ذا تقول في ملك الملوك ورب الارباب العليم الحكيم هل يعقل او يتصور ان يأتي بقانون
قابل للنسخ والنقص والتغيير والتبديل كل ساعة او ان لا جرم ان هذا بمنزلة قولنا عن المولى
الحكيم العليم أنه جاهل عديم التروي وعديم التفكير والتبصر . تعالى الله عما يقول الجاهلون
علوا كبيرا . ٥٨ فإن اعمال الله منذ الأزل منزهة عن التناقض والتشويش.

أقول : ليت شعري ما ذا يصنع من يقول هذا الكلام وما ذا يقول فيما ذكرناه عن
العهدين من تبديل احكام الله ونسخها فيما ذكرناه من الامثلة التي ترجع الى ألوف من موارد
النسخ. وما ذا يقول في خصوص امر الله «ابراهيم» بذبح ولده محرقة. وتكليف «حزقيال»
بأن يخبز مأكوله على خبز الانسان وكيف قد تبدل هذان الحكمان ولم يمض عليهما اربعون
سنة ولا الف وخمسمائة سنة ، بل انما مضى عليهما ايام او ساعات ثم تبدلا. وكذا شريعة
«نوح» في ادخال الحيوانات معه الى الفلك.

واستمع أيضا لما نتلوه عليك من العهدين حيث تضمننا ان الله جل شأنه بدل ما وعد
واخبر بأنه قضاء وقدره الى الأبد ، وبطل الحكم الشرعي اللازم لهذا

المقدر الموعد به.

فينحاس وكهنوت نسله الأبدى

فقد ذكرت التوراة في الخامس والعشرين من العدد ١٠ فكلم الرب «موسى» قائلاً ١١ «فيناس» ابن «العازرا» ابن «هارون» الكاهن قد رد غضبي عن بني اسرائيل بكونه غار غيرتي في وسطهم حتى لم افن بني اسرائيل بغيرتي ١٢ لذلك قل ها أنا ذا اعطيه ميثاقي السلام ١٣ فيكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت ابدى.

وجاء في سابع العبرانيين عن «بولس» ١١ فلو كان بالكهنوت اللاوي كمال إذا الشعب أخذ الناموس عليه. ما ذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي «صادوق» ولا يقال على رتبة «هارون» ١٢ لأنه ان تغير الكهنوت فبالضرورة يصير تغير للناموس أيضا.

وانظر إلى بقية الإصحاح ، فليقل المتكلف كيف تغير الكهنوت الذي هو أبدي بوعد الله وقضائه وعطائه وحكمه الشرعي لنسل «فينحاس» وانا لنسأل المتكلف ان الله عند ما وعد واعطى الميثاق بهذا الكهنوت الأبدى لنسل «فينحاس» هل كان عالماً بأن هذا الكهنوت ليس فيه كمال وان الحاجة تمس إلى أن يقوم كاهن آخر من غير اللاويين وانه تعالى شأنه مزعم على ان يغير الكهنوت وينقله من بني «فينحاس» بل «واللاويين» الى كاهن آخر ، فإن أجاب وقال نعم ان الله كان عالماً بذلك كله.

«قلنا» : إذا كيف جوزتم على الله ان يعطي عهداً وميثاقاً بالكهنوت الأبدى لنسل «فينحاس» مع علمه بأن هاهنا الكهنوت ليس فيه كمال ، ومع علمه بأنه ينقض هذا الميثاق ويقع الخلف في الوعد لأجل مسيس الحاجة إلى تغيير الكهنوت وقيام كاهن آخر ليس من نسل «فينحاس».

فإن قال المتكلف : يجوز نقض الميثاق وخلف الوعد الأبدى بعد الف وخمسمائة سنة لأن ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال «عب ٨ : ١٣» قلنا لأن رضىتم لأنفسكم بهذا القول فإن في العهد القديم أيضاً ما يدل على انه وقع

الخلف للوعد الأبدي والتبديل للحكم بعد يوم او ساعة او أقل.

٢ . عالي وكهنوت بيته

ففي ثاني صموئيل الأول ان رجل الله قال لعالي الكاهن عن قول الله ٣٠ لذلك يقول الرب إله اسرائيل اني قلت ان بيتك وبيت أبيك يسيرون أمامي إلى الأبد ، فوعد الله وأخبر بأنه قضى وقدر ان بيت «عالي» وبيت ابيه يسيرون أمامه جل شأنه في وظيفة الكهنوت الى الأبد ، ولكن قال رجل الله أيضا على الأثر ، والآن يقول الرب حاشا لي فإن اكرم الذين يكرموني والذين يحتقروني يصغرون ٣١ ، هو ذا تأتي أيام أقطع فيها ذراعك وذراع بيت أبيك إلى آخر ما يشرح فيه ابتلاءهم وحرمانهم من وظيفة الكهنوت.

ومن الظرائف ان المتكلف أطال الكلام «يه ٤ ج ص ١٧٦» في شأن زوال الكهنوت عن بيت «عالي» ، واعتذر تبعا لكتابه بفسق اولاد «عالي» وقال في قبال إظهار الحق هل مقصود المعارض أن تبقى الإمامة في بيت «عالي» بعد اقتراف ابنه الفسق.

قلنا : هل يخفى على أحد ان حقيقة اعتراض اظهار الحق هو انه كيف قبلتم من كتبكم صراحتها بأن الله اخبر بأنه قضى وقدر أمرا أبديا وهو مقرون بحكم شرعي بل أحكام عديدة ترجع الى وظائف الكهنوت ، ثم ينقض الله هذا القضاء المبرم ويرفع احكامه ، أفنقول : ان الله حين قضى ذلك الأمر المؤبد المقرون بالأحكام الشرعية المؤبدة بتأييده لم يكن عالما بأن ابني «عالي» سيفسقون وإلا لما قضى قضاء أبديا ثم نقضه تعالى الله عن ذلك.

٣ . مملكة شاول

وفي ثالث عشر صموئيل الأول ١٣ فقال «صموئيل» «لشاول» : انحمقت لم تحفظ وصية الرب إلهك التي أمرك بها ، لأنه الآن ثبت الله مملكته على اسرائيل الى الأبد ١٤ ، والآن مملكته لا تقوم انتخب الله له رجلا حسب قبله.

٤ . موت حزقيا وشفأؤه

وفي الثامن والثلاثين من «اشعيا» «١٠٩ و ٢ مل ٢٠ : ١٢» ان «حزقيا» ملك يهوذا مرض للموت فجاء إليه «اشعيا» النبي وقال له : هكذا يقول الرب اوص بيتك لأنك تموت ولا تعيش فصلى «حزقيا» واستغاث إلى الله وبكى فلم يخرج «اشعيا» النبي إلى المدينة الوسطى حتى كان كلام الرب إليه قائلاً : قل لحزقيا هكذا يقول الرب قد سمعت صلاتك ها أنا ذا اضيف إلى ايامك خمس عشرة سنة ، وأعطه علامة برجوع الظل إلى الوراء عشر درجات.

وليت شعري ما ذا يقولون هاهنا؟ أيقولون : ان قول الله وأخباره بأن «حزقيا» يموت ولا يعيش كان عن مشيئة وإرادة لموته ، ثم عدل عن ذلك بواسطة الصلاة؟ أم يقولون : بأن الله لما اراد موت «حزقيا» لم يكن عالماً بأنه يصلي ويستغيث به؟ أم يقولون بأن الله يخبر بأنه يفعل شيئاً في المستقبل وهو لا يريد أن يفعله ولا يفعله؟ أم يقولون : بأن النبي كذب بذلك على الله كما أعطت التوراة عن كلام الله علامة على كذب النبي في مثل ذلك «تث ١٨ : ٢١ و ٢٢».

فإن قلت : أستم معاشر المسلمين تقولون باستجابة الدعاء وفي قرآنكم في سورة المؤمن قول الله ٦٢ : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ، وفي سورة الرعد ٣٩ ﴿يَسْتَجِيبُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

قلنا : لا نجوز مثل هذا وان يقول الله افعل هذا الشيء الخاص ثم لا يفعله ، ولو لأجل الصلاة والدعاء وغير ذلك.

وأما الآيات الشريفة فسنبين لك إن شاء الله عند التكلم في معارف القرآن انها أجنبية عن مثل هذا التناقض والتشويش ونسبة النقائص إلى جلال الله وقده تعالى شأنه.

ويتضح لك ان قوله تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ رافع لحجاب الوهم عن حقائق العرفان وفذلكات المعقول.

وليعلم ان إظهار لم يقل ان الصلاة واستجابة الدعاء من الناسخ

والمنسوخ كما توهمه المتكلف ، بل لا يخفى ان مراده هو ان «اشعيا» أخير «حزقيا» بأن الله أوجب عليه الوصية إلى أهل بيته معجلة لأنه يموت ولا يعيش ، ولا بد أن يرتفع هذا الحكم الذي كان معجلا لأجل ضيق الوقت بسبب الزيادة في عمر «حزقيا» خمس عشرة سنة.

فلما ذا لا يقول المتكلف في هذه الأمثلة الأربعة ان ملك الملوك ورب الأرباب لا يعقل ويتصور أن يقضي قضاء أبديا او يقدر أمرا الى الأبد او يخبر بوقوع شيء ويقرن كل ذلك بحكم شرعي ويكون كل هذا قابلا للنقض والخلف والتبديل بعد مدة او ساعة او يوم ، أفليست أعمال الله هاهنا منزهة منذ الأزل عن التناقض والتشويش ، ومعلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله «اع ١٥ : ١٨» أفهاهنا ينبغي ان يقال ما قاله المتكلف ، أم في النسخ الذي تنادي في بيان حقيقته السنة المسلمين وأقلامهم ، وتبين بصراحته لكل ذي فهم وكل مستقيم بأنه على نحو معقول لا تلزم فيه هذه المحاذير ، ويوضحون بأنواع الإيضاح ان مبناهم فيه وحقيقته هو ان الله يعلم منذ الأزل بما يناسب من الأحكام لمصالح العباد المختلفة بحسب الأزمان والأحوال فجعل في مخزون علمه لكل مصلحة ما يناسبها في اللطف والحكمة من الأحكام المحدودة بحدها ثم إظهار الله احكامه لعباده بواسطة أنبيائه غير محدودة بمحدودها المعلومة عنده لحكمة اقتضت ذلك ، فإذا انقضى حدها المخزون في علمه أشعر عباده أيضا بالحكم المناسب للمصلحة المتجددة على ما كان مكنونا في علمه جلّت آلاؤه ولا يجوزون النسخ فيما لو قال الله ان هذا الحكم دائم أبدا ، وكذا لو قال : ان هذا الحكم ثابت في حق العباد الى سنة مثلا فإنهم لا يجوزون نسخه قبل السنة لحصول التناقض والتشويش بين الأجل وابطاله بالنسخ قبل انتهائه.

أترى المتكلف لا يعلم بهذا كله من مذهب المسلمين؟ أو انه يعلم ولكنه ما ذا يصنع في أمر انعقدت عليه المجامع ، وكلف نفسه مئونة تمويهه اغماضا عن العقابة.

ثم انه قد ضجر من كثرة تعداد الأمثلة في اظهار الحق لما في العهدين من النسخ فشذ به الضجر الى تعداد الاضداد المتقابلة «انظر به ٤ ج ص ١٩٢

و ١٩٣» وكأنه قد طالع في ذلك الوقت كتاب المحاسن والاضداد «للجاحظ» فعلق ذلك في مخيلته ، وحق له ان يضجر فإنه ألف من المنقول عن الرسل و «بولس» نسخهم للشرعية جملة واحدة فيما عن قولهم ما طهره الله فلا تنجسه أنت ولا نضع عليكم ثقلا أكثر من هذه الأشياء الامتناع عما ذبح للأوثان والدم والمخنوق والزنى كل شيء طاهر للطاهرين كل خليفة الله جيدة إذا اخذت مع الشكر فإنه يصير ابطال الوصية السابقة من اجل ضعفها وعدم نفعها.

ومن هنا قال القسيس «ساييل» ق. ص ٢٢٦ وكذا كاتب الرسالة المنسوبة لعبد المسيح ان الله تساهل مع اليهود فأعطاهم فرائض غير صالحة وأحكاما لا يحيون بها. فيا من لم يسلب التعصب رشده أفهذه الأقوال في شأن الشريعة توافق حكمة الله ولطفه وعلمه ، ويكون النسخ على ما أوضحه المسلمون من حقيقته منافيا لحكمة الله وعلمه كما يزعمه المتكلف «يه ٤ ج ص ١٥٥».

ثم انظر فهل ترى هذه الأقوال تعطي ما يقوله المتكلف «يه ٤ ج ص ١٥٨» ان الديانة اليهودية هي ذات الديانة المسيحية ، والمسيحية هي ذات اليهودية فإن اعمال الله منذ الأزل منزهة عن التناقض والتشويش.

او انها كما عن «بولس» لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان. وكما عن «يعقوب» الرسول ارى ان لا يثقل على الأمم لأن «موسى» منذ أجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به اذ يقرأ في المجامع في كل سبت «ا ع ١٥ : ١٩ و ٢١» فهل ترى لهذا الكلام مرمى الا انه يحث على ترويج امر المسيح بالتخفيف الموافق لأميلال الأمم وأهوائهم. وان «موسى» له من يروجه وقد استوفى حظه من الترويج.

انكار المتكلف ما في العهد الجديد

ومع هذا كله ينكر المتكلف ما قاله اظهر الحق من ان المنقول عن الحواريين انهم نسخوا أحكام التوراة العملية غير الأربعة ، وعن «بولس» انه

نسخ ثلاثة منها أيضا ويقول «يه ٤ ج ص ١٩٣» ان هذا افك مبين فأتوا ببرهانكم ان كنتم من الصادقين.

فبولس كان من أعظم المناضلين عن العفة والتقوى وهو الذي قال : «انا فريسي» يعني انه عريق في الديانة الاسرائيلية وعلى كل حال فأيد أقوال الرسل لأنه لم يأت أحدهم منهم شيئا إلا بوحى الروح القدس.

ويقول أيضا «يه ١ ج ص ٢٧٣» ان الرسول يعني «بولس» لم يقل ان الشريعة الموسوية ضعيفة معيبة غير نافعة حاشاه من ذلك.

أقول : إذا فمن هو الذي قال في سابع العبرانيين ١٨ فإنه يصير ابطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها ١٩ إذ الناموس لم يكمل شيئا ، وفي الثامن ٧ فإنه لو كان الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان ، وغير ذلك مما تقدم.

ويقال : ان بعض الحيوانات الوحشية إذا رأى الناس وخاف منهم وأراد ان يتستر عن عيونهم أدخل رأسه في الرمل وأبقى سائر بدنه بارزا وذلك لأجل توهمه بأنه إذا كان لا يرى الناس لدفن عينيه ، فالناس أيضا لا يرونه وان كان بارزا لهم ، وهل تراه إذ قال له الناس : رأيناك ، يقول : ان هذا إفك مبين فأتوا ببرهانكم إن كنتم من الصادقين.

دع هذا وهب ان ما عن «بولس» يناضل عن العفة والتقوى ، وهب انه أيد أقوال الرسل لأنه لم يأت أحد معهم إلا بوحى من الروح القدس. ولكن قل هل أبقت كلماتهم التي طرقت سمعك في هذه المقدمة أثرا لأحكام التوراة العملية ، أم لاشتها جملة ولا نكلفك ان تقول ان ذلك كان بنحو العيب لها وبيان عدم النفع فيها وطلبها للتخفيف موافقة لأهواء الامم واستمالة لقلوبهم لأن «موسى» قد استوفى حقه من الترويح.

فإن قلت : إذا كان معنى النسخ بالنحو الذي كشفت عنه من مراعاة المصالح بمناسبةاتها من الأحكام المخزونة في علم الله ، وكان تبديل الشرائع المنسوبة إلى العهدين بهذا الشيوخ البالغ إلى حد الملاشاة ، إذا فما هو الوجه في

إصرار المتكلف وأمثاله على انكار وقوع النسخ في أحكام الله بهذا الإنكار.

قلت : إن شئت ان تتعجب فتعجب ، وان شئت قلت انهم قد استحسنوا والفوا راحة نخلتهم واطلاقهم من قيود الشرائع بسر الفداء فحصنوا دوامها بدعوى امتناع النسخ في الاحكام الإلهية مقاومة لما يدهمهم من النبوات بشرية الحق المصلحة لأسباب الكمال ونظام المدنية وسعادة الدارين.

وخلاصة الكلام معهم مع ما تراه من التفاوت والاختلاف الباهظ بين الديانة اليهودية حسب العهد القديم وبين الديانة النصرانية حسب العهد الجديد هو ان قولهم ان الديانة اليهودية هي ذات الديانة المسيحية اي النصرانية الرائجة وبالعكس ان أرادوا منه انهما متحدتان في الاحكام العملية فهو باطل بالوجدان إذ لا يخفى على أحد انه ليس في النصرانية الرائجة شيء من أحكام التوراة العملية ، وان أرادوا انهما متحدتان من حيث الإيصال الى المعارف الحققة وشرائع التكميل وحفظ المدنية والسعادة ، وان اختلفتا في الأحكام العملية رعاية لمصلحة الحال والوقت ، بل هذا الاختلاف ناشئ من اتحادهما في رعاية الغاية المطلوبة.

قلنا : بعد غض النظر عن المباحثات في مضامين هذا الكلام ، إنا معاشر المسلمين جميعا لنقول تبعاً لرسول الله وكتاب الله ان الاسلام متحد مع الشريعة الموسوية الحقيقية ، والمسيحية الحقيقية ، وكل شريعة حق من حيث الغاية المطلوبة ، وان اختلف معهما في بعض الأحكام العملية رعاية للغاية الصالحة.

ولو قلنا : بأن اليهودية والنصرانية الرائجتين هما الحقيقتان وان كتبهما الرائجة هي الكتب الأصلية لقلنا : ان الاسلام أكمل منهما في اسباب الوصول إلى الغاية والترقي في كمالهما كما يشهد بذلك خلو التوراة الرائجة من معارف القيامة والثواب الدائم النعيم والعذاب الأليم اللذين هما اولى بالرغبة والرغبة ولم يقع الترغيب للطاعة في التوراة إلا بطفيف من زخارف الدنيا الفانية التي طالما تنعم بها المشركون بأضعاف ما حصل عليه الموحدون. ولم يقع الترهيب فيها ، والتخويف من وبال المعصية ، والتمرد على الله إلا بالفقر ، والآلام المنقضية والموت المحتوم على العباد مما يشترك به الناس برهم وفاجرهم ..

وكما يشهد بذلك أيضا خلو الإنجيل عن مناسبات المصالح من الاحكام بل قد ألغى لوازم الاصلاح وضروريات المدنية من قوانين السياسة وأحكام الدفاع حتى اضطر جميع متبعيه الى مخالفته بتشريعه في ممالكهم حسب ما استحسنته عقلاؤهم وان لم يكن مستندا الى الوحي الالهي ، وأيضا ان المسيح قضى ثلاث سنين من نبوته واليهود في أشد المضايقة له وبالضرورة لا يمكنه في ذلك نشر ما عنده من التعاليم المخالفة للأهواء.

وغاية ما يذكر في الإنجيل انه كان يعلم بمكارم الاخلاق والذم لرياء المترئسين في الدين ومخالفتهم للشريعة ، وهذا مما تشرح له قلوب العامة ويقبلون إليه ، ومع ذلك كان يفر بتعليمه هذا من مكان الى مكان ، وناهيك ما يقوله الإنجيل من أنه لم يستطع ان يجاهر بأن «قيصر» الوثني في ذلك الوقت لا يستحق أخذ الجزية من بني اسرائيل الموحدين ، بل كان يوري ويتحرف فيه حينما سأله اليهود ونصبوا له بذلك شبكة ليعرقلوه بالجواب «انظر مت ٢٢ : ١٥ ومر ١٢ : ١٣-١٨ ولو ٢٠ : ٢٠-٢٦» بل كان بنفسه يعطي الجزية لقيصر مت ١٧ : ٢٤-٢٧.

اللجنة على من لا يقيم الناموس

فإن قلت : ان لليهود حجة شرعية على امتناع النسخ للشرعية الموسوية وذلك لقول التوراة ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها «تث ٢٧ : ٢٦».

قلنا : من شروط صحة الاحتجاج بذلك ان تكون التوراة متواترة متصلة السند غير محرفة وهذا واضح البطلان كما يعرف من متفرقات كتابنا وخصوص المقدمة السادسة فقد ذكرنا فيها شهادة كتاب «ارميا» في موضعين منه بتحريف اليهود للتوراة وكلام الله ، وشهادة كتاب «اشعيا» بتحريف اليهود ، وكذا المقدمة الخامسة فقد اوضحنا فيها انقطاع سند التوراة وستأتي ان شاء الله زيادة الايضاح لذلك في المقدمة الثالثة عشر ، وكذا المقدمة العاشرة فقد اوضحنا فيها بطلان دعوى اليهود تواتر التوراة الى «موسى» عليه السلام . هذا كله مضافا الى ما في

متفرقات كتابنا من بيان الموانع الداخلية في التوراة الرائجة من صحة سندها الى الوحي .
ومن شروط صحة الاحتجاج بما تذكره أيضا دلالة على انه لا تحيى بعد ذلك شريعة
إلهية بواسطة نبي حق تجب طاعته وسماع قوله وليس فيما تذكره شيء من الدلالة على ذلك
أما «أو لا» فلأن المحتمل كون اللعنة المذكورة على من لا يقيم الكلمات المذكورة في السابع
والعشرين من التثنية . وتلك الكلمات واحكامها ثابتة في دين الاسلام على أكمل وجه وأما
«ثانيا» فلو فرضنا ان اللعنة على مخالفة كل احكام الناموس فانما هي على المتمردين على
احكام الناموس ممن يجب عليهم العمل به لا على الذين يخالفونه لأجل اتباعهم لشريعة حق
إلهية يجب اتباعها لمناسبة احكامها لمصالح الزمان المتأخر . كيف وان التوراة تخبر بأن بني
اسرائيل خافوا من هيئة خطاب الله لموسى بالشريعة وطلبوا غير هذه الهيئة فاستحسن الله
كلامهم واخبرهم بمجيء نبي مثل «موسى» يجعل الله كلامه في فمه فيكلم الناس بكل ما
يوصيه الله به ويجب اتباعه والذي لا يسمع له يطالبه الله . انظر تث ١٨ : ١٥ . ٢٠ وهل
هذا إلا نبي يأتي بشريعة تجب طاعتها .

الأبد في التوراة والعهد القديم

فان قلت : ولهم حجة شرعية اخرى على المسلمين وهي ان كثيرا من شريعتهم قد
نصت التوراة على انه ابدى الى الابد وذلك كالكهنوت الهاروني وكثير من شرائعه ومتعلقاته
، وكذا الاعياد والسبت . فيمتنع ما جاء به الاسلام من نسخ هذه الامور .
قلنا : وان الاحتجاج بهذا متوقف على صحة السند للتوراة الرائجة ، وقد ذكرنا انه لا
سبيل الى ذلك ، ومتوقف أيضا على دلالة ما تذكره في الاصل العبراني على التأييد مدى
الليالي والايام وليس كذلك كما يشهد به التبع في العهد القديم العبراني . فان كل ما قيل في
تعريبه . فريضة ابدية ، فإنه في الاصل العبراني «حققت عولم» وما قيل في تعريبه «كهنوت
ابدية» فانه في الاصل «كهونة لحقت عولم» وما قيل فيه . فريضة دهرية . فانه في الاصل
«حققت عولم . وحق عولم . ولحق عولم» وما قيل به «عهد ابدى . وميثاق ابدى» فانه في

الأصل «بريت عولم» وما قيل فيه الى الابد فانه في الاصل «لعولم وعد عولم» هذا وقد قالت التوراة في بعض العبيد انه يخدم سيده الى الابد ، وفي الاصل العبراني «لعولم خر ٢١ : ٦» وان صموئيل قالت أمه بحسب نذرها له في خدمة بيت الرب انه يقيم هناك الى الأبد ، وفي الأصل «ويشب شم عد عولم ١ صم ١ : ٢٢» مع ان نذر هاله هو ان تعطيه للرب كل ايام حياته ١ صم ١ : ١١ .

وفي المزامير حد عن الشر وافعل الخير واسكن الى الأبد «ع لعولم مز ٣٧ : ٢٧» .
وفي المزمور المائة والتاسع عشر ٤٤ فاحفظ شريعتك دائما الى الدهر والى الابد «ع لعولم وعد» ٩٣ الى الدهر لا أنسى وصاياك «ع لعولم» .

وهذا قليل من كثير تعرف به ان لفظ «عولم» في العبرانية غير مختص بالتأييد الى آخر الزمان ولا يدل على ذلك بل غاية ما نسلم من دلالة على دوام الشيء مدة استعدادده المجعول له . فالعبد يخدم مدة عمره ما لم يتلف السيد عينه او سنه ، و «صموئيل» يسكن امام الرب مدة عمره . وفاعل الخير يسكن مدة عمره والشريعة بحفظها ، والوصايا لا ينساها مدة عمره ، والاحكام المذكورة في الاعتراض تدوم ما دامت الشريعة الموسوية قائمة لم تنسخ بشريعة النبي المماثل لموسى كما اخبرت به التوراة تث ١٨ : ١٥ - ٢٠ .

على ان لنا ان نقول ان لفظ «عولم» في التوراة جاء منكرا غير مقرون بعلامة التعريف وهي الهاء في العبرانية ، فلا يدل الا على زمان من الازمنة ، واما التعريف في العربية فانما هو من المترجمين .

استئناف للكلام مع المتكلف

قال «يه ٤ ج ص ١٥٩ الاعتقاد بالنسخ هو ان يأتي للانسان بطريقة او مبدأ ثم ينسخه ويدعي انه من عند الله وهو مناف للعقل السليم والذوق المستقيم والديانة الصحيحة منزهة عنه وبريئة منه ، نعم : لا ننكر ان تجسد الكلمة الازلية هو فوق عقولنا ولكنه موافق للعقل ، والقرآن ناطق بأن المسيح كلمة الله وروح منه اخذ جسدا من مريم بدون واسطة بشرية بل حبل به بالروح

القدس ، وهذا الاعتقاد موافق للعقل والنقل بل اظهر تنزه صفات الله عن النقص والعيب وانه لا يبرئ المذنب إلا إذا استوفى حقه وعدله ، اما الاعتقاد بالنسخ فإنه يحط بصفات حكمته وعلمه وإرادته ومشئته وشتان بين العقيدتين.

أقول : قد بينا لك معنى النسخ وكشفنا لك عن حقيقته بما يتضح به لك توهم المتكلف او مغالطته في تعريفه له ، وكشفنا لك عن كونها أنسب بحكمة الله ولطفه في مراعاة مصالح العباد المختلفة بحسب الأحوال والأوقات على وجه عرفت ان الناسخ والمنسوخ سابقان في علم الله ، صادران عن مشيئته وإرادته منبعثان عن حكمته ولطفه وعلمه منذ الأزل بمناسبات الأحوال والأوقات ، فجعل جل شأنه كلا من الناسخ والمنسوخ بإزاء مصلحته وحده بمحدها في مكنون علمه ، فأظهرهما لعباده بواسطة أنبيائه على مقتضى حكمته البالغة ورحمته الواسعة فلا نضجر سمعك بتكرار بيانه ، وإن كانت مضامينه تسييحا لله ببيان حكمته ولطفه وعلمه ومراحمه بعباده بما يرتاح به العقل السليم ويستعذبه الذوق المستقيم ، وقد قدمنا لك في الأمثلة المتعددة عن العهدين صراحتها على مذاق المتكلف بأن «نوحا» و «موسى» و «داود» و «حزقيال» و «المسيح» والرسل و «بولس» كل واحد من هؤلاء قد جاء بحكم تشريعا او إمضاء ، ثم نسخه ويدعي انه من عند الله.

وهلم واعجب من اقتحام المتكلف وتهوره فإنه أحرز الموفقية في اقواله في النسخ ، فافتحم بقوله : «نعم لا ننكر ان تجسد كلمة الله الأزلية هو فوق عقولنا ولكنه موافق للعقل» ، فسله وقل له : إذا كان ذلك فوق عقولكم فكيف تحكم بموافقة للعقل ، وإذا حكمت بأنه موافق للعقل فكيف يكون فوق عقولكم.

او تدري ما هو تجسد الكلمة عند المتكلف هو ان الإله اقنوم الابن ، ثالث الثالوث الذي هو واحد حقيقة ، وثلاثة حقيقة ، قد تجسد في الأرض وتوشح الطبيعة البشرية فأخذ جسدا من مريم وبقي اقنوم الأب واقنوم الروح القدس في السماء ، وبعد ثلاثين سنة انفتحت السماء ونزل اقنوم الروح القدس على شكل حمامة جسمية وحل على اقنوم الابن المتجسد ، وبقي الأب في السماء وصار اقنوم الابن المتجسد واقنوم الروح القدس الحال عليه في الارض يجرب

من ابليس اربعين يوما إلى ان ذهب به ابليس إلى جبل عال وأراه جميع ممالك المسكونة في لحظة وأطعمه بأن يعطيها له على ان يسجد للإله المتجسد لإبليس ، ثم جاء به ابليس من البرية إلى «اورشليم» وأوقفه على جناح الهيكل ممتحنا له ، ثم بقي بعد ذلك ثلاث سنين يقاسي الاضطهاد من الناس حتى إذا دنا وقت الصليب حزن وبكى وتضرع إلى أقنوم الأب في ان تعبر عنه كأس المنية ، ولكن الأب لم يشأ ذلك ، وإذ ألمه الاضطهاد قال للأب إلهي إلهي لما ذا تركتني؟ وإذ دنا منه الموت صرخ بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يديك استودع روحي ، وأسلم الروح ودفنوه ، وفي اليوم الثاني أقامه الله من الأموات وارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله ، هذا كله جرى على الكلمة المتجسدة والإله الذي توشح الطبيعة البشرية ليرفع قدرها.

اسمع هذا ولا تقل كيف وكيف فإن هذا بزعم المتكلف مما يهتز له العقل السليم طربا ، ويتطعم به الذوق السليم استلذاذا ، غفرانك اللهم سبحانه وتعاليت ، وليس هذا مقام التعرض لما في ذلك فدعه الى محيي محله إن شاء الله وإن كان ما فيه لا يخفى على من عرف جلال الله وأقر له بالقدرة والوحدانية.

وأما قول المتكلف : بأن القرآن ناطق بأن المسيح كلمة الله وروح منه ، فاستمع لموقف ذلك من سياق القرآن الكريم ، وانظر الى انه هل يسعف المتكلف بشيء من الموافقة ، أم انه يجبهه بالمقاومة ويجاهر بإبطال مزاعمه ودحض أضراليه.

قال الله جل اسمه في سورة النساء ١٦٩ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ١٧٠﴾ ، لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ . ومعنى كون المسيح كلمة الله هو كونه أثرا لقوله تعالى ﴿لَكِنْ﴾ على خلاف العادة في تناسل البشر ، ولا تحسب ان معنى ذلك يوافق ما في كتب إلهام المتكلف فإن فيها ما نصه : وكان الكلمة الله «يو ١ : ١» والمتكلف يقول : «يه ٢ ج ص ٣٨ س

«٤

ان الكلمة الأزلية هي الله كما استشهد به المتكلف «ص ٢٩٠» وأين والآية الشريفة تكافح ذلك وتعلن بالتوحيد ، وبطلان التثليث ، وتنزه الله عن نسبة الولد إليه تعالى شأنه ، وتصرح بأن المسيح عبد الله ، ولن يستنكف من ذلك.

وعلى مثل هذا جاء قوله تعالى ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ فإن المراد انه روح مخلوقة لله اودعت في «مريم» لا بواسطة نطفة وتوالد عادي ، بل هي من ناحية قدرة الله الباهرة ، وليس كما يحاول المتكلف جريا على كتابه القائل : الله روح «يو ٤ : ٢٤».

وأما الرب فهو الروح «٢ كو ٣ : ١٧» بل هي على نحو قول الله تعالى في شأن «آدم» ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ الحجر «٢٩ وص ٧٢» وعلى نحو قول التوراة عن قول الله تعالى : «لا يدين روعي في الإنسان الى الأبد» «تك ٦ : ٣».

ثم ان المتكلف بعد اعترافه أولا بأن تجسد الكلمة الأزلية فوق العقول أقدم على مصادمة العقل والنقل فحكم بأنه موافق لهما ، ولم يكتف بذلك بل قال : ان تجسد الكلمة «وهو بالنحو الذي شرحناه لك» أظهر تنزه صفات الله عن النقص والعيب ، وكأنه لو لم تنفصل الكلمة اقنوم الابن عن الأب ، ويتجسد على الارض ويجري عليه ما ذكرنا من كتب إلهامهم من تصرف ابليس به ، واطماعه بممالك المسكونة ليسجد له وتوارد الاضطهادات عليه ، بل كان الله واحدا قهارا عزيزا غير مثلث ولا متجزئ ولا مضطهد لكانت صفاته غير منزهة عن النقص والعيب ، سبحانك اللهم وتعاليت.

وأما قول المتكلف : ان الله لا يبرأ المذنب إلا اذا استوفى حقه ، وعدله ، فليت الكامل والناقص والفاهم والغبي يسألونه كيف أظهر تجسد الكلمة ان الله لا يبرئ المذنب إلا إذا استوفى حقه وعدله ، فهل يقول : ان العقل والأنبياء والعهد القديم قد قصروا في بيان هذه الحقيقة او قصروا عنه.

المتكلف وسر الفداء

أم يريد المتكلف ما يلهج به من سر الفداء ، وان الله استوفى حقه من الخاطئين وعدله باضطهاد الفادي الكريم وذبيحته فإنه قال «يه ٢ ج ص ٢٩١»

وعقاب الخطيئة هو الموت في جهنم إلى الأبد لأن المولى سبحانه وتعالى قدوس طاهر وعدله يستلزم عقاب الخطيئة بهذه الكيفية ، فالمسيح احتمل في جسده ما كنا نستوجب من العقاب ووفي ما كان علينا من الدين «و ٤ ج ص ٢٤٧» ان الكلمة الأزلية أو ابن الله بموته ، وفي للعدل الإلهي حقه «وص ٢٧٩» ان الله سبحانه وتعالى حكم في كتابه العزيز بأن كل نفس تخطئ موتا تموت في جهنم النار إلى الأبد لأن عدله يستلزم هذا القصاص لقداسته التي لا تحد ولمقتة الخطيئة مقتا شديدا فلا يمكن ان يغض الطرف عن قصاص الخاطئ لقداسته وكراهته الخطيئة «وص ٢٨٠» ان الله سبحانه وتعالى أظهر رحمته ومحبته بتجسد الكلمة الأزلية فلبس هذا الجسد وكان يلزم أن يكون الفادي طاهرا قدوسا منزها عن النقص حتى يفي للعدل الإلهي حقه ويخلص الخطاة ، فالمسيح «يسوع» قام بهذا الأمر وقدم نفسه فداء عنا ، فالعدل الإلهي كان يستوجب عقابنا وموتنا «اي في جهنم النار الى الأبد» فمات الفادي الكريم عوضا عنا ، ووفي للعدل الإلهي حقه.

فدقق في حفظ هذه المضامين على ذهنك وقل للمتكلف لما ذا لا يمكن لله ان يغض الطرف عن قصاص الخاطئ.

مغفرة الله ورحمته وجوده

ومن ذا الذي يمنعه عن المغفرة للخاطئ بجلوده ورحمته الواسعة كما يعاقب بعدله وقداسته ، أفلم يكن له نصيب من جود الفادي الكريم ورحمته أفلم يقل العهد القديم ان الله إله رحيم ورءوف غافر الإثم والمعصية والخطيئة «خر ٤٣ : ٦ و ٧» ونحوه «عد ١٤ : ١٨» وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليه «مز ٨٦ : ٥» والذي يغفر جميع ذنوبك «مز ١٠٣ : ٣» ومن هو إله مثلك غافر الإثم وصافح عن الذنب «مي ٧ : ١٨» وللبرب إلهنا الراحم والمغفرة «دا ٩ : ٩» وإله غفران «نح ٩ : ١٧» وعن قوله تعالى : «أنا هو الماحي ذنوبك لنفسي وخطاياك لا اذكرها» اش ٤٣ : ٢٥» قد محوت كغيم ذنوبك وكسحاب خطاياك «اش ٤٤ : ٢٢».

وفي المزمور الخامس والعشرين ٧ اذكرني أنت من أجل جودك يا رب وفي

الحادي والثلاثين ١٩ ما أعظم جودك الذي ذخرته لخائفك ، وفي تاسع زكريا ١٧ ما أجوده ، أفلم يمكن لله جل جلاله أن يتصف بهذه الصفات إلا أن تتجسد الكلمة على الأرض ويجري عليها ما جرى من الاضطهاد ثم أجمع في ذهنك ما تقدم من كلمات المتكلف مع قوله «يه ٢ ج ص ٣٨ س ٤» ان الكلمة الأزلية هو الله.

وقوله «٤ ج ص ٢٨٥» المسيح هو الله ، وقوله «٣ ج ص ١٧١» المسيحيون يعتقدون بأن الذات العلية والكلمة الأزلية والروح القدس هم الله الواحد الأحد ، وخذ حاصل هذه الأقوال في ذهنك ثم ليقرر لك المتكلف او بعض محبيه بقية كلامه في سر الفداء ولا تدعه يطوى الكلام على غره ، بل دقق في السؤال منه وجادله بكلامه ، فإذا قال : ان الله أظهر رحمته ومحبه بتجسد الكلمة ، فقل له : ان عليك أن لا تعمى بل تقول حسب كلامك ، وأول «يوحنا» ان الله أظهر رحمته ومحبه بتجسده.

وإذا قال : فالمسيح احتمل في جسده ما كنا نستوجه من العقاب نقل له : انك قلت ان الكلمة الأزلية هي الله ، والمسيح هو الله ، فعليك أن تقول واستغفر الله ، فالله احتمل في جسده ما كنا نستوجه من العقاب «وهو الموت في جهنم النار إلى الأبد» تعالى الله عن ذلك ، فينتج من كلامك ان الله لا يمكن ان يغض الطرف عن قصاص الخاطئ لعدله وقداسته فلا يمكن أن يغفر ويمحو حسب رحمته ومحبه ، فلم يجد حيلة لمخادعة عدله وقداسته إلا ان يتجسد ويحمل في جسده ما يستوجه الخاطئ من العقاب ، أترى لو جعل الإيمان والتقديس في ناحية ، وجعلت خرافات الكفر في ناحية ، ففي أي الناحيتين يكون هذا الكلام ، فإن قال لك المتكلف : ان الفادي الذي احتمل في جسده ما كنا نستوجه من العقاب هو غير الله ، فقل له «أولا» : هذا مناقض لقولك ومعتقدك بأن الفادي هو المسيح الذي هو الكلمة الأزلية التي هو الله ، ثم قل له هل من عدل الله القدوس العادل ان يعاقب غير الخاطئ وكيف أمكن ان يغض الطرف عن قصاص الخاطئ ، أو ليس قد قال كتابكم أن النفس التي تخطئ هي تموت «حز ١٨ : ٤ و ٢٠» وكل واحد يموت بذنبه كل إنسان يأكل الحصرم

تضرس أسنانه «ار ٣١ . ٣٠».

فهل ترى أحدا من ملوك الارض يقبل من أحد الأبرياء أن يحتمل بالرغبة ما على المقصر من الصلب والإعدام ، ولو ان الملك قبل ذلك وأجرى على البريء قصاص المقصر وترك المقصر آمنا في تمرده لعدده العقلاء ملكا قاسيا وحشيا لا يبغض الخطيئة على الخصوص إذا كان البريء يطلب من الملك أن تعبر عنه كأس القصاص ويكي ويحزن ويكتئب ويقول : إلهي إلهي لما ذا تركتني؟ فإن قال : ان الفادي الكريم لم يحتمل قصاص الخاطئ حسبما يقتضيه العدل الإلهي وهو الموت في جهنم النار الى الأبد ، وإنما احتمل ألم الصلب والاضطهاد والموت في أقل من ثلاثة ايام ثم أقامه الله من الاموات مكرما مجددا ورفعته الى السماء فجلس عن يمين الله فقل له «أو لا» : إذا كان الفادي الكريم هو الكلمة الأزلية التي هي الله ، والمسيح الذي هو الله فمن هو الذي أقامه الله؟ ومن هو الذي جلس عن يمين الله؟.

و «ثانيا» إذا كان عدل الله وقداسته ومقته للخطيئة يستلزم عقاب الخاطئ بالموت في جهنم النار الى الأبد ، فلما ذا تنازل عدل الله الى كون القصاص يوما وبعض يومين؟ فهل كان العقاب الذي هو لازم العدل ما لا احوجت ضرورة الوقت الى تعجيل استيفائه بالتنزيل الفاحش ، أم كان هذا التنازل واستيفاءه من البريء محاباة للأئمة الخاطئين ، كيف وكتابكم يقول ان الله ليس عنده محاباة «انظر ٢ أي ١٩ : ٧ ورو ٢ ، ١١ وابط ١ : ١٧» بل النفس التي تخطي هي تموت ، هذا كله مع ان الابن ان كان قد اعطى وعدا للأب بهذا الفداء الذي عرفت موقعه من العدل والقداسة ومقت الخطيئة ، فبمقتضى كتابكم انه قد استعفى واستقال من هذه المعاملة مع الأب لما قرب وقت الاستيفاء ولم يرددها ، وقال : وهو حزين جدا يا أبتاه ان أمكن فلتغير عني هذه الكأس «مت ٢٦ : ٣٨ و ٣٩» وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة إن أمكن ، وقال : يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذا الكأس «مر ١٤ : ٣٥ و ٣٦» وجثا على ركبتيه وصلى قائلا يا أبتاه ان شئت ان تجيز عني هذه الكأس ، وظهر له ملاك من السماء يقويه وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد الحاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على

الارض «لو ٢٢ : ٤١ . ٤٣» ولكن لما رأى الحال قد اقتضى التصميم على هذا القصاص والاستيفاء تنازل عن إرادته التي لا تقيده ، ثم قل للمتكلف عودا على بدء وكرر عليه في السؤال وان ضجر من هو الكلمة ، ومن هو الاله العادل ، ومن هو الأب ومن هو الابن؟ ومن هو الاله الذي تقمص الطبيعة البشرية؟ ومن هو الله؟ ومن هو الفادي؟ ومن هو المسيح؟ ألسنت تقول هم الله الواحد الأحد ، والمسيح هو الله ، فعليك بقانون البيان والايضاح في الكلام خصوصا في المعارف اللاهوتية أن تقول واستغفر الله ان الله العادل القدوس الذي يمقت الخطيئة ويستلزم عدله عقاب الخطيئة بالموت في جهنم النار إلى الأبد هو الذي احتمل ما تقولونه وفدى الخاطئين لأنه أراد أن يظهر رحمته ومحبته ولا يمكنه أن يغض الطرف عن قصاص الخاطئ لقداسته ، فوقعتم المخادعة للعدل والقداسة بالتجسد والتنازل بالفداء والقصاص ، فإن قال لك أن الفادي غير الله فكرر عليه السؤال بما قلناه في قولنا «أولا ، وثانيا» فإن قال لك كما قال سابقا ان تجسد الكلمة الأزلية فوق عقولنا ، فقل له : هبك رضيت بأن تعبد الله بما هو فوق عقولكم ولكن لما ذا تتكلم في النسخ بذلك الكلام الفاحش مع ان اظهار الحق فضلا عن غيره من المسلمين قد كشف لك عن حقيقته ووضح لك معقولها وانها مقتضى لطف الله بعباده وحكمته وعلمه بالمصالح ومقتضياتها واصلاح عباده على طبقها وقد اوقفك على مواقعه في العهدين. ولما ذا لم تكتف بتكرار قولك. وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ.

الإسلام والمتكلف

ثم ان المتكلف بعد ان أودع كتابه مثل هذه الطامات التي تشوه وجه المعقول والمنقول وتخالسهما بالجحود لحقيقة العدل والتوحيد والحكمة والجبروت وكثير من صفات الجلال صار يستنتج الغلط من الغلط.

فقال بعد كلامه الأخير «به ٤ ج ص ٢٨٠» فلا شيء من الدينونة على الذين في المسيح يعني ينسب إلينا بر المسيح بالإيمان ، فالمسيح حفظ الشريعة فبالإيمان به ينسب إلينا حفظها ، والمسيح مات فبالإيمان به ينسب إلينا موته فكما انه بآدم الأول دخلت الخطيئة فبآدم الثاني دخل البر فيكون الله عادلا في تبريرنا

لأنه عدله استوفى حقه فصار عدله ورحمته متساويين فلا تفاوت بينهما وهذا بخلاف المسلمين الذين يرتكنون على رحمة الله في الخلاص ويغضون الطرف عن عدله وعن كونه منتقما جبارا فأنت ترى ان طريقة خلاصهم واهية واهنة فاسدة بعيدة عن العقل السليم ، أما وهنها فلأنها غير مؤسسة إلا على أوهام باطلة كارتكائهم على رحمة الله فقط ، وغضهم الطرف عن عدله وقداسته ومقته للخطيئة «ص ١٨١».

ومما يدل على فساد الطريقة الإسلامية أيضا انها تستلزم ان رحمة الله أعظم من عدله ، والعقل السليم لا يقبلها.

أقول : فأين صار العدل الإلهي إذا كان لا شيء من الدينونة على الذين في المسيح ، وبأي عدل وحكمة ينسب إليهم بره ، كيف وكتائبهم يقول : ان الله يغفر الاثم والخطيئة ، ولكن لا يبرئ ابراء «خر ٣٤ : ٧ وعد ١٤ : ١٨ ونا ١ : ٣».

وما معنى ان حفظ المسيح للشرعية ينسب إليهم وبأي عدل يكون ذلك وبأية حكمة؟ فهل كان جعل الشريعة لأجل حاجة الله إلى العمل بها حتى يقال ان عمل بعض الناس يسد حاجة الله ويغني عن عمل غيره ، وبناء على هذا الغلط أيضا لا يصح أن يكون عمل واحد ينسب الى غيره ، أو ليس يعلم كل ذي عقل ان تشريع الشريعة إنما هو لطف من الله بعباده جميعا ليتكاملوا ويتقدسوا بالعمل بها ويصلح به اجتماعهم وينالوا سعادة الدارين ، ولو لا ذلك لكان من أفحش الظلم إلزام كل أحد بالعمل بها.

وأفحش منه توقف الاقالة منها على الفداء كما عن قول «بولس» المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ، وحاصله ان الله جل شأنه برر المجرم بحمل عقابه ولعنته على البريء البار «كذى العر يكوي غيره وهو رافع» أفهذا عدل الله عند المتكلف؟ وكيف استوفى عدله حقه وممن استوفاه وعلى اي نحو جزاف استوفاه ، أيستوفي عقاب مليونات لا تحصى من الخلق وهو موتهم في جهنم النار إلى الأبد بموت بار يوما وبعض يومين ، ويكون هذا من العدل واستيفاء الحق.

فهل سمعت عن الملوك المتمدنة انه وقع في شرائعهم الاصلاحية او قصاصاتهم العرفية مثل ذلك؟ وهل سمعت انه وقع عند التجار حينما يلتجئون إلى التنزيل مثل ذلك؟ وكيف يكون المستوفي بهذا النحو عادلا منتقما جبارا فلو ان ملكا أرضيا عصته رعيته ، ولاشوا شريعته ، وسفكوا الدماء وهاكوا الحرير ، ونهبوا الأموال ، وتعدوا الحدود فأراد ان يعطي عدله حقه ، فقدم ابنه البري ليفدي رعيته المقصرين المتمردين من عقابهم العظيم بضربة لابنه فاستغفاه الابن وبكى وتوسل إليه في أن تعبر عنه كأس الفداء فلم يسمع له بل ضربه ضربة واحدة وإن كانت مؤلمة بدلا عما تستوجبه الرعية بجرائمها من الاعداء والحبس والتبديد ، وجعلهم بعد ذلك وهم على عاداتهم الوخيمة مبررين قد آمنوا وبال العقاب واطمأنوا بدستور الفداء ، أفنقول ان هذا الملك عادل قدوس يمتثل الخطيئة ، وقد استوفى عدله حقه فهو منتقم جبار أم نقول وعلى قول المتكلف ان الأب والابن واحد يرجع المثال الى أن الملك ضرب نفسه ليستوفي عدله حقه ويفدي رعيته حسبما ذكرنا.

ومع هذا كله والمتكلف يقول «يه ١ ج ص ٢٧٤» ان عند المسلمين عهد الاعمال ، ومن سوء الحظ لا يوجد عندهم عهد النعمة عهد الخلاص.

فنقول : الحمد لله على عظيم نعمته ولطفه إذ شرع لنا شريعة الحق ، وعرفنا صالح الأعمال ووسائل القرب منه والفوز برضاه ، وسدد جامعتنا لحفظ الشريعة ، ووفقنا للقول الثابت في توحيدده وتقديسه ، وهدانا الى معرفة عدله وقدرته وقدرته لنخشاه ، ومواقع رحمته وغفرانه لننيب إليه بالرجاء ، وعصمنا من مخادعات النفس الأماره ، ومغالطات الهوى ومخالسات الشيطان فلا زالت نعم الله وألطفه علينا ظاهرة وباطنة ، ومن عظيم توفيقنا وحسن حظنا ان الشيطان الرجيم قد نكص عن عرفان جامعتنا خاسئا. فلم يمزج توحيدنا بالشرك ، ولم يغالطنا بالتمرد على الشريعة الالهية وملاساتها ولم يدس في معرفتنا بجلال الله وقدرته لوازم النقص والعجز ، وأغاليط الوثنية ، وخرافات البوذية.

ولا ألوم المتكلف إذ لم يعرف طريقة خلاص المسلمين ، فلا يخف على طالبي الهدى ان المسلمين يقولون اقتداء بقرآنهم كتاب الله ، واهتداء بأنوار

شريعتهم ، وتمسكا بعروة العقل الوثقى ان الله جل شأنه عادل قدوس عزيز ذو انتقام وغفور رحيم غني حميد ، فإن انتقم من ذات الخاطئ المجرم وعاقبه بجرمه فهو عادل لأجل استحقاق المجرم للعقاب ، وان غفر له وسامحه فذلك من رحمته وفضله وغناه من عقابه ، فمعاملة المجرم بالعدل وحده إنما هي العقاب فالعدل هو المخوف الذي ترتعد منه فرايص المجرمين ، وإنما يرجى الخلاص بالرحمة من الله الغني ، وهذا من أوضح البديهيّات.

وما كنت أحسب ذا شعور يقول : ان المجرم ينبغي ان يرجو خلاصه من عدل الله ، وإذا رجاه من رحمته يكون قد جعل رحمته أعظم من عدله فتفاوت صفاته جل شأنه. ولما ذا لا يقول المتكلف إذا رجونا الخلاص من عدل الله يكون عدله أعظم من رحمته فتفاوت صفاته؟ ولما ذا لم يفهم المتكلف ان ما ذكره من تنازل عدل الله وجريه على خلاف مقتضاه لما أظهر الله رحمته ومحبه بتجسد الكلمة هو الذي يستلزم أن تكون رحمة الله أعظم من عدله ، ليس هذا فقط ، بل يرجع الى أن محبه ورحمته قد غالطت عدله ، وخادعته وقهرته حتى جرى على خلاف مقتضاه ، وتنازل إلى مقتضاها تعالى الله عن ذلك وتقدس.

معارف القرآن والمتكلف

ولكن المتكلف يقول «يه ٢ ج ص ٢٩٩» ان القرآن اتخذ من الكتاب المقدس بعض صفات الله وكمالاته إلا انه لا يعرفها حق المعرفة كما هي مدونة في مصدرها الأصلي فلا يعرف عدل الله الذي اقتضى تجسد الكلمة الأزلية واحتمال الصلب للتكفير عن خطايا كل من يؤمن به فإن القرآن يتوهم ان رحمة الله أوسع من عدله كأنه يوجد تفاوت بين صفاته جل شأنه.

قلنا : ان كنت قد نهت ذهنك عن وصمة العصبية والتقليد ، كما هو الأمل الوطيد بالمعاصرين المتنورين ، فقد اوضحنا لك لزوم الشطط في بناء الخلاص على العدل خصوصا إذا كان بنحو تجسد الكلمة والفداء باحتمال القصاص على النحو الذي يكرره المتكلف مما يتهافت من جميع اطرافه على نسبة

النقض لذات الله جل شأنه بل والجحود لحقيقة إلهيته.

ولو ان القرآن اتخذ صفات الله من كتابهم لكان ربما اعتمد في احتجاجاته على قول الكتاب بتعدد الآلهة «انظر يو ١٠ : ٣١-٣٧» وبتعدد الأرباب «انظر مت ٢٢ : ٤١ . ٤٦ ومر ١٢ : ٣٥-٣٨ ولو ٢٠ : ٤١ ٤٥» او ما ترى القرآن. قد بنى أساس دعوته وقانونها على ابطال هذه الخرافات وارغامها ولقال فيما قال ان الله حزن وتأسف في قلبه «تك ٦ : ٦ و ٧ ومز ٧٨ : ٤٠ واش ٦٣ : ١٠ واف ٤ : ٣٠» ولقال : ان جماعة رأوا الله وتحت رجله شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف «خر ٢٤ : ١٠ و ١١».

ولما قال ^(١) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ، ولقال : ان الله صارع بعض الناس إلى الصباح فلم يقدر عليه وطلب منه أن يطلقه «تك ٣٢ : ٢٤ . ٣١».

ولما قال ^(٢) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ^(٣) ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ، ولقال يا رب لما ذا أسأت إلى هذا الشعب؟ لما ذا أرسلتني «خر ٥ : ٢٢» لما ذا أسأت الى عبدك «عد ١١ : ١١» ولقال : يا ايها السيد الرب حقا انك خداعا خادعت هذا الشعب واورشليم قائلا : يكون سلام وقد بلغ السف؟؟؟ النفس «ار ٤ : ١٠».

ولم يقل ^(٤) : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ ^(٥) ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ ، ولقال الله محبة «١ يو ٤ : ٨ و ١٦» ، ولقال لأبشر لا بحكمة كلام ان الله استحسن أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة «١ كو ١٧ : ٢١» وفي الترجمة المطبوعة سنة ١٨١١ م بحماقة الكرازة ، ولم يقل ^(٦) ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ ولقال ان جهالة الله ، أو تحامق الله أحكم من

(١) الانعام : ١٠٣ .

(٢) الشورى : ٩

(٣) الانعام : ١٨ .

(٤) آل عمران : ٧ .

(٥) التوبة : ١١٢ .

(٦) النحل : ١٢٦ .

حكمة الناس ، ولم ينوه في كثير من مضامينه بحكمة الله ولم يقل ^(١) ﴿يُؤَيِّ الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ولكنه ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

وأما قول المتكلف : «ان القرآن لا يعرف عدل الله الذي اقتضى تجسد الكلمة إلى خره». فقد بينا لك اين يكون هذا من عدل الله وتنزيهه وتوحيده ، وأين القرآن وما يزعمونه من تجسد الكلمة ، وكيف القرآن هو المقاوم لذلك والمنادي بتوحيد الله وتقديسه وبطلان التثليث والثالث.

المتكلف والبرهمية والبوذية

وإن اراد المتكلف من يعرف ذلك فعليه بمصدره الاصلي واساس تعليمه وهي عقائد البراهمة والبوذيين وكتبهم كما ذكره «بطرس» البستاني في دائرة المعارف فقد ذكر في الجزء الخامس منها ص ٣٧٥ ان «برهم» هو المعبود الاول عند الهنود وكثيرا ما يجعلون «برهم» اسما للاقانيم الثلاثة المؤلف منها ثالث الهنود وهي «برهما» و «وشنو» و «سيوا» ويسمى برهم «فتش» اي الكلمة. وأما برهما فهو نفس برهم معبود الهنود بعد ان شرع في اعماله. وهو الاقنوم الاول من الثالث الهندي اي ان برهم ينبثق من نفسه في ثلاثة اقانيم كل مرة في اقنوم. فالاقنوم الاول الذي يظهر به اول مرة هو «برهما» والثاني «وشنو» والثالث «سيوا» ، ثم ذكر ما عندهم من التجسد. وفي ص ٣٧٦ ذكر ان القاب «سيوا» عندهم هي. السيد. والرب. والخالق. والمنتقم وفي ص ٦٥٩ ذكر عن البوذية امورا يعتقدونها في تجسد «بوذه» واحواله منها ١ عزمه في السماء الرابعة على التخليص واختياره ان يولد من «مايا» حال كونها عذراء ٢ تجربة «المارا» له وهو معبود الحب والخطيئة والموت وتغلبه على سحره واهواله ٣ عند ظهوره لاجراء عمله تقاطر إليه رجال ونساء من جميع الاصناف واكثر الحكام يتبعوه هم ورعاياهم ٤ عمل آيات كثيرة واختار في آخر امره من النساء وكيالات له ٥ كان «اتندا» تلميذه المحبوب ٦ يعتقد البعض انه تسجد تاسع لوشنوء وانه

(١) البقرة : ٢٧٢.

اصلح البرهمية بادخاله فيها قانون ايمان بسيط. وابداله عاداتها وشرائعها القاسية بشرائع ادبية ذات لين ورفق ، فالبوذية ديانة بسيطة ادبية عقلية مضادة للفلسفة والاحتفالات وحرفة الكهنة. سهلة المراس تدعو جميع الناس إليها. مسهلة للجميع طريق الخلاص. ولها عدة مجامع في امر الدين وانظر أيضا الى سو سنة «سليمان» «ص ٥٥ و ٥٦».

الفداء عند المسلمين

فإن قلت : أليس عند المسلمين معنى معقول للفداء ، وهلا يمكن لبعض الأولياء ان يكون فاديا ، قلت : أما على ما يقوله المتكلف فمعاذ الله ، نعم كل من أعلن بدعوة الحق ، وجاهر بمقاومة الباطل ، وأبدى صفحته للاضطهاد في سبيل الله ، لا تأخذه في الهدى إلى الحق لومة لائم ، فهو فاد لمن يهتدي بنور هداة ، وان من الفادين من أقدم في الجهاد في سبيل الله على تحمل أنواع الاضطهاد وبذل النفس والأعزة للقتل لأجل علمه بأنه ان لم يعمل كلمة الحق بالظفر فإنه يعليها بتحملة الاضطهاد ، وان اضطهاده وقتله وسوء المعاملة له مما يعلي كلمة الدين ويوضح نهج الحق وينبه الناس على ضلالة قاتليه ومضطهديه ، ولكن لا يمكن لنا أن نسمي المسيح فاديا بهذا المعنى لأجل تصريح كتاب الله بأنه ما قتل ولا صلب بل هو فاد بالمعنى الأول.

الفصل الثالث : في وقوع النسخ

اعلم ان كلما ذكرناه من العهدين من أمثلة وقوع النسخ فإنما يتيسر لنا الاحتجاج به على سبيل الجدل والإلزام لمتبعهما وذلك لعدم علمنا بكون الناسخ والمنسوخ فيهما من الأحكام الإلهية ، وبعبارة اخرى لما كنا نعلم بانقطاع سندهما ووقوع التحريف فيهما لم يسغ لنا أن نقول على ما فيهما هذا حكم إلهي ناسخ ، وهذا حكم إلهي منسوخ.

نعم : برهاننا على وقوعه ما في القرآن الكريم في سورة آل عمران في الحكاية عن قول المسيح في دعوته ٤٤ ﴿وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ وكذا ما نعلمه إجمالا في انحاء العبادات السابقة حيث قيدها الاسلام بكونها عربية ،

وكذا ما نعلمه من وقوع الناسخ والمنسوخ في الشريعة الاسلامية بما دل عليه القرآن الكريم
كما سنشير إليه إن شاء الله ، وقد أكثر الناس في ذلك وخلطوا ، فلنستأنف الكلام في تتبع
بعض كلمات المتكلف ليتضح لك حالها وحاله فيها.

المتكلف والنسخ

وقد افتتح كلامه في بحث النسخ بقوله «يه ٤ ج ص ١٥٥» مما اختصت به الديانة
الاسلامية مما يشين ويعيب مسألة الناسخ والمنسوخ ، فمن تحرى في القرآن وتفسيره رأى ان
الناسخ والمنسوخ فاش فيه بحيث يكاد ان لا تخلو سورة منه ، فكان ذلك موجبا لتشويش
الذهن واضطراب الفكر ، فإذا طالع الانسان بقصد الفائدة تاه في هندس الظلمات ، ووقع
في الالتباسات والايهامات ، وصعب عليه التمييز بين الأحكام التي يجب أن يعول عليها
وبين الأحكام التي لا يجوز الاعتماد عليها.

أقول : أما دعواه اختصاص الديانة الاسلامية بالنسخ ، فقد ظهر لك ظهور الشمس
في رابعة النهار من الأمثلة المتقدمة ، كونها دعوى باطلة لا يسترها التمويه.

وان العهد القديم قد ذكر وقوع التناسخ في شريعة «نوح» كما في المثال الأول ، وجاء
في شريعته النسخ لما قبلها ، كما في المثال الثاني إلى المثال الخامس والتناسخ فيها كما في
المثال السادس إلى المثال التاسع والعشرين ، وان شريعة الإنجيل قد جاء فيها النسخ لما قبلها
كما في المثال الثلاثين الى المثال السابع والثلاثين والتناسخ فيها أيضا كما في المثال الثامن
والثلاثين.

وان شريعة العهد الجديد قد جاء فيها النسخ لما قبلها كما في المثال التاسع والثلاثين
إلى المثال الرابع والأربعين ، والتناسخ فيها أيضا كما في المثال الخامس والأربعين إلى السابع
والأربعين ، وانظر الى ما ذكرنا في التنبيه ، والمتكلف يقول : وعلى كل حال فلا ناسخ ولا
منسوخ ، على ان المتكلف قد اتبع في هذه الدعوى قول السيوطي في الاتقان اتباعا من دون
تدبر ، ولم يدر انه لا يلزم السيوطي مثل ما يلزمه.

قال في الاتقان في المسألة الثانية من النوع السابع والأربعين في النسخ ما لفظه «النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير» ، ولا تحسب ان السيوطي يدعي انه لم يقع النسخ في الشرائع مطلقا حتى نسخ البعض من احكام الشريعة السابقة بالشريعة اللاحقة ، كيف وان القرآن الكريم صريح بأن المسيح يحل لبني اسرائيل بعض الذي حرم عليهم كما تقدم ، بل غاية دعوى السيوطي ان نسخ الشريعة الواحدة لبعض احكامها مما خص الله به هذه الأمة في شريعتها ، وغاية ما يعترض به على السيوطي في هذه الدعوى هو انها دعوى لأمر غائب لا يكتفي فيها بالظنون ، بل تحتاج الى حجة قاطعة صادرة عن علام الغيوب.

نعم : لا يلزمه ما يلزم المتكلف من وقوع التناسخ في الشرائع السابقة بمقتضى العهدين كما ذكرناه ، وذلك لجواز ان يقول السيوطي لا حجة علي بالعهدين لعدم صحة سندهما الى الالهام ، ولكن أين يفر المتكلف عن لزوم ما في العهدين ، كما ذكرنا أمثله.

وأما قول المتكلف : فمن تحري القرآن وتفسيره رأى ان الناسخ والمنسوخ فاش فيه.

فلو أراد فيه الأمانة والتحقيق وترك التمويه والتلبيس لكان عليه ان يبين ما في القرآن من الناسخ والمنسوخ بالبيان الكافي المنطبق على معنى النسخ في الجامعة الاسلامية ، ثم يقول ما عنده.

وأما التشبث بأقوال المفسرين فتشبهت سخي ، لأن الحقائق غير مربوطة بأقوالهم ، وان كثيرا من أقوالهم هاهنا ناشئ عن آراء ضعيفة وأوهام مردودة ، فقد ذكرنا من تفسير الخازن عن قول العلماء انهم قرنوا المفسرين «باعتبار الكثير منهم» وساووهم بالمؤرخين حيث وصفوهم جميعا بأنهم مولعون بكل غريب ملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم.

ولنقتصر فيما يهمنا في المقام على ما اشار إليه في الاتقان ، وان كان قليلا من كثير ، فقد نقل عن ابن «الحصار» قوله ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين ، بل ولا اجتهد المجتهدين.

العلماء والمفسرون

اعلم ان من الناس من كانوا ذوي فهم ثاقب وفكر صائب وقريحة متوقدة فإذا توجهوا الى العلوم انهمكوا فيها انهمك انهمك المنهوم ، فلا يزالون يجدون في اتقان مقدماتها وأحكام مبانيها ، باذلين جهدهم في الغوص على دررها ورفع حجب الجهل وأغاليطه عن وجوه حقائقها ، يزنون المنقول بالمعقول ويردون الفروع إلى الاصول. فالذين فازوا بهذه الفضيلة هم المستحقون لاسم العلماء ، ومن الناس قوم مالوا الى العلم وقعدت بهم الهمم وقصور الاستعداد عن طلب الغاية العليا ، فارتضوا من الفضيلة ان ينسبوا الى فن من الفنون ، واكتفوا من الملكات بكثرة الحفاظ فاقتنعوا بالمنقول والأخذ من الأفواه وسواد الكتابات ، ولم يكن همهم في ذلك إلا تكثير بضاعتهم ، ووفور محفوظاتهم ، وغرابة منقولاتهم من غير التفات الى التحقيق ، ولا وصول الى الحقائق ، ولا انتقاد لما يسمعون ، ولا تدبر لما يقولون ويكتبون ورواج بضاعتهم سهولة اخذ الهمج الرعاع عنهم ، وموافقة خبطهم لأهواء المدلسين. ومن هؤلاء كثير من المفسرين والمحدثين الذين وقف العلماء لهم بالمرصاد ، ونبهوا على خبطهم وخطأهم ، كما ذكرناه عن تفسير الخازن.

المفسرون والنسخ

وقد ذكر في الاتقان مما اورده المكثرون في النسخ أقساما وأمثلة لا يخفى انها ليست من النسخ الذي هو محل الكلام في شيء ، بل ان جعلها منه إنما هو من فلتات الأوهام ، وسوء التخليط ، وعدم التدبر .. فمن ذلك جعلهم من اقسام النسخ كلما جاء في الشريعة المقدسة مبطلا لضلالات الجاهلية وعوائدهم الذميمة ، وكأنهم لم يسمعو من العلماء ان النسخ إنما هو رفع الله لحكمه السابق بإعلان حكمه اللاحق حسب اقتضاء المصلحة والإصلاح ، فإن رضي المتكلف أن يعد ما ذكره من قسم النسخ لزمه على رأيه ان تكون أحكام التوراة كلها ناسخة ، ولكنه مع ذلك لا يبالي ان يقول : وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ.

ومن ذلك جعلهم جميع الآيات المادحة على الإنفاق والنادبة إليه منسوخة

بآية الزكاة ، وهذا وهم فاحش ، فإن حسن الإنفاق والندب إليه من محكمات الشريعة ومستحسنات العقل ، لما فيه من كرم الأخلاق واستحكام التقوى وحسن الاجتماع. ودوام العواطف ، وحفظ النوع ، وليت شعري من أين توهموا ان آية الزكاة ناسخة لآيات الانفاق ، فهل ترى في قوله تعالى : ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾ ، وهل تشم منه رائحة المنافاة لآيات الانفاق.

ومن ذلك جعلهم من بابا الناسخ والمنسوخ مثل قوله تعالى : ﴿ **وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ..** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ ، فتوهموا ان الاستثناء ناسخ لما قبله. وهل هذا إلا من الخلط والخطب بين الاستثناء والتخصيص المتصل بالكلام ، وبين النسخ المصطلح ، ولئن رضي المتكلف بعد هذا من النسخ الذي يندد به على قدس القرآن ، فما ذا يقول إذن فيما يوجد منه كثيرا في العهدين ، أيقول مع ذلك وعلى كل حال فلا ناسخ ولا منسوخ.

ومن ذلك جعلهم من المنسوخ قوله تعالى في سورة التين ٨٠ : ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ** ﴾ .

وكذا قوله تعالى في سورة البقرة ٧٧ : ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ فقالوا ان الآيتين منسوختان بآية السيف وهو توهم ظاهر ، فإن الآية الاولى لا ينبغي لأحد ان يتوهم فيها النسخ لأن مضمونها اخبار بأحسن الأساليب عن ان الله أحكم الحاكمين ، وهو كذلك جل شأنه في الأزل والأبد .. فإن قيل انها منسوخة باعتبار لازم معناها وهو الأمر التفويض والتسليم ، قلنا : أين لفظها وسوقها من هذا المعنى؟ أفليس قبلها قوله تعالى ﴿ **فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ** ﴾ وان السوق ليشهد بأن نظرها متوجه الى المكذب بالدين ، وأين هذا من الأمر بالتسليم والتفويض ، ولو سلمنا ذلك لقلنا ان آية السيف والجهاد الواجب من حكم الله الذي يجب التفويض والتسليم له.

وأما الآية الثانية فهي حكاية عما عهده لبني اسرائيل وامرهم به ، فأين وأين هي من آية السيف ، بل لو كانت خطابا لهذه الامة لكانت من المحكمات

التي لا تقبل النسخ ، فإنها آمرة بتهذيب الاخلاق وحسن الخطاب الذي هو من مصلحات النظام ، وصون اللسان عن منقصة الفحش والبذاء ، ولأجل ما ذكرنا غلط ابن الحصار من جعلها منسوخة بآية السيف.

ومن ذلك ما يحكم ان «هبة الله بن سلامة الضرير» أخطأ في قوله تعالى في سورة الدهر ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ وقال : ان حسن الاطعام فيها وجوازه منسوخة بالنسبة لأسرى المشركين فقالت له ابنته أخطأت فقد أجمع المسلمون على ان الأسير يطعم ولا يموت جوعا ، فأذعن بالخطأ وكان هو الناقل لهذه الحكاية.

ومن ذلك اضطرابهم في الخطأ في قوله تعالى في سورة الاعراف ١٩٨ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ، فقال «ابن العربي» ان أول الآية وآخرها منسوخ بآية السيف ، بناء على ان المراد بالعفو ما يرادف الصفح ، وقال بعض : ان أولها منسوخ بآية الزكاة ، بناء على ان المراد بالعفو هو الفضل من الأموال ، وكلا القولين خطأ لأنه ان حملنا العفو على معنى الفضل من الأموال لم تكن آية الزكاة مضادة له ولا ناسخة ، فإن الزكاة من العفو والفضل من الأموال ، بل يكون كل من الآيتين شارحا للآخرى ، فكأنه قيل خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وهي من العفو والفصل من الأموال ، هذا وإن حملنا العفو على معنى الصفح فإن معناه المسامحة وترك الانتقام عما مضى من الإساءة ، وهو من مكارم الأخلاق التي يصلح بها الاجتماع وتتألف القلوب وتقوم بها الحجة ، ويتبصر بها الغافل ورياضة نفسانية ، وسياسة اقتصادية تتقدم بها شريعة الحق إلى الانتشار ولا مضادة للعفو كما أوضحناه ، ولا منافاة له مع آية السيف ، فانظر الى آية السيف وهو قوله تعالى في سورة براءة ٥ : ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وانظر الى ما قبل الآية وما بعدها من أول السورة الى الثانية عشر فهل تجد في اللفظ او المعنى او السوق نھيا عن فضيلة العفو عما سبق من الإساءة ، أو ان الله جل اسمه يقول : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾

فَحَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١١ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي

الدِّينِ ﴿﴾ وانك لتجد من صراحة الآيات ان قتل المشركين لم يكن لأجل الانتقام منهم ولا للمؤاخذه لهم على اساءتهم السابقة ، بل إنما هو لأن المشركين رجس نجس ومعرثة في سبيل التوحيد وانتشار شريعة الحق والعدل ونظام المدنية ، وزيادة على ضلالهم قد توغلوا بالعداوة للتوحيد والموحدين وانهضهم ضلالهم وجبروتهم لإيذاء المؤمنين وحرهم مبلغ جهدهم ، ولم تنفع فيهم الحجج الواضحة والمواعظ الناصحة ، ولأجل ذلك قال الله جل شأنه امهلوهم مدة الأشهر الحرم تأكيداً للحجة ومهلة للنظر واستمالة إلى الهدى والتوبة ، ثم ضايقوهم بعد هذا بالقتل والحصار تطهيراً للأرض من رجسهم وحيطة للتوحيد وشريعة الحق من كيدهم ، أو ينيبوا إلى الإسلام فيتطهروا بقداسته ويستنبطوا بهداه ، وحينئذ فخلوا سبيلهم ، وليس لكم أن تؤاخذوهم بإساءتهم معكم أيام شركهم فإن الله غفور رحيم.

فلا بد لكم حينما يسلمون أن تعفوا وتصفحوا عما سبق منهم فإنهم حينئذ اخوانكم في الدين.

فالآيات الكريمة مؤكدة لحكم العفو والصفح ، وصريحة في أن قتلهم ومحاصرتهم قبل إسلامهم إنما هما لتنفيذ شريعة الحق ، الداعية إلى مكرمة العفو والصفح.

فأين الآية الشريفة من معارضة الأمر بالعفو ونسخه ، وقس على ذلك كلما جاء في القرآن الكريم من الأمر بالعفو والصفح عن المشركين ، فإذا أمعنت النظر في فلسفة هذه الحقيقة ، وأوصلك التدبر الى معرفة ما فيها من الحكم الباهرة في تربية البشر دعوتهم الى شريعة الحق والعدل وتأديبهم بها ، فإنك تعرف اشتباه «ابن العربي» في دعواه ان آية السيف المذكورة نسخت مائة وأربعة وعشرين آية.

وتعرف أيضاً خطأ المتكلف والتعرب في اتباعهما له على ذلك «يه ٤ ج ص ١٦١ و ذ ص ٤٤ و ٤٥».

وتعرف أيضاً مبلغ تعصب المتعرب وضلاله ، واني لأظن ظناً قويا انهما لم

يطلعا على الآيات التي اشار إليها «ابن العربي» ، وإنما اتبعنا مجمل كلامه لموافقته لأهوائهما ، وسنتعرض إن شاء الله لشرح مضامين هذه الآيات عند التعرض لما في القرآن الكريم من التعليم بمكارم الأخلاق والحكمة البالغة في إظهار دين الحق فترتاح إلى نفحات الهدى واليقين وتعرف نسبه الآيات المشار إليها من آية السيف المذكورة.

ومن الاشتباه والخلط ما ينقل من دعوى «ابن العربي» ان آخر آية السيف قد نسخ اولها ، وها قد تلونها عليك ، وذكرنا لك صراحتها وسوقها ، وقد عرفت في اوائل المقدمة معنى النسخ ، فهل تجد لهذه الدعوى وجهها مقبولا .

ومن العجب ان الإتقان قد نقل قبل هذا عن «ابن العربي» نفسه قوله بأن ما يخص باستثناء أو غاية ليس من المنسوخ ، وذلك كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَاَعْمُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ فكيف إذن يقول : ان أول آية السيف منسوخ بآخرها وهو قوله تعالى : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ .

ومن الاشتباه ما عن «ابن العربي» أيضا في قوله الله تعالى في سورة المائدة ١٠٤ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ حيث قال : «أي اهتديتم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فجعل هذا ناسخا لقوله تعالى : ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ زاعما ان معناه لا تتعرضوا لغيركم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهذا توهم فإنه لا دلالة في الآية على ذلك اصلا ، بل معناها نحو ما قاله الكشاف عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها والسلوك بها في نهج الهدى وذلك باتباع دين الحق والشرعة المقدسة والتأدب بأدائها ، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد ، بل ان تركهما حينئذ من الضلال المقابل للهدى ، ومع ذلك فليت شعري من أين لابن العربي تقييد الاهتداء وتفسيره بخصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإن أخذه من روايات الأحاد فإن ما رواه الكشاف في هذا المقام عن «ابن مسعود» و «أبي ثعلبة» عن رسول الله ﷺ لصريح بخلاف ما يدعيه ابن العربي من النسخ.

ومن هذا النحو اعتماد بعض على رواية من الأحاد فقال ان قوله تعالى : ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ منسوخ بقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ، وقد نقل في الإتيان القول بأن الآية الاولى من المحكم الذي لم ينسخ ، وذهب المحققون كالكشف وغيره الى ان الآيتين بمعنى واحد فلا معارضة بينهما حتى تمكن دعوى النسخ.

فإن معنى قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ اتقوا الله جهد قدرتكم ومبلغ استطاعتكم ، وهذا هو تقوى الله حق تقاته ، إذ لا يصح الأمر بتقوى الله فوق القدرة والاستطاعة ، ولا معنى لذلك. وهذا كاف في رد الرواية لمخالفتها لحكم العقل ، وبهذا تعرف وهن كلام المتكلف «يه ٤ ج ص ١٦٢» ولو انه يسمع كلاما «لهيان ابن بيان» لحمله على عائق حقائق الاسلام وجامعته وقال : ما شاء هواه هذا وان جملة مما اختار في الاتقان كونه من الناسخ والمنسوخ لهو أيضا محل منع ، وسنتعرض إن شاء الله لتحقيق ذلك بالبيان الواضح عند التعرض لبيان شرائع القرآن الكريم.

وبما دركنا هاهنا تعرف ان ما سرده المتكلف «يه ٤ ج ص ١٦٦» من تعداد السور التي ادعى فيها وجود الناسخ او المنسوخ ، أو كليهما إنما هو دعوى لا حقيقة لها ، وإنما اتبع بها نقل الاتقان عن بعضهم في المسألة الخامسة.

وأعلم انا لا نتحاشى من وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم بل قد دللناك في أوائل المقدمة على ان النسخ قد تقتضيه الحكمة الالهية ومراعاة المصلحة ، ولكننا قصدنا هاهنا تحقيق الحق ، ودفع أغاليط الأوهام عن شرائع القرآن الكريم وآدابه ، وقمع تهويلات المتكلف وتمويهاته واكثاره الكاذب! وبما ذكرنا تعرف خطأ المتكلف في قوله المتقدم «فكان ذلك موجبا لتشويش الذهن واضطراب الفكر».

شروط الفتيا

أفلا يعلم أن كل من يعد نفسه مفتيا في شريعة من الشرائع ، ويدعي رئاسة العلم بها ليس له أن يستريح من حيث يتعب الكرام ، بل لا بد له ان

يجتهد في الاطلاع على كتابها الذي هو أساسها ، ليعرف منه العام والخاص ، والمطلق والمقيد ، والمجمل والمبين ، والناسخ والمنسوخ. ليستنتج من ذلك الأحكام الفعلية ، ويميز موضوعاتها لئلا يكون في فتياه كحاطب ليل وخابط عشواء.

أفلا ترى انه لا يصح لرباني اليهود ان يتصدر للفتوى بمقتضى دينه ويفتي بتقديس كل بكر فاتح رحم للرب اعتمادا على «خر ١٣ : ٢ و ٢٢ : ٢٩ و ٣٠ و تث ١٥ : ١٩» من دون ان يفحص ليطلع على الحكم بالفداء «خر ١٣ : ١٣ و ١٥ و ٣٤ : ٢٠ ولا ٢٧ : ٢٧ وعد ٣ : ١٢ و ٤٨.٣٩ و ٨ : ١٦.١٨ و ١٨ : ١٥.١٨».

فيعرف من هذا كله العام والخاص ، والمجمل والمبين ، والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ.

ويتدبر حكم الفداء لبكر الحمار من «خر ١٣ : ١٣ و ٣٤ : ٢٠ ولا ٢٧ : ٢٧ وعد ٣ : ٤١ و ٤٥».

ولا يصح له ان يفتي في العبد العبراني على مقتضى «لا ٢٥ : ٣٩.٤٢» من دون أن يتحقق بيان الحكم من «خر ٢١ : ٢.٧ و تث ١٢.١٨» ، ولا يصح له أن يفتي بجرمة ارملة الأخ على مقتضى «لا ١٨ : ١٢ و ٢٠ : ٢١» من دون ان يطلع بالفحص على «تث ٢٥ : ١٠.٥».

ولا يصح له ان يفتي بحد عمر اللاوي لخدمة مسكن الرب على مقتضى «لا ٤» حتى يطلع بالفحص على «لا ٨ : ٤٤ و ٤٥».

وفحص عن سند التوراة العبرانية والسبعينية ، ويتدبر في فتواه بالاطلاع على «١ أي ٢٣ : ٣ و ٢٤ و ٢٧ وعز ٣ : ٨» فيتعرف من ذلك الصحيح والغلط والمخرف والناسخ والمنسوخ.

ولا يصح له ان يفتي في ذبائح الأيام والسبوت والأعياد والمواسم ومقاديدها ، ومن تكون وعلى من تجب حتى يطلع بالفحص على «حز ٤٥ : ١٣.٤٦ : ١٦» ليعرف الناسخ والمنسوخ والصحيح والغلط ، وهذا المقدار كاف في النموذج.

وكذا لا يصح لقس النصارى ان يعتمد في فتواه بأحكام التوراة على إمضاء المسيح لها ، وأمره بحفظ أقوال الكتبة والعمل بها لأنهم على كرسي «موسى» جلسوا «مت ٢٣ : ٢ و ٣» من دون ان يستقصي العهد الجديد بالفحص ليطلع ما يحكي عن المسيح من تحريم الطلاق والتزوج بالمطلقة «مت ١٩ : ٩» وما يحكي عن «بطرس» من تحليله لأكل جميع الحيوانات المحرمة في التوراة «١ ع ١٠ : ١١ : ١٧».

وما يحكي عن التلاميذ من رفعهم وجوب الختان وقيود التوراة إلا أربعة : الامتناع عما ذبح للأوثان ، والدم ، والمخنوق ، والزنى «١ ع ١٥ : ٢٣ . ٣٠» ، ولا يصح له أيضا على أساسهم أن يفتي بوجوب الامتناع عن هذه الأربعة ما لم يوصله الفحص إلى الإباحة العامة المنقولة عن أقوال «بولس» «رو ١٤ : ١٤ واتى ٤ : ٤ وتي ١ : ١٥» وحتى يستنتج نتيجة من الأقوال المشوشة المضطربة المنقولة عن «بولس» في أكل ما ذبح للأوثان «١ كو ٨ : ي ١٣ . ١ و ١٠ : ١٩ . ٢٢ و ٢٩ و ٣٠».

ولا يفتي بكفاية الايمان في النجاة او بلزوم الأعمال حتى يوفق بما عنده بين الأقوال المنسوبة الى «بولس» «عب ٩ و ١٠ و ١١» وبين ما يضادها من الأقوال المنسوبة الى «يعقوب» «يع ٢ و ٣».

وعلى مثل هذا وبخ علي عليه السلام رجلا تصدر للفتيا مع جهله بالناسخ والمنسوخ ، كما استشهد به المتكلف «يه ٤ ج ص ١٥٦» ولو لم يكن في الشريعة إلا ناسخ واحد لكفى جهله في لزوم التورع عن الفتيا ، ولم يكن جهل ذلك الرجل بالناسخ والمنسوخ من اجل كثرتهما بل لأجل كونه عاطلا من زينة العلم مؤثرا راحة الجهل وإن كان صاحباً لأبي موسى .
فإن قلت : ان لي سوء الآن «أحدهما» هو انه لو لم يوجب النسخ تشويشا فما هذا النزاع القائم في أمر الناسخ والمنسوخ في القرآن بين المكثّر والمقلل ، «وثانيهما» هو انه لما ذا لا يوجد في النصرانية مثل هذا التشويش وهذا النزاع ، قلنا في السؤال الأول : ان التشويش لم يجيء من ذات النسخ ولم يوجب تشويشا في الشريعة ، فإن الناسخ والمنسوخ معلومان معروفان عند الائمة والمجتهدين في

تحقيق الأحكام الشرعية العارفين بموارد الشريعة ومصادرها ، والمعول عليهم بين الملة في معرفة أحكامها ، بحيث لا تشبه عليهم مواردهما ، ولا تلتبس عليهم مصادرها.

وأما النزاع الذي تراه فإنما أوجبه خبط الاشتباه بين من سماهم الاتقان بعوام المفسرين ، وذكر الخازن عن العلماء أنهم قرنوههم بالمؤرخين المولعين بكل غريب كما تقدم. وما ذا على الحقائق إذا تشعب فيها أوهام غير المحققين ، وهل من حقيقة لم تشعب فيها الأوهام ولم تكثر في سبيل عرفانها معائر الجهل ، وسيمر عليك شيء من ذلك إن شاء الله في أوائل المقدمة الثالثة عشرة.

ثم نقول في السؤال الثاني : ان النصارى قد جاءهم نسخ الشريعة عن «بولس» جملة واحدة بعنوان الملاشاة للشريعة جملة واحدة ، وبعد هذه الاستراحة التامة من الشريعة وأحكامها ومعرفتها ، فلا حاجة إلى امعان النظر في كلمات المسيح والرسول للاطلاع على ما فيها من موارد النسخ الجزئي ، ولا داعى لهم إلى مرور الأفكار عليهم ليثور منها غبار الأوهام ، ومع ذلك أفلا تنظر إلى النزاع العظيم والمثابرة التي قامت بين البروتستنت والكاثوليك حتى جرت إلى سفك الدماء وشديد الاضطهاد وشنائع الأفعال والأقوال ، فإن المنشأ في ذلك مكافحة الأوهام من أجل مكافحة رسالة «يعقوب» المشددة في حفظ الأعمال وعدم كفاية الايمان ، مع رسالة «بولس» الى العبرانيين المصرة على التعليم بترك حفظ الناموس وبكفاية الاتكال على الايمان وسر الفداء.

حتى قال «لوطر» مصلح البروتستنت على ما نقله المتكلف «يه ٣ ج ص ١٠٩» ان معلمي الخطيئة يعني «الكاثوليك» يضايقوننا بموسى فلا نريد أن نسمع موسى ولا نراه لأنه اعطى لليهود ولم يعط لنا نحن الامم والمسيحيون فعندنا انجيلنا فهم يريدون أن يهددونا بواسطة موسى وهيهات.

وقال أيضا «ميلانختون» قد نسخت الوصايا العشر ، فقال المتكلف في الاعتذار عن كلام «لوطر» وجرأته على «موسى» ان سببه هو أن الكاثوليك

تطرفوا في حفظ الأعمال الصالحة ، وتوهموا ان الله يقبلنا بسببها ، وان خلاصنا متوقف عليها ، فتطرف «لوطر» كذلك في رفضها.

وما اشبه قول المتكلف هذا بالأقوال المنسوبة إلى مرده بني اسرائيل فيما عن قول الله جل اسمه في ثالث «ملاخي» ١٣ أقوالكم اشتدت علي وقتلتم ما ذا قلنا عليك ١٤ عبادة الله باطلة ، وما المنفعة من أننا حفظنا شعائره.

منسوخ التلاوة

وأما ما ذكره المتكلف «يه ٤ ج ص ١٦٤ و ١٦٥» من منسوخ التلاوة فعقبه «ص ١٦٥ و ١٦٦» بوساوس هواه ، وكذا المتعرب «ذ ص ٤٨ و ٤٩» فإنما اتبعنا فيه بعض المفسرين اتباعا لم يقدر إليه إلا الهوى وفرط الغواية مع ان السيوطي نقل عن «القاضي أبي بكر» في الانتصار عن قوم انكار هذا النحو من النسخ ، لأن الأخبار فيه أخبار آحاد ولا يجوز القطع على انزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لا حجة فيها انتهى.

وأي أخبار الآحاد من إثبات القرآن المبني على القطع في الجامعة الاسلامية ، بل انك لا ترى في القرون العديدة جماعة او واحدا من المسلمين يعتمدون في أمر القرآن على غير اليقين ، او يحتفلون في شأنه بأخبار الآحاد احتفالا دينيا أساسيا ، نعم ربما يذكر بعض المحدثين شيئا من ذلك ذكرا تاريخيا ، وقد ذكر في الانتقان في شأن منسوخ التلاوة روايات عشرة منها عن راو واحد وهو «أبو عبيدة» وكلها تدل على ان ما نسبته الى القرآن ليس من منسوخ التلاوة وإنما هو مما اضاعته الامة.

وأن خصوص روايات «عائشة» و «حميدة» و «مسلمة بن مخلد» من جملة هذه العشرة لصريحة في ذلك ، ورواية عائشة التي ذكرها في منسوخ الحكم والتلاوة صريحة أيضا في ذلك.

وقد اضطرب من جملة الروايات العشر روايتا «زر بن حبيش» و «خالة أبي إمامة» في لفظ آية الرجم كما اضطرب في لفظها وشأن عمر معها ما أخرجه «الحاكم» و «النسائي» و «ابن الضريس» وما ذكره الانتقان عن البرهان على ان هذه

الروايات مردودة أيضا بوجهين «الأول» : هو ان ما زعمت كونه من القرآن لا نجد له نسبة مع القرآن إلا كنسبة الفحمة البالية مع ترصيع تاج الملك.

«الثاني» هو ان نقلها لضياع كثير من القرآن من الامة ليكذبه قول الله جل اسمه في سورة الحجر ١٠٠ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فيجب تكذيبها بحكم القرآن الكريم.

وليس في روايات الاتقان ما هو صريح بنسخ التلاوة إلا ما أخرجه «الطبراني» عن «ابن عمر» ، وأين هذه الرواية من القبول في الجامعة الاسلامية ولا سيما في شأن القرآن الكريم.

فإن قلت : أليس يشهد لما تنكره قوله تعالى في سورة البقرة ١٠٠ : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ فإن صراحة هذه الآية تدل على ان الحفظ الموعود به في الآية المتقدمة إنما هو بالنسبة الى غير الانساء قلت : الآية تضمنت الانساء قبل انقطاع الوحي ، وتكفلت بالاتيان بخير من المنسوخ والمنسي او مثله فهي تدل على ان الله لا ينسخ ولا ينسى عند انقطاع الوحي ، بل إنما ينسخ او ينسى آية حيث يوحى بعدها خيرا منها أو مثلها فهذه الآية كآية الحفظ مكذبة لزعم الزاعمين ان ما تضمنته هذه الروايات من القسم الذي أنساه الله بعد انقطاع الوحي ونسخ بذلك تلاوته ، وعلى هذه الرواية أين يكون الاتيان بخير منها أو مثلها؟ وأين يكون حفظ الذكر مع أن هذه الروايات وأمثالها قد أفرطت في الإكثار حتى جعلت مقدار الذاهب من القرآن أكثر من الموجود ، فتتبع كتب المحدثين الذين لا هم لهم في تحقيق الحقائق ، وإنما همهم حفظ أساطير الأثر والتاريخ ، فيكتبون كل ما يسمعون أو يجدون ، ويوكلون أمر التحقيق إلى أهله ، ويحملون الفقه إلى من هو أفقه منهم. وان آية الحفظ للذكر لتدل على ان الانسان لا يقع بالنسبة إلى القرآن الكريم الموعود بحفظه ، فتدل على ان المقصود بالنسخ والانساء في آيتهما هو ما اوحى من الآيات في الشرائع السابقة ، فنسخ بعضها وعفت بعضها عواصف الأيام حتى جعلته نسيا منسيا ، كما يشهد لذلك سوق الآية مع التي قبلها وهو قوله تعالى : ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ

مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴿ فَإِنْ قُلْتَ : المراد بالآية هنا هو ما كان من القرآن ، قلت : من أين لك أن تخالف سياق القرآن وتتحكم عليه بغير علم؟ أف تقول : ان ما في الكتب الإلهية السابقة لا يسمى في القرآن آية؟ مع ان الله جل اسمه قد سمى في القرآن ما جاء في الكتب الإلهية السابقة بالآية والآيات ومدح من يتلوها فقال تعالى بعد ذم أهل الكتاب في سورة آل عمران ١٠٩ : ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ .

وقال تعالى في سورة مريم بعد ذكر النبيين السابقين ٥٩ : ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ٦٠ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ...﴾ ، وقال تعالى في سورة الزمر ٧١ : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ...﴾ ، فاتضح لك ان القول بمنسوخ التلاوة اخذا من الروايات المشار إليها مما لا حظ له بشيء من التحقيق والصواب لوجوه عديدة ..

وأما قوله تعالى في خطاب رسوله في سورة الأعلى ٦ : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ٧ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ...﴾ ، فلا يمكن حمله على حقيقة الاستثناء ووقوع مشيئة الله لنسيان القرآن إلى حد الخروج عن الانتفاع به ، وذلك لأنه مناف لوعده الله في الآية المتقدمة بحفظ الذكر ، ومستلزم لبطلان الوعد والامتنان بقوله تعالى : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ..﴾ بل انه ليكون مثل قولك سأعطيك ولا آخذ منك إلا ما أشاء أن آخذه منك ، بل ومناف لما اتفق عليه المليون من عصمة الرسول في التبليغ ، ولازمه أن لا يذهب منه بالنسيان بعض ما يوحى إليه ، فيكون نظر الاستثناء إلى عروض النسيان زمانا يسيرا لا ينافي الوعد بحفظ الذكر ، ولا يضاد الامتنان بعدم النسيان ولا ينافي العصمة في التبليغ ، هذا إن جوزنا على الرسول هذا المقدار من النسيان كما ذهب إليه بعض المحدثين.

وأما إذا منعناه أيضا كما هو مذهب المحققين فتكون فائدة الاستثناء هو تسديد الأذهان بدوام اشعارها وتدريبها على الازعان بعموم قدرة الله وتسليط مشيئته ، مع إيضاح وجه الامتنان في الوعد بعدم النسيان ، وذلك ببيان ان عدم

النسيان ليس لأمر ذاتي في الرسول فيثور من ذلك ضلال الغلو وإنما هو منحة من الله وبيده مشيئة النسيان وإن لم يكن يشاؤه لأجل إجراء حكمة الرسالة ، وبهذا تعرف فساد تشبث المتعرب «ذ ص ٣٨».

وقد عَنَّ لنا أن نختتم الجزء الأول تعجيلاً لإنجاز مطبوعه حامدين لله على آلائه ، شاكرين له على ان هداانا بلطفه للحق ، ووقفنا بفضل له لنصرته متوسلين إليه بجرمة أنبيائه وأصفيائه عليهم الصلاة والسلام أن يوفق عباده للأخذ بحظهم في رشدهم ، والنظر في امرهم ، ويجمعهم على كلمة الحق ، وجامعة الصواب انه ولي التوفيق وهو ارحم الراحمين.

وان ضرورة التنبيه على شطط الأضاليل ، وغفلات الجهل وفلتات التعصب ، وقبائح الجرأة قد ألجأت القلم الغير ان للحق الى ما نملك منعه عنه ابتداء ، ولنا عنه في بيان الهدى أحسن مندوحة نتجافى فيها عن التعرض للنحل ولكن القلم جرى ولسان حاله يقول : ان الاغضاء عن العادي على الحق خور ووهن ، وتخلية سبيل المضلين خذلان للدين القيم ، ومعاونة على الضلال والإثم والعدوان ، وعقوق للأخوان من البشر ، وقعود عن نصرتهم على عادية الشبهات ووساوس الغواية ، وذلك مما يأباه الدين والعواطف ويحظره العقل والشرع ، وما في احقاق الحق من غضاضة وان غيظ المضل ، على أهلها جنت براقش ، والحديث شجون.

سَقَوْنِي وَقَالُوا لَا تَغْنِ وَلَوْ سَقَوْنَا جبال شروري ما سَقَوْنِي لغنت «وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب» وسيأتي إن شاء الله المقدمة الثالثة عشرة في اوائل الجزء الثاني في ضمن فصول «والله المستعان ، وهو حسبي».

الفهرس

مقدمة الطبعة الثانية : بقلم العلامة الفكيكي . بغداد . الاعظمية	٥
خطبة الكتاب ، الداعي لكتابته.....	٣١
ذكر بعض المتعرضين للإسلام وكتبهم.....	٣٢
المقدمة الاولى : اسماء كتب اليهود والنصارى والترجمة السبعينية.....	٣٤
الرموز المصطلح عليها ، نسخها الموجودة عند الكاتب.....	٣٥
المقدمة الثانية : في دلالة العهدين على اختلاف الأوقات في وحي كتبها ، تهور سايل والمتعرب.....	٤١
المقدمة الثالثة : مخالفة ترتيبها لوحيا.....	٤٤
المقدمة الرابعة : في الحالات المستغربة لأنبياء العهدين عند الوحي.....	٤٦
تذييل فيما يذكره العهد القديم من الحالات الظريفة لأنبيائه في التبليغ.....	٥٠
المقدمة الخامسة : في سيرة بني اسرائيل والملة النصرانية ، سيرة بني اسرائيل وتقلبهم في الشرك ، سبط يهوذا ، يوشيا ، وحلقيا ودعواه لوجدان التوراة بعد عدمها.....	٥٣
مكابرة المتكلف وبيان فسادها ، عزرا والتوراة.....	٥٩
سيرة بني اسرائيل وأصحاب المسيح وتلاميذه والمعلمين في النصرانية واختلافهم واضطرابهم.....	٦٣
المقدمة السادسة : لا حجة بكتب العهدين ، شهادة بعضها على بعض بالتحريف صريحا.....	٦٨
التبديل في التراجم والمطابع.....	٧١
المقدمة السابعة : في شروط البرهان والجدل ، وأخبار الآحاد.....	٧٤
المقدمة الثامنة : في رسالة الرسول وفيها بابان.....	٧٧
الباب الاول وفيه فصول : الفصل الاول : رسالة النبي.....	٧٧
الفصل الثاني : الغاية المطلوبة منها.....	٧٧
الفصل الثالث : عصمته في العقل والنقل.....	٧٨
الفصل الرابع : في الاعتراضات على العصمة.....	٧٨

٨٢.....	أجوبتها في تحقيق الحق وكشف الالتباس
٨٣.....	العهدان يكذبان أنبياءهما في التبليغ
٩٢.....	الباب الثاني : تحقيق الحال في نسبة المعاصي والذنوب الى الأنبياء وفيه فصول
٩٣.....	الفصل الاول : في ذكر آدم وما يقال في شأنه
٩٨.....	الفصل الثاني : في ذكر نوح وما قيل في شأنه
١٠٠.....	الخمر والعهدين ، الخمر والمسيح
١٠٦.....	رواية النبيذ ورسول الله (ص) ، حقيقة النبيذ
١٠٩.....	الفصل الثالث : في شأن ابراهيم وما قيل فيه
١١٤.....	ابراهيم والقرآن والتوراة
١١٦.....	الفصل الرابع : في ذكر اسحاق وما جاء في شأنه
١١٨.....	موسى والكذب على فرعون
١٢٠.....	الفصل الخامس : في نبوة يعقوب وما قيل في شأنه
١٢١.....	يعقوب ومخادعته لأبيه
١٢٣.....	الفصل السادس : في نبوة يوسف وما جاء في شأنه
١٢٥.....	الفصل السابع : في رسالة موسى وما قيل في شأنه
١٢٨.....	موسى والقرآن
١٢٩.....	موسى والخضر
١٣١.....	قول موسى للسحرة
١٣٣.....	موسى والتوراة
١٣٥.....	الفصل الثامن : في رسالة هارون وما ذكر في شأنه
١٣٧.....	العناية بنبات هارون
١٣٨.....	القرآن والسامري وكشف حقيقته
١٤١.....	الفصل التاسع : في رسالة أيوب وما ذكر في شأنه
١٤٣.....	الفصل العاشر : في نبوة داود وما ذكر في شأنه
١٤٤.....	داود والقرآن : داود والتوراة
١٤٨.....	الفصل الحادي عشر : في نبوة سليمان وما ذكر في شأنه

١٥٠	سليمان والقرآن ، سليمان والعهد القديم
١٥٣	الفصل الثاني عشر : في نبوة اليسع وما ذكر في شأنه
١٥٤	الفصل الثالث عشر : في نبوة ارميا وما ذكر شأنه
١٥٥	الفصل الرابع عشر : في نبوة حزقيال وما ذكر في شأنه
١٥٦	الفصل الخامس عشر : في رسالة المسيح وما قيل في شأنه
١٦٢	المتكلف والسؤال عليه في الفداء
١٦٥	نتيجة المقدمة
١٦٧	الفصل السادس عشر : عصمة رسول الله (ص) محمد خاتم النبيين وما يتعلق بها
	الآيات الشريفة تفسيرها بموهونات الروايات ، وأوهام المتكلف جدله بما في العهدين ، فلسفة
	القرآن في القذف تجربة المسيح وحاشاه من الشيطان ، العهد الجديد والتلاميذ والشيطان
١٦٩	
	المقدمة التاسعة : في بيان ما تثبت به الرسالة وتقوم به الله على الناس الحجة وبيان ما يلزم
٢٠٧	فيها وما لا يلزم
٢١٣	المعجز ما هو؟
٢١٨	المقدمة العاشرة : في ذكر موانع للنبوة والرسالة الشاهدة على كذب ادعائها
٢٢١	المقدمة الحادية عشرة : في وجوب النظر في دعوى الرسالة
٢٢٢	فصل فيما يتعلق بكيفية النظر
٢٢٤	فصل في افودج النظر حسبما شرحنا من قوانينه تمرينا للذهن
٢٤١	الاحتجاج للمنع من الطلاق
٢٥١	زربابل وايهود وريسا
٢٥٢	أبيهود واضطراب المتكلف
٢٥٣	ريسا واضطراب المتكلف
٢٥٤	زربابل ونيري
٢٥٦	نتيجة باهضة للمتكلف
٢٥٨	ايليا ويوحنا المسيح
٢٦٠	يوحنا ومعرفته برسالة المسيح
٢٦٣	الاعميان والاعمى

المجنون والمجنونان	٢٦٥
عدم تواتر كتبهم	٢٦٧
تناقض التعاليم	٢٦٩
التناقض بين التعليم والعمل	٢٧٠
المقدمة الثانية عشرة : في النسخ في الشريعة الإلهية وفيها فصول	٢٧٥
الفصل الاول : في ماهيته وحقيقة المراد منه في الاصطلاح	٢٧٥
الفصل الثاني : في إمكانه	٢٧٥
الناسخ والمنسوخ في شريعة نوح	٢٧٩
التوراة وشريعة نوح والحيوانات	٢٨٠
التوراة وما قبلها في التزوج بالاخت	٢٨٠
أيضا الجمع بين الاختين في التزويج	٢٨٠
التزوج بالعمة	٢٨١
يعقوب وليئة	٢٨٣
رسول الله وإظهار الحق والمتكلف	٢٨٤
نسخ التوراة لحكمها في محرقة السهو	٢٨٥
أيضا امرأة الأخ	٢٨٦
التوراة وداود وعمر اللاويين	٢٨٧
التوراة وحزقيال والمحرقة اليومية	٢٨٨
أيضا محرقة السبت	٢٨٨
وأيضا محرقة رأس الشهر	٢٨٨
وأيضا محرقة الفصح	٢٨٩
وأيضا محرقات عيد المظال	٢٨٩
وأيضا ما هو للرئيس وما عليه وعليك تعداد ما فيه من النسخ	٢٩٠
التوراة والمسيح والطلاق والتزوج بالمطلقة	٢٩١
تعدد الزوجات	٢٩٥
نسخ الإنجيل لحكم التوراة	٢٩٦
و .. التوراة والرسل والختان	٢٩٧

عبد المسيح الكندي	٢٩٨
و ... الحيوانات النجسة والمحرم أكلها.....	٣٠٠
«الذبائح وأحكام الكهنة.....»	٣٠٣
«السبت والاحد والسابع والاول.....»	٣٠٣
«الناموس والعهد الجديد.....»	٣٠٦
«الرسل وبولس وما ذبح للأوثان والمخنوق والدم.....»	٣٠٤
نوح والحيوانات.....	٣٠٩
امتحان الله لابراهيم.....	٣١٢
عمر اللاوي الموظف للمسكن.....	٣١٣
حزقيال وتكليفه.....	٣١٦
فينحاس وكهنوت نسله الابدي.....	٣١٨
عالي وكهنوت بيته.....	٣١٩
مملكة شاول.....	٣١٩
موت حزقيا وشفاءه.....	٣٢٠
إنكار المتكلف ما في العهد الجديد.....	٣٢١
اللعنة على من لا يقيم الناموس.....	٣٢٥
الأبد في التوراة والعهد القديم.....	٣٢٦
استئناف للكلام مع المتكلف.....	٣٢٧
المتكلف وسر الفداء.....	٣٣٠
مغفرة الله ورحمته.....	٣٣١
الاسلام والمتكلف.....	٣٣٧
المتكلف والبرهمية والبوذية.....	٣٣٩
الفداء عند المسلمين.....	٣٤٠
الفصل الثالث : في وقوع النسخ.....	٣٤٠
المتكلف والنسخ.....	٣٤٢
العلماء والمفسرون.....	٣٤٣
المفسرون والنسخ.....	٣٤٣
شروط الفتيا.....	٣٤٨
منسوخ التلاوة.....	٣٥٢